

سنة ١٤٠٠ هـ / ٢٠١٩ م
دراسة تاريخية

من الطب إلى بلاد الشام

آل البيت

سنة ١٤٠٠ هـ / ٢٠١٩ م

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة:	IQ – KaPLI ara IQ –KaPLI rda
رقم الاستدعاء:	BP41. 5. H87 2018
المؤلف:	الحسيني، قاسم جاسم قاسم - مؤلف.
العنوان:	سبي آل البيت عليه السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م / (دراسة تاريخية).
بيان المسؤولية:	تأليف قاسم جاسم قاسم الحسيني.
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى.
بيانات النشر:	النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ٢٠١٨ م / ١٤٣٨ هـ.
الوصف المادي:	٥٨٣ صفحة: خرائط؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة؛ ٤٠٢).
سلسلة النشر:	مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.
تبصرة عامة:	أصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة البصرة.
تبصرة ملحق:	
تبصرة بيليوغرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (٤٩٣-٥٧٥).
موضوع شخصي:	الحسين بن علي الشهيد عليه السلام ، الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - الشهادة.
موضوع شخصي:	زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام ، ٦-٦٢ للهجرة - خطب.
موضوع شخصي:	فاطمة بنت الحسين عليها السلام ، ٤٠-١١٠ للهجرة - خطب.
موضوع شخصي:	أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليها السلام ، ٦-٦١ للهجرة - خطب.
موضوع شخصي:	علي بن الحسين عليه السلام ، الإمام الرابع، ٣٨-٩٤ للهجرة - خطب.
مصطلح موضوعي:	واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة - أحداث السبي - دراسة.
مصطلح موضوعي:	سبايا آل محمد عليه السلام - مسير.
مصطلح موضوع جغرافي:	كربلاء (العراق) - تاريخ - العصر الأموي: ٦٦١-٧٥٠ للهجرة.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٩٤) لسنة (٢٠١٨ م)

سُبْحِي
آلِ الْبَيْتِ
مِنْ الطَّيِّفِ إِلَى بِلَادِ السَّلَامِ
سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م
(دراسة تاريخية)

تأليف
قاسم جاسد قاسم الحسيني

الإشراف العلمي
مُؤَسَّسَةُ رِوَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ
لِلدِّينِ وَالْعَصْرِ وَالنَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ



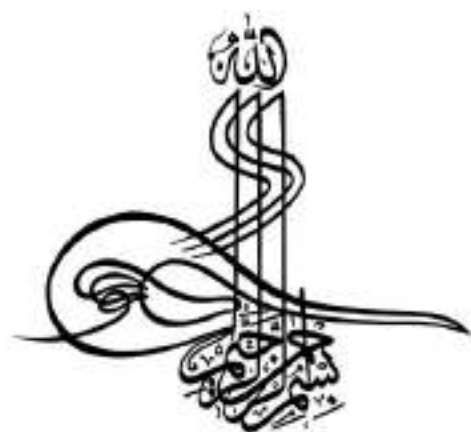
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

إصدار

مؤسسة وإدارة الأئمة
للدراسات والبحوث الحسينية



تنويه: أصل هذا الكتاب رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي
وهي بعنوان: سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م
(دراسة تاريخية)

تقدّم بها الطالب قاسم جاسم قاسم الحسيني
تحت إشراف أ.م.د. نزار عبد المحسن جعفر الداغر
قدّمت إلى مجلس كلية الآداب / جامعة البصرة - ٢٠١٧م

مراجعة وتدقيق

اللجنة العلمية في قسم الرسائل الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء
د. الشيخ عبد الرحمن الربيعي، د. الشيخ علي حمود العبادي،
د. السيد خالد السيساوي، د. الشيخ عدي السهلاني، الأستاذ معروف عبد المجيد

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)
- المؤلف قاسم جاسم قاسم الحسيني
- الإشراف العلمي اللجنة العلمية في قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء
- الإخراج الفني حسين المالكي
- الطبعة الأولى
- سنة الطبع ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م
- عدد النسخ ١٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤)

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

صدق الله العلي العظيم

(البقرة: آية ١٥٤-١٥٧).

الإهداء..

اللهم لجلال قدرك وعظمة شأنك وعزتك أضع عملي بين يدي رحمتك، اللهم فاغفر لي خطيئتي وذنبي في الدنيا والآخرة.

إلى/ المبعوث رحمة للعالمين إمام المتقين وسيد المرسلين وشفيعنا يوم الدين... «محمد الصادق الأمين عليه السلام»...

إلى/ وسيلتي إلى الله وشفيعتي يوم المعاد أم الأئمة الأطهار الصديقة الطاهرة... «فاطمة الزهراء عليها السلام»...

إلى/ من اصطفوا من قبل الله فصاروا أصفاءه.

إلى/ من عرفوا أن الحب لا يكون إلا لله فصاروا أحباءه.

إلى/ من لا يعطون حقّ الودّ إلا لله فصاروا أودّاه.

إلى/ من هاموا وجنّوا في حبّ الحسين عليه السلام.

إلى/ من تركوا الأهل والأحبة فداءً للحسين عليه السلام.

إلى/ من استأنسوا بالمنيّة دون الحسين عليه السلام.

إلى/ من أحال سنوات عمره قناديل تُضيء طريقي... «والدي»... رحمة ونوراً مهداة إلى روحك الطاهرة.

إلى/ من واصلت ليلها ونهارها بالدعاء لي، بحر الحنان وعنوان الصبر وينبوع المحبة... «والدي»... وفاءً ودعائي لها بالشفاء.

إلى/ إخوتي وأخواتي... الأعزاء.

إلى/ رفيقة دربي التي كابدت معي كل الصعاب... «زوجتي»...

إلى/ فلذات كبدي... «أولادي»...

* أقدم بحثي هذا لكل هؤلاء **

الباحث

الرمز	الشرح
د. ت	لا توجد سنة الطبع
د. ط	لا يوجد إسم المطبعة
د. م	لا يوجد إسم مدينة الطبع
ت	تُؤَقِّي
ج	الجزء
د.	الدكتور
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
ق	القسم
م	السنة الميلادية
مج	المجلد
هـ	السنة الهجرية
p.	الصفحة
« »	نصّ مقتبس
	اقتباس الآيات القرآنية
كم	المسافة بالكيلو متر

شكر وعرفان

الشكرُ لله سبحانه وتعالى أولاً وآخرًا على ما سخر لي من أسبابه، وأسهب لي من إحسانه وفضله، وأمكنني من إكمال رسالتي.

لا بد لي بعد أن أنجزت إعداد هذه الرسالة، أن أتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور نزار عبد المحسن؛ لما بذله من جهد علمي ومتابعة وحرص شديدين وما قدّمه لي من عون ومساعدة، كما أهدي شكري وتقديري إلى أساتذة قسم التاريخ، وبالأخص الأساتذة الذين قاموا بتدريسي خلال المراحل الدراسية السابقة، ولكل من قدّم إليّ التوجيه والإرشاد في كتابة البحث، وبالأخص إلى الدكتور جواد، والدكتورة إنتصار؛ لما قدّماه لي من توجيه وإرشاد.

وشكر موصول إلى الدكتورة رباب جبّار السوداني؛ التي لم تبخل عليّ بوقتها وجهدها، فلها منّي جزيل الشكر والامتنان، وعرفاناً بالجميل أسدي عميق شكري إلى الأستاذ الدكتور ستّار جبّار علوان؛ لما قدّمه لي من إرشادات وتوجيهات قوّمت مسار البحث، كما لا أنسى المساعدة القيّمة التي قدّمها لي الدكتور توفيق الحجاج، الذي كانت مكتبته العامرة مفتوحة أمامنا، وأمام كلّ طالب علم فله خير الدعاء.

والشكر موصول إلى جميع أساتذتي في السنة التحضيرية، الذين قدّموا لي التوجيه والمعلومات القيّمة، خاصّة في ما يتعلّق بكتابة البحث، ولما قدّموه من معلومات قيّمة فلهم منّي كلّ الشكر والتقدير.

وفي الختام أسجّل شكري وتقديري لكلّ من قدّم لي مساعدة مهما كانت، وأخصّ بالذكر منتسبي مكتبة الجامعة المركزية ومكتبة الآداب ومكتبة قسم

التاريخ، وكلّ مَنْ مدّ لي يد العون، وجزى الله الجميع خيراً الجزاء.
إلى اليد التي خطّ يراعها كلمات الرسالة، إلى عينيّ اللتين أبصرتُ بهما، إلى مَنْ
شاركتني وكانت حاضرة في صفحات البحث، إلى ابنتي وقرّة عيني
.. فاطمة الزهراء كل الشكر والتقدير.

الباحث

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنّ العلم والمعرفة مصدر الإشعاع الذي يهدي الإنسان إلى الطريق القويم، ومن خلاهما يمكنه أن يصل إلى غايته الحقيقية وسعادته الأبدية المنشودة، فبهما يتميّز الحقّ من الباطل، وبهما تُحدد اختيارات الإنسان الصحيحة، وعلى ضوءهما يسير في سبل الهداية وطريق الرشاد الذي خُلق من أجله، بل على أساس العلم والمعرفة فضّله الله ﷺ على سائر المخلوقات، واحتج عليهم بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، فبالعلم يرتقي المرء وبالجهل يتسافل، وقد جاء في الأثر «العلم نور»^(٢)، كما بالعلم والمعرفة تتفاوت مقامات البشر ويتفوّق بعضهم على بعض عند الله ﷻ، إذ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٣)، وبهما تسعد المجتمعات، وبهما الإعمار والازدهار، وبهما الخير كلّ الخير.

ومن أجل العلم والمعرفة كانت التضحيات الكبيرة التي قدّمها الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، تضحيات جسام كان هدفها منع الجهل والظلام والانحراف،

(١) البقرة: آية ٣١.

(٢) الفيض الكاشاني، محمد، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء: ج ١، ص ١١١.

(٣) المجادلة: آية ١١.

تضحيات كانت غايتها إيصال المجتمع الإنساني إلى مبتغاه وهدفه، إلى كماله، إلى حيث يجب أن يصل ويكون، فكان العلم والمعرفة هدف الأنبياء المنشود لمجتمعاتهم، وتوسّلوا إلى الله ﷻ بغية إرسال الرسل التي تعلّم المجتمعات فقالوا: ﴿وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ الْحَكِيمِ﴾^(١)، و﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، ما يعني أن دون العلم والمعرفة هو الضلال المبين والخسران العظيم.

بل هو دعاؤهم ﷺ ومبتغاهم من الله ﷻ لأنفسهم أيضاً، إذ طلبوا منه تعالى بقولهم: «وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ»^(٣).

وبالعلم والمعرفة لا بدّ أن تُثَمَّن تلك التضحيات، وتُقَدَّس تلك الشخصيات التي ضحّت بكلّ شيء من أجل الحقّ والحقيقة، من أجل أن نكون على علم وبصيرة، من أجل أن يصل إلينا النور الإلهي، من أجل أن لا يسود الجهل والظلام. فهذه هي سيرة الأنبياء والأئمة ﷺ سيرة الجهاد والنضال والتضحية والإيثار لأجل نشر العلم والمعرفة في مجتمعاتهم، تلك السيرة الحافلة بالعلم والمعرفة في كلّ جانب من جوانبها، والتي ينهل منها علماءنا في التصديّ لحلّ مشاكل مجتمعاتهم على مرّ العصور والأزمنة والأمكنة، وفي كافّة المجالات وشؤون البشر.

وهذه القاعدة التي أسسناها لا يُستثنى منها أيّ نبي أو وصي، فلكلّ منهم ﷺ سيرته العطرة التي ينهل منها البشر للهداية والصلاح، إلّا أنّه يتفاوت الأمر بين

(١) البقرة: آية ١٢٩.

(٢) آل عمران: آية ١٦٤.

(٣) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٢٨٠.

أفرادهم من حيث الشدة والضعف، وهو أمر عائد إلى المهام التي أنيطت بهم عليهم السلام، كما أخبر عليه السلام بذلك في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَلِمَ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، فسيرة النبي الأكرم عليه السلام ليست كبقية سير الأنبياء، كما أن سيرة الأئمة عليهم السلام ليست كبقية سير الأوصياء السابقين، كما أن التفاوت في سير الأئمة عليهم السلام فيما بينهم مما لا شك فيه، كما في تفضيل أصحاب الكساء على بقية الأئمة عليهم السلام.

والإمام الحسين عليه السلام تلك الشخصية القمّة في العلم والمعرفة والجهاد والتضحية والإيثار، أحد أصحاب الكساء الخمسة التي دلّت النصوص على فضلهم ومنزلتهم على سائر المخلوقات، الإمام الحسين عليه السلام الذي قدّم كلّ شيء من أجل بقاء النور الرباني، الذي يأبى الله أن ينطفىء، الإمام الحسين عليه السلام الذي بتضحّيته تعلّمنا وعرفنا، فبقينا.

فمن سيرة هذه الشخصية العظيمة التي ملأت أركان الوجود تعلّم الإنسان القيم المثلّي التي بها حياته الكريمة، كالإباء والتحمّل والصبر في سبيل الوقوف بوجه الظلم، وغيرها من القيم المعرفية والعملية، التي كرّس علماءنا الأعلام جهودهم وأفنوا أعمارهم من أجل إيصالها إلى مجتمعات كانت ولا زالت بأمس الحاجة إلى هذه القيم، وتلك الجهود التي بذلت من قبل الأعلام جديرة بالثناء والتقدير؛ إذ بذلوا ما بوسعهم وأفنوا أغلى أوقاتهم وزهرة أعمارهم لأجل هذا الهدف النبيل.

إلا أن هذا لا يعني سدّ أبواب البحث والتنقيب في الكنوز المعرفية التي تركها عليهم السلام للأجيال اللاحقة - فضلاً عن الجوانب المعرفية في حياة سائر المعصومين عليهم السلام - إذ بقي منها من الجوانب ما لم يُسلّط الضوء عليه بالمقدار المطلوب، وهي ليست بالقليل، بل

(١) البقرة: آية ٢٥٣.

لا نجانب الحقيقة فيما لو قلنا: بل هي أكثر مما تناولته أقلام علمائنا بكثير، فلا بدّ لها أن تُعرَف لتُعرَف، بل لا بدّ من العمل على البحث فيها ودراستها من زوايا متعددة، لتكون منهجاً للحياة، وهذا ما يزيد من مسؤولية المهتمين بالشأن الديني، ويحتمّ عليهم تحمّل أعباء التصديّ لهذه المهمة الجسيمة؛ استكمالاً للجهود المباركة التي قدّمها علماء الدين ومراجع الطائفة الحقة.

ومن هذا المنطلق؛ بادرت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدّسة لتخصيص سهم وافر من جهودها ومشاريعها الفكرية والعلمية حول شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة؛ إذ إنّها المعنيّة بالدرجة الأولى والأساس بمسك هذا الملف التخصّصي، فعمدت إلى زرع بذرة ضمن أروقتها القدسية، فكانت نتيجة هذه البذرة المباركة إنشاء مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة، حيث أخذت على عاتقها مهمّة تسليط الضوء - بالبحث والتحقيق العلميين - على شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة وسيرته العطرة، وكلماته الهادية، وفق خطة مبرمجة وآلية متقنة، تمّت دراستها وعرضها على المختصين في هذا الشأن؛ ليتّم اعتمادها والعمل عليها ضمن مجموعة من المشاريع العلمية التخصّصية، فكان كلّ مشروع من تلك المشاريع متكفلاً بجانب من الجوانب المهمّة في النهضة الحسينية المقدّسة.

كما ليس لنا أن ندّعي - ولم يدّع غيرنا من قبل - الإمام والإحاطة بتمام جوانب شخصية الإمام العظيم ونهضته المباركة، إلّا أنّنا قد أخذنا على أنفسنا بذل قصارى جهدنا، وتقديم ما بوسعنا من إمكانيات في سبيل خدمة سيّد الشهداء (عليه السلام)، وإيصال أهدافه السامية إلى الأجيال اللاحقة.

المشاريع العلمية في المؤسسة

بعد الدراسة المتواصلة التي قامت بها مؤسسة وارث الأنبياء حول المشاريع العلمية في المجال الحسيني، تمّ الوقوف على مجموعة كبيرة من المشاريع التي لم يُسلط الضوء عليها كما يُراد لها، وهي مشاريع كثيرة وكبيرة في نفس الوقت، ولكلّ منها أهميته القصوى، ووفقاً لجدول الأولويات المعتمد في المؤسسة تمّ اختيار المشاريع العلمية الأكثر أهمية، والتي يُعتبر العمل عليها إسهاماً في تحقيق نقلة نوعية للتراث والفكر الحسيني، وهذه المشاريع هي:

الأول: قسم التأليف والتحقيق

إنّ العمل في هذا القسم على مستويين:

أ- التأليف

ويُعنى هذا القسم بالكتابة في العناوين الحسينية التي لم يتمّ تناولها بالبحث والتنقيب، أو التي لم تُعطَ حقّها من ذلك. كما يتمّ استقبال التّاجات القيّمة التي ألّفَت من قبل العلماء والباحثين في هذا القسم؛ ليتمّ إخضاعها للتحكيم العلمي، وبعد إبداء الملاحظات العلمية وإجراء التعديلات اللازمة بالتوافق مع مؤلّفيها يتمّ طباعتها ونشرها.

ب- التحقيق

والعمل فيه قائم على جمع وتحقيق وتنظيم التراث المكتوب عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ويشمل جميع الكتب في هذا المجال، سواء التي كانت بكتابٍ مستقلٍّ أو ضمن كتاب، تحت عنوان: (موسوعة المقاتل الحسينية). وكذا العمل جارٍ في هذا القسم على رصد المخطوطات الحسينية التي لم تُطبع إلى الآن؛ ليتمّ جمعها وتحقيقها، ثمّ طباعتها ونشرها. كما ويتمّ استقبال الكتب التي تمّ تحقيقها خارج المؤسسة، لغرض طباعتها ونشرها، وذلك بعد إخضاعها للتقييم العلمي من قبل اللجنة

العلمية في المؤسسة، وبعد إدخال التعديلات اللازمة عليها وتأييد صلاحيتها للنشر تقوم المؤسسة بطباعتها.

الثاني: مجلة الإصلاح الحسيني

وهي مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية، تهتم بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذلك إبراز الجوانب الإنسانية، والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة، وقد قطعت شوطاً كبيراً في مجالها، واحتلت الصدارة بين المجلات العلمية الرصينة في مجالها، وأسهمت في إثراء واقعنا الفكري بالبحوث العلمية الرصينة.

الثالث: قسم ردّ الشُّبُهات عن النهضة الحسينية

إنّ العمل في هذا القسم قائم على جمع الشُّبُهات المثارة حول الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة، وذلك من خلال تتبع مظانّ تلك الشُّبُهات من كتب قديمة أو حديثة، ومقالات وبحوث وندوات وبرامج تلفزيونية وما إلى ذلك، ثمّ يتمّ فرزها وتبويبها وعنوانتها ضمن جدول موضوعي، ثمّ يتمّ الردّ عليها بأسلوب علمي تحقيقي في عدّة مستويات.

الرابع: الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)

وهي موسوعة علمية تخصصية مستخرجة من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) في مختلف العلوم وفروع المعرفة، ويكون ذلك من خلال جمع كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) من المصادر المعتبرة، ثمّ تبويبها حسب التخصصات العلمية مع بيان لتلك الكلمات، ثمّ وضعها بين يدي ذوي الاختصاص؛ ليستخرجوا نظريات علمية ممازجة بين كلمات الإمام (عليه السلام) والواقع العلمي.

الخامس: قسم دائرة معارف الإمام الحسين (عليه السلام) أو (الموسوعة الألفبائية الحسينية)

وهي موسوعة تشتمل على كلّ ما يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة من

أحداث، ووقائع، ومفاهيم، ورؤى، وأعلام وبلدان وأماكن، وكتب، وغير ذلك، مرتبة حسب حروف الألف باء، كما هو معمول به في دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علمية رصينة، تُراعى فيها كل شروط المقالة العلمية، مكتوبة بلغةٍ عصرية وأسلوبٍ حديث.

السادس: قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

إنَّ العمل في هذا القسم يتمحور حول أمرين: الأول: إحصاء الرسائل والأطاريح الجامعية التي كُتبت حول النهضة الحسينية، ومتابعتها من قبل لجنة علمية متخصصة؛ لرفع النواقص العلمية، وتهيئتها للطباعة والنشر، الثاني: إعداد موضوعات حسينية من قبل اللجنة العلمية في هذا القسم، تصلح لكتابة رسائل وأطاريح جامعية، تكون بمتناول طلاب الدراسات العليا.

السابع: قسم الترجمة

يقوم هذا القسم بمتابعة التراث المكتوب حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة باللغات غير العربية لنقله إلى العربية ومنها إلى لغات أخرى، ويكون ذلك من خلال تأييد صلاحيته للترجمة، ثمَّ ترجمته أو الإشراف على ترجمته إذا كانت الترجمة خارج القسم.

الثامن: قسم الرصد والإحصاء

يتمُّ في هذا القسم رصد جميع القضايا الحسينية المطروحة في جميع الوسائل المتبعة في نشر العلم والثقافة، كالفضائيات، والمواقع الإلكترونية، والكتب، والمجلات والنشريات، وغيرها؛ ممَّا يعطي رؤية واضحة حول أهمِّ الأمور المرتبطة بالقضية الحسينية بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثراً جداً في رسم السياسات العامة للمؤسسة، ورصد بقية الأقسام فيها، وكذا بقية المؤسسات والمراكز العلمية في شتى المجالات.

التاسع: قسم المؤتمرات والندوات العلمية

ويتمّ العمل في هذا القسم على إقامة مؤتمرات وملتقيات وندوات علميّة فكرية متخصصة في النهضة الحسينية، لغرض الإفادة من الأعلام الرائدة والإمكانات الواعدة، ليتمّ طرحها في جوّ علميٍّ بمحضر الأساتذة والباحثين والمحققين من ذوي الاختصاص، كما تتمّ دعوة العلماء والمفكرين؛ لطرح أفكارهم ورؤاهم القيمة على الكوادر العلمية في المؤسسة، وكذا سائر الباحثين والمحققين وكلّ من لديه اهتمام بالشأن الحسيني، للاستفادة من طرق قراءتهم للنصوص الحسينية وفق الأدوات الاستنباطية المعتمدة لديهم.

العاشر: قسم المكتبة الحسينية التخصصية

وهي مكتبة حسينية تخصّصية تجمع التراث الحسيني المخطوط والمطبوع، أنشأتها مؤسسة وارث الأنبياء، وهي تجمع آلاف الكتب المهمة في مجال تخصّصها.

الحادي عشر: قسم الموقع الإلكتروني

وهو موقع إلكتروني متخصص بنشر نتائج وفعاليات مؤسسة وارث الأنبياء، يقوم بنشر وعرض كتبها ومجلاتها التي تصدرها، وكذا الندوات والمؤتمرات التي تقيمها، وكذا يسلّط الضوء على أخبار المؤسسة، ومجمل فعاليتها العلمية والإعلامية.

الثاني عشر: القسم النسوي

يعمل هذا القسم من خلال كادر علمي متخصص وبأقلام علمية نسوية في الجانب الديني والأكاديمي على تفعيل دور المرأة المسلمة في الفكر الحسيني، كما يقوم بتأهيل الباحثات والكاتبات ضمن ورشات عمل تدريبية، وفق الأساليب المعاصرة في التأليف والكتابة.

الثالث عشر: القسم الفني

إنّ العمل في هذا القسم قائم على طباعة وإخراج التتاجات الحسينية التي تصدر عن المؤسسة، من خلال برامج إلكترونية متطورة يُشرف عليها كادر فنيّ متخصص، يعمل على تصميم الأغلفة وواجهات الصفحات الإلكترونية، وبرمجة الإعلانات المرئية والمسموعة وغيرهما، وسائر الأمور الفنيّة الأخرى التي تحتاجها كافة الأقسام.

وهناك مشاريع أخرى سيتمّ العمل عليها إن شاء الله تعالى.

قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

يتكفّل قسم الرسائل والأطاريح الجامعية بمهمّة نشر الفكر الحسيني المبارك، من خلال تفعيل الدراسات والأبحاث العلمية الحسينية في الأوساط الجامعية والأكاديمية بمستوياتها الثلاثة: البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، مضافاً إلى الرّقي بالمستوى العلمي والتحقيقي للكفاءات الواعدة المهتمة بالنهضة الحسينية في جميع مجالاتها. وقد تصدّى لهذه المسؤولية نخبة من الأساتذة المحقّقين في المجال الحوزوي والأكاديمي.

أهداف القسم

الغاية من وراء إنشاء هذا القسم جملة من الأهداف المهمّة، منها:

١- إخضاع الدراسات والأبحاث الحسينية لمناهج البحث المعتمّدة لدى المعاهد والجامعات.

٢- إبراز الجوانب المهمّة وفتح آفاق جديدة أمام الدراسات والأبحاث المتعلّقة بالنهضة الحسينية، من خلال اختيار عناوين ومواضيع حيوية مواكبة للواقع المعاصر.

٣- الارتقاء بالمستوى العلمي للكوادر الجامعية، والعمل على تربية جيل يُعنى بالبحث والتحقيق في مجال النهضة الحسينية الخالدة.

٤- إضفاء صبغة علمية منهجية متميزة على صعيد الدراسات الأكاديمية، المرتبطة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة.

٥- تشجيع الطاقات الواعدة في المعاهد والجامعات؛ للولوج في الأبحاث والدراسات العلمية في مختلف مجالات البحث المرتبطة بالنهضة الحسينية، ومن ثم الاستعانة بأكفائها في نشر ثقافة النهضة، وإقامة دعائم المشاريع المستقبلية للقسم.

٦- معرفة مدى انتشار الفكر الحسيني في الوسط الجامعي؛ لغرض تشخيص آلية التعاطي معه علمياً.

٧- نشر الفكر الحسيني في الأوساط الجامعية والأكاديمية.

٨ - تشخيص الأبعاد التي لم تتناولها الدراسات الأكاديمية فيما يتعلق بالنهضة الحسينية، ومحاولة العمل على إبرازها في الدراسات الجديدة المقترحة.

٩- التعريف بالرسائل الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة؛ والتي تمت كتابتها ومناقشتها في الجامعات.

آليات عمل القسم

إن طبيعة العمل في قسم الرسائل والأطاريح الجامعية تكون على مستويات ثلاثة:

المستوى الأول: العناوين والمواضيع الحسينية

يسير العمل فيه طبقاً للخطوات التالية:

١- إعداد العناوين والموضوعات التخصصية، التي تُعنى بالفكر الحسيني طبقاً للمعايير والضوابط العلمية، مع الأخذ بنظر الاعتبار جانب الإبداع والأهمية لتلك العناوين.

- ٢- وضع الخطّة الإجمالية لتلك العناوين والتي تشتمل على البحوث التمهيدية والفصول ومباحثها الفرعية، مع مقدّمة موجزة عن طبيعة البحث وأهميته والغاية منه.
- ٣- تزويد الجامعات المتعاقد معها بتلك العناوين المقترحة مع فصولها ومباحثها.

المستوى الثاني: الرسائل قيد التدوين

يسير العمل فيه على النحو التالي:

- ١- مساعدة الباحث في كتابة رسالته من خلال إبداء الرأي والنصيحة.
- ٢- استعداد القسم للإشراف على الرسائل والأطروحات فيما لو رغب الطالب أو الجامعة في ذلك.

- ٣- إنشاء مكتبة متخصصة بالرسائل الجامعية؛ لمساعدة الباحثين على إنجاز دراساتهم ورسائلهم، فضلاً عن إتاحة الفرصة أمامهم للاستفادة من مكتبة المؤسسة المتخصصة بالنهضة الحسينية.

المستوى الثالث: الرسائل المناقشة

يتمّ التعامل مع الرسائل التي تمت مناقشتها على النحو التالي:

- ١- وضع الضوابط العلمية التي ينبغي أن تخضع لها الرسائل الجامعية، تمهيداً لطبعها ونشرها وفقاً لقواعد ومقررات المؤسسة.
- ٢- رصد وإحصاء الرسائل الأكاديمية التي تمّ تدوينها حول النهضة الحسينية المباركة.

- ٣- استحصال متون ونصوص تلك الرسائل من الجامعات المتعاقد معها، والاحتفاظ بها في مكتبة المؤسسة.

- ٤- قيام اللجنة العلمية في القسم بتقييم الرسائل المذكورة، والبتّ في مدى صلاحيتها للطباعة والنشر من خلال جلسات علمية يحضرها أعضاء اللجنة المذكورة.

٥- تحصيل موافقة صاحب الرسالة لإجراء التعديلات اللازمة، سواء أكان ذلك من قبل الطالب نفسه أم من قبل اللجنة العلمية في القسم.

٦- إجراء الترتيبات القانونية اللازمة لتحصيل الموافقة من الجامعة المعنية وصاحب الرسالة على طباعة ونشر رسالته التي تمت الموافقة عليها بعد إجراء التعديلات اللازمة.

٧- فسح المجال أمام الباحث؛ لنشر مقال عن رسالته في مجلة (الإصلاح الحسيني) الفصلية المتخصصة في النهضة الحسينية التي تصدرها المؤسسة.

٨ - العمل على تلخيص الرسائل الجامعية، ورقد الموقع الإلكتروني التابع للمؤسسة بها، ومن ثمّ طباعتها تحت عنوان: دليل الرسائل والأطاريح الجامعية المرتبطة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة.

هذه الرسالة: سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م (دراسة تاريخية)

إنّ كلّ حادثة عظيمة وواقعة كبيرة لا يمكن أن تُؤثّر بشكل كامل وعميق وواضح إلّا من خلال الإعلام والإعلان، الذي يسلّط الضوء على تلك الواقعة من خلال بيان أهدافها ومبادئها وقيمها وشعاراتها، ومن خلال دفع الشبهات والإشكالات والتزييفات التي يلصقها الأعداء بها.

ونهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وإن كانت عظيمة من جميع الجهات، بقائدها الفدّ وقيمها ومبادئها النبيلة وأهدافها السامية، إلّا أنّها بحاجة إلى جهاز إعلامي يعلن الحقيقة ويدافع عنها ويبيّنها ويشرحها. ولا بدّ أن يكون هذا الجهاز منبثقاً من نفس الواقعة، ومرتبطةً ارتباطاً عفويّاً بها، حتّى يحمل الحكمة والعلم والدقّة مع الصبر والتحمل والاستقامة والثبات والوضوح، فإنّ المهمّة صعبة وثقيلة وحسّاسة.

فكان الجهاز الإعلامي هو أهل بيت الحسين عليه السلام وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وهو ركب السبايا بقيادة الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام والسيدة زينب أخت الحسين عليه السلام، فكان هذا الركب يحمل روح الحسين عليه السلام وقيم الحسين عليه السلام وأهداف الحسين عليه السلام.

كان هذا الركب التصريح الرسمي لوقعة كربلاء، فامتدّت مسيرته من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام ومنها إلى الكوفة ومنها إلى المدينة، وعلى طول هذه المسيرة البعيدة كانت حناجر أهل البيت عليهم السلام تصرّح بالخطب والكلمات والبيانات التي تشرح وتغيّر وتعلن وتعلم عمّا وقع في كربلاء ولماذا كانت كربلاء. كما أنّه قد رافق السبي في هذه المسيرة الظلم والاضطهاد من الضرب والشتم والتزوير وكلّ ما هو قبيح.

وقد سلّط الباحث في هذه الرسالة الضوء على هذا الموضوع المهم والمصيري في الفكر الإسلامي؛ لما له من تأثير كبير في تغيير مجريات الأمور منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا.

وفي الختام نسأل الله تعالى للمؤلّف دوام السّداد والتوفيق لخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنّهُ سميعٌ مجيبٌ.

اللجنة العلمية في

مؤسسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية

مقدمة قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وأشرف بريّته محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

لا يخفى أنّ الصراع بين الحقّ والباطل يُعدُّ من السنن الثابتة، وقد عانى المسلمون مآسي هذا الصراع، لا سيّما في فترة الحكم الأموي الذي أدّى بالأمّة الإسلامية إلى الرجوع إلى ما قبل شروق أنوار الرسالة. وقد كاد حكمهم يقتلع الدين الإسلامي ويزيله من أذهان المسلمين، لولا انطلاقة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، الذي وقف بنهضته المباركة بوجه الطغيان والجبروت.

فكانت النهضة الحسينية المباركة من أعظم الثورات الإصلاحية التي عرفها التاريخ البشري على وجه الكرة الأرضية؛ وذلك لأنّها استطاعت أن تحفظ الرسالة من الانحراف، وتُحيي المبادئ والقيم المقدّسة في عقول ونفوس الأجيال المتعاقبة. فهي بحقّ مدرسة أثّرت في الإنسانية بالمبادئ السامية التي تجسّدت في مواقف الإمام الحسين عليه السلام ومواقف أصحابه وأهل بيته، كالتضحية والإخلاص والإباء والثبات على المبدأ الحقّ، وعلوّ الهمة والوفاء والعزم والشجاعة، وبذل النفس والنفس في سبيل الله، وغيرها من القيم النبيلة.

ولذلك نجد أنّ الاجيال المتعاقبة من المؤمنين قد اغترفوا من ندير هذه المدرسة

الإلهية، واكتسبوا منها العزم على مواجهة التحديات المعاصرة التي تلفّ بالشيعة من كلّ حذب وصوب.

ومن هذا المنطلق بادر قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، إلى السعي الحثيث لإدخال الثقافة الحسينية ونشرها في الوسط الجامعي، فقام في أولى خطواته بجمع الأطاريح والرسائل الجامعية المرتبطة بالنهضة الحسينية، ومراجعتها وتدقيقها واجراء التعديلات اللازمة عليها؛ لتكون مادةً بحثيةً تُوضع في متناول أيدي القراء بصورة عامّة والباحثين بصورة خاصّة.

وهذه الرسالة الموسومة بـ «سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)» من بين الرسائل التي اعتنى بها قسم الرسائل، فقامت اللجنة العلمية في هذا القسم بمراجعتها واجراء بعض التعديلات الضرورية لإظهارها بهذا الشكل الماثل بين يدي القارئ الكريم.

وقد تناول الباحث في هذه الرسالة التعريف بمفهوم السبي ومفهوم آل البيت (عليه السلام)، وعدد السبايا اللواتي تمّ سبيهنّ من عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) ونساء أنصاره، اللائي صحبنه من المدينة المنورة على ضوء ما جاء في المصادر التاريخية. وكذلك تناول عدد الرؤوس من شهداء الطفّ من الهاشميين وغيرهم، والتي تمّ قطعها بأمر عمر بن سعد، وحملها بعض القبائل لإيصالها إلى عبيد الله بن زياد والي الكوفة آنذاك، كلّ ذلك لأجل التقرب إلى هذا الطاغية.

وتعرّض الباحث كذلك إلى كيفية استعراض سبايا آل البيت (عليه السلام) في شوارع الكوفة، ومواقف أهل الكوفة لما رأوا السبايا من آل البيت (عليه السلام) وهم في هذه الحال، بالإضافة إلى خطبة السيّد زينب بنت علي (عليها السلام) في أهل الكوفة، وخطبة السيّد

فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وخطبة أم كلثوم بنت علي عليه السلام، وبيان مضامين هذه الخطب ومدى تأثيرها في توعية الناس وتعريفهم بحقيقة الأمور.

وكذلك كرّس قسماً من البحث لخطبة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ودورها في إثارة مشاعر الحزن والبكاء، ممّا أدّى إلى تحريك ضمائر الكثير من الناس وإبداء أسفهم على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام. بالإضافة إلى مباحث أخرى.

وقد تميّزت هذه الرسالة بدقّة عنوانها وتسلسل مباحثها ووفرة مصادرها وعمق تحليلها، حيث عكس الباحث الأحداث التي حصلت مع السبايا بالتحليل والتفصيل، وقد توّصل إلى نتائج مهمّة، من قبيل: أنّ الهدف من سبي آل البيت عليهم السلام واستعراضهم بالشوارع هو لأجل بيان أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو رجل خارجي خرج عن طاعة الخليفة، مضافاً إلى إدخال الرعب في قلوب الناس. وكذلك ما أحدثته خطب الإمام السجّاد عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام وغيرها من آل البيت عليهم السلام من قلب الموازين على السلطة الحاكمة.

اللجنة العلمية في
قسم الرسائل والأطاريح الجامعية
مؤسسة وارث الأنبياء

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم المتّان، الذي أنزل كتابه بالحقّ نوراً وهدى لعباده وأنزل الميزان، فهدى النَّاسَ بهذا النور من ظلمات الشرك وعبادة الأوثان، فأصبح قومٌ بفضل هدايته سادة الدنيا وملوك الزمان، ونصليّ ونسلم على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد، سيّد ولدِ عدنان، الذي ختم الله به الشرائع وأكمل الأديان، فبلغ هذا النَّبِيُّ ما أنزل إليه من ربه بأجزل بيان، فأزال به غُلف القلوب وعمى الأعين وصمّم الآذان، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، أئمة الهدى وأعلام الدين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وعلى أصحابه المنتجبين، الذين أهدوا بهديه إلى يوم الدين...

أمّا بعد...

إنَّ إعلان الإمام الحسين عليه السلام ثورته على الأمويين، كانت من أجل الحفاظ على الشريعة الإسلامية وتعاليمها وعلى الأُمَّة ومصالحها، تجاه كلّ الانحرافات التي ظهرت فيها، وهذا ما تُحمّله المسؤولية الدينية عليه، باعتباره إمام الأُمَّة وفقاً لقول

الرسول ﷺ: «الحسن والحسين إماما أمتي، بعد أبيهما، وسيّدا شباب أهل الجنة»^(١)، فضحّى بنفسه وولده وإخوته وأبنائهم وأبناء عمومته وعدد من أنصاره من غير الهاشميين في سبيل ذلك، وقد أحدثت هذه الواقعة الشجيرة - ولا زالت - جروحا في النفوس النقية لا تندمل، وكلّما تجدد سقف الزمن تزداد مساحة هذه المأساة أسى ولوعة، وآفاقها سمواً وفخراً...

وكانت تجربة الطفّ الرائدة تحمل حرارة صدق الجهاد، ووضوح رؤيته النضالية، فكان لهذه التجربة صداها الواسع على امتداد مراحل التاريخ، وفي كلّ صفحة من صفحاتها، ومن بين تلك الصفحات المؤثرة في ضمير التاريخ هو سبي آل البيت (عليه السلام) من الطفّ إلى بلاد الشام، ولم تنته تلك الصفحات وإلى يومنا هذا.

وبسبب الحال الذي تمرّ به الأمة الإسلامية، نجد أننا بحاجة كبيرة إلى مراجعة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) بين حين وآخر؛ لنهل من معينها الصافي الذي لا ينضب، ولنأخذ منه العبرة والحكمة على ما حدث في حينها، وما يحدث الآن في وقتنا الحاضر. ولا بد من تدقيق فيما روي وكُتب عنها؛ لإزالة كلّ ما علق فيها من شوائب دُسّت فيها، وإظهارها نقية كما وقعت أحداثها، وذلك لأنّ التاريخ قد تعرّض للتحريف والتزوير الذي طال سيرة تلك الأنوار العطرة، فتعرّضت سيرتهم إلى التشويه أو الكتمان. كلّ هذا من أجل إسكات صوت الحقّ ونصرة المظلوم، وزرع الإحباط والإنكسار في نفوس المظلومين للاستهانة بمثل تلك الثورات حتى لا تتخذ مثلاً يُقتدى به، ولا تنتشر في أماكن أخرى ممّا دعا الكثير ممّن أُتيح له فرصة

(١) الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٠٦؛ هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ١٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٢٥٤.

التأليف والكتابة، خاصّة في هذه الحقبة السياسية، التي تشهد نوعاً من الانفراج والحرية في التعبير عن الرأي، أن ينبروا للكتابة عن شخصيات أهل البيت عليه السلام، لإظهار دورهم في المجتمع الإسلامي، وليزيلوا عن سيرتهم ذلك الضباب والتعتيم والكتمان، الذي فرضته الحكومات المتعاقبة من زمن الدولة الأموية وإلى فترة قريبة. وأمّا نساء أهل البيت عليه السلام، اللواتي تمّ سبيهنّ من الطفّ إلى بلاد الشام، فعلى الرغم من كونهنّ سيّدات بيت النبوة قد عُيِّت عن التاريخ حقائق كثيرة فيما يتعلّق بهنّ، وعن مدى ما تعرضنّ إليه من ظلم وعدوان فادح خلال فترة السبي.

ثم إنّ سبي آل البيت عليه السلام بنقلهم من الطفّ إلى الكوفة ومن ثمّ إلى الشام ورجوعهم إلى المدينة المنورة، كان له آثار سياسية وفكرية واجتماعية قد انعكست على أهل الكوفة والشام، وعلى كلّ مدينة وقرية مرّوا بها خلال مدّة سبيهم، كما كان له صداه الإعلامي في نشر مظلومية آل البيت عليه السلام، وما تعرّض له هذا البيت من جريمة لا تُغتفر أثارت الرأي العام على الأمويين، وخاصّة في عاصمتهم دمشق، تلك الفضيحة الشنيعة التي أثارت أهالي دمشق أولاً ومن ثمّ مدن وأقاليم دولتهم الأخرى. ولما كان جلّ السبايا من النساء والأطفال فإنّه يتعارض مع المبادئ الإسلامية التي رفع راياتها الأمويون كما زعموا، بل يتعارض مع أبسط خلق إنساني عربي عرفه العرب قبل الإسلام.

ولما كان الجهاد الفكري والإعلامي، الذي قام به سبايا آل البيت عليه السلام في تلك الظروف الاستثنائية، قد أبرز شخصياتهم ذات المؤهّلات العالية، فأحدث وجودهم وأعمالهم في تلك الحال هزّة عنيفة في ضمير الأمّة، فأيقظته من السبات، كما كانت خطبهم التي وُصفت بالجهاد الفكري في تلك الظروف، صرخة مدوّية في وجه الإنحراف، فتمكّن من إسقاط أقنعة الزيف والخداع الذي أشاعته مآكنة

الإعلام الأموي، فانكشف وجه الحقيقة لِمَن خُدِع أو التبس عليه الأمر، فكان عملهم بمثابة إلقاء الحجة عليهم، وهذا هو ما قام به سبايا آل البيت (عليه السلام) في تلك المرحلة من مراحل النهضة الحسينية، والتي هي المكملّة لما ابتدأه الإمام الحسين (عليه السلام). وهذا ما دفعنا إلى التشرّف في أن يكون موضوع هذا البحث هو (سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف^(١) إلى بلاد الشام ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)).

ولم تنحصر أهمية الموضوع فيما تقدّم فقط، بل إنّ هناك أسباباً أخرى دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، تكمن في أمرين هما:

أولهما: لم يُبحث الموضوع بحثاً علمياً أكاديمياً شاملاً لكلّ جوانبه، في حدّ علمي المتواضع، كما أنّ معظم الدراسات والأبحاث التي تمّ كتابتها عن معركة الطفّ وما بعدها، وحتى الآن لم تبحث سبي آل البيت من الطفّ إلى بلاد الشام، أو تتناولها بدراسة تاريخية أكاديمية كاملة وشاملة لجميع جوانب هذا الموضوع، بل اكتفى أغلبها بدراسة إحدى شخصياتها، أو تناولها لأحد الأدوار التي قام به السبايا بعد معركة الطفّ، كما جاءت تلك الدراسات في نواحٍ كثيرة منها، وخاصّة فيما يتعلّق بعملية سبي آل البيت (عليه السلام) بصورة مقتضبة، وسنشير لاحقاً لأهمّ تلك الدراسات.

وثانيهما: إنّ موضوع السبي لم تُسلّط عليه الأضواء من قبل المؤرّخين المعاصرين للحدث، بالقدر الذي سلّط على الفاجعة الكبرى، وهي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وآل بيته (عليه السلام) وأبناء عمومته وأنصاره، والتي كانت صدمة للعالم الإسلامي، عاشها لسنين طويلة بعد يوم عاشوراء.

(١) لقد استعملنا لفظة الطفّ هنا؛ لكونها من بين الالفاظ الأكثر رواجاً في تلك الحقبة الزمنية، والتي كانت تُطلق على الموضع الذي قُتل فيه الإمام الحسين (عليه السلام). يُنظر: الحكيم، حسن عيسى، خطط كربلاء في فكر الإمام الصادق (عليه السلام): ص ٨٧.

صعوبات البحث

بالرغم من كثرة المصادر التي تروي معركة الطفّ، غير أنّها لم تتطرق إلى سبايا آل البيت عليهم السلام بشكل واضح، وإنّما تشير أغلب المصادر بشكل إجمالي إلى بعض الأحداث، وتجاهلها أحداثاً كثيرة أخرى.

ثمّ إنّ العديد من المراجع التي تمّ تأليفها في القرون المتأخرة، والتي أشارت إلى سبايا آل البيت عليهم السلام بشكل أو بآخر، نجدها تورد روايات، وعند الرجوع للمصادر الأولية التي أخذت منها، لا نجد تلك الروايات في طيّاتها أو ما يشير إليها. بعبارة أخرى: إنّها تحتوي على روايات لا أساس لها، وهي الروايات الشفوية التي احتوتها كتبهم، وسمعوها من هنا وهناك، أو من بعض الخطباء وقرّاء المراثي الحسينية، وتارة نجدهم يذكرون إضافات لا تنسجم مع معركة الطفّ، وتتعارض مع أهدافها، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ جميع معلومات هذه الكتب خاطئة.

هيكلية البحث

لقد انتظم البحث في خمسة فصول، سبقتها مقدّمة وتمهيد، وتلتها خاتمة وعدد من الملاحق وثبّت للمصادر والمراجع.

تناول التمهيد وبإيجاز: الأحداث التي أدّت إلى ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقلته ورجال بيته وأنصاره في الطفّ، ممّا أدّى إلى سبي آل البيت عليهم السلام.

وتناول الفصل الأول: سبي آل البيت عليهم السلام من الطفّ إلى الكوفة، وقسّم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسة، أمّا المبحث الأول، فقد تحدّث عن معنى السبي لغةً واصطلاحاً؛ والمبحث الثاني، تحدّث عن مفهوم آل البيت عليهم السلام لغةً واصطلاحاً، وتحديد من هم آل البيت عليهم السلام، وفقاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. والمبحث الثالث، تحدّث عن بدء السبي والوصول إلى الكوفة، إذ سبي آل

البيت (عليه السلام) من الطف، ونُقلوا إلى الكوفة، حتى وصلوا إلى مشارفها، وبالتحديد إلى الموضع المسمّى بالحنّانة، الذي لا يبعد كثيرا عن مركز المدينة. كما استعرض هذا المبحث أعداد السبايا اللواتي تمّ سبيهنّ، من نساء عائلة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، اللائي صحبنه من المدينة المنوّرة، مضافا إلى شبابهم وصبيانهم، وفق ما جاء في المصادر الأولية والثانوية، ومناقشة الروايات والآراء التي جاءت فيها. كذلك تطرّق إلى عدد رؤوس قتلى الطفّ من الهاشميين وغيرهم، التي تمّ قطعها بأمر من عمر بن سعد ظهر الحادي عشر من المحرم، وحملها من قبل بعض القبائل لإيصالها إلى والي الأمويين على الكوفة عبيد الله بن زياد، للتقرب منه ونيل جائزته.

وتناول الفصل الثاني: سبايا آل البيت (عليه السلام) في الكوفة، وما تركوه من أثر في المجتمع الكوفي، ذلك الأثر الذي أدّى إلى تغيّرات اجتماعية وفكرية وسياسية، حيث انتهج سبايا آل البيت (عليه السلام) في الكوفة منهج الجهاد الفكري، من خلال خطبهم التي ألقوها في حشود أهل الكوفة منذ دخولهم حتى خروجهم منها، وقُسّم هذا الفصل إلى سبعة مباحث، أمّا المبحث الأول، فقد تحدّث عن كيفية استعراض السبايا (عليه السلام) في شوارع الكوفة، ومواقف أهل الكوفة عند رؤيتهم أهل البيت (عليه السلام) بهذه الحالة. والمبحث الثاني، تحدّث عن خطبة السيّدّة زينب بنت علي (عليه السلام) في أهل الكوفة التي ألقته، تلك الخطبة التي وُصفت ببلاغتها وفصاحتها، وبيان أهمّ المضامين التي تطرّقت إليها، وخاصّة فيما يتعلّق بوصفها لأهل الكوفة بالغدر والخيانة. والمبحث الثالث، تحدّث عن خطبة السيّدّة فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) في أهل الكوفة، التي اتّسمت ببيان قوتها وروعيتها بالرغم من صغر سنّها، فقد برزت فيها معالم الوراثة النبوية، والتي دحضت من خلالها كلّ مزاعم أهل الكوفة، وبيّنت غدرهم ونقضهم لبيعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأوضح المبحث الأثر النفسي الذي تركته الخطبة في أهل الكوفة. والمبحث الرابع، تحدّث عن خطبة السيّدّة أم كلثوم

بنت علي عليه السلام في أهل الكوفة، حيث كان لخطبتها أكبر الأثر في توعية الناس، وتعريفهم بحقيقة الأمور، وبأنهم آل البيت لا خوارج كما ادّعى يزيد بن معاوية وأعوانه. والمبحث الخامس، تحدّث عن خطبة الإمام علي بن الحسين (السجاد عليه السلام)، ووضّح أهمّ ما اتّسمت به، فقد كانت إغترافاً من نهج الآباء والأجداد وامتداداً له، تلك الخطبة التي أدّت بالناس إلى أن يتأثّروا تأثراً كبيراً، وتزداد أحزانهم، وتلهب مشاعرهم، فتحرّكت ضمائرهم مؤنّبة إياهم على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته. وأمّا المبحث السادس، فقد تحدّث عن دخول سبایا آل البيت عليهم السلام قصر الإمارة، وبيان الأهداف التي كان يتوخّاها ابن زياد من ذلك، من خلال حوار مع السبایا، وتوضيح كيف تمكّن كلّ من الإمام علي بن الحسين وعمّته السيّدة زينب عليها السلام من إفشال كلّ مخططاته، إذ إنّه قابل شخصيتين قويتين مسلحتين بالصبر والإيمان، تمكّنتا فكرياً بالأدلة القرآنية من هزيمته. ثمّ ينتهي هذا اللقاء بقرار ابن زياد بإرسال السبایا إلى السجن. وينتهي الفصل الثاني بالمبحث السابع، الذي تحدّث عن ردود الأفعال، وأهم مظاهر الآثار التي تركها سبایا آل البيت عليهم السلام على أهل الكوفة، والمتمثلة بأصداء المعارضة التي تردّدت استنكاراً لما فعله ابن زياد برأس الإمام الحسين عليه السلام، وسبایا آل البيت عليهم السلام، وكيف أخذت بالتزايد حتى وقوع المواجهات العسكرية بين أتباع ابن زياد والمعارضين له. ثمّ ختم هذا الفصل بالحديث عن مدّة بقاء سبایا آل البيت عليهم السلام في الكوفة قبل تجهيزهم وإرسالهم إلى مقرّ السلطة الأموية في الشام.

وتناول الفصل الثالث: سبي آل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى بلاد الشام، الذي ترك آثاراً وتحولات فكرية وسياسية وعسكرية في بعض المدن، التي مرّت بها قافلة سبایا آل البيت عليهم السلام، إذ كانت رافضة لأفعال بني أمية. وقسّم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، أمّا المبحث الأول، فقد تحدّث عن الأمراء الذين رافقوا قافلة سبایا آل

البيت (عليه السلام) من الكوفة إلى الشام، والطريقة التي تمّ بها إخراج السبايا من الكوفة، والإجراءات التي اتخذها ابن زياد تحسباً لوقوع أيّ طارئ في الطريق. والمبحث الثاني، تحدّث عن الطرق بين الكوفة ودمشق، وترجيح الطريق الذي سلكته قافلة السبايا، والهدف من ذلك، بالاعتماد على القرائن والأدلة التي تمكّنا من جمعها بهذا الصدد. والمبحث الثالث، تحدّث عن مسير سبايا آل البيت (عليه السلام) من الكوفة إلى دمشق، ومنازل الطريق التي مروا بها، وأهمّ الأحداث والمواجهات العسكرية التي حدثت خلال مرورهم بتلك المدن. والمبحث الرابع، تحدّث عن وصول سبايا آل البيت (عليه السلام) إلى دمشق، والمدة التي بقوها خارج دمشق وقرب أسوارها، وكيفية عرضهم في دمشق، وأهمّ الأحداث التي جرت خلال استعراض السبايا.

وتناول الفصل الرابع: سبايا آل البيت (عليه السلام) في مجلس يزيد بن معاوية، فقد بحثنا فيه الجهاد الفكري لسبايا آل البيت (عليه السلام)، والآثار التي تركوها في المجتمع الشامي، والمتمثلة بالتحوّلات الفكرية والتغيّرات التي حصلت في المواقف السياسية، منذ وصولهم عند درج باب الجامع الأموي حتى خروجهم من دمشق، والكيفية التي تمكّن فيها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وعمّته السيّدّة زينب (عليها السلام) من ذلك. وقُسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، أمّا المبحث الأول، فقد تحدّث عن الأحاديث الأولى لسبايا آل البيت (عليه السلام) مع يزيد في مجلسه، وما تركته من تأثير عميق في نفوس الحاضرين. والمبحث الثاني، تحدّث عن خطبة السيّدّة زينب بنت علي (عليها السلام) في مجلس يزيد، ووضّحنا أهمّ المقاصد التي كانت السيّدّة زينب (عليها السلام) تتوخّى نشرها بين الحاضرين في مجلس يزيد، والتي مهّدت لإحداث تغيير كبير في المفاهيم والتوجهات الفكرية عندهم. والمبحث الثالث، تحدّث عن خطبة الإمام علي بن الحسين (السجادة (عليه السلام)) في مجلس يزيد، ووضّحنا فيه فقراتها وأهدافها ومضامينها، والأسلوب الحكيم والواعي الذي اتّبعه في خطبته، إذ وجّه كلامه إلى الحاضرين في

مجلس يزيد، معرّفاً بنفسه وأهل بيته، وما يحملونه من صفات أخلاقية، وما قدّموه من توضيحات في سبيل نشر الإسلام، وما منحهم الله تعالى من الفضل والصفات التي ميزتهم عن غيرهم من البشر، ممّا كان له الأثر الكبير في توعية الحاضرين وتغيير اتجاههم الفكري، بحيث أنارت عقولهم، ووضّحت لهم الحقائق التي كانت غائبة عنهم، من أنّهم ليسوا بخوارج كما قيل لهم، بل من أهل بيت الوحي. والمبحث الرابع، تحدّث عن أهمّ مظاهر تأثير سبايا آل البيت (عليهم السلام) على المجتمع الشامي وردود أفعالهم، المتمثلة بأصداء الرفض لفعل يزيد بن معاوية، الذي لم يقتصر على المسلمين بل شمل عدداً من الشخصيات غير المسلمة أيضاً، ممّا أدّى إلى قتل يزيد لبعضهم؛ لإسكات وإخماد صيحات الرفض التي تعالت بوجهه ردّاً على فعله حتى لا تنتشر أو يسمع بها غيرهم، فضلاً عن تحديد مدّة بقاء سبايا آل البيت (عليهم السلام) في الشام قبل خروجهم منها.

وتناول الفصل الخامس: رأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ومدفنه. وقُسّم إلى مبحثين، أمّا المبحث الأول، فقد تحدّث عن قطع الرؤوس وأبعاده السياسية والاجتماعية، موضحين فيه دخالة هذه الثقافة على الإسلام التي لم تكن موجودة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا حتى في العصر الراشدي، وبيّنا هدف بني أميّة من نشر مثل هذه الثقافة وأثرها في المجتمع الإسلامي. والمبحث الثاني، تحدّث عن مدفن رأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في أماكن متعدّدة، في دمشق وعسقلان ومصر والمدينة والغري (النجف)، والطف الذي نميل إليه في دفن الرأس إلى جانب الجسد.

وأخيراً تأتي الخاتمة، التي تضمّنت أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال الدراسة. ودُعِمَ البحث بعدد من الخرائط والمخطّطات التوضيحية.

تلك هي الخطوط العريضة لأبرز المواضيع التي تناولتها هذه الرسالة، بالدراسة وصفاً وإحصاءً وتحليلاً واستنتاجاً، ولا بدّ من القول بأننا لا ندّعي إيفاء هذا

الموضوع حقّه، أو الإحاطة بجميع جوانبه، فإنّنا وإن لم نكن قد بلغنا الغاية المرجوة في هذا البحث، إلّا أنّ أملنا أن نكون قد وفّقنا في بعض ذلك.

عرض المصادر

اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع متنوّعة، أغنت الرسالة بوافر معلوماتها وكثرة أخبارها في حدث تاريخي له من الأهمية ما لا ينكره أحد، طغى على كثير من الأحداث التي زخر بها التاريخ الإسلامي على وجه العموم وتاريخ دولة بني أميّة على وجه الخصوص، إذ تنوّعت مصادر الرسالة وأدبياتها على وفق طبيعتها وألوانها، على الرغم من أنّ بعضها يمدّنا بشذرات قليلة عن حادثة سبي آل البيت (عليه السلام) في جانب معين دون الآخر.

تُقسّم تلك المصادر على خمسة مجاميع: كتب المقاتل، كتب الحواريّات، كتب التراجم والطبقات، وكتب الرحلات، فضلاً عن عدد من المراجع والدراسات الحديثة. فيما يلي عرض لأهمّها، مرتبين ذلك وفقاً لوفيات مصنّفها:

أولاً: مصنّفات المقاتل

تُعَدّ مصنّفات المقاتل من أبرز الكتب التاريخية التي اهتمّت بثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، منذ خروجه من مدينة جدّه النبي (صلى الله عليه وآله) حتى مقتله في الطفّ، وأشار معظمها إلى أثر هذه الثورة على الأحداث التي وقعت بعد معركة الطفّ، وأغنت هذه المصنّفات البحث في جميع فصوله بالمعلومات القيّمة على الرغم من تجاهلها لبعض الأحداث، أو اكتفائها بالإشارة المقتضبة لبعضها الآخر. ومن أهمّها:

١. رسالة (تسمية من قُتل مع الإمام الحسين (عليه السلام) من ولده وإخوته وأهل

بيته وشيعته)، لفضيل بن الزبير بن عمر، (كان حيّاً سنة ١٤٥هـ/

٢. (مقتل الحسين)^(١)، لأبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي، (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م).
٣. (مقتل الحسين)، للموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي، (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م).
٤. (مثير الأحزان)، لابن نما جعفر بن محمد بن جعفر الحلي (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م).
٥. (اللهوف في قتلى الطفوف)، لعلي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م).

ثانياً: المصنّفات التاريخية

- أمّا كتب التاريخ - الحولية وغير الحولية - فقد أفاد منها الباحث فائدة جمّة، فقد زوّدته في عرض الوقائع التاريخية، ويأتي في المقدّمة منها:
١. (الإمامة والسياسة)، المنسوب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
 ٢. (الأخبار الطوال)، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م).
 ٣. (التاريخ)، لأحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي، (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٥م).

(١) لقد استعملنا طبعتين من مصنف أبي مخنف، تختلفان في ما ورد فيها من روايات وكانت قد حققت احدهما دون الاخرى، الاولى: مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: حسين الغفاري، قم، المطبعة العلمية، د. ت، والثانية: مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته واصحابه في كربلاء المشتهر بمقتل أبي مخنف، ط ١، د. م، نشر دار الزهراء، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، وقد ورد فيها ذكر لأحداث مواضع الطريق بين الكوفة وبلاد الشام الذي سلكته قافلة السبايا.

٤. (تاريخ الرُّسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،
(ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).

٥. (الفتوح)، لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م).

٦. (التنبيه والإشراف)، و(مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وكلاهما لأبي
الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م).
٧. (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)، لأبي علي أحمد بن محمد مسكويه،
(ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).

٨. (تاريخ مدينة دمشق)، لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن
عساكر، (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).

٩. (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك)، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن
الجوزي، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

١٠. (الكامل في التاريخ)، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن الأثير الجزري، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

١١. (تذكرة الخواص)، لشمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي سبط
ابن الجوزي، (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).

١٢. (البداية والنهاية في التاريخ)، لعلماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
ابن كثير الشافعي، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

ثالثاً: مصنفات الأنساب والتراجم والطبقات

أمّا كتب الأنساب والتراجم والطبقات، فقد أفدنا منها في ترجمة كثير من الشخصيات التي ورد ذكرها في طيّات البحث، فضلاً عن المعلومات التي وردت فيها عن حادثة السبي، ومن أبرزها:

١. (الطبقات الكبرى)، لمحمد بن منيع بن سعد، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م).
٢. (أنساب الأشراف)، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
٣. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
٤. (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

رابعاً: المصنفات الجغرافية والبلدانية والرحلات

إنّ المصنفات الجغرافية أفادت البحث كثيراً من خلال ما قدّمته من معلومات، أغنت البحث فيما يتعلّق بالوصف الجغرافي للمدن والمواقع التي مرّت بها قافلة سبایا آل البيت عليه السلام، فضلاً عن اشاراتها إلى الأحداث التاريخية التي تتعلّق بمرور قافلة السبایا في تلك المدن. ومن بين أهمّ تلك المصادر:

١. (البلدان)، لأحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي، (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٥م).
٢. (الإشارات إلى معرفة الزيارات)، لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م).

٣. (رحلة ابن جبير)، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي، (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).
٤. (معجم البلدان)، لشهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي الرومي، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
٥. (تقويم البلدان)، لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود، (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
٦. (مراسد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع)، لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحقّ البغدادي، (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).
٧. (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لمحمد بن عبد الله بن بطوطة اللواتي، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٦٩م).

خامساً: مصنفات اللغة العربية والأدب

قد أفادت معاجم اللغة العربية البحث؛ لما قدّمته من شرح وتوضيح لكثير من الكلمات التي جاءت في البحث، خاصّة في الفصل الثاني والرابع، فقد اعتمدنا عليها في شرح خطب سبايا آل البيت (عليه السلام)، وتوضيح معانيها ومضامينها والمقاصد التي كان يتوخّاها سبايا آل البيت في خطبهم، ومن أهمّها:

١. (العين)، للفراهيدي، (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م).
٢. (الصحاح)، للجوهري، (ت ٣٩٣هـ).
٣. (لسان العرب)، لابن منظور، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

سادساً: المراجع

أما المراجع الحديثة، فكان لها دور كبير في إغناء الرسالة في كثير من الآراء، ووصفها للوقائع التاريخية. منها:

١. (معالي السبطين)، لمحمد مهدي المازندراني، (ت ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م).
٢. (زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين)، و (فاطمة بنت الحسين)، وكلاهما لجعفر النقدي، (ت ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م).
٣. (أعيان الشيعة)، لمحسن الأمين، (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).
٤. (وسيلة الدارين في أنصار الحسين)، لإبراهيم الزنجاني، (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).
٥. (مقتل الحسين)، لعبد الرزاق المقرّم، (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
٦. (السيدة زينب)، لبنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، (ت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

سابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

أما الدراسات التي تناولت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي قدّمتها الرسائل والأطاريح الجامعية؛ فقد أفدنا منها كثيراً في إعطاء صورة تحليلية عن الحوادث التي وقعت قبل عملية السبي، كما أنارت لنا الطريق في بعض جوانب البحث، ومن أهمّها:

١. (ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها على حركات المعارضة حتى عام ١٣٢٢هـ)، رسالة ماجستير لمروان عطية مایع الزیدي.
٢. (ثورة الإمام الحسين في المصنّفات المصرية في القرن العشرين الميلادي)، أطروحة دكتوراه لهادي عبد النبي التميمي.

٣. (مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء - دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير لأحمد عليوي صاحب.

٤. (دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف وما بعدها)، أطروحة دكتوراه لأمل محمد خضر.

٥. (السيدة زينب (عليها السلام) ودورها في أحداث عصرها)، رسالة ماجستير لهناء سعدون جبار العبودي.

٦. (خطب وأقوال أهل البيت في واقعة الطف دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير لإيمان أحمد جابر اللامي.

وهناك كثير من المصادر والمراجع والدوريات والبحوث التاريخية التي استعنا بها في كتابة هذا البحث المتواضع، يمكن التعرف عليها بشكل أدق ومفصل من خلال الإطلاع على ثبت المصادر والمراجع.

وأخيراً لا نزعم أننا استطعنا الإحاطة بكل دقائق ما يتعلق بالحوادث التي حصلت لسبايا آل البيت (عليه السلام)؛ لأن هذه الحادثة أوسع وأشمل من أن يتمكن باحث من الإمام بها، فهذا جهد مقلّ نقدّمه معترفين بعدم الكمال، وقيل قديماً: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر»^(١).

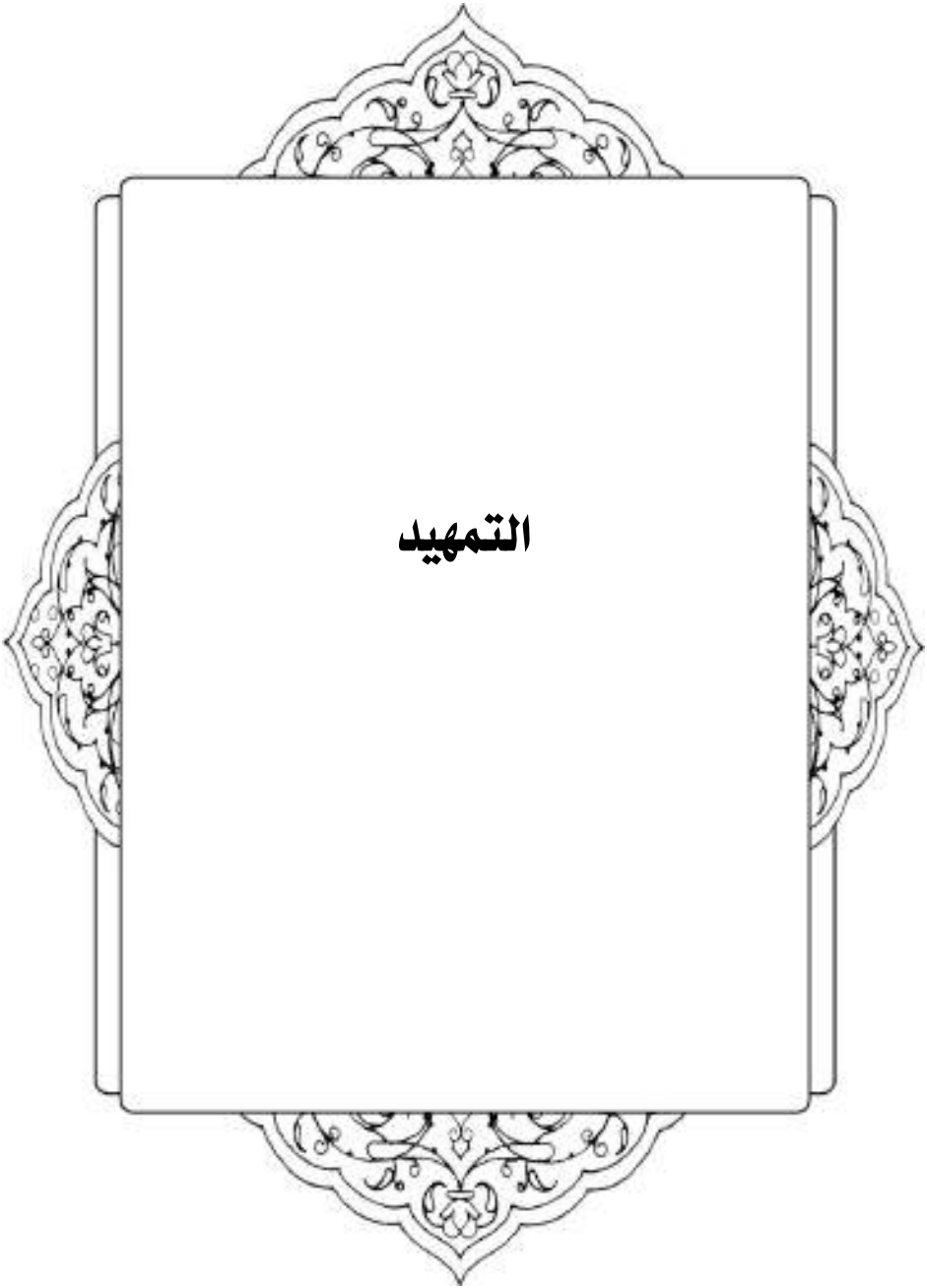
وختاماً فهذا عمل متواضع نضعه أمام أساتذتنا من أعضاء لجنة المناقشة لبيّنوا

(١) المفيد، محمد بن محمد، تصحيح اعتقادات الإمامية: ص ١٥٥؛ ياقوت، معجم الأدباء: ج ٦، ص ٣.

لنا كلّ هفوة وقعنا فيها، لتزداد فخراً بسماع توجيهاتهم وآرائهم، ونأخذ بها لتصحيح ما وقعنا فيه من زلل؛ لتزداد الرسالة قيمة ورصانة علمية أكبر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله تعالى رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

الباحث



التمهيد

التمهيد

يهدف هذا التمهيد إعطاء صورة عن التحوّلات السياسية والاجتماعية في الكوفة (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩ م)، وأسبابها التي أدّت إلى مقتل الإمام الحسين ابن علي عليه السلام، وسبي عياله، والعلة التي من أجلها أخرجهم. إنّ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤٠هـ/ ٦٦١ م^(١) على يد الخوارج كان تحوّلاً سياسياً كبيراً في العالم الإسلامي، وأدّى إلى نتائج وخيمة تعرّضت لها الأمة الإسلامية. ولم يتمكّن الإمام الحسن عليه السلام من الاستمرار في خلافته التي تولّاها بعد أبيه إلا حوالي ستّة أشهر؛ وذلك لتفرّق أصحاب أبيه وأصحابه عنه، لعدم طاعتهم له، فترك الكوفة وتوجّه إلى المدينة ليستقرّ فيها هو وعائلته^(٢)، وذلك لأنّ الظروف لم تكن مؤاتية للاستمرار في تولّيّه الخلافة، ممّا أضطرّه إلى عقد الصلح مع

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٣٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٤٨٧؛
اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١١٠؛ أبو
الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٢٥؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٥٥؛ القلقشندي،
مآثر الانافة في معالم الخلافة: ج ١، ص ١٠٥؛ محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي
طالب في الكتاب والسنة: ج ٧، ص ٢٩٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٤، ص ١٢٦؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٥؛ سبط بن
الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٧٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال: ج ١١، ص ٣٤٩.

معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ / ٦٦٢م^(١)، وسُمِّي هذا العام بعام الجماعة^(٢)، والحقيقة أنَّ هذا العام لم يكن عاماً للجماعة؛ بل عاماً للفرقة والقهر والغلبة، والعام الذي تحوَّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، عام الجمع للظلام والفسق^(٣). ويعلّق عباس محمود العقاد على معاوية وعامه بقوله: «ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرّق الجماعة، ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال، أن تجد من المؤرّخين مَنْ يسمّي عامه حين انصرف بالدولة عام الجماعة؛ لأنه فرّق الأمة شيعاً شيعاً»^(٤).

تضمّن الصلح الذي أبرم بين الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان عدداً من الشروط، والتي أكّدت على تسليم الأمر إلى معاوية، وعليه العمل بكتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الخلفاء الصّالحين^(٥)، وأن يكون الأمر بعد معاوية

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٢٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج ٤، ص ١٢٦؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص ٢٦٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٨٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ١٤١٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٨، ص ٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٣٨٧؛ الزركلي، الأعلام: ج ٢، ص ٢٠٠؛ محمّد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية: ج ٢، ص ٤٢٤. وعام الجماعة سُمِّي بهذا الاسم لاجتماع أمر المسلمين تحت حكم معاوية. ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٥، ص ١٠٩؛ الشيخ المفيد، الافصاح: ص ١٠٤؛ ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ٢٠٥.

(٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ (رسالة في النابتة): ج ٢، ص ١١.

(٤) معاوية بن أبي سفيان: ص ٣٧.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٤؛ راضي آل ياسين، صلح الحسن: ص ٢٥٩؛ حسين طاهر محلم، الفكر السياسي عن أهل البيت، صلح الحسن انموذجاً: ص ٣٩٩-٣٩٨؛ عبد الملك عبد المجيد، سياسة الحسن بن علي في وحدة المسلمين: ص ٢٧٦-٢٨٥.

شورى بين المسلمين، وفي رواية أخرى أن تكون الخلافة للإمام الحسن عليه السلام، فإن حدث به حدث فلاخيه الإمام الحسين عليه السلام، وليس معاوية أن يعهد بالخلافة إلى أحد^(١)، وأن يترك شتم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر، وأن لا يُذكر إلا بخير^(٢)، ويُستثنى ما موجود في بيت مال الكوفة ومقداره خمسة ملايين من تسليمه إلى معاوية، وعلى معاوية أن يجعل للإمام الحسن عليه السلام كل عام مليون درهم، وأن يُفصل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، وأن يفرق في أولاد مَنْ قُتل مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل سنة ٣٦هـ/٦٥٦م^(٣) ويوم صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م^(٤) مليون درهم، ويكون ذلك من خراج دار

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٤، ص ٢١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٢٦٤؛ الإريلي، كشف الغمة: ج ٢، ص ١٩٣؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٦٥؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٢، ص ٤٢٥؛ محمد سليم عرفة، إفادات من ملفات التاريخ: ص ٢١٢.

(٢) القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة: ج ١، ص ١٠٨؛ محمد حسين الحاج، حقوق آل البيت في الكتاب والسنة باتفاق الأئمة: ص ١٢٧؛ علي الكوراني، الإنتصار: ج ٨، ص ١٢٦.

(٣) هي المعركة التي وقعت في البصرة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، بين جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والجيش الذي يقوده طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، بالإضافة إلى عائشة التي خرجت معهم في هودج على ظهر جمل، وسميت المعركة نسبة إلى ذلك الجمل. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٥١٩-٥٤٧؛ الشيخ المفيد، الجمل: ص ١٢٠-٢١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٠٥-٢٦٠؛ هادي عبد الكريم، معركة الجمل الأسباب والنتائج دراسة تاريخية: ص ٦-٨٦؛ شكري ناصر، معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع: ص ٩٣-١٠٨.

(٤) وهي المعركة التي وقعت بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وجيش معاوية بن أبي سفيان في شهر صفر ٣٧هـ/٦٥٧م بعد موقعة الجمل بسنة. للمزيد من المعلومات عن واقعة صفين يُنظر: المنقري، وقعة صفين: ص ١٣٤-٤٨٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٧٦-٢٨٩؛ حارس رميلي عبد الكاظم، كتاب وقعة صفين للمنقري دراسة تحليلية: ص ١٣٦-٣٨٦.

ابجرد^(١)، ويكون الناس آمنين حيث كانوا في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يأمن الأسود والأحمر، وأن لا يأخذ معاوية الناس بهفواتهم وماضيهم، وأصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشيعته في أمان حيث كانوا، ولا ينالهم بمكروه، وإنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، ولا يتعقب أو يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل لكل ذي حقّ حقّه، ولا يبغى للإمام الحسن والحسين وآل بيت الرسول (عليه السلام) غائلة، سرّاً أو جهراً، في أيّ أفق من الآفاق^(٢).

يُلاحظ ممّا تقدّم أنّ شروط الصلح كان هدفها: بناء مجتمع إسلامي تسوده الأخوة والمحبة والعدالة والمساواة بلا ضغائن وكرهية، يعيش فيه الفرد بأمان على عقيدته الإسلامية وأفراد أسرته وممتلكاته وأمواله، وأن تُحترم المقدّسات، وأن يُراعى آل بيت النبوة بما يستحقّونه وفقاً لما جاء في كلّ من القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة، ويُوضع الحقّ - في كلّ الأمور - في نصابه الصحيح، ويأخذ كلّ ذي حقّ حقّه دون تفريق أو تفضيل صلة قرابة. ولكنّ معاوية بن أبي سفيان لم يلتزم بتلك الشروط، بل تنصّل عنها، وقبل رجوعه إلى الشام مقرّر حكمه ومن على منبر الكوفة خاطب أهلها مبيناً ذلك بقوله: «إني منيت الحسن، وأعطيته أشياء، جعلتها

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٣، ص ٢٩٠؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٧١؛ راضي آل ياسين، صلح الحسن: ص ٢٦٠. ودار ابجرد، مدينة في كورة اصطخر في إقليم فارس، وفيها معدن الزئبق، وتبعد عن شيراز ١٥٠ ميلاً أي ما يعادل ٢٤١ كم، وهي عامرة أهلة، وفيها تجار وأسواق وبيع وشراء، وعليها سور حصين، ويدور حوله خندق تجتمع فيه فضول المياه التي تسقى بها النخيل، وفيها عيون كثيرة، ولها أربعة أبواب، وفي وسطها جبل عال كالقبة. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤١٩؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار: ص ٢٣٤.

(٢) الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٣؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٧٣٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٦٥؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١، ص ٦؛ جعفر السبحاني، الأئمة الاثني عشر: ص ٦١.

تحت قدمي، لا أفي بشيء منها»^(١)، وأضاف: «إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأنّا أمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»^(٢).

وعند انصراف معاوية بن أبي سفيان إلى الشام ولّى على الكوفة المغيرة بن شعبة^(٣) (٤١-٥٠هـ/٦٦٢-٦٧٠م)، والذي بدأ بضرب الخوارج بالشيعة؛ لإضعاف الطرفين والتخلّص منهما، أو لإشغالهم في ما بينهم، فأرسل ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الكوفة لمقاتلة الخوارج الذين ثاروا ضد الحكم الأموي^(٤).

وشنَّ معاوية بن أبي سفيان حملة واسعة لينتقم من زعماء وقادة الشيعة، وشدّد الضغط عليهم في الأمصار الإسلامية، ووجّه عماله في تلك الأمصار بأن يُعاقب كلّ مَنْ يُحب الإمام علياً عليه السلام وأهل بيته بمسح اسمه من الديوان، أي حرمانه من العطاء، وأن لا تقبل منه شهادة، وأن يقتل ولو بالشبهة أو بالتهمة^(٥).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٤؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٠٣؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ١٣٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٧٠؛ جعفر السبحاني، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ص ٣٥؛ علي الكوراني، جواهر التاريخ: ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٧٧.

(٣) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، يُكنّى أبا عبد الله، ويُقال: أبو عيسى، أسلم في سنة ٥٥هـ/٦٢٦م، وشهد معركة اليرموك وذهبت عينه فيها، وولي البصرة نحو سنتين، وولّاه عمر بن الخطاب على الكوفة، وأقرّه عليها عثمان بن عفّان ثمّ عزله، وولّاه معاوية عليها إلى أن مات فيها سنة ٥٠هـ/٦٧٠م بمرض الطاعون وعمره سبعون سنة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٢٨٤؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ٢٠، ص ٣٦٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ٣٨٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ١٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٣، ص ٤٥٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٢٦.

(٥) الهلالي، سليم بن قيس: ص ١٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣٩٠؛ المجلسي،

ومن جرّاء هذه السياسة الأموية الجائرة صار الناس يفضلون أن يُقال لأحدهم زنديق^(١) كافر، ولا يُقال عنه من شيعة الإمام علي (عليه السلام)^(٢)، ولا سيما في الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، والتي ضُمَّت في سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م إلى زياد ابن أبيه عند توليته البصرة (٤٥-٥٣هـ / ٦٦٥-٦٧٢م)^(٣)، ليكون والياً على العراق كلّ، والذي بدأ بدوره بتتبع الشيعة، وأخذ بقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخيل، وأخاف قسماً آخر منهم وأجلاهم وشرّدهم حتى نزحوا عن العراق^(٤).

بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ١٠٨؛ يوسف البحراني، الدرر النجفية: ج ٣، ص ٤٠٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٧، ص ١٤٣؛ سعيد أيوب، معالم الفتن: ص ١٩٦؛ محمد تقي الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٣٩٩.

(١) هي من الزندقة، وهي كلمة فارسية معربة، والزنادقة تؤمن ببقاء الدهر وعدم وحدانية الخالق، والزنديق: هو من أظهر الإسلام وأبطن الكفر. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٢٥٥؛ ابن ادريس الحلي، أجوبة مسائل ورسائل: ص ٢٨٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ١٤٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٤.

(٣) هو زياد ابن أبيه، ويقال زياد بن سمية، ويقال له زياد بن عبيد الثقفي، قبل أن يستلحقه معاوية ابن أبي سفيان بنسبه، واختُلِف في سنة ولادته، قيل: ولد عام الهجرة، وقيل: يوم بدر، ويكنّى أبا المغيرة، وليست له صحبة ولا رواية، كان كاتباً في البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م)، ثم وُلّاه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إقليم فارس، واستلحقه معاوية، وولّاه العراقين الكوفة والبصرة، وتوفي في الكوفة سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م. يُنظر: إبراهيم الثقفي، الغارات: ج ٢، ص ٩٢٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٥٦٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٩٩.

(٤) الهاللي، سليم بن قيس: ص ٣١٦-٣١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ١٧٩؛ علي خان الشيرازي، رياض السالكين لشرح صحيفة سيد الساجدين: ج ١، ص ١٧٧؛ يوسف البحراني، الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: ج ٣، ص ٤٠٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ص ٢٤٢؛ جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم: ج ٤،

ومن بين المشهورين الذين تمّ قتلهم لتشيعهم: حُجْر بن عدي الكندي^(١) سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، وذُفْن ومعه عدد آخر في مرج عذراء^(٢)، وعمرو بن الحقم الخزاعي^(٣) سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، كما تمّ قتل مجموعة أخرى لا يتسع المقام لذكرها^(٤).

ص ٢٦٢؛ محمد تقي الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٣٩٩.

(١) هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن ربيعة بن معاوية الكندي، أسلم في مقتبل شبابه حين قدومه مع أخيه هاني على النبي ﷺ في المدينة، شهد القادسية، وكان حجر من أنصار الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقد أسرع إلى مبايعته عند توليه الخلافة، وظل ملازماً له، وحارب معه في صفين. عن سيرة حجر ومقتله. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٥٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٤١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٨٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٧، ص ٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٥٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ١٢؛ أحمد البرقي، تاريخ الكوفة: ص ٣١٩؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٨٢؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ٩، ص ١١٩؛ هاشم محمد، شهيد الولاء حجر بن عدي الكندي، ص ١٠-١٥٧.

(٢) هي قرية بغوطة دمشق، وهي أول قرية في الجبل، وفيها منارة، وتقع على بعد ١٢ ميلاً عن دمشق. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٩١؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٥٣٦.

(٣) هو عمرو بن الحقم بن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن ذراح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي، أسلم قبل الفتح، وكان من أصحاب الرسول ﷺ، وهاجر إلى المدينة، ثم أصبح من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، سكن الكوفة، شهد معه الجمل وصفين والنهروان، وأخبره الإمام علي عليه السلام بأنه "مقتول، ورأسك منقول" وقد قُتل في الموصل، ونُقل رأسه إلى الشام ليوضع أمام معاوية، ومن ثمّ يوضع في حضن زوجة عمرو بن الحقم التي كانت قد أودعت السجن. ابن قتيبة، المعارف: ص ٦٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٥٢٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٩٠؛ جعفر النقدي، الأنوار العلوية: ص ٤٦٧؛ عبدالله حسن آل درويش، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية: ص ٥٩٧؛ محمد بيومي مهران، الإمامة وأهل البيت: ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) لمعرفة تفاصيل أوسع عن قتل أصحاب حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحقم الخزاعي؛ يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩، ص ٢٠٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٦٢؛ محمد علي الاردبيلي، جامع الرواة: ج ١، ص ٣١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣١، ص ٢٩٧؛ ج ٣٤، ص ٣٠١؛ حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرک: ج ٧، ص ٣٠٦؛ حسن القبانجي، مسند الإمام علي: ج ١، ص ١٥١؛ علي النمازي الشاهرودي، مستدرکات علم رجال

كما أكد الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) على مخالفة السنة النبوية من قبل معاوية باستلحاقه زياد بن سمية بآل أبي سفيان، زياد الذي كانت سيرته قاسية مع الحضرميين^(١)؛ لأنهم على مذهب الإمام علي (عليه السلام) وموالين له، حيث قتلهم ومثل بهم وبأمر من معاوية نفسه، علماً أن دين الإمام علي (عليه السلام) هو دين النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الذي ضرب عليه آل أبي سفيان، وأجلس معاوية حيث جلس^(٢). وهذا الاستلحاق أدى إلى طعن الناس على زياد، وأكثروا من ذلك على معاوية^(٣).

لم يلتزم معاوية بن أبي سفيان بإيقاف شتم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من على المنابر، بل بقي الشتم طوال حكم بني أمية حتى أمر بإيقافه عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٧-٧١٩ م)^(٤).

ومن المؤسف أن هناك من يبرر شتم الأمويين للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ أشار أحد الباحثين المحدثين - وهو أحمد شلبي - إلى أن هذا الشتم إن كان معيباً فإنه لا يقلل من شأن معاوية وغيره من الأمويين، ولا يحط من قدرهم كقادة وساسة مبرزين، فإن الأمويين قد اضطروا إلى ذلك اضطراراً ليصرفوا الناس عن تعلقهم بآل البيت، وذلك لحماية دولتهم^(٥).

نعم إن الأمويين قادة وساسة ابتليت بهم الأمة الإسلامية، لجورهم وفسقهم،

الحديث: ج ٢، ص ٢٤٨؛ محمد تقي الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٥١٥.

(١) الحضرميين أو الحضارمة، هو لفظ يُطلق على القبائل اليمنية، والتي تسكن حضرموت. ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٣٥٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ١٢٩؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩.

(٣) ابن قتيبة، فضل العرب والتنبيه على علومها: ص ٣٧.

(٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٨؛ علي رحيم أبو الهيل، السياسة الأموية المضادة للإمام علي: ص ١٠٧.

(٥) الدولة الأموية: ج ٢، ص ٢٠.

ولكن هل الشتم يبعد الناس عن أهل البيت؟ الذين وصّى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بحبهم وطاعتهم، وأكد هذا الأمر قول الأحنف بن قيس التميمي^(١) لمعاوية بن أبي سفيان، عندما استشاره الأخير بخصوص ولاية العهد ليزيد: «وأنك تعلم أن أهل العراق، ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما...»^(٢) فلم يأت الشتم بشأره، وهذا التاريخ بين أيدينا وحقائقه واضحة جلية لدى المنصفين والمحايد، فماذا يقول في آل البيت؟ وماذا يقول في آل أمية؟ ولم يكتف معاوية بن أبي سفيان بتنصله عن الشروط آنفة الذكر، بل تخلّص من الحسن بن علي عليه السلام لإنهاء كل شروط الصلح. وقد قام بتكليف واليه على المدينة مروان بن الحكم^(٣) بإقناع زوجة الإمام الحسن عليه السلام، وهي جعدة بنت الأشعث بن

(١) الأحنف بن قيس، الضحّاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وأمه من بني قراض من باهلة، ولدته وهو أحنف، فقالت وهي ترقصه:

والله لولا حنّف في رجله ما كان في الحي غلام مثله

ويُكنّى الأحنف أبا بحر، وكان ثقة مأموناً، قليل الحديث، وقد روى عن عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر، تُوفي سنة ٦٧هـ/٦٨٦م. ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ٩٣؛ ابن معين، تاريخ ابن معين: ج ٢، ص ١٣٨؛ البخاري، التاريخ الصغير: ج ١، ص ١٨٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٦٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٣٨.

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، يكنّى أبا عبد الملك، ولد بمكة عام ٢هـ/٦٢٣م، وأسلم عام الفتح ٨هـ/٦٢٩م، كان منفيّاً مع أبيه من قبل النبي إلى الطائف، وردّه عثمان بن عفّان، وكان كاتباً له، ووليّ المدينة في عهد معاوية، وظلّ يتعاقبها مع سعيد بن العاص، نظر إليه علي بن أبي طالب فقال: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك، وليّ الخلافة بعد معاوية بن يزيد، وتُوفي عام ٦٥هـ/٦٨٤م؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ٤٢٧-٤٢٨؛ ابن بكار، الأخبار الموفيات: ص ٢٥٨.

قيس^(١) بسقي زوجها السمّ ليموت، ومن ثمّ سوف يزوّجها من ولده يزيد مع إعطائها مائة ألف درهم، وقد نجح معاوية في ذلك، واستشهد الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م^(٢)، ومنذ هذا الوقت بدأ معاوية بن أبي سفيان يعلن عمّا في سريره بتوليّة ابنه يزيد ولاية العهد، ومن ثمّ الحكم بعد وفاته^(٣). وهذا يعني تنصّله عن شرط أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين، أو للإمام الحسين (عليه السلام) إن حدث حادث لأخيه الإمام الحسن (عليه السلام)^(٤).

لم يكن الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بغافل عن مجريات الأحداث التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي، لأنّ وجوه القوم ومن مختلف الجماعات تطالبه بالثورة على بني أميّة من خلال رسائلها أو وفودها عليه، سرّاً وعلانيةً، ومع

(١) هي جعدة بنت الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، وأمّها أم فروة أخت أبي بكر، وهي أخت محمّد بن الاشعث، ولها أسماء عدّة وأشهرها: جعدة، وقد تزوّجها الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) أيام خلافة أبيه على الكوفة، واستمرت حياتها مع زوجها حوالي احدى عشرة سنة، ولم تنجب للإمام الحسن (عليه السلام) من الاولاد أحداً، وقد تزوّجت بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) من يعقوب بن طلحة بن عبيد الله، ولم تتزوّج من يزيد. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٣٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٨٩؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩، ص ١٣٨.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٥١؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٧٣؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٦٧؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٣٠٣؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٥٥.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٤، ص ٣٣٢؛ علي الكوراني، جواهر التاريخ: ج ٣، ص ٣.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٤؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٤، ص ٢١٩، ٣٣٢؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٢٦٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٦٥؛ سليمان ابن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٢، ص ٤٢٥؛ محمّد سليم عرفة، إفادات من ملفات التاريخ: ص ٢١٢.

خشيتها من أعوان بني أمية وعيونهم^(١)، إلا أن الإمام الحسين بن علي عليه السلام كان يرى النهوض والثورة على بني أمية في ولاية معاوية أمراً عديم الفائدة في ظل الأوضاع والظروف السائدة آنذاك؛ لأنّ معاوية بما يملك من وسائل إعلامية مضلّة واستخبارية وعسكرية، لا بدّ من أن يقضي على الثورة، ويُخرجها من اطارها الإسلامي، ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام يوصي أتباعه بالانتظار إلى ما بعد وفاة معاوية، وعند ذلك سيكون حديث آخر^(٢)، إلا أن ازدياد وفود أتباع أهل البيت على الإمام الحسين بن علي عليه السلام أخافت والي المدينة مروان بن الحكم، الذي بدوره أرسل رسالة إلى معاوية بيّن فيها مخاوفه من ذلك^(٣)، وكان ردّ معاوية إلى واليه - ومع مشاطرته التخوف من الإمام الحسين بن علي عليه السلام ونشاطه - أن أمره بعدم التعرّض للإمام الحسين عليه السلام بأيّ أذى أو مكروه معلن، والتشديد في مراقبته ورصد حركاته، وبالتالي سيكون التخلّص منه سهلاً لبعده عن قاعدته في الكوفة، فلا يكون سوى علوي قد مات حتف أنفه، وسيثير موته الأسى في قلوب أهله ومحبيه وشيعة أبيه إلى حين، ثم يطوي النسيان ذكره^(٤). وفي الوقت ذاته أرسل معاوية رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره فيها علمه بما يقوم به هو وأتباعه، ويطلب منه

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٢؛ أحمد راسم النفيس، على خطى الحسين: ص ٦٤؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٢٩١.

(٢) جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية: ص ١٥٥؛ أحمد راسم النفيس، على خطى الحسين: ص ٤٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٣؛ علي الكوراني، جواهر التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٣؛ جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية: ص ١٩٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٢؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٢، ص ٢٢٣؛ محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ١٥٥.

الوفاء بالعهد، لأنّه (الإمام الحسين عليه السلام) أعدل النَّاس، ولا يكون سبباً في شقِّ عصا هذه الأمة ودخولها في فتنة، ويحذّره من النَّاس وبلوتهم، والنظر لنفسه ودينه ولأمة محمد (صلى الله عليه وآله) (١).

إنّ المتمعّن في رسالة معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام يجد فيها من المغالطات ما يجعل المنصف يقف حائراً، وي طرح تساؤلات منها : أنّ معاوية يشهد للحسين بعدالته ويطلب منه الوفاء بالعهد، وهنا يمكن القول: أين معاوية من الوفاء بالعهود التي قطعها على نفسه في صلحه مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام؟! ويطلب معاوية من الإمام الحسين أن لا يكون سبباً في شقِّ عصا هذه الأمة وإدخالها في فتنة كبيرة، ولكن أين هو معاوية من الفتنة التي أشعلها في حربه مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إبان معركة صفّين، والتي مزّقت الأمة الإسلامية وشقّت صفّها؟! كما أنّه يُحذّر الإمام الحسين من النَّاس وبلوتهم ولم يحذّر نفسه، ويوجّه النصح له في المحافظة على دينه وأمة الإسلام.

ردّ الإمام الحسين عليه السلام على رسالة معاوية بن أبي سفيان برسالة اتّصفت بالفصاحة والبلاغة، وفضحت معاوية وممارسات حكمه، وانتهاكات حقوق الأمة، قد بيّن الإمام فيها موقفه في هذه المرحلة، وأنّه لا يريد الثورة على بني أميّة، ولا يريد خلافاً معهم، مع وجوب عمل ذلك شرعاً لإرضاء الله تعالى، وإنّ أعظم فتنة على الأمة الإسلامية هي إمارة معاوية بن أبي سفيان عليها. ثمّ بيّن لمعاوية

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٥٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج١، ص٢٨٢؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٢١٢.

ناصحاً إذا أراد الكيد به، فإن الكيد كثيراً ما يتعرض له الصالحون، وبكيدك لا تضرّ إلا نفسك، وستمحق عملك، كما أوصاه بتقوى الله تعالى، وذكره بكتابه الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، وأنه لا ينسى القتل بالظن والأخذ بالتهمة، وأشار الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية بأنه أوبق نفسه، وأهلك دينه، وضيع الرعية^(١).
 إلا أن ردّ الإمام، وتأكيدَه على قدرة أهل البيت على تحمّل مسؤولية الحكم والخلافة، والعودة إلى منهج الكتاب والسنة؛ لم يُجِدْ نفعاً لوضع الأمة الإسلامية في طريقها الصحيح مع مَنْ عطّلوا الحدود، وأظهروا الفساد، وحلّلوا الحرام، وحرّموا الحلال. بل ولم ينفع - على أقل تقدير - لتنفيذ ما أُتِفِقَ عليه من شروط، ممّا اضطر الإمام الحسين عليه السلام إلى اتباع أسلوب آخر في مواجهته لمعاوية، فتوجّه للحجّ ومعه عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، فعمد إلى جمع مواليهم من الأنصار والمهاجرين، ومَنْ اتبعهم من الشيعة ومَنْ حجّ معه من أهل بيته، وكذلك طلب أن يجمع له كلّ مَنْ حجّ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، الذين عُرِفوا بالتقوى والصلاح وحبهم لآل البيت، فتجمّعوا في (منى)، وقد ركّز الإمام الحسين عليه السلام في هذا الاجتماع على أمور هامّة، منها:

- ١ - شجب سياسة معاوية تجاه آل البيت وشيعتهم.
- ٢ - دعا المسلمين لإشاعة فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإذاعة مآثرهم التي حاولت السلطة الأموية حجبها وإخفائها عن المسلمين.

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤٦-١٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ١٢٩-١٣٠، الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٢؛ علي خان الشيرازي، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ص ٤٣٥؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٨٢؛ أبو القاسم الخوئي معجم رجال الحديث: ج ١٩، ص ٢١٢؛ وحيد الخراساني، منهاج الطالبين: ج ١، ص ٣٥٤؛ انطون بارا الحسين في الفكر المسيحي ص ٢٠٩.

٣- التمهيد لخلق قاعدة معارضة تشعر بالحاجة إلى التغيير والاصلاح^(١).

لقد حاول معاوية - وبالاكره - أخذ البيعة ليزيد من أهل الحل والعقد، أولئك كبار الصحابة ومَن بقي منهم من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، مَن عَرَفُوا بالتقوى والصلاح، وقد استخدم لأجل ذلك كافة وسائل الشدة والارهاب ضد المخالفين والمعارضين له، وفي الوقت نفسه استخدم كافة وسائل الترغيب واغداق الأموال على مَن يبيعون ذمهم ودينهم للحكام^(٢).

وتشير الروايات التاريخية إلى أن فكرة تولية يزيد بن معاوية ولاية العهد كانت بمقترح من قبل المغيرة بن شعبة (٤١-٥٠هـ / ٦٦٢-٦٧٠م) والي الكوفة، الذي ثبت ولايته على الكوفة بعد أن كان معاوية يريد عزله؛ لكبره وضعفه^(٣)، ففي لقاء معاوية بن أبي سفيان بالمغيرة بن شعبة حول أمر ولاية العهد طمأن الأخير الأول، وبدد مخاوفه في تحقيق هذا الأمر، وأنه يكفيه أهل الكوفة في حين أن زياد ابن أبيه يكفيه أهل البصرة، وليس بعد هذين المصريين أحد يخالف^(٤)، وأن زياد ابن أبيه لم

(١) الهاللي، سليم بن قيس: ص ٣٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ١٨٢.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠، ص ٢٩٨؛ نور الله المرعشي، شرح إحقاق الحق: ج ٢٦، ص ٥٦٣؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٢٨؛ محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ج ١١، ص ٣١٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٠٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٤٨؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٢، ص ١٩٠، ١٩١؛ أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: ج ٢، ص ٤١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٠٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٤٨، ٣٤٩؛ مرتضى العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة: ج ١، ص ٣٣١؛ محمد بن عقيل العلوي، النصائح الكافية: ص ٦٤؛ مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة حياة المستبصرين: ج ٣، ص ٢٩٧.

يعارض هذا الامر، بل أجاب على رسالة معاوية بن أبي سفيان التي كان يستشيرها فيها حول البيعة ليزيد طالباً موافقته. ومع ما كان يعرفه زياد من تصرفات يزيد الشائنة التي تثير الناس إذا ما قورنت بسلوك كبار ابناء الصحابة، الا أنه نصح معاوية بأن يأمر ولده حتى يتخلق بأخلاق أولئك الرجال حولاً أو حولين عسى أن ينسى الناس ما كان منه، وأن لا يتعجل في هذا الأمر ويتأني لتحقيقه^(١).

لقد انسجمت موافقة ولاية أهم مصرين من أمصار دولة بني أمية مع رغبة معاوية ابن أبي سفيان بان لا يتولى الحكم أحد من غير بيته، سواء اقترح عليه المغيرة ابن شعبة أو غيره، أو لم يقترح عليه أحد فإنه ماضٍ في تنفيذ مخططه الرامي إلى جعل الحكم في البيت الأموي. وهكذا بدأ معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد سنة ٥٥هـ / ٦٧٤م من وفود الأمصار التي قدمت إلى دمشق بعد أن رتب لقاءً لهم معه، واتفق مع بعض المؤيدين لأخذ البيعة ليزيد بأن يتحدثوا بين وفود الأمصار عن موافقاتهم بتولية يزيد^(٢). ولم يبق أمام معاوية بن أبي سفيان سوى أهل المدينة وفيها من الصحابة وأبنائهم، وعليه أن يحس نبضهم في أمر تولية ابنه يزيد ولاية العهد. وقيل وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م قام معاوية بن أبي سفيان بزيارة إلى المدينة، ولما استقر في بيته أرسل إلى عبد الله بن عباس^(٣)، وعبد الله بن

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٥٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٠٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٥٠؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٠.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠، ص ٢٩٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٤٨؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٢٩؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٢، ص ١٩١.

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: وُلِد في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وكانت له صحبة

جعفر بن أبي طالب^(١)، وعبد الله بن عمر^(٢)، وعبد الله بن الزبير^(٣)، وأمر حاجبه أن لا يدخل عليهم أحدا إلى أن يخرج هؤلاء النفر، وتحدث معهم مبيّناً لهم بأنّه قد كبر سنّه ووهن عظمه وقرب أجله، وإنّي أريد أن أستخلف عليكم ولدي يزيد وهو أهل لذلك، وأنتم صلحاء القوم وخيارهم وأبناء خيارهم، وطلب رأيهم في هذا

ورواية، وكانوا يسمونه البحر والخبر لعلمه، برع في العلم والفقه والتفسير، وكان عمر بن الخطاب يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره، وكان يقول: ابن عباس فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول، توفي في الطائف سنة ٦٨هـ / ٦٧٨م، وكان عمره ٧٨ سنة. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٣٥١-٣٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٣، ص ٢٩١.

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمّه أسماء بنت عميس الخنعمية، وُلِدَ في أرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها، وهو أوّل مولود من المسلمين في الحبشة، وحفظ عن النبي وروى عنه، وكان كريماً جواداً يُقال له قطب السخاء، كان أحد أمراء عمّه الإمام علي (عليه السلام) يوم صفين، توفي سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، وهو شقيق حفصة، وأمها زينب بنت مضعون، ويكنّى بأبي عبد الرحمن، وهو صحابي وله رواية، و صحب أباه في هجرته إلى المدينة قبل أن يحتلم، وشهد الخندق سنة ٥هـ / ٦٢٦م وما بعدها، وشهد فتح مصر، وتوفي في مكّة سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م. ابن سعد، الطبقات: ج ٢، ص ٣٧٣، و ج ٤، ص ١٤٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٣٤١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٧١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، يكنّى أبا بكر، أمّه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وُلِدَ سنة ٢هـ / ٦٢٣م في المدينة، وهو أوّل مولود للمهاجرين وُلِدَ في المدينة، شهد وقعة الجمل مع أبيه وخالته عائشة، وبويع بالخلافة سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م، وكان معادياً للأمويين، واجتمعت له الحجاز واليمن والعراق وخراسان، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ / ٦٩٤-٧١٣م) في سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م في مكّة. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٣٠٩-٣١٠؛ قصي أسعد عبد الحميد الراوي، آل الزبير ودورهم في الدولة العربية الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ص ٤٨-٣٤.

الأمر. ثم تكلم كل واحد منهم وبين رأيه لمعاوية، ويبدو أن آراء العبادلة لم تكن منسجمة مع ما يريده معاوية، وبالرغم من حديثه الطويل معهم عاد إلى دمشق ولم يتمكن من اقناعهم بأخذ البيعة منهم لابنه يزيد، ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم^(١).

وبعد وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام لم يلبث معاوية بن أبي سفيان إلا قليلاً حتى أخذ البيعة لابنه يزيد في بلاد الشام سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م، ثم بعد ذلك كتب بيعته إلى الأمصار، ومن بينها المدينة التي كان عامله عليها مروان بن الحكم، فطلب منه أن يأخذ البيعة من أهلها ليزيد^(٢). وبعد مراسلات بين معاوية ومروان لم تأت بنتائج مرضي معاوية^(٣)، وفي حقيقة الأمر أن مروان عندما قرأ رسالة معاوية الأخيرة لتولية يزيد الحكم بعده أنكر ذلك على معاوية، إلا أن مروان قد غير موقفه، ووافق على البيعة عندما اشترى موقفه معاوية بألف دينار تصرف له شهرياً، وخصص لأفراد عائلته عشرة آلاف دينار^(٤). وكتب مروان إلى معاوية يخبره بإنكار قريش ورفضهم البيعة ليزيد. ولما وصل كتاب مروان إلى معاوية عزله عن ولاية المدينة، وولى مكانه سعيد بن العاص^(٥)، وطلب منه أخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد، وأن

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٩٦؛ نور الله المرعشي، شرح إحقاق الحق: ج ٢٦، ص ٥٦٣؛ محمد مهدي الخراساني، موسوعة عبد الله بن عباس: ج ٥، ص ٩٨.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٩٧؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣، ص ٣٤٣؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٦.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٤، ص ٣٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٠٦؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٦؛ مرتضى العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة: ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٣؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٩.

(٥) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، وُلد سنة ١ هـ / ٦٢٢ م، وكان من أشرف قريش وفصحائها، ندبه عثمان بن عفان في من ندهم لكتابة المصاحف، وقُتل

يستعمل معهم الشدة، ويكتب له عن مَنْ أسرع للبيعة وَمَنْ لم يسرع^(١). فطلب والي المدينة الحديد من أهلها مبايعة يزيد، وقد استعمل معهم الشدة والقسوة، إلا أن أهل المدينة لم يجيئوه للبيعة إلا القليل منهم، وخاصة بنو هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد، أما ابن الزبير فقد كان من أشد المعارضين لبيعة يزيد وإنكاراً لها^(٢).

عندما لم يحصل معاوية على ما أراد، سلك طريق الحرمان الاقتصادي على بني هاشم من دون الناس؛ عقوبة لهم لامتناعهم عن بيعه يزيد، فمنع صلاته عن الإمام الحسين (عليه السلام) حتى ضاقت عليه حاله، فقاسمه عبيد الله بن عباس^(٣) ماله، ليخفف عنه^(٤)، ولم تنجح محاولة معاوية بثني بني هاشم عندما منع عنهم العطاء لمدة سنة كاملة لمبايعة يزيد، حيث لم يستسلموا له، بل ازدادوا إصراراً على رفض البيعة ليزيد

أبوه في بدر كافراً، وشارك المسلمين في حربهم في طبرستان، وولاه عثمان بن عفان الكوفة، وتخلّف عن معاوية في حروبه، وكان معاوية عاتياً عليه في ذلك، ثم ولّاه المدينة، وكان يتعاقبها مع مروان بن الحكم، وتوفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م. يُنظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات: ص ٢٥٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٦٢١؛ ابن خلدون، العبر: ج ٢، ص ١٣٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣١، ص ١٦٠.

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٣؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٩؛ علي الكوراني، الانتصار: ج ٨، ص ٣٦٢.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٣؛ محمد بن عقيل، النصائح الكافية: ص ٦٥؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٩.

(٣) هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، يكنى أبا محمد، أصغر من أخيه عبد الله بسنة، وأمهما واحدة، وهو ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله)، وله صحبه ورواية، ولّاه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خلافته (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٦-٦٦١م) اليمن، وقتل بسر بن أبي أرطاة قائد جيش معاوية، له ابنان، وتوفي في المدينة سنة ٥٨هـ / ٦٧٨م. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٤٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٤، ص ٢٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٤٣٧.

(٤) ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ١، ص ٢٩٥.

وشجبهم لها. وهدد ابن عباس معاوية بن أبي سفيان بتأليب الناس بالخروج عليه، فراجع عن قراره في منع العطاء عنهم^(١).

ومن بين الأعمال التي اتبعها معاوية لحرمان أهل البيت من الأموال والتضييق عليهم: إعطاؤه فداً إلى مروان بن الحكم؛ ليُغيب آل بيت الرسول ﷺ ويضيق عليهم^(٢)، وبقي معاوية بن أبي سفيان في الحكم حتى توفي سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وله من العمر ٧٨ عاماً^(٣).

مما تقدّم يمكن القول بأنّه بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على يد الخوارج، وتولّى الإمام الحسن بن علي عليه السلام الخلافة، والذي لم يستمر فيها طويلاً؛ لتفرق أصحابه وعدم طاعتهم له؛ جعله يتنازل لمعاوية بالخلافة حقناً للدماء، ووفقاً لشروط بينهما، تضمن من وجهة نظر الإمام الحسن عليه السلام بناء مجتمع إسلامي يسوده العدل والمساواة وأمان الناس على أنفسهم وممتلكاتهم، إلّا أنّ معاوية كان ذا وجهة نظر أخرى، لهذا تنصّل عن جميع تلك الشروط، بل والأنكى أن قام بتدبير قتل الإمام الحسن عليه السلام، وعدم ترك الحكم من بعده للشورى بين المسلمين، أو للإمام الحسين عليه السلام، بل انصرف لتنفيذ ما كان يفكر به في كيفية حفظ الحكم في أسرته لأولاده وأحفاده، وبدأ يطالب بالبيعة لولده يزيد بولاية العهد أولاً، وفي الحكم

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥٥.
 (٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٥٥. وفدك: هي قرية من قرى خيبر، وأرضها خصبة ذات أودية ومياه وعيون ومزارع ونخل كثير، وهي من أعمال المدينة، بينها وبين المدينة يومان، وبينها وبين خيبر أقل من مرحلة، وبعد معركة خيبر جلا عنها أهلها، فصارت ملكاً خالصاً للنبي ﷺ، التي أنحلها إلى ابنته فاطمة عليها السلام قبل موته بأربع سنين، وقيل أنّ خراجها سنوياً ثلاثمائة ألف دينار. تفاصيل أوسع عن فدك يُنظر: سامي جودة بعيد الزيدي، فدك حتى نهاية العصر العباسي: ص ١٣-٥٢.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٧٣؛ ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٣٧٣؛ مشاهير علماء الأمصار: ص ٨٥.

بعد مماته ثانياً، وهذا لاقى معارضة من قبل أصحاب الحلّ والعقد متمثلةً ببعض الصحابة وأولادهم وبني هاشم، وفي مقدّمهم سيّد هذا البيت الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، ولم يفلح معاوية في تحقيق ذلك كاملاً حتى توفي سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م. ومع ذلك فإنّ الأُمَّة الإسلامية لم تتمكّن من اختيار خليفة ذي مبادئ إسلامية، بل ورثت الخلافة لشخص هوايته اللعب مع القروود واللّهو والصيد وشرب الخمر، وسبب ذلك ما تعانيه الأُمَّة الإسلامية من فرقة الصف، لأنّ جلّ تفكير أفرادها كان منصباً على تحقيق مصالح ذاتية؛ ولهذا كان الجو مهيباً ليتولّى يزيد بن معاوية الحكم.

وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان تسلّم ولده يزيد الحكم، وذلك في النصف من رجب سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م^(١)، ولم تكن لديه الخبرة والتجارب الكافية التي تؤهّله لقيادة الأُمَّة الإسلامية؛ كما أنّه كان منصرفاً للهوّ والكنص والخمر والنساء وکلاب الصيد، ويتّصف بكل الصفات الرذيلة في ارتكاب الفحشاء والمنكر، وهذا ما أجمعت عليه المصادر التاريخية التي بين أيدينا^(٢). وبعد أن استتبّت الأمور ليزيد بن معاوية في بلاد الشام، وأصبحت أجهزة الدولة منقاداً إليه، كان أوّل ما فكّر به هو اخضاع معارضيه في المدينة، لذلك كتب إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٣) يأمره بأخذ البيعة له بشدّة من كافّة النّاس، والتأكيد بشكل خاصّ على

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٣٩؛ القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة: ج ١، ص ١١٥؛ نور الله المرعشي، شرح إحقاق الحقّ: ج ٣٣، ص ٦٥٣؛ صالح مهدي، الحسين قائد الانتصار بالظلمية: ص ٥٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٠٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٥٠؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١٠، ص ٢٣٠؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٢، ص ١٨١.

(٣) هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولّاه عمه معاوية ابن أبي سفيان المدينة سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م، ولما جاء نعي معاوية وبيعة يزيد. لم يشد على الحسين (عليه السلام) وابن الزبير حتى لاهم مروان بن الحكم على ذلك، فرد عليه قائلاً: ما كنت لأقتلها ولا أقطع رحمها، وقد أرادوه للحكم بعد معاوية بن

بيعة الإمام الحسين عليه السلام؛ باعتباره كبير البيت الهاشمي، ويتمتع بمكانة مرموقة بين الناس لا يتمتع بها شخص آخر من بين أبناء الصحابة، وكذلك من عبد الله بن الزبير؛ باعتباره من أشدّ المعارضين للبيعة، ومن يمتنع يضرب عنقه ويرسل رأسه^(١). ومع علمه بأن هؤلاء نفر لم يستطع معاوية بن أبي سفيان أن يأخذ منهم البيعة لولده يزيد، مع ما يتمتع به من الحيلة والدهاء والمكر، فكيف يستطيع الوليد ابن عتبة أن يحقق ما عجز عنه معاوية؟!

فبعد أن مضى من الليل شطرٌ بعث الوليد بن عتبة إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ لعله يحصل على موافقته ولو سرّاً على البيعة ليزيد بن معاوية، وهو يعلم بأنه إذا أعطاه ذلك لن يتراجع عن قوله أو بيعته. وعندما دخل الإمام الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة وجد عنده مروان بن الحكم، فسأل الحسين عليه السلام الوليد بن عتبة: لماذا دعوتني؟ فأجابه الوليد: دعوتك للبيعة، فقال الحسين عليه السلام: إنّ مثلي لا يبايع سرّاً، ولا يجتزئ بها مني سرّاً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة دعوتنا معهم، وكان الأمر واحداً. فسمح الوليد للحسين بالانصراف، إلّا أنّ مروان بن الحكم اعترض وقال: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه، أحبسه فإن بايع وآلاً ضربت عنقه. فوثب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله ولؤمت، ثمّ التفت عليه السلام إلى الوليد وأخبره عن عزمه وتصميمه على رفض البيعة ليزيد قائلاً: أيّها الأمير إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن

يزيد فرفض وتوفّي بعده بمدة قصيرة. يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٧٠؛ الدينوري، الأخبار الطوال ص ٢٢٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٦٣١.
 (١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٢، ص ٢٤٧؛ مرتضى العاملي، عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني: ص ٨٦.

نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينما أحق بالخلافة والبيعة. ثم عاود مروان بن الحكم الحديث بلين مع الإمام الحسين (عليه السلام) بشأن مبايعة يزيد، ويبدو أنه لم ييأس من ذلك قائلاً له: يا أبا عبد الله إنني لك ناصح، فأطعني ترشد وتسدد، فإني آمرك ببيعة يزيد، فإنه خير لك في دينك ودنياك. فقال الإمام الحسين (عليه السلام): إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد^(١).

وكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة مرة أخرى بأن يأخذ البيعة من الإمام الحسين (عليه السلام)، وإن امتنع فليكن جوابه ومعه رأس الحسين (عليه السلام)، وإن فعل ذلك فله الجوائز والخط الأوفر^(٢). إلا أن الوليد بن عتبة رفض ذلك بقوله: «والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً، سبحانه الله أقتل حسيناً إن قال لا أبايع، والله إنني لأظن أن امرءاً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة»^(٣).

عزم الإمام الحسين (عليه السلام) على الخروج من المدينة بعد أن أيقن بأن حياته باتت

(١) يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٣٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٥٧؛ البري، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ص ٤١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ٢٠؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ١٤، ١٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٤٧؛ محسن الأمين، لواعج الشجان: ص ٢٥؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٥٤، ٢٥٥؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ص ٣٤٣؛ مركز الأبحاث العقائدي، موسوعة من حياة المستبصرين: ج ١، ص ٤٠-٤٧.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ٢٦٩.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٧٨؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧. وبألفاظ أخرى يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ٢٦٩.

مهددة بالخطر من قبل الأمويين، وأن السلطة عازمة على التخلص منه بأي ثمن، فأتجه إلى مكة ليلوذ بالبيت الحرام في ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م، ليكون بمأمن من مضايقات وكيد الأمويين واعتدائهم^(١)، وقد سلم الإمام الحسين عليه السلام وصيته قبل خروجه إلى مكة لأخيه محمد بن الحنفية، والتي وضح فيها غايته وأهداف اعتراضه، حيث قال: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق والله أولى بقبول الحق»^(٢).

لقد وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة في اليوم الثالث من شعبان سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م^(٣)، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٤). لقد اتخذ الحسين عليه السلام مكة، لما تمثله من موقع إسلامي عام للمسلمين مقراً لحركته، ومن ثم إعلان ثورته، وذلك بعد أن بين للناس - الذين وفدوا على مكة سواء للعمرة أو أداء فريضة الحج من الأمصار الإسلامية خلال الأربعة أشهر التي قضاها في مكة قبل مغادرته إلى العراق - أهداف تلك الثورة، وشعارها إحياء السنة وإماتة البدعة، وضم حركته الذين يرغبون في التخلص من سلطة بني أمية، والسير خلف راية آل البيت ممثلةً بالحسين عليه السلام. كل هذا شكّل تحدياً كبيراً أقلق السلطة الأموية وقض مضاجعها؛ لأن الإرادة الشعبية قد أبدت

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٥٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٤؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٧١؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن

علي عليه السلام: ج ٢، ص ٢٥٦.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧١.

(٤) القصص: آية ٢٢.

مطالبها، ولو ظاهرياً للإمام الحسين (عليه السلام) بالقيام بالثورة على السلطة الغاصبة لحقوق الأمة الإسلامية عامّة وآل البيت خاصّة، وبدا ذلك من خلال تفضيل الإمام الحسين (عليه السلام) بعد اعلانه عدم البيعة ليزيد وقدمه إلى مكّة^(١).

وفي العراق علم شيعة آل البيت بوفاة معاوية، وخروج الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكّة ورفضه البيعة ليزيد، فعقدت جماعة من أهل الكوفة - من الذين نالهم الاضطهاد والتنكيل من جرّاء السياسة الأموية الظالمة في عهد معاوية - اجتماعاً في بيت الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي^(٢)؛ ليتدارسوا الوضع الجديد، وموقفهم منه، واتخاذ التدابير الملائمة له^(٣). وعقدت جماعة أخرى من أهل البصرة اجتماعاً مماثلاً لأهل الكوفة في بيت امرأة من عبد قيس، وفيه انتقدوا سياسة معاوية بن أبي سفيان، ورفضوا مبايعة ولده يزيد، واستقرّ رأيهم على دعوة الإمام الحسين (عليه السلام) بالقدوم عليهم، وقيادة الثورة ضد الأمويين^(٤).

لقد توالى الوفود والرسائل على الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة من أهالي الكوفة

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) هو سليمان بن صرد بن جون الخزاعي صحابي خيّر فاضل له دين وعبادة، سكن الكوفة، وله قدر وشرف في قومه، وكان من اصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وشهد معه كلّ معاركه، وكان من الذين كتبوا للإمام الحسين (عليه السلام)، بعد موت معاوية، يسأله القدوم إلى الكوفة، إلّا أنه لم يتمكّن من القتال معه، وندم على ذلك، فقاد حركة التوابين سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م الذين قاتلوا عبيد الله في عين الورد، وقتل سليمان فيها وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ / ٦٨٣-٦٨٤م) في الشام ويومها هو الحاكم الأموي. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٦٤-٦٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٥١.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ٢٨٢.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٥-١٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٧-٢٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٥.

والبصرة؛ تحمّله المسؤولية الشرعية في قيادة الأمة، فكان مَنْ قَدِمَ من أهل الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي^(١) وآخرون^(٢)، ومن أهل البصرة يزيد بن نبيط^(٣) وآخرون^(٤).

وجواباً على رسائل أهالي الكوفة والبصرة حدّد الإمام الحسين عليه السلام لهم نظرتهم للحكم والسلطة، وصفات الإمام وحقوقه وواجباته وطاعته مادام يعمل بالكتاب والسنة، ومفهومه لإرادة الناس وبيعة الجمهور له؛ من خلال رسالته إلى أهل الكوفة بقوله: «... لقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكركم، وما قال جلّكم إنّّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والهابس نفسه على ذات الله»^(٥).

(١) هو قيس بن مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو حتى يصل إلى أسد بن خزيمة، الاسدي الصيداوي، وصيدا بطن من اسد، وهو رجل شريف في بني صيدا، نشأ مخلصاً في محبته لأهل البيت، وكان قد حمل كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام في المدينة، وقد قبض عليه وهو يحمل رسالة من الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، من قبل الحصين بن نمير، وتم قتله في أواخر سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨١؛ محمد السماوي، إِبصار العين في أنصار الحسين: ص ١١٢.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٧٢.

(٣) يزيد بن نبيط، ويُسمّى أيضاً بدر بن رقيط، قدم إلى الإمام الحسين مع ولديه عبد الله وعبيد الله لنصرته من البصرة إلى مكة، وقد استشهدوا جميعاً في معركة الطف. الطوسي، الأبواب (رجال الطوسي): ص ١٠٦؛ ابن طاووس، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٥؛ علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٢، ص ٨.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٦-١٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧٠؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٨-٢٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٨٦.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٣٠-٣١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٥-٣٨٦.

وجاء في رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أهل البصرة قوله: «... فقد بعثت رسولي بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن السنة قد أُميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»^(١).

كان قرار الإمام الحسين (عليه السلام) النهائي هو الثورة على الأمويين، مما دفعه إلى حرصه على تهيئة الموقف السياسي في العراق قبل الوصول إليه أمام إلحاح أهل العراق ورسولهم ورسائلهم له في مكة، ولكي يطمئن من هذا الموقف أرسل إلى العراق رسولين، الأول إلى البصرة وهو مولاه سليمان بن رزين^(٢)، وصادف وصوله وهو يحمل الرسالة إلى أهل البصرة في الليلة التي يستعد فيها عبيد الله بن زياد^(٣) والي البصرة بالتوجه إلى الكوفة؛ ليتولى ولايتها تنفيذاً لأوامر يزيد، وما إن

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٥٨.
 (٢) سليمان بن رزين مولى الحسين بن علي بن أبي طالب، كان سليمان هذا من موالي الحسين (عليه السلام)، أرسله بكتب إلى رؤساء الأخماس بالبصرة حين كان بمكة. أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٥؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ج ٣، ص ٥٠٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٥.

(٣) وهو عبيد الله ابن زياد ابن أبيه ٥٣هـ / ٦٧٢م، وكنيته أبو حفص، وتولى ابن زياد خراسان من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٤هـ / ٦٧٣م، وفي سنة ٥٥هـ / ٦٧٤م تولى البصرة، وولاه يزيد بن معاوية سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م الكوفة، ورجع إلى البصرة سنة ٦١هـ / ٦٨٠م بعد قتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، واختلف أهل البصرة عليه بعد موت يزيد، وكاد أن يقتل إلا أنه التحق بالشام سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م، ثم بايع مروان بن الحكم (٦٤-٦٨٣هـ / ٦٨٤-٦٨٥م)، وحارب التوابين، وهزمهم سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، وحارب المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م، وقتله إبراهيم بن مالك الاشتر سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٤٢ و ج ٥، ص ٢٥؛ خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢١٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٤٤.

عرف بمهمة هذا الرسول حتى أمر بقتله وصلبه^(١)، وأرسل الإمام الحسين عليه السلام رسولا آخر إلى الكوفة هو ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وحمله رسالة قال فيها: «قد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله»^(٣).

عند وصول مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٤)، وأقبل الشيعة عليه، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً^(٥)، ثم قام مسلم بن

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٨؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٨.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ١٨٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٩؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٧٧؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٠٨. مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي، كنيته أبو داود، وكان أشبه ولد عبد المطلب بالنبي ﷺ، أدرك جماعة من أصحاب النبي ﷺ، وكان رسول الحسين إلى أهل الكوفة، إلا أنه وقع بيد بن زياد، فقتله في سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م. تفاصيل أوسع عن سيرة مسلم بن عقيل، يُنظر: علي إبراهيم عبيد الجميلي، مسلم بن عقيل دراسة تاريخية؛ محسن مشكل فهد، مسلم بن عقيل عليه السلام دراسة لدوره في ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٣٨-٣٥٦.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٦.

(٤) عن سيرة المختار ودوره السياسي يُنظر: رغداء حسين محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسية والفكرية: ص ١٠٥-١٠٥.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٤١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٧٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٢، ص ٤٨؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٣٠؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٥.

عقيل (عليه السلام) بجمع الأموال وشراء السلاح؛ من أجل إعداد الكوفة إعداداً عسكرياً إلى حين وصول الإمام الحسين (عليه السلام)^(١)، ولم يُضَيَّق والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري (٥٩-٦٠هـ / ٦٧٩-٦٨٠م)^(٢) على نشاط الكوفيين ومسلم بن عقيل (عليه السلام) معاً، رغم تهديداته المتواضعة في هذا الوقت^(٣).

ويبدو أن ما كان يجري من إعداد أهل الكوفة عبر البيعة للإمام الحسين (عليه السلام)، والتسليح والإعداد لمواجهة السلطة؛ جعل مسلم بن عقيل (عليه السلام) يكتب إلى ابن عمه الإمام الحسين (عليه السلام) بالقدوم إلى الكوفة^(٤)، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، بل اعترض بعض الموالين لبني أمية على سياسة النعمان بن بشير الضعيفة، وطالبوه باتّباع سياسة العنف مع الأحداث المتسارعة الجارية في الكوفة، وعندما لم يسمعهم في ذلك كتبوا إلى يزيد بن معاوية يخبرونه بحاله. ولخوف الأخير من ضياع الكوفة ببقاء النعمان بن بشير والياً عليها^(٥)؛ عزله وولّى مكانه عبيد الله بن زياد، وأمره بقتل

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٧٥؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٣٠٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٣٠.

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري من بني كعب بن الحارث بن الخزرج، وأمّه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، وُلِدَ قبل وفاة النبي ﷺ بشان سنين، وقيل بست سنين ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م وله أربع وستون سنة. وللمزيد يُنظر: ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٤٠٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤١١؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ج ٢، ص ٢٤٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٨.

(٤) المصدر السابق؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ٦، ص ٤٢٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٢.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ ابن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٨٧؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٣٨٨.

مسلم بن عقيل عليه السلام^(١). وصل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ليلاً وهو يرتدي ثياباً يمانية، وعلى رأسه عمامة سوداء^(٢)، وظنَّ الناس أنَّه الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّه كان مغطياً وجهه، وقد ساء ذلك ابن زياد^(٣)، وحال وصوله اتخذ إجراءات قاسية وصارمة تمكَّن من خلالها أن يُشَتَّت شمل أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام^(٤)، ومن ثمَّ القبض على مسلم بن عقيل عليه السلام وهانئ بن عروة^(٥) وقتلها، وإرسال رأسيهما إلى يزيد بن معاوية^(٦). وكان مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام يوم الأربعاء الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ / ٦٧٩ م^(٧).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٣٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٨٨.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٧٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦؛ الطبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٤٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٤.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٦-٢٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٣٩.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٥٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٩٨.

(٥) هو هاني بن عروة بن نمران بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث ابن مخدش بن حصر بن غنم بن مالك بن عوف بن منبه بن غطيف بن مراد بن مذحج، أبو يحيى المذحجي المرادي الغطيفي، كان هاني صحابياً كأبيه عروة، وكان معمرًا، حضر مع الإمام علي عليه السلام حروبه الثلاث، وهو القاتل يوم الجمل:

يالك حرباً حثها جمالها يقودها لنقصها ضالها

قتله عبيد الله بن زياد هو ومسلم بن عقيل، وجرَّهما في الأسواق. يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٧٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤٠٦؛ محمد السباوي، إِبصار العين في أنصار الحسين: ص ١٣٩.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٥؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٦٢.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧١.

وقد حاول مسلم (عليه السلام) قبل قتله أن يثني الإمام الحسين (عليه السلام) من القدوم إلى الكوفة، حيث أوصى محمد بن الأشعث^(١) أن يقوم بإخبار الإمام الحسين (عليه السلام) بتخاذل الكوفيين ونكوصهم، وكرّر هذا الطلب مع عمر بن سعد، عندما تأكد من أنه سيقتل، إلا أن الإثنين لم يلبيا طلب مسلم (عليه السلام)^(٢).

لم يكتف عبيد الله بن زياد بقتل جميع رُسل الإمام الحسين (عليه السلام) الذين قدّموا إلى العراق، بل انتقل - وبتوجيه من يزيد بن معاوية - إلى مرحلة جديدة، وذلك بسدّ المنافذ بوجه الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لمنع دخوله الكوفة أو خروج أصحابه إليه، ولهذا الغرض وضع الحصين بن نمير^(٣) صاحب شرطته في القادسية^(٤)، ومنها

(١) هو محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، وأمّه أم فروة بنت أبي قحافة، أخت أبي بكر، وأخته جعدة زوجة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، وعاش في أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكان مع الإمام علي في صفّين، ثم خرج مع الخوارج، وكان مع جيش ابن سعد الذي قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وقُتل في أيام المختار بن أبي عبيد الثقفي، ويروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله: إنّ الأشعث بن قيس شارك في دم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وابنته جعدة سمّت الحسن (عليه السلام)، وابنه محمد شارك في دم الحسين (عليه السلام). ابن أعثم، الفتوح: ج ١، ص ٦٨؛ الكليني، الكافي: ج ٨، ص ١٦٧؛ الفيض الكاشاني، الوافي: ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ١٠٧-١٠٨؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٣١٢-٣١٤.

(٣) هو الحصين بن نمير بن نائل أبو عبد الرحمن الكندي، ثمّ السكوني من أهل حمص، وهو الذي حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق، وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٨٥؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٨١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٣، ص ٦٦٥-٦٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج ٨، ص ٢٤٥؛ الزركلي، الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٢.

(٤) القادسية، وقد سُمّيت بقادس هراة، وكانت تُسمّى قديسا، وهذا الموضع كانت معركة القادسية، بين المسلمين والفرس، سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م في عهد عمر بن الخطاب، وتبعد القادسية عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً، أي ٧٢ كم، وهي تقع على طريق الحاجّ من الكوفة إلى مكة على حافة البادية. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٧٥؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦١؛

إلى خفان^(١)، ومن القادسيّة إلى القطقطانة^(٢)، وإلى جبل لعلع^(٣). وقد نشر قواته في هذه المناطق^(٤)، وأمر ابن زياد أيضاً أن يأخذ الطريق ما بين واقصة^(٥) على طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعن أحداً يدخل أو يخرج^(٦).

وقد استهدفت هذه الخطة العسكرية - علاوة على سدّ المنافذ بوجه من يحاول اللحاق بالإمام الحسين عليه السلام - منع اتصال الإمام الحسين عليه السلام بالكوفيين أو وصول مبعوثيه، وهذا ما تحقّق فعلاً عندما تمكّنت هذه القوات من القبض على رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي وقتله^(٧). وألقي القبض

ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٩٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ٢٩٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٠٥٤.

(١) هو موضع قرب الكوفة، يسلكه الحاجّ أحياناً، وقيل فوق القادسيّة. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٧٩.

(٢) القطقطانة، بالضمّ ثمّ السكون، ثمّ قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألف نون وهاء، موضع قرب الكوفة من جهة البرية، وكان فيه سجن النعمان بن المنذر، أحد ملوك دولة المناذرة. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٣، ص ١٠٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٧٤؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١١٠٧؛ ابن رستم الطبري، نادر المعجزات: ص ١٠٧.

(٣) هو جبل من آخر السواد إلى البرّ ما بين البصرة والكوفة، وهي من منازل بني تميم. يُنظر: أبو عبيدة البكري، معجم ما استعجم: ج ٤، ص ١٥٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٠٢.

(٥) هي منزل بطريق مكّة، بعد القرعاء نحو مكّة، وقبل العقبة دون زباله بمرحلتين، ويُقال لها: واقصة الحزون؛ لأنّه أحيط بها من كلّ جانب، وهي ماء لبني كليب. يُنظر: أبو عبيدة البكري، معجم ما استعجم: ج ٤، ص ١٣٦٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٥٤؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٤٢١.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٥.

(٧) المصدر السابق: ص ٣٠٦؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٣٢٠-٣٢١.

على عبد الله بن يقطر رسول الحسين إلى مسلم بن عقيل (عليه السلام) وقتل أيضاً^(١).
وقد بثّ عبيد الله بن زياد الرعب والخوف في أوساط أهل الكوفة حتى لا يخرج أحد لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، كما قام عامداً بقتل بعض الشخصيات الشيعية ليكون رادعاً لغيرهم، أمثال رشيد المهجري^(٢)، وهو من كبار صحابة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣)، وكذلك ميثم بن يحيى التمار الأسدي^(٤)، والذي صلبه ابن زياد عاشر عشرة في الكوفة، ولم يمنعه ذلك من التحدث في فضائل بني هاشم، فقبل لابن زياد لقد فضحك هذا العبد، فأمر بلجمه، ثم طعن بحربة بعد ثلاثة أيام من صلبه، وكان ذلك قبل قدوم الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق بعشرة أيام^(٥).
عندما عزم الحسين (عليه السلام) على الخروج إلى العراق كان قد اصطحب معه أهل بيته

(١) عبد الله بن يقطر هو أخو الحسين بن علي (عليه السلام) من الرضاة، أرسل إلى مسلم بن علي (عليه السلام) قبل أن يعلم بمقتله، فتلّقه الحصين في القادسيّة، وبعثه إلى ابن زياد وتمّ قتله. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٠؛ ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ٣١٠؛ الشيخ المفيد، الاختصاص: ص ٨٣؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٤٠؛ ابن طائوس، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٢) يُقال عنه أنّه فارسي، مولى بني معاوية من الأنصار ومن الأوس، وفي رواية أنّه من أصحاب الرسول (ﷺ) وشهد معه معركة أحد، وكناه النبي (ﷺ) أبا عبد الله، وكان من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ١٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ١، ص ٥١٦.

(٣) الطوسي، الأمالي: ص ١٦٥.

(٤) ميثم التمار: صحابي سكن الكوفة وله فيها ذرية، وكان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه الإمام علي (عليه السلام) منها وأعتقه، وحبسه ابن زياد مع المختار، ثمّ أمر بقتله. يُنظر: إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات: ج ٢، ص ٧٩٦؛ الطوسي، الخلاف: ج ١، ص ٣٠؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٣٤١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٩١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ٢٤٩-٢٥٠؛ التفرشي، نقد الرجال: ج ٤، ص ٤٤٥.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٢٤٦-٢٤٨.

وأبناء عمومته، وكلّهم من آل أبي طالب فحسب، وضمّ إليه من اصطحبه من الأنصار، ومن تبعه من أهل الحجاز والكوفيين والبصريين، ومن جاء موفوداً أو رسولاً فعاد مصاحباً وملازماً^(١). كان انتقال الإمام الحسين بن علي عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة هدفه الاحتماء بالبيت الحرام، لكن هذا لم يدم طويلاً؛ لأنّه كان يخشى استهداف بني أمية لشخصه، وأنهم يتعقبونه في كلّ مكان وأين ما يكون، فهو ميت مقتول على أيّ حال، سواء بقي في مكة أم خرج منها، فإنّ بني أمية قد صمّموا على تصفيته ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وكان الإمام الحسين عليه السلام حريصاً على أن لا تُنتهك حرمة الحرم الشريف بسفك الدماء فيه^(٢)، والسلطة الأموية في هذا الوقت لم تترك الإمام الحسين عليه السلام دون انتزاع البيعة منه أو قتله.

لقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام بهذه الحقيقة في كلامه مع الذين حاولوا أن يشنوه عن مسيره إلى العراق، وخروجه من مكة بقوله: «... والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم...»^(٣)، وفي قول آخر للإمام الحسين عليه السلام: «... وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم...»^(٤).

لم تتوقف نصائح الناصحين للإمام الحسين عليه السلام بشنیه من التوجّه نحو العراق، وحمل النساء معه خشيةً عليهم من غدر بني أمية، من أمثال عبد الله بن عباس،

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام ج ١، ص ٣١٨.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٦٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٠١.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٦٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٠٠.

الذي كان مُلْحاً في ذلك، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يردّه بقوله: «... أنّه جمع على المسير إلى العراق...»^(١) وأنّ شيعته طلبوا منه القدوم عليهم^(٢)، فأجابه ابن عباس: «إنّك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك، وكان الذين كتبوا إليك أشدّ من عدوك، فإن عصيتني وأبيت إلّا الخروج إلى الكوفة فلا تُخرجنّ نساءك وولدك معك، فوالله إنّّي لخائف أن تُقتل كما قُتِل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه»^(٣).

وعندما خرج محمّد بن الحنفية يشيعه عند توجّهه إلى العراق قال له عند الوداع: «الله الله يا أبا عبد الله في حُرْم رسول الله، فقال له (عليه السلام): أبي الله إلّا أن يكنّ سبايا»^(٤).

وكانت أمّ سلمة^(٥) خاتمة على الإمام الحسين (عليه السلام) من خروجه إلى كربلاء فوضّح الإمام (عليه السلام) لها سبب حمله النساء والأطفال معه إلى كربلاء بقوله: «يا أمّاه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوها ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرّمي ورهطي ونسائي

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٦٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٧؛ ابن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٠٠-٤٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٥٥؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٠٧.

(٤) المسعودي، إثبات الوصية: ص ١٧٦؛ حسين عبد الوهاب، عيون المعجزات: ص ٦١.

(٥) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر، اشتهرت أمّ سلمة بهذه الكنية نسبة إلى ولدها الأكبر سلمة من زوجها عبد الله بن عبد الأسد، وبعد زواجها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كُنيت بأُم المؤمنين، تُوفيت في عهد يزيد في سنة ٦١هـ / ٦٨٠م، وتحديدًا يوم عاشوراء من السنة نفسها، وقيل بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بمدة وجيزة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٢، ص ١٦٤؛ أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٩، ص ٤٦٤؛ ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٤٣٩؛ ابن مندة، معرفة الصحابة: ج ١، ص ٩٥٦؛ البخاري، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: ج ٢، ص ٨٣٨؛ ابن أيوب الباجي، التعديل والتجريح: ج ٣، ص ١٢٩٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٧، ص ٢٨٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٦٧.

مشرّدين، وأطفال مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيدّين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً^(١).

ولعلّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من حمله للنساء معه كان أبعد ممّا ذكره في حديثه مع أم سلمة، فكيف نفهم ملامح الحكمة في هذه المشيئة الإلهية وهذا الأمر النبوي وفي مخافة الإمام عليه السلام على ودائع النبوة، وبالتالي إصراره على خروجهنّ معه؟ أشار أحد الباحثين إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لو ترك النساء فلا يبعد أن تقوم السلطة الأموية بالقبض عليهنّ وزجّهنّ في السجون، وحينها يحدث ذلك فلا شك أنّه سيؤثّر على النهضة الحسينية ومساراتها، حيث لم يكن حينها أمامه إلّا الاستسلام لإنقاذ الأهل والحرائر، وحينها تقع المخالفة الصريحة مع نهضة الإصلاح التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام وسعى من أجلها، أو يكون الخيار هو المضي في النهضة وترك المخدّرات في حالهنّ المزري المحتمل، وهذا أمر لا يمكن أن يتحمّله الحسين عليه السلام؛ لعزّة نفسه وغيّره على أهله، لما يعرفه عن بني أميّة من عدم مراعاتهم لأيّ حرمة، أو التزامهم بأيّ خُلُق عربي أو إسلامي من أجل تحقيق غايتهم، فلا يبعد أن يقوم بنو أميّة باعتقالهنّ وزجّهنّ بالسجن، مادام ذلك يخدم مقاصدها وأهدافها في القضاء على النهضة الحسينية وإيقاف مسيرتها، حيث سجّل لنا التاريخ مشاهد مروّعة في هذا الاتجاه، فقد سجنوا زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي^(٢)، كذلك ما قامت به السلطة الأموية في واقعة الحرّة من انتهاك حرّيات الأعراض واستباحتها^(٣)، إذ كان لا بدّ للإمام عليه السلام من حمل هذه الودائع ونسائه معه؛

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٢؛ محسن الأمين، لواعج الاشجان: ص ٣١.

(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ٥٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ٤٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ١٠١.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦٥؛ ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ٣١٤؛ حيدر لفته سعيد، واقعة الحرّة دراسة تاريخية: ص ٤٩-٥٢.

حتى لا يتمكّن العدو من إعاقة مسار النهضة المقدّسة^(١)، فضلاً عن الأثر العظيم المترتب على العمل الإعلامي والتبليغي الكبير، الذي سيقوم بأعبائه ممّن تبقى من الركب الحسيني، فما كان للثورة الحسينية أن تصل إلى تمام غايتها لو لم تكن تلك الودائع النبوية في الركب، وهذا ما سنتحدّث عنه في الفصول القادمة.

كان خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكّة يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة، يوم التروية^(٢)، وذلك عندما جاءته رسالة من مسلم بن عقيل (عليه السلام) أخبره فيها اجتماع الكوفيين عليه، ويدعوه بالقدوم إلى الكوفة^(٣).

ولم تنجح محاولات السلطة الأموية في مكّة من منع الإمام الحسين (عليه السلام) بالتوجّه إلى العراق^(٤). وبعد فشل عمرو بن سعيد الأشدق في تنفيذ أوامر يزيد بن معاوية في منع الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) من مغادرة مكّة؛ حاول أن يثير همّة عبيد الله بن زياد في القضاء على الإمام، فكتب إليه يحذّره من أن يفوته الحسين، ويذكره مهدداً بعقوبة يزيد بن معاوية^(٥).

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) ومنذ خروجه من مكّة وحتى وصوله إلى كربلاء، وفي كلّ مرحلة من مراحل الطريق، يعمل على تخيير من كان معه بالإنصراف، كما

-
- (١) يُنظر: نجم الدين الطبري، الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية: ص ١٠٣-١١٣.
 (٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٦١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٧١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٦٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٢٥٦؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٣١٨.
 (٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٥٩؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٠٥.
 (٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٣١٥، ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٤.
 (٥) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٥.

أنّه لم يتوقّف عن دعوة مَنْ يمرّ به لنُصرته والخروج معه، وإقامة الحجّة عليهم بالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان يريد أن يزرع روح الثورة في نفوس النّاس ضد الحكّام الجائرين، ممّا جعل البعض يلتحق به^(١).

إنّ إعلان الإمام الحسين عليه السلام ثورته على الأمويين كانت للحفاظ على الشريعة الإسلامية وتعاليمها، والحفاظ على الأُمّة ومصالحها تجاه كلّ الانحرافات التي تظهر فيها، وهذا ما تفرّضه المسؤولية الدينية عليه؛ باعتباره إمام الأُمّة وفقاً لقول الرسول، وهو سبطه وابن ابنته، وأنّ الدين دين جدّه، والأُمّة أُمّة جدّه، وهو مسؤول عن رعايتهما، ومن واجباته أن يتصدّى للظلم والاضطهاد الذي حلّ بالأُمّة، ولا سيما بشيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، ومن هنا كان عليه الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء السنّة وإماتة البدعة والجاهلية، وإعلاء راية الإسلام. وكيف لا يقوم بهذا والأمويون قد استعبدوا الأُمّة، ونهبوا خيراتهم من الأموال، سواء كانت من بيت المال أم من الفبيء والخراج وغير ذلك.

هذا وقد خالف معاوية بن أبي سفيان كلّ الشروط التي أبرمت مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام، فإنّها لو نُفذت خلّقت مجتمعاً إسلامياً متآلفاً، ضُمّت فيه حقوق الأُمّة وواجباتها، فكانت مخالفتها قد أبعدت الأُمّة عن مبادئها الإسلامية.

وخلال حكم معاوية - الذي استمر حوالي عشرين عاماً - أصاب المسلمين كثير من الظلم والجور، كما اتبع سياسة تسلّطية جعلت الخلافة ملكاً وراثياً لبني أميّة، وكان ذلك بالقهر والقوّة وشراء الذمم مع مخالفته.

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٧٣-٧٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٤٦-٢٤٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٥؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٧٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٥-٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٠٢، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤١٠.

وعندما تولى يزيد الحكم، صاحب الطرب والجواري والكلاب والقروود والفهود والمنادمة على شرب الخمر، كان أسوأ من أبيه، وبهذا فإن مبايعة الإمام الحسين (عليه السلام) له تعني هدم كل القيم الإسلامية، فإذا سكت الحسين (عليه السلام) وبائع يزيد فستذعن كل الأمة لذلك وليقرأ عليها السلام.

لذا فإنّ هذا التخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، قد دفع بالإمام الحسين (عليه السلام) بأن يستنهض الأمة^(١)، ولا بدّ من أن يهبّ إلى ساحات الجهاد، فكان استشهاده تحوّلاً في تاريخ الإسلام وحياة الأمة، التي لا بدّ لها أن تعيش حياةً إسلامية.

كان لموضع كربلاء الذي نزل به الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه يوم عاشوراء، عدّة تسميّات، فمنهم من يرجعه إلى أنّه يعود إلى أصول عربية، بينما أشار آخرون إلى غير ذلك. إنّ الذين أكّدوا أصل عربية كربلاء قالوا: مفردة كربلاء عربية الجذر، وتكون بالمدّ، وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي^(٢) في طرف البرية عند الكوفة. وأما اشتقاقها فالكربلة: رخاوة في القدمين، فيقال: جاء يمشي مكربلاً^(٣)، أي كأنّه يمشي في طين^(٤)، ولهذا يُحتمل أن تكون أرض هذا الموضع رخوة، ويُقال: كربلة الخنطة، إذا هذبت ونقيت من القصل، أي: غربلت^(٥)، وربما تكون هذه الأرض خالية من الحصى والدغل فسمّيت بذلك. والكربل: اسم نبات الحماض، له نور

(١) تفاصيل أوسع عن أسباب ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) يُنظر: مروان عطية، ثورة الإمام الحسين وأثرها على حركات المعارضة: ص ٢٣-٣٨؛ أحمد عليوي صاحب، مسير الإمام الحسين (عليه السلام):

ص ٢٣-٣٠؛ محسن مشكل، طريق الإمام الحسين (عليه السلام) من الحجاز إلى العراق: ص ٣-١٠.

(٢) الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٤٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤٥؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٥، ص ٦٥٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ١٩٣.

(٤) الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٨١٠.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٤٤؛ جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٨، ص ٩.

أحمر مشرق، وربما كان هذا النوع من النبات يكثر نبتة في هذا الموضع فسُمِّيَ به^(١). كما ذهب البعض إلى أنَّ المفردة غير عربية، من قبيل ما ذكره الشهرستاني من أنَّ كربلاء منحوتة من كلمتي (كور بابل)، أي أنَّها مجموعة قرى بابلية^(٢). وذهب آخرون إلى أنَّ الكلمة فارسية المصدر، فهي مركبة من كلمتين هما: كار وبابلا، ومعناه العمل الأعلى، أي العمل السماوي محل العبادة والصلاة^(٣)، وأشار أنستاس الكرمللي أنَّ كربلاء منحوتة من كلمتين (كرب) و(إل)، أي حرم الله أو مقدس الله^(٤).

إنَّ كربلاء كانت من أمَّهات مدن ما بين النهرين الواقعة على ضفاف نهر (بالاكوباس) (الفرات القديم)، وعلى أرضها كان معبد للعبادة والصلاة، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث الموتى داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، كما أنَّها كانت موجودة قبل الفتح العربي الإسلامي للعراق،^(٥) فقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا القائد العربي خالد بن الوليد^(٦) لفتحه غرب العراق سنة ١٢هـ/ ٦٣٤م^(٧).

ومهما كان من آراء المؤرخين، تبقى كربلاء الأرض المباركة التي كرَّمها الله تعالى، لأنَّها ضُمَّت بين جنباتها الجسد الطاهر لريحانة رسول الله، وامتزجت تربتها

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٥٨٦؛

تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٣.

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٨، ص ١٠.

(٣) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٢.

(٤) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٨، ص ١٠.

(٥) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٢.

(٦) يُنظر: اسماعيل ذياب خليل العزاوي، خالد بن الوليد دراسة في شخصيته ودوره في الإسلام: ص ٩٣-١٢٢.

(٧) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٥؛ جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٨، ص ١١.

مع دماء العترة الطاهرة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الكريم وأنصارهم.

لقد أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتسمية كربلاء عن طريق الوحي، وهي ربما أبعد مما ذكره المحللون لهذه اللفظة، فقد أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تفسيراً واقعياً للفظه كربلاء، يُذكر أنّ فاطمة (عليها السلام) كانت تحمل ولدها الحسين (عليه السلام)، وبعد أن أخذه منها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر ما يصيبه قالت له: «يا أبة أيّ شيء تقول؟ قال: يا ابتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجم في السماء يتهاوى إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم قالت: يا أبة أين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء»^(١).

لقد أُطلقت على كربلاء العديد من التسميات، ويمكن حصر أهمّها:

١- الطفّ: (طاء مفتوحة وفاء مشدّدة)، وهي من المواضع التي عرفها العرب قديماً بالقرب من كربلاء، وفي اللغة: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق^(٢)، وهي أرض بادية قريبة من الريف، فيها عدّة عيون جارية، منها: الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل^(٣).

٢- نينوى: (كسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو)، وهي قرية يونس بن متىّ بالموصل، وفي سواد الكوفة ناحية يقال لها: نينوى، منها كربلاء التي قُتل فيها الحسين بن علي^(٤)، وهي قرية عامرة في العصور الماضية، وتقع شمال شرق كربلاء، وهي الآن سلسلة تلّول أثرية، ممتدّة من جنوب سدّة الهندية حتى مصبّ نهر

(١) فرات بن ابراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ١٧١؛ ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١٤٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٥.

(٣) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة: ج ٨، ص ١٨.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٣٩.

العلقي في الأهوار، وتُعرف بتلول نينوى، وهي من المواضع التي نزلها الإمام الحسين عليه السلام عند وصوله العراق^(١).

٣- الغاضرية: وهي قرية من نواحي الكوفة، قريبة من كربلاء، وتُنسب إلى غاضرة من بني أسد^(٢). ويبدو أن الغاضرية ليست قديمة، فهي أنشئت بعد انتقال قبيلة بني أسد إلى العراق في صدر الإسلام، وهي أرض منبسطة، وتقع اليوم في الشمال الشرقي من شريعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام على العلقي بامتار، وتُعرف بأراضي الحسينية^(٣). وعن الإمام أبي جعفر الباقر قال: الغاضرية هي البقعة التي كلّم الله فيها موسى بن عمران، ونجّي نوحا فيها، وهي أكرم أرض الله، ولولا ذلك ما أستودع أوليائه وأنبياءه فيها، زوروا قبورنا بالغاضرية^(٤).

٤- النواويس: تأتي بمعنى القبر، وكانت مقبرة عامّة للنصارى قبل الفتح العربي الإسلامي، وتقع في أراضي ناحية الحسينية شمال شرق كربلاء قرب نينوى^(٥). وقد ذكر الإمام الحسين عليه السلام هذا الموضع في خطبته التي ألقاها في مكّة قائلاً: «كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء»^(٦).

٥- الحائر: هو قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وتُلفظ: الحاير، وهو في الأصل

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٠٨.
 (٢) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة: ج ٨، ص ٣١.
 (٣) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٤.
 (٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٠٨؛ حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل: ج ١٠، ص ٣٢٤؛ حسين البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٥٧٦.
 (٥) تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٦.
 (٦) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٠؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٣٩؛ الزرندي، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ص ٩٤.

حوض يصب إليه مسيل الماء من الأمطار، وقد سمّي بذلك لأن الماء يتحير فيه، يرجع من أقصاه إلى أدناه^(١). ويُقال للموضع الوسط المطمئن المرتفع الحروف حائر، وجمعه: حوران. وأكثر الناس يسمّون الحائر الحير يستحسنون التخفيف^(٢)، وذكر ابن منظور: وحر الماء فهو حائر، تحير تردد^(٣)، والحائر الأرض المنخفضة التي تضمّ قبر الحسين بن علي إلى رواق بقعته الشريفة، وقد حار الماء حولها عندما أراد المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) في سنة ٢٣٦هـ / ٨٥٠م إزالة القبر وإغراقه بالماء^(٤).

٦- شطّ الفرات: وهي من التسميات التي أُطلقت على أرض كربلاء، وأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) سيقتل فيها، ولما توجه الإمام علي بن أبي طالب إلى صفين، مرّ على نينوى وقف فيها ونادى: «اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشطّ الفرات»^(٥)، وعندما سُئل عن ذلك وضح بقوله: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان! قال: بل قام من عندي جبريل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات»^(٦).

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٨٩.

(٣) لسان العرب: ج ٤، ص ٢٢٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٧، ص ٣٦٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٤، ص ٢٩٩؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ١١، ص ٢٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٧، ص ٥٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣٦٥؛ تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٢١؛ تفاصيل أوسع عن الحائر الحسيني. يُنظر: أمير جواد كاظم مطر، الحائر الحسيني دراسة تاريخية (٦١-٦٥هـ / ٦٨٠-١٢٥٨م): ص ٦١.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند: ج ١، ص ٨٥؛ ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب ما نزل من القرآن في علي: ص ٢٠٩؛ ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام): ص ٣١٢؛ علي الأحدي، السجود على الأرض: ص ١٣٨.

(٦) المصادر السابقة.

٧- ظهر الكوفة: وهي من التسميات التي وردت عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذا الموضع؛ إذ قال: «بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأنّي أنظر إلى الوحوش مادة أعناقها على قبره، من أنواع الوحوش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح»^(١).

٨- عمورا: وهي ممّا ذكرها الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال: «قال لي رسول الله: يا بني إنّك تُساق إلى العراق، وهي أرض التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تُدعى عمورا، وأنّك ستستشهد معك جماعة من أصحابك»^(٢).

كما أطلق بعض المؤرّخين المحدثين أسماءً على كربلاء؛ أمثال عين تمر، قصر مقاتل، شثا، ونهر العلقمي^(٣). ومن الجدير ذكره أنّ هذه الأماكن توجد ضمن التخطيط الإداري لمحافظة كربلاء المقدّسة في الوقت الحاضر، إلّا أنّها لم تكن اسماً للموضع الذي ارتكب الأمويون فيه جريمة قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه. وبعد أن اندلعت المعركة واشتدت بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وجيش ابن سعد أخذ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يستشهدون الواحد تلو الآخر، وكلّما يصرع أحد يوصي الذي من بعده بالدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام والموت دونه، فكانوا

(١) ابن نما الحليّ، ذوب النضار في شرح الثار: ص ٢٣؛ عبد الله البحراني، العوالم الإمام الحسين: ص ٤٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٠٥؛ حسين النوري الطبرسي، مستدرک الوسائل ج ١٠، ص ٢٥٨.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٤٨؛ ابن نما الحليّ، ذوب النضار في شرح الثار: ص ١٣؛ حسن بن سليمان الحليّ، مختصر بصائر الدرجات: ص ٣٧.

(٣) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة: ج ٨، ص ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٧؛ تحسين آل شبيب، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٧.

يتنافسون في ذلك بين يديه حتى قتل أصحابه عن آخرهم^(١). وبعد ذلك برز بنو هاشم حتى نالوا الشهادة^(٢)، وظلَّ الإمام الحسين (عليه السلام) وحيداً يناجز الجيش الأموي، إلى أن حمل الجند ومالوا عليه من كلِّ جانب رميةً بالسهم وطعنًا بالرمح وضرباً بالسيوف، فقال سنان بن أنس النخعي^(٣) - بعد أن سقط الإمام الحسين (عليه السلام) على الأرض - لخوئي بن يزيد الاصبحي^(٤): «احتزَّ رأسه، وأراد أن يفعل فضعُف وأرعد،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٣٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٠٠؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٦٠؛ خليفة ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٠٦-٤٠٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٦-٢٥٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٩؛ ابن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ١١٠.

(٣) هو سنان بن أنس ابن عمرو بن حيٍّ بن الحارث بن غالب بن مالك بن وهيب (بطن من النخع) بن سعد ان النخع بن سعد بن عمرو بن علة بن جلد، وقد أفلت سنان من قبضة المختار الثقفي في الكوفة عندما كان يتتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهرب إلى البصرة وهُدِمت داره في الكوفة، وبقي سنان حياً إلى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ / ٦٩٤-٧١٣م) الوالي الأموي على العراق، والتقى بالحجاج في مجلس عقده الأخير لتكريم أصحاب البلاء الحسن، وعندما أترف سنان بأنَّ بلاءه هو قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنَّه لم يُشرك أحداً في فعله ذلك، عندها لم يكرمه الحجاج وطرده، ورجع إلى بيته، واعتُقل لسانه وذهب عقله، ويُحدِّث في مكانه. يُنظر: يحيى بن معين، تاريخ: ج ١، ص ٣٦١؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٥؛ السمعاني، الأنساب: ج ٥، ص ٦١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢، ص ١٤٣؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٥٨؛ ابن خلدون، تاريخ: ج ٣، ص ٢٦.

(٤) هو خوئي بن يزيد الأصبحي من حمير، ولم توجد له ترجمة وافية في المصادر التي بين أيدينا، ويبدو أنَّه كان جندياً عادياً في جيش ابن سعد، وما ذُكر عنه هو حَزَّ رأس الحسين أو حمله إلى ابن زياد في الكوفة، كما أنَّه قتل اثنين من أولاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم عاشوراء، هما جعفر وعثمان أخوا العباس، وأمَّهما أم البنين. وكانت نهاية خوئي على يد المختار الثقفي، الذي كان يتتبع قتلة

فقال سنان: فتّ الله عضديك وأبان يديك، فنزل إلى الإمام الحسين عليه السلام فذبحه، واحتزّ رأسه وسلمه لخوئي، وسلب ما كان عليه^(١).

لقد مارس الجيش الأموي أقصى أنواع القسوة مع الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فلما علا بكاء النساء وصياحهنّ عند علمهنّ بمقتل الإمام الحسين عليه السلام أمر ابن سعد بتقويض المضارب، وحرّق الخيام التي لم يبق فيها إلّا النساء والأطفال^(٢). وانتهب الجند بعد إحاطتهم بالخيام والدخول إليها قبل حرقها متاع الإمام الحسين عليه السلام وثقله، فكانت المرأة تُنازع عن ثوبها حتى يؤخذ عنها^(٣).

لقد اختلف المؤرّخون في تحديد من احتزّ رأس الحسين فقيل: إنه خوئي بن يزيد الاصبحي^(٤)، وقيل: شبل بن يزيد الاصبحي أخو خوئي^(٥)، وقيل: سنان بن أنس

الحسين ويقتصّ منهم، وعندما تمّت مداومة بيته دلّت على مخبأه زوجته، فمسكوه وقتلوه. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣٧٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٤١؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٢، ص ١٨٠؛ التبريزي، الاكمال في أسماء الرجال: ص ٤٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٣، ص ٢٧٣.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٠؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٤١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٢٥.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٠-٢٠١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٠٩-٤١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٣٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٥٩-٤٦٠.

(٤) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٧٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٤١؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١١٩؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٨٠.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٨.

النخعي^(١)، وقيل: الشمر بن ذي الجوشن^(٢) وهو المشهور^(٣)، وأياً كان منهم فإنهم جميعاً شاركوا في قتله وأهل بيته وأصحابه، إما بسهم أو بطعنة رمح أو بضربة سيف. ألم يكن الشمر على مدار المعركة صوّالاً وجوّالاً قاسياً جبّاراً، يحاول حرق فسطاط الإمام الحسين على أهله (عليه السلام)^(٤)؟! كذلك عمر بن سعد ألم ينفذ أمر عبيد الله ابن زياد، فاختر عشرة من أفراد جيشه ليسحقوا جسد الإمام الحسين (عليه السلام) ويرضّوا صدره وظهره؟^(٥)!

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٦؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ٢١٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٧٩؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٨.

(٢) شمر ابن ذي الجوشن اسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي أبو السابعة، من كبار قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، كان في أول أمره من ذوي الرياسة في هوازن موصوفاً بالشجاعة، ويُعدّ من التابعين وأباه من الصحابة، وإنّ إسلام الأخير كان بعد فتح مكة، وشهد الشمر يوم صفّين مع الإمام علي (عليه السلام) يقود إحدى كتائب الجيش، وبعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تغيّر الشمر وأصبح يميل إلى الأمويين، وكان من بين الأمراء الأمويين الذين خذّلوا الناس عن نصرته مسلم بن عقيل (عليه السلام) في الكوفة، وكانت نهاية الشمر على يد المختار الثقفي. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٠٣؛ ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٧٦؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ٧، ص ٣٠٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ج ٢، ص ٢٨٠.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١١٤؛ ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٤٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢١؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٨.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٧؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٢٥٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦.

وهكذا قُتل الإمام الحسين عليه السلام، وعدد من بني هاشم من آل بيته، وعدد من أنصاره، فقد أُريد من هذه المعركة القضاء على هذا البيت بالكامل، إذ سُجّلت جريمة لا تُغتفر على مرّ العصور، ويمكن القول من أنّه لا تتكرر مثيلتها في التاريخ. ومع ذلك لم يكتفِ الأمويون بذلك، ففي اليوم التالي من يوم المعركة ساقوا عائلة الإمام الحسين عليه السلام، ممّن بقي منهم من الأطفال والنساء سبايا والرجال المرضى أسارى، وطافوا بهم مدن وقرى كربلاء والكوفة والشام، وهذا ما ستحدث عنه في الفصول القادمة.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى الكوفة

المبحث الأول : معنى السبي لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني : مفهوم آل البيت عليهم السلام

المبحث الثالث : بدء السبي والوصول إلى الكوفة

المبحث الأول

معنى السبي لغةً واصطلاحاً

لم يكتفِ الأمويون يوم عاشوراء في العاشر من محرم سنة ٦١هـ - الموافق للعاشر من تشرين الأول ٦٨٠م - بارتكابهم جريمة الإبادة الجماعية، وذلك بقتلهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام وآل بيته من أبنائه وإخوته وأبنائهم وأبناء عمومته أولاد عقيل وجعفر، فضلاً عن أنصاره من غير الهاشميين؛ بل قاموا بسبي أهله وأهل أنصاره. قبل أن نتناول كيفية سبي آل البيت من أرض المعركة بعد ظهر يوم الحادي عشر من المحرم متوجهين بهم إلى الكوفة^(١)، لا بدّ أن نتطرّق أولاً إلى معنى السبي لغةً واصطلاحاً، وجذوره التاريخية عند الأمم المجاورة للعرب، والكيفية التي كانت عليها ظاهرة السبي عند العرب قبل الإسلام وأثناءه، وهل يحلُّ سبي نساء المسلمين وأسر رجالهم، ولا سيما آل بيت الرسول ﷺ؟! فقد اتصف تعامل الرسول ﷺ بالرحمة والحسنى مع سبايا المشركين والقبائل الأخرى التي أعلنت عداءها للإسلام والمسلمين^(٢).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٥٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٨؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٤؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٦؛ ابن نما الحلّي، مثير الأحزان: ص ٦٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٤؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٦٣٠.

(٢) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٣، ص ٧٩٩؛ ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ١٦؛ الطبري،

أولاً: السبي لغةً

وردت كلمة السبي لتدلّ على عدّة معانٍ، وقد أشار إليها علماء اللغة وبيّنوا معناها: سبّى: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، مقصور، على وزن فعلى: رملة، معروفة بديار غطفان، وهذا لا علاقة له بما نحن فيه. والسبي: نهب وأخذ النّاس عبيداً وإماءً^(١)، والسبية: المرأة المنهوبة^(٢)، ويقال للغلام: سبيّ، ومسبيّ، وللجارية: سبيّة، ومسبيّة، وجمعها سبايا^(٣)، وتسابى القوم، سبى بعضهم بعضاً^(٤)، ويُقال: هؤلاء سبيّ كثير وقد سبيتهم سباً^(٥).

والسبي يقع على النساء خاصّة^(٦)؛ لأنّهنّ يسيبن فيملكن، ولا يُقال ذلك للرجال^(٧)، ويُقال: سبى، والسبي، وسبا هو الأسر^(٨).

وقد استعملت كلمة الأسارى مقابل السبايا، والسبي أعمّ مورداً من الأسير؛

تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢؛ الطبراني، الأحاديث الطوال: ص ١٤-١٦؛
الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ٩، ص ٥١-٥٢؛ البغوي، معالم التنزيل: ج ٤،
ص ١٩٦؛ الطبرسي مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٠٣؛ ابن قدامة، المغني: ج ١٢، ص ٣٤٠؛ ابن
الأثير، أسد الغابة: ج ٥، ص ٤٩٠.

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٤٠؛ فخر الدين الطريحي، مجمع
البحرين: ج ١، ص ٢١٣.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤،
ص ٣٦٨.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٤٠؛ الفيومي، المصباح المنير في غريب
الشرح الكبير ج ١، ص ٢٦٥؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ٢١٣.

(٤) الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣١٣؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٥) الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣١٣؛ الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٤٢١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٦٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٤٠.

(٧) الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ٥٠٥.

(٨) الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٣٧١؛ عبد القادر البغدادي، خزنة الأدب: ج ٩، ص ٢٣٠.

لصدقه على أخذ مَنْ لا يحتاج إلى قوّة كالنساء^(١). وقد استعمل في القرآن الكريم، المعنى الأول دون الثاني، أي الأسر بدل السبي، قال تعالى: ﴿... فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ...﴾^(٣).

ثانياً: السبي اصطلاحاً

يُطلق مصطلح السبي على النساء اللائي يتعرضن للنهب من قبل قبيلة مهاجمة لحيهنّ، مستغلين انشغال رجال قبيلتهن في حرب مع قبيلة أخرى بعيدة عن مضاربهم^(٤)، أو قد يكون مباشرة من قبل القبيلة الغالبة على القبيلة المغلوبة^(٥). وعادةً ما يكون السبي سهلاً؛ لأنّه يقع على النساء^(٦) المجردات من السلاح اللائي سقط عنهنّ القتال^(٧).

ويُطلق مصطلح الأسر على الرجال المقاتلين في ساحة المعركة بعد وقوعهم في أيدي أعدائهم الذين غلبوهم.

(١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٣٤.

(٢) الأحزاب: آية ٢٦.

(٣) الانفال: آية ٦٦.

(٤) يُنظر: إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام: ص ١٤.

(٥) يُنظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، أيام العرب قبل الإسلام: ج ٢، ص ١٥٧-١٥٩؛ الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار: ص ٤٥، ٧٨؛ إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٧٦، ٨٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٦٨.

(٧) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ج ٦، ص ١٦٥؛ ابن خزيمة، صحيح: ج ٤، ص ٣٥٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ج ٢، ص ٨٣؛ البيهقي، السنن الكبرى: ج ٤، ص ٣٥٠؛ ابن قدامة، المغني: ج ١٠، ص ٣٦٦.

ويصبح النساء والرجال عند وقوعهم في السبي والأسر عبيداً لأسيادهم^(١)، ويسخروهم لخدمتهم كيفما يشاؤون^(٢).

ويُطلق عليهم الرقيق أو الرق^(٣)، والرق في اللغة: هو الملك والعبودية^(٤) ورق صار رقاً واسترقه فهو مرقوق، ومرق ورقيق، وجمع الرقيق أرقاء^(٥). والرقيق من الألفاظ التي تُقال للواحد والجمع. والعبد: رقيق، والعبيد: رقيق أيضاً. والرق يُمثّل الخضوع والطاعة، والإسترقاء هو الإدخال في حالة الرق، وهي حالة تملكه وصيرورته عبداً لسبب ما من أسباب الإسترقاق المختلفة، وبذلك يُحرّم الإنسان من حريته ويكون ملكاً لغيره، ويحوّل إلى ما يشبه المتاع الخاص لسيدّه، ويُقال في الانتقاص من كرامته، إذ إنّ الحقّ لسيدّه في بيعه أو إيجاره لمن يشاء^(٦).

والرقّ عند فقهاء الإسلام عبارة عن حكم شرعي^(٧)، حيث يكون جزاء على بقاء الإنسان على الكفر^(٨)، ومع ذلك فإنّ الإسلام عدّ الرقّ حالة مؤقتة وطارئة في حياة الإنسان، وأنها ليست طبيعية؛ لأنّ الأصل هو الحرية والمساواة بين البشر، وانفرد الإسلام بإيجاد الطرق العملية للقضاء على الرقّ وتخفيف منابعه، أو حصره

(١) عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ٣٢.

(٢) ويل ديورانت، قصّة الحضارة: ج ١، ص ٤٨؛ عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ١٥.

(٣) الجوهرى، الصحاح: ج ٤، ص ١٤٨٤؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٤) الجوهرى، الصحاح: ج ٤، ص ٤٨٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٢٠٩.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٠؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٦، ص ٣٥٨.

(٦) محمّد الخضري، الرقّ في الإسلام: ص ٧؛ التوني، محمّد محرّر العبيد: ص ٩.

(٧) محمّد التهاوني، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية: ص ٥٨٢.

(٨) محمّد أبو اليسر عابدين، القول الوثيق في أمر الرقيق: ص ٦.

في مجال ضيق؛ لكي يتمّ الإجهاز على هذه الظاهرة البغيضة إلى الأبد^(١).
ومّا تقدّم يمكن القول أنّ مفردات الأسير والعبد والرقّ والرقيق تُطلق على الرجال الذين يقعون في الأسر، ومفردات السبي والحارية والإماء والرقّ والرقيق تُطلق على النساء اللواتي يقعن في الأسر، أو عند شراء الرجل أو المرأة على السواء. ومن الجدير بالإشارة إليه هنا أنّ مصطلح السبي في الوسط الشعبي المتداول بين الناس منذ وقت ليس بالقصير، ولا سيما في العراق؛ يُطلق على الرجال والنساء الذين سُبّوا وأُسرُوا من آل البيت عليهم السلام بعد معركة الطفّ، فيُقال عن اليوم الذي رجع ما تبقى من عائلة الإمام الحسين عليه السلام من بلاد الشام إلى العراق بعد انتهاء مدّة السبي لهم - وهم نساء كثر ورجال قليل - يوم السبايا، أو مردّ الرؤوس، أو الأربعين.

ثالثاً: الجذور التاريخية للسبي

إنّ الإحاطة بتاريخ السبي أمر ليس بالسهل، وقبل الخوض فيه لا بدّ من استعراض الكيفية التي كان فيها السبي قبل الإسلام بشكل موجز، فيجب الوقوف عند هذه الظاهرة الاجتماعية ومحيطها الذي ظهرت فيه، وانعكاساته على الإنسان العربي في مجتمعه. والغرض من ذلك هو معرفة حال السبايا وطرق معاملتهم، والكيفية التي تمّ فيها سبيهم لدى الأمم الأخرى المجاورة للعرب، والتي يرتبطون معها بعلاقات شتى، ولم يتمكّن العرب المسلمون التخلّص من ظاهرة السبي حتى في ظل الإسلام.

(١) محمّد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ص ٢٣٢؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام: ج ١، ص ٣١٤؛ رائد محمّد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية: ص ١١٥.

كان السبي يحدث جرّاء الحروب التي تحدث بين الجماعات أو الأقوام لأسباب مختلفة، وشعار الحرب يومئذ سبيّ للمغلوب، فللغالب أن يستولي على أرض المغلوب، ويغنم أمواله، ويقتل ويأسر مَنْ يشاء من الأفراد مثل النساء والولدان، وله أن يصلح المغلوب أو يكتفي بفرض الجزية عليه^(١). ثم أخذ الغالب في الاستفادة من السبايا والأسرى لتشغيلهم خَدَمًا في البيوت، وفي الزراعة ورعي الماشية، أو في صناعة الشباك التي تستخدم للصيد، وهنا حلّ استخدام الأسير في تلك الأعمال محلّ قتله^(٢). ويُعدّ هذا الأمر تقدّمًا أخلاقياً عظيماً حين أقبل عن قتل الأسير؛ إذ إنّ الأسير هنا إكتفى عدوه باسترقاقه^(٣). ومع أنّ عيش الرقّ في أدنى مراتب الحياة إلّا أنّه أهون وأفضل من القتل الذي كان يتّبعه الغالب مع المغلوب^(٤). إنّ الحروب يشعل فتيلها اتفه الأسباب، وقد كانت سبباً في بادئ الأمر لظهور السبي، ومن ثمّ تحوّلهم إلى الرقّ؛ إذ عرفوا قيمة الأسرى، فأخذوا يسترقّونهم ويتاجرون بهم في الأسواق، حيث نشأت وراجت أسواق النخاسة^(٥) في كثير من بلدان العالم، وكان النخاسون فيها يبيعون السبايا الذين كانوا يحصلون عليهم من خلال مرافقتهم للجيش، إذ لم يكن همّهم التصديّ للعدو، وإنّما من أجل الحصول

(١) عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥.

(٣) ويل ديورانت، قصّة الحضارة: ج ١، ص ٣٧.

(٤) عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ٣٨.

(٥) أسواق النخاسة، وهي الأسواق التي يُباع فيها الأسرى والسبايا، والذين يقومون بعملية البيع والشراء يُسمّون بالنخاس، وهم الذين يبيعون الدواب، وسُمّوا بذلك لنخسهم إيّاها حتى تنشط، وحرقتهم النخاسة، ويُسمّى بائع الرقيق نخاساً. ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ٦٠٣.

على السبايا الذين سيقعون أسرى بأيدي الجيوش المنتصرة^(١).

ثم ازدادت الحاجة إلى العبيد من الأسرى والسبايا من النساء لتلبية متطلّباتهم، ولم تكن الحروب كافية لسدّ تلك المتطلّبات، ممّا دفع إلى ظهور مصادر جديدة غير الحروب للسبي والحصول على الرجال والنساء لاسترقاقهم، كالقيام بعمليات الخطف أو الشراء، فتألّفت عصابات في البر والبحر تقوم بالإغارة على القوافل البرية، أو المراكب البحرية التي تحمل المسافرين، أو تغير على جماعة آمنة فتأسر الرجال وتسبي النساء والأطفال، وتسوقهم إلى مدن بعيدة، يُباعون فيها ويُصبحون رقّاً بعد أن كانوا أحراراً^(٢).

كانت عادة الرومان القدماء إستعباد الأسرى وتحويلهم إلى رقيق. وفي البداية لما كان عدد الأرقاء قليلاً جعل سادتهم يحسنون معاملتهم ويعدّونهم أعضاء ذوي نفع كبير، ثمّ بدأت روما في القرن السادس للميلاد عمليات الغزو والتوسّع للسيطرة على الدول المجاورة لها، ممّا أدّى إلى وقوع أعداد كبيرة من الأسرى بأيديهم بعد انتصاراتهم في المعارك التي جرت مع تلك الدول^(٣)، وانحطّت بعد ذلك منزلة الرقيق.

وكانت قوانين الروم تبيح معاملة العبيد كما يعامل الإنسان متاعه؛ لأنّهم يعدّون الأسرى فاقدى الحقّ في الحياة لوقوعهم في الأسر^(٤).

(١) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام): ص ٢٣٢.

(٢) عبد السلام الترماني، الرّق ماضيه وحاضره: ص ١٧.

(٣) ويل ديورانت، قصّة الحضارة: ج ٣، ص ٤٨؛ رستوفتف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي: ج ١، ص ١٦.

(٤) ويل ديورانت، قصّة الحضارة: ج ٣، ص ٤٨؛ عبد السلام الترماني، الرّق ماضيه وحاضره: ص ٥٤؛ شادي ابراهيم، السبي في صدر الإسلام: ص ١٠.

وكان النخاسون يتخذون من الحروب الكثيرة التي اعتاد الروم على إشعالها مواسم لتجارتهم، وكانوا يصحبون الجيوش من أجل أن يشتروا الأسرى والسبايا، من صبيان وبنات ورجال ونساء بأبخس الأثمان، حتى كان الغني من النخاسين يشتري عدداً كبيراً من البشر في صفقة واحدة عقب نصر كبير. وبالرغم من كونها خزياً وعاراً إلا أن تاريخ الاستعمار الروماني عدّها عظمةً ومجداً^(١).

وكان في روما سوق للرقيق تُعرض فيها هذه البضائع في المزاد العلني على ربوة مرتفعة، ويكون الرقيق عارياً من كلّ ما يستره ذكراً كان أم أنثى، صغيراً أم كبيراً، ولكن شاء من الناس أن يدنو من هذا اللحم الحي المعروض للبيع فيجسسه بيده ويقلبه كيف يشاء، ولو لم يشتريه في النهاية^(٢).

وقد وضع جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)^(٣) عدداً من القوانين المتعلقة بالرقيق للرفقة بهم، وحسّن التعامل معهم، ودعا إلى تشجيع عتق الرقيق، ولكنه لم يلغ الرق، وسمح باسترقاق فلاحي الأرض^(٤).

أمّا الفرس فإنّ إمبراطوريتهم كانت من أقدم الإمبراطوريات التي نشأت في

(١) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام): ص ٢٣٢؛ عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ٥٤؛ علي كسار، الجذور التاريخية لظاهرة الرقّ عند الشعوب القديمة وعرب الجزيرة قبل الإسلام: ص ٤٨.

(٢) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام): ص ٢٣٢؛ عبد السلام الترماني، الرقّ ماضيه وحاضره: ص ٨٧.

(٣) هو أحد أباطرة بيزنطة، تولى الحكم بعد وفاة عمّه جستن الأول، ومن أعماله إصلاحه للقوانين، وعُرفت في ما بعد باسمه، كقانون جستنيان، وقد توسّعت دولته في عهده. يُنظر: محمود سعيد عمران، تاريخ الامبراطورية البيزنطية: ص ٤٦؛ ساليان، ورثة الامبراطورية الرومانية: ص ٥١.

(٤) ويل ديورانت، قصّة الحضارة: ج ٤، ص ٢٢٧؛ شادي ابراهيم، السبي في صدر الإسلام: ص ١٠.

العالم القديم، وكان التنافس شديداً بينها وبين الرومان، ممّا أدّى إلى حصول كثير من الحروب بينهما من أجل السيطرة على مناطق العالم، وفي هذه الحروب كان الفرس يحصلون على أعداد كبيرة من الأسرى، ومن بين تلك الحروب ما قامت به الإمبراطورة خماني (١١٢-١٤٠م)^(١) ملكة الفرس، حيث قادت الجيش الفارسي لغزو الروم، وفعلاً ألحقت بهم الهزيمة، وسبت منهم سبياً كثيراً^(٢).

ولمّا تولّى سابور بن هرمز (٣٠٩-٣٧٩م)^(٣) الحكم هاجم العرب فقتل وأسر منهم أعداداً كبيرة^(٤)، ثمّ توجه إلى الروم وتمكّن من التغلّب عليهم وسبى منهم سبياً كثيراً^(٥)، وغزاهم سابور مرّة أخرى فقتل وسبى سبياً كثيراً منهم، وأسكن السبي مدينة بناها لهم، سُمّيت إيران شهر سابور^(٦).

(١) هي خماني بنت بهمن بن سفنديار، تولّت الملك لكمال عقلها وبهاؤها وفروسياتها ونجديتها، وإحسان أبيها لرعيته، وكانت تلقّب بشهرزاد. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٤٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ١، ص ٤٢١.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٤٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ١، ص ٤٢١.

(٣) هو سابور ذو الاكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير، تولّى الملك بوصية أبيه، وعند تولّيه الملك أبقى على وزراء وكتّاب أبيه. يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ١٦٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٤٩٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف: ص ٦٥٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٤٩١؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ١، ص ١٤٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٢، ص ٨٤.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٤٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٢، ص ٧٨. ومدينة إيران شهر سابور، أسماها سابور باسمه، وهي بالكسر وراء والـف ونون ساكتتان، وفتح الشين المعجمة، وهاء ساكنة، وراء أخرى، ويقصد بالاسم (إيران شهر) أقاليم العراق وفارس والجلال وخراسان، والفرس تقول: إيران اسم أرفخشذ بن سام بن نوح، وشهر يعني البلد، فهو اسم مركّب معناه بلاد أرفخشذ. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٢٨٩.

السبي عند العرب قبل الإسلام

لم يكن العرب بعيدين عما يحدث في الدول المجاورة لهم من السبي والأسر، حيث كان الرقّ منتشرًا عندهم، وتعداد الرقيق ملفتا للنظر، واسترقاق العربي لأخيه العربي رائجاً بينهم، ولا يجدون فيه حرجاً، وكانت ظاهرة الإغارة والغزو بين القبائل العربية شائعة، فكانت القبائل القويّة تفرض سيطرتها على القبائل الضعيفة، ويحلّ لها ما تشاء من استعباد وبيع وإهداء، وفرض على الأسرى والسبايا القيام بأعمال تثقل كاهلهم، وذلك تحت ظروف معيشية متدنّية وغير لائقة في أبسط مقوّمات الحياة الضرورية للإنسان، وأحياناً يتعرّض الإنسان الذي يتنقل من مكان إلى آخر بسبب التجارة أو زيارة الكعبة المشرفة للخطف والأسر، ويُباع في الأسواق كأبيّ سلعة تباع فيه^(١).

لقد وقعت بين القبائل العربية كثير من الحروب، أطلق المؤرّخون عليها اسم الأيام^(٢)، أو الغارات^(٣)، وغالباً ما كان يُسمّى اليوم الذي تقع فيه الحرب باسم الموضع الذي وقعت فيه الحرب، أو بالشيء البارز فيها، أو بأسماء القبائل التي دارت بينهم الحرب. وقد حدثت عمليات سبي في هذه الحروب^(٤). وكانت أكثر أسباب هذه الحروب - الأيام - هو جور وتعسف حكام القبائل القويّة على القبائل الضعيفة الخاضعة لهم، وقد يكون سببها النزاع على ماء أو مرعى، أو الأخذ بالثأر،

(١) محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ج ٢، ص ٢٨٨؛ أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (صلى الله عليه وسلم): ص ١٦٨.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٥، ص ٣٤١.

(٣) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٣؛ شياء فاضل عبد الله الحميدي، البداوة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية: ص ١٥٧.

(٤) عن هذه الأيام يُنظر: إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٣٧، ٧٦، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ١٠٩.

أو محاولة التخلص من حكم قبيلة على أخرى بظهور شخصية قوية في القبيلة الخاضعة^(١).

وكان الأسرى في حروب العرب يوثقون بوثق قوي حتى لا يتمكنوا من الهرب، ثم يُنقلون إلى بيوت أسريهم، وإذا كان الأسرى جماعة فيُنقلون إلى أحياء القبائل للنظر في أمرهم، ومنهم من يمنّ عليهم بإطلاق سراحهم، ومنهم من يُعطى هبة للقادة أو المحاربين، أو يُبادلون بأسرى حرب كانوا بأيدي المغلوبين، أو يُفدّون بهال، أو وسائل أخرى^(٢).

الأسر والسبي في الإسلام

إنّ جهاد العرب المسلمين في السنوات الأولى من تاريخ الدولة العربية الإسلامية وبعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة، تمثّل في المعارك - الغزوات والسرايا - التي كانت تهدف إلى نشر الإسلام أو الدفاع عنه من مهاجميه المشركين والقبائل العربية، ومنها اليهودية التي أعلنت عداها للإسلام والمسلمين، وقد حدثت في هذه المعارك عمليات أسر وسبي، وقد أقرّ الإسلام ذلك.

لقد كانت أعداد السبايا والأسرى التي حصلوا عليها كبيرة من المعارك التي خاضوها مع أعدائهم في معركة بدر^(٣) سنة ٢هـ/٦٢٣م، وفي غزوهم لبني

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٥، ص ٦٣٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الواقدي، المغازي: ج ١، ص ١١٥؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج ٢، ص ٤٧١. وبدر، بالفتح ثم السكون، وهو موضع ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، ووقعت في هذا المكان معركة بدر بين المسلمين والمشركين في عام ٢هـ/٦٢٣م، وكان النصر حليف المسلمين. يُنظر: الواقدي، المغازي: ج ١، ص ١٩؛ ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٤٤٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ١٣١؛ ياقوت، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٢١٦؛ المقرئ، إمتاع الأسماع: ج ٨، ص ٣٤٠.

قريظة^(١) سنة ٦٢٦هـ / ٦٢٦م، ومن حسمى^(٢) عندما وُجِّهَتْ إليها سرية^(٣) سنة ٦٢٧هـ / ٦٢٧م، وفي معركة حنين^(٤) سنة ٦٢٨هـ / ٦٢٨م. وعند النظر في حصّة أعداد الأسرى والسبايا - التي قُدِّرَتْ بالآلاف^(٥) - التي كانت للمسلمين في معاركهم، نجد أنّها أرقام مبالغ فيها؛ لأنّها لا تنسجم مع مبادئ الإسلام الحنيف، ولا تنسجم مع أخلاق الرسول ﷺ الذي بُعث رحمة للعالمين.

ولكن يمكن التساؤل هنا: لماذا لم يبلغ الرسول ﷺ عمليات السبي؛ وكيف كان تعامله مع الأسرى والسبايا؟

إنّ بزوغ نور الإسلام على الحياة البشرية الذي حمل لواءه الرسول محمد ﷺ غير كثيراً من الأمور التي كانت سائدة قبل ذلك، سيما ما يتعلّق بالأسرى والسبايا، لأنّها كانت منافية للأخلاق والقيم التي جاء بها الإسلام، فلا بدّ من تغييرها بما يجعلها متلائمة مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الذي رفع راية المساواة بين النّاس، فالأفضلية بينهم إنّما هي بالتقوى والإيمان^(٦)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا

(١) المقرئزي، إمتاع الأسعاع: ج ١، ص ٢٥٣؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد: ج ٥، ص ١٥.

(٢) بالكسر ثمّ السكون، مقصور، يجوز أن يكون أصله من الحسم وهو المنع، وهو أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان. يُنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ٤٤٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٥٨.

(٣) الواقدي، المغازي: ج ١، ص ٥٥٨؛ ابن سعد، غزوات الرسول ﷺ وسراياه: ص ٨٨؛ ابن سيد النّاس، السيرة النبوية: ج ٢، ص ١٠١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ١٥٢؛ ابن سيد النّاس، السيرة النبوية: ج ٢، ص ٢١٩. حنين: وهي المعركة التي أنتصر فيها المسلمون على المشركين عام ٦٢٩هـ / ٦٢٩م. يُنظر: الواقدي، المغازي: ج ٢، ص ٨٨٥؛ ابن هشام، السيرة: ج ٤، ص ٨٨٩.

(٥) الواقدي، المغازي: ج ٢، ص ٩٤٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٤، ص ٩٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ٨٨؛ المقرئزي، إمتاع الأسعاع: ج ١، ص ٢٥٣.

(٦) محمّد جابر الحيني، دراسات إسلامية في القرآن الكريم: ص ٤٦.

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١)، وانسجاماً مع الآية الكريمة المتقدمة كان موقف الرسول صلّى الله عليه وآله من الأسرى والسبايا موقفاً إنسانياً، أما سبب عدم إلغاء الرسول صلّى الله عليه وآله والمسلمين من بعده عمليات السبي هو وجود حروب بين المسلمين وأعدائهم، وهؤلاء الأعداء يستحلّون سبي واسترقاق المسلمين، لذلك لا بدّ أن تكون معاملة الرسول صلّى الله عليه وآله والمسلمين بالمثل لردعهم^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَعْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وِثْمٍ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٣)، ومع ذلك فإنّ الإسلام وضع نظاماً لأسرى وسبايا الحرب لم يكن معروفاً قبل الإسلام، إذ عدّهم أرقاء بشرط أن يضرب الإمام عليهم الرقّ بسبب بقائهم على الكفر^(٤)، وأحياناً قبل أن يضرب عليهم الرقّ تحدث عملية تبادل الأسرى بين المسلمين والمتحاربين معهم، أو قد يمنّ المسلمون على الأسرى والسبايا ويطلقون سراحهم بدون مقابل، وفي أحيان أخرى في مقابل أخذ الفداء منهم، أو قد يكلفونهم بعمل يؤدونه فيطلق سراحهم، وهذا ما فعله الرسول صلّى الله عليه وآله مع أسرى معركة بدر، سيما الذين لم يكن بمقدورهم دفع الفدية، وكانوا يعرفون القراءة والكتابة، فاشتراط الرسول صلّى الله عليه وآله عليهم بأن يفتدي كلّ واحد منهم نفسه، مقابل تعليم القراءة والكتابة لعشرة من أبناء المسلمين^(٥).

(١) الحجرات: آية ١٣.

(٢) أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام): ص ٢٣٦.

(٣) محمد: آية ٤.

(٤) السرخسي، شرح السير الكبير: ج ١، ص ٢٩٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ج ٢، ص ٢٢؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٣، ص ١١٠؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ١٧، ص ٥٦.

ومن الجدير ذكره أنّ الوقوع في الأسر عند المسلمين شيء مؤقت، قد يزول بالمنّ أو الفداء بعد انتهاء الحرب، وأنّ كثيراً من الأسرى سوف لن يصبح رقيقاً يباع في أسواق النخاسة. وما وقع من قتل لبعض الأسرى إنّما كان على نطاق ضيق جداً وفي حالات خاصّة^(١). وأنّ معاملة العبيد الرقيق تختلف عمّا كان موجوداً عند العرب قبل الإسلام، إذ إنّ الشريعة الإسلامية أوجدت منافذ عديدة لعرق العبيد، منها المكاتب^(٢)، وهي: شروط معيّنة بين العبد وسيّده، بحيث يُعتق العبد إن إلّتم بها^(٣)، وقد حثّ القرآن الكريم على المكاتب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾^(٤).

وقد أكّدت التعاليم الإسلامية على معاملة العبيد بالحنس والساحة والنبل، وحثّت على ذلك الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللّٰهُدٰى لِحَسَنٰا وَبِذٰى الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسْكِيْنِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصّٰحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا

(١) لقد منّ الرسول ﷺ على أبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي عندما وقع في الأسر بمعركة بدر، وأطلق سراحه؛ لأنّه كان فقيراً وكثير البنات، وأخذ منه عهداً بأن لا يقاتله بعد ذلك، إلّا أنّ عبد الله الجمحي لم يف بذلك وقاتل المسلمين في معركة أحد، ووقع في الأسر، ممّا جعل الرسول ﷺ يعاقبه بالقتل؛ لعدم إيفائه بالعهد. يُنظر: الزبيري، نسب قریش: ص ٣٩٧.

(٢) معنى الكتابة في الشرع هي: أن يُكاتب الرجل عبده على مال يُؤديه مُنجماً عليه، فإذا أذاه فهو حرّ. والمنجّم من الديون هو: الذي يُقدّر أداؤه في أوقات متتابعة شهرياً، أو سنوياً، وأصله أنّ العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها، مواقيت حلول ديونها، فيقولون إذا طلع النجم حلّ عليك مالي. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٢، ص ٢٤٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٩، ص ٣٨؛ أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام): ص ٢٤١.

(٣) سليمان حريثاني، الجواري والقيان: ص ٣٠.

(٤) النور: آية ٣٣.

مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ»^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شَرَّ النَّاسِ مَنْ بَاعَ النَّاسَ»^(٢)، وقال أيضاً: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرٍ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرٍ إِلَّا بِالْتَّقْوَى»^(٣). وقال: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يُكَلِّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ»^(٤)، وجاء عن رسول الله قوله: «مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلَنَاهُ، وَمَنْ جَدَعَهُ جَدَعْنَاهُ»^(٥)، وقال أيضاً: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُوكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ»^(٦).

وكان موقف الرسول صلى الله عليه وآله من النساء المسيبيات موقفاً إنسانياً ذا معاملة حسنة، فعندما غزى الرسول صلى الله عليه وآله بني المصطلق سنة ٦هـ / ٦٢٧م إنتصر عليهم وسبى منهم، وكانت جُويرية - وهي بنت سيدهم الحارث^(٧) - قد وقعت في السبي فافتداها أبوها وأنكحها الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أدّى هذا الزواج إلى أن يعتق المسلمون ما في أيديهم من

(١) النساء: آية ٣٦.

(٢) الكليني، الكافي: ج ٥، ص ١١٤؛ العلامة الحلي، منتهى الطلب: ج ٢، ص ١٠١٨؛ محمد بن مكي الشهيد الأول، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ج ٣، ص ٢١٨؛ المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ج ٤، ص ٢٢.

(٣) ابن حنبل، المسند: ج ٥، ص ٤١١.

(٤) مالك، الموطأ: ص ٨٣٥.

(٥) ابن حنبل، المسند: ج ٥، ص ١٠؛ الدارمي، السنن: ج ٢، ص ١٩١.

(٦) البخاري، الصحيح: ج ١، ص ١٣؛ البيهقي، شعب الإيثار: ج ٦، ص ٣٧١؛ ومعرفة السنن والآثار: ج ٦، ص ١٢٧؛ العيني، عمدة القارئ: ج ١، ص ٤٠٢.

(٧) الحارث بن ضرار الخزاعي، ويُقال الحارث بن أبي ضرار المصطلق، سكن الحجاز، وله صحبه. يُنظر: البخاري، التاريخ الكبير: ج ٢، ص ٢٦١؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٣، ص ٤٣٤؛ ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٧٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ١٦٥.

سبي بني المصطلق؛ إكراماً لجويرية، فكان إسلامها وزواجها من الرسول ﷺ بركةً على أهلها^(١).

وعندما وقعت عمّة عدي بن حاتم الطائي^(٢) سبيّة - وذلك عندما غزى المسلمون حيّها، وهي عجوز وكانت على النصرانية - أُوتِيَ بها إلى المدينة فكلمت الرسول ﷺ بأن يمنّ عليها ويطلق سراحها، فأجابها إلى ذلك وقال لها: «اذهبي فأنت حرّة لوجه الله، فاذا وجدت أحداً يأتي أهلك فأخبرينا نحملك إلى أهلك». وهذا الحدث جعل عدي بن حاتم الطائي يدخل إلى الإسلام، وفيما بعد صار له دور مهم في أحداث الإسلام^(٣).

ولما فتح الرسول ﷺ حصن ابن أبي الحقيق سنة ٧هـ / ٦٢٨م^(٤) أُوتِيَ له بصفية

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ١١٧؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ١٠١.

(٢) هو من الكرماء الاجواد، ويصل نسبه إلى قحطان، ويكنّى أبا طريف أو أبا وهب، وكان سيّداً شريفاً خطيباً حكيماً في قومه، جاء إلى النبي، وأكرمه وقرّبه ووسّع له في مجلسه، وسأل النبي عن أشياء فأجابها عنها، فأعلن إسلامه، وفي سنة ١٠هـ / ٦٣١م بعثه النبي على صدقات طي وأسد، وروى عدي عن النبي وعمر وعلي، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وقد شهد فتوح العراق والشام وفارس، وأمر على بعض الكتائب، ونزل الكوفة وسكنها، وكان من خيار أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شهد معه كلّ معاركه، وذهبت عينه في واقعة الجمل، وانضم إلى الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، تُوفي عدي في الكوفة سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م أو ٦٧هـ / ٦٨٦م. يُنظر: الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٤٤؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ١٧، ص ٦٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ١٠٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) الطبراني، الأحاديث الطوال: ص ١٦.

(٤) هو أحد حصون خيبر، ويُسمّى أيضاً بحصن السلام أو القموص، وقد تمّ فتحه في سنة (٦٢٨هـ / ٦٢٨م)، وقد أصاب رسول الله منهم سبايا. يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ٤٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٢٩٨؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٣، ص ٢٩٤.

بنت حبي بن أخطب اليهودية^(١)، ووضع عليها رداءه، وبهذا عرف المسلمون أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اصطفاها لنفسه^(٢).

ويبدو أن زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجواري جعل المسلمين فيما بعد يقومون بالزواج من الرقيق بعد عتقهم من دون حرج من ذلك.

ولولا الإسلام وسماحته وعدالته ونبله لما تمكّن كثير من الرقيق من إسهامهم في مجالات الحياة ونشاطاتها السياسية^(٣) والاجتماعية^(٤).

(١) صفية بنت حبي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير، وكانت متزوجة من سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقتها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر، أعتقها رسول الله وتزوجها وجعل عتقها مهرها، وتوفيت صفية سنة ٥٢هـ / ٦٧٢ م في عهد معاوية بن أبي سفيان، ودُفنت بالبقيع. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ١٢١؛ ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ١٣٩؛ ابن أيوب الباجي، التعديل والتجريح: ج ٣، ص ١٤٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣٠٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ١٨، ص ١٣٧.

(٣) يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٣، ص ٧٠١، ٧٠٤؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ١٤٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩، ص ٣٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٦٠؛ نجران ياسين، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة: ص ١١٣؛ رائد محمد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية: ص ٢٤-٤٥.

(٤) يُنظر: ابن قتيبة، المعارف: ص ١٤٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١، ص ٤٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩، ص ٣٥٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٢٢٤، و ج ٥، ص ٥٣٠-٥٣١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٣، ص ١١١، و ج ٨، ص ٢٨١-٢٨٢؛ جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام: ص ١٥٨؛ محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ص ٢٣٤؛ نجران ياسين، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة: ص ١٤٩؛ رائد محمد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية: ص ٧٠-٩٣.

والاقتصادية^(١) والفكرية^(٢).

وخلاصة القول: إنّ الموقف من السبايا قد تغيّر في ظل الإسلام تغيّراً جذرياً بالنظر إلى طبقة العبيد والأرقاء، بحيث أصبح مقياس التفاضل يختلف عما كان عليه قبل الإسلام، إذ تكونت مقاييس جديدة في التفاضل، كالتقوى والتقرّب من الله تعالى، وكذلك أمرت التعاليم الإسلامية المسلمين بإظهار العطف والرحمة وحُسن المعاملة مع الأسرى والسبايا، لاسيما النساء اللواتي يقعن في الأسر.

وبعد هذه الشواهد التاريخية من الرحمة والحُسنى والإنسانية التي اتّصف بها الرسول ﷺ في تعامله مع المرأة المسيّية غير المسلمة وبغض النظر عن جنسها أو لونها، سواء كانت عربية أم غير عربية؛ فكيف يكون حاله وهو يرى بناته سبايا بأيدي المسلمين، وقد قتلوا أبناءهنّ وإخوانهنّ وأزواجهنّ، ونهبوا حجابهنّ وحليهنّ وأموالهنّ، وربطوهنّ بالحبال، وساقوهنّ بالسياط من بلد إلى آخر، في حالة ذعر وخوف وذلّ وهوان يتفرّج عليهنّ النّاس؟! وهذا ما لم يفعل حتى مع نساء اليهود والديلم عند وقوعهنّ في السبي.

(١) تفاصيل أوسع عن ذلك يُنظر: فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والأسرائيليات في عهد بني أمية: ص ٣٧؛ عبد الحكي الكتاني، نظام الحكومة النبوية: ج ٢، ص ٥١-٥٢؛ جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٥٢؛ عبدالله عبد العزيز بن ادريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول: ص ٢٢٤؛ نجمان ياسين، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة: ص ١٦٦؛ رائد محمّد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية: ص ٤٧-٦٩.

(٢) تفاصيل أوسع عن ذلك يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٣٠٤، و ج ٧، ص ١٥٦؛ ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين: ج ٣، ص ٥٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ١٠٩؛ الهيثمي، موارد الظمان: ج ٥، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ رائد محمّد حامد، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية: ص ٩٤-١١٢.

المبحث الثاني

مفهوم آل البيت ﷺ لغةً واصطلاحاً

الهدف من الحديث عن مفهوم آل البيت أو أهل البيت ومكانتهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هو لمعرفة المراد من هذا المفهوم، وتحديد المصاديق له، ومن ثم بيان قدسيّة أهل هذا البيت، وهل يجوز قتل رجاله وسبي نسائه؟ وهنا سيعرف كلّ ذي لبّ وكلّ منصف ومتجرّد من الأهواء والميول - أيّاً كان دوافعها - هل ما حصل لآل البيت كان فعلاً إسلامياً يقرّه الإسلام؟ وهل ينسجم مع المروءة العربية عند العرب قبل الإسلام؟

أولاً: تحديد مفهوم الآل والأهل لغةً

لقد عرّف علماء اللغة معنى (الآل) و (الأهل) والفرق بينهما، حيث أشار الفراهيدي إلى أنّ أهل الرجل: زوجته، وأخصّ الناس به^(١)، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾^(٢). ومعنى أهل البيت: سُكَّانه، وأهل الإسلام: مَنْ يعتنقه ويدين به؛ لذا يقال فلانُ أهل كذا

(١) العين: ج ٤، ص ٨٩.

(٢) القصص: آية ٢٩.

أو كذا. وجاء في القرآن الكريم ما يدلّ على ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾^(١)، وجمع لفظة الأهل: أهالي وأهلون وأهلات^(٢).

وقال الجوهري: «آل الرجل: أهله وعياله...»^(٣)، وأمّا ابن فارس فقد قال: «آل الرجل: أهل بيته...؛ لأنّه إليه مآلهم وإليه مآله، وهذا معنى قوله: يا آل فلان»^(٤).

لم يتفق علماء اللغة على أصل لفظة (آل)، فمنهم من قال: إنّ أصل لفظة آل أهل، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: «أصل آل أهل، فأبدلت الهاء همزة ثم ألفاً يدلّ عليه، وتصغيره أهيل»^(٥)، وأشار ابن منظور إلى أنّ «أصلها أهل، ثم أُبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الأفعال آمن وآزر»^(٦). وكان يخصّ لآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم، فلا يُقال: آل الحياط وآل الإسكافي، وإنّما يقولون: القراء آل الله تعالى، واللهم صل على محمد وعلى آل محمد^(٧)، وكذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٨). وهناك قول آخر لأصل لفظة (آل) على أن أصلها أول، وهذا ما ذهب إليه الأزهري بقوله: «الآل من الأوّل وهو الرجوع، وقد آل يؤول

(١) المدثر: آية ٥٦.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٢٩.

(٣) الصحاح: ج ٤، ص ١٦٢٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٦٠.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ١، ص ٦١.

(٦) لسان العرب: ج ١١، ص ٣٠.

(٧) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: ج ١، ص ٦١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٣٠.

(٨) غافر: آية ٢٨.

أولاً^(١)، وأشار الجوهرى إلى «أن أصل الآل التأويل، تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته وتأولته تأولاً^(٢)».

إن لفظة (أهل) تستوعب معاني عدة، وتكون أكثر وضوحاً عندما تُضاف إليها قرينة، فقد أشار علماء اللغة إلى أن المراد من أهل القرى سكانها، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الكتاب أتباعه وقراءه، مثل أهل التوراة وأهل الإنجيل^(٣).

ثانياً: أهل البيت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

لقد وردت لفظة (أهل البيت) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، الأول في قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٤)، والثاني في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾^(٥)، والثالث تخص آل محمد صلوات الله عليهم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٦).

وأما لفظة آل فقد وردت في مواضع كثيرة، فضلاً عن الأسماء الظاهرة المشهورة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ

(١) تهذيب اللغة: ص ٤٣٧.

(٢) الصحاح: ج ١٤، ص ١٦٢٧.

(٣) الزبيدي، تاج العروس: ج ١٤، ص ٣٦-٣٧.

(٤) هود: آية ٧٣.

(٥) القصص: آية ١٢.

(٦) الأحزاب: آية ٣٣.

الْمَلَكُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿كَذَابٌ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٣﴾، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ ﴿٤﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥﴾.

أما في السنة النبوية الشريفة، فقد وردت لفظة (العترة) للدلالة على أهل البيت، والعترة هي: ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه. قال ابن الأعرابي: «عترة النبي ولد فاطمة البتول» ﴿٦﴾، وأشار مجد الدين بن الأثير إلى أن عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي بنو عبد المطلب. وقيل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده ﴿٧﴾، واستدل ابن منظور على أن لفظة العترة تدل على أهل البيت؛ مستنداً في ذلك على قول الرسول ﷺ نفسه: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، فجعل العترة أهل البيت ﴿٨﴾. وقد أورد ابن حنبل لفظة آل البيت مضافة إلى الرسول ﷺ، وذلك في قول الرسول ﷺ نفسه: «اللهم أجعل رزق آل بيتي قوتاً» ﴿٩﴾.

(١) البقرة: آية ٢٤٨.

(٢) آل عمران: آية ١١.

(٣) يوسف: آية ٦.

(٤) النمل: آية ٥٦.

(٥) آل عمران: آية ٣٣.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٣٨.

(٧) النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ١٧٧.

(٨) لسان العرب: ج ٤، ص ٥٣٨.

(٩) المسند: ج ٢، ص ٢٣٢.

وقد حدّد حديث الكساء مصاديق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وهم: الإمام علي بن أبي طالب، والسيدة فاطمة بنت محمد، وولديهما الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. فقد جاء حديث الكساء مفسراً للفظ (أهل البيت) التي وردت في آية التطهير، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وقد روي هذا الحديث عن بعض زوجات الرسول صلى الله عليه وآله، منهن: عائشة (ت ٥٨هـ / ٦٧٧م)، وأم سلمة (ت ٦١هـ / ٦٨٠م)، فقد قالت عائشة: «خرج النبي غداة، وعليه مرط^(٢) مرقل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٣).

وجاء عن أم سلمة أنه عندما نزلت آية التطهير «أرسل الرسول صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، وجلّ لهم بكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي^(٤)، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ فقال: أنتِ على مكانك وأنتِ على خير»^(٥).

ونقل حديث الكساء أيضا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «جَمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَا وَفَاطِمَةُ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ بِكِسَاءٍ لَهُ

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) بكسر الميم، واحد المروط، وهي: أكسية من صوف أو خزّ كان يُؤتزّر بها. الفراهيدي، العين:

ج ٧، ص ٤٢٦؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٣١٨؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٩٩.

(٣) أبو شيبة، المصنف: ج ٧، ص ٥٠١؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک: ج ٣، ص ١٤٧؛ ابن البطريق، خصائص الوحي المبين: ص ١٠١.

(٤) الحامة: الخاصة، الأقرباء. يُنظر: النحاس، معاني القرآن: ج ٥، ص ٩٠؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٧.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣١؛ ابن العربي، أحكام القرآن: ج ٣، ص ٥٧١.

وأدخلنا معه، ثمّ ضمنا، ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله وأنا؟ ودّنت منه، فقال الرسول: أنتِ على مكانك وأنتِ على خير، أعادها رسول الله ثلاثاً^(١).

كما روى عدد من الصحابة حديث الكساء، ومنهم أبو سعيد الخدري^(٢)، وواثلة ابن الأسقع^(٣).

ومما يؤكّد أنّ أهل البيت أو آل البيت هم: علي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) أنّ رسول الله كان يأتي باب علي وفاطمة (عليه السلام)^(٤) مدّة ستّة أشهر^(٥)، أو مدّة تسعة

(١) الطوسي، الأمالي: ص ٥٥٩؛ نور الله المرعشي، شرح إحقاق الحقّ: ج ١٤، ص ٥٩؛ محمّد الريشهري، أهل البيت في الكتاب والسنة: ص ٥٨.

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الانصاري، وُلِدَ قبل الهجرة بعشر سنوات، من الحفاظ الكثيرين، ومن العلماء الفضلاء، ويُعدّ من فقهاء الصحابة، شهد بيعة الشجرة واثنتي عشرة غزوة مع النبي (صلى الله عليه وآله)، وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أبي بكر وعمر وعثمان والإمام علي (عليه السلام)، واختلف في وفاته، البعض يذكر أنّه تُوفي عام ٧٤هـ / ٦٩٣م، وقيل: عام ٦٤هـ / ٦٨٤م، أو عام ٦٣هـ / ٦٨٣م، وقيل: ٦٥هـ / ٦٨٥م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٦؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ١٥٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٢٨٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٣٥.

(٣) الحسكاني، شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٨. وواثلة بن الاسقع بن كعب بن عامر، وقيل: واثلة بن الاسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشد الليثي، من أصحاب الصفة، أسلم سنة ٩هـ / ٦٣٠م، وشهد معركة تبوك، وتُوفي سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م وله ٩٨ سنة. يُنظر: خليفة بن خياط، الطبقات: ج ١، ص ٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٢٥. تفاصيل أوسع عن أهل الصفة يُنظر: ختام راهي مزهر، أهل الصفة في الإسلام دراسة في أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية حتى العصر الراشدي؛ عمر فلاح عبد الجبار عطاوي، أهل الصفة في عصر الرسالة والراشدي: ص ١٥-٢٤٤.

(٤) إبراهيم القمي، تفسير القمي: ج ٢، ص ٦٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤، ص ٢٩٠؛ ابن طاووس، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١٢٨.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ٢٠٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٥، ص ٣٤٣؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٠٩.

أشهر، وفي كل يوم خمس مرات عند وقت كل صلاة، ويقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت عليهم السلام إِنَّمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(١). وبهذا كشف الرسول صلى الله عليه وآله عن وجه الحقيقة في معنى الآية بما لا يقبل الشك.

كما بين الرسول صلى الله عليه وآله منزلة أهل البيت للأمة بقوله: «الحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما، وسيدا شباب أهل الجنة، وأُمّهما سيّدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيين، ومن ولد الإمام الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم، والمضيعين لحرمتهم بعدي، وكفى بالله ولياً وناصراً لعترتي وأئمة أمتي، ومنتقماً من الجاحدين لحقهم، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(٢). وعن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام يقول: «سمعت جدّي رسول الله يقول: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مِيتَتِي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي، فليتولّ علي بن أبي طالب وذريته الطاهرين، أئمة الهدى، ومصابيح الدجى من بعده، إنهم لم يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلال»^(٣).

ثالثاً: أهل البيت اصطلاحاً

لقد أصبحت مفردات: (أهل البيت)، (آل البيت)، (العتره) متعارفاً عليها بين المسلمين، وأنّ المقصود منها جميعها الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(٤)، ويلحق بهم الأئمة التسعة من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وما يؤكّد ذلك هو حوار

(١) المحسن بن كرامة، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين: ص ١١٠.

(٢) الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٠٦؛ هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ١٩٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٢٥٤.

(٣) حسين القمّي، العقد النضيد والدرّ الفريد في فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت: ص ٧٨.

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب الحديث: ص ١٥١.

الإمام السجّاد علي بن الحسين (عليه السلام) - وهو أول الأئمة التسعة - مع الرجل الشامي عند دخول سبايا آل البيت دمشق وبالقرب من باب توما^(١)، إذ إنّ الرجل الشامي كان يعتقد أنّ هؤلاء السبايا هم خوارج، وفقاً للدعاية الأموية، إلّا أنّ الإمام علي ابن الحسين (عليه السلام) حاوره، وذكره بعدد من الآيات القرآنية التي نزلت بحق أهل البيت^(٢)، ومن بين تلك الآيات آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقال له الإمام: «نحن أهل البيت الذين خصّنا الله تعالى بهذه الآية»، ممّا جعل الرجل يندم على ما بدر منه، وبدأ يدعو الله تعالى لأن يغفر له ويتوب عليه^(٣).

وكذا هناك مواقف أخرى تبين أنّ لفظ أهل البيت صار معروفاً في أوساط المجتمع ولدى أعدائهم قبل محبيهم، فقد كان هذا اللفظ يجري على لسان أحد جنود جيش ابن زياد، وذلك عند دخوله خيام الإمام الحسين (عليه السلام) بعد قتله؛ لسلب النساء ونهب ما موجود في هذه الخيام من متاع، حيث أقرّ هذا الجندي للسيدة زينب (عليها السلام) أنّه يبكي على أهل البيت لما حلّ بهم وجرى عليهم^(٤). وعندما عقد ابن زياد مجلساً في مسجد الكوفة الأعظم، ليعلن للنّاس عن انتصاراته المزعومة بقتله الحسين وأهله وأنصاره، وسبي عياله؛ انتفض عبد الله بن عفيف الأزدي^(٥) معارضاً

(١) سُمّي الباب بهذا الاسم نسبة إلى توما أحد عظماء الروم، وهي الباب التي دخل منها يزيد بن أبي سفيان عند حصار دمشق، وذلك في عهد أبي بكر (١١-١٣ هـ / ٦٣٢-٦٣٤ م). يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٤٠٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٠٧؛ ابن عبد الحق، مرصّد الاطلاع: ج ١، ص ١٤٣.

(٢) سنذكر هذه الآيات في صفحات قادمة، تحديداً عند دخول سبايا أهل البيت إلى دمشق، وذكر حوار الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مع الرجل الشامي.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٠٣؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٢.

(٤) رضا بن نبي القزويني، تظلم الزهراء: ص ٢١٧.

(٥) عبد الله بن عفيف، من الأزبد من غامد ومن بني والبة، وهو من خيار الشيعة وأفاضلهم، له

على ابن زياد وفعله، وكان يردّد لفظة أهل البيت في ردوده على ابن زياد، ويقصد بهم آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وبضمنهم الإمام الحسين عليه السلام، وقد دفع حياته ثمناً لذلك^(١).

ولقد نزلت آيات عديدة في حقّ أهل البيت عليهم السلام تدعو المسلمين إلى محبتهم، ففي آية المودة قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)، وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وآله عن القربى التي وجبت على المسلمين محبتهم؛ أجاب قائلاً: «علي وفاطمة وولدهما»^(٣).

كما حثّ الرسول صلى الله عليه وآله المسلمين على التمسك بآل بيته عليهم السلام ومحبتهم في عدد من الأحاديث، رُوي عن أبي بكر (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) أنّه قال: رأيت رسول الله خيم خيمةً وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلّا سعيد الجدّ، طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقي الجدّ ردئ الولادة»^(٤)، وفي حديث الثقلين قال الرسول صلى الله عليه وآله: «وإني تارك فيكم الثقلين،

صحبة مع رسول الله، وقد ذهب عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين، وكان لا يفارق مسجد الكوفة الأعظم، حيث يصلي فيه إلى الليل ثمّ ينصرف إلى منزله. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٦؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٨؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٦٦.

(١) يُنظر: الفصل الثاني: ص ٢٢٩.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

(٣) الحسكاني، شواهد التنزيل: ج ٢، ص ١٣٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ٦، ص ١٦؛ السيوطي، الدر المنثور: ج ٧، ص ٣٠٠.

(٤) ابن المغازلي، مناقب الإمام علي: ص ١٠٥. وقريب منه يُنظر: محبّ الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج ٢، ص ١٨٩.

كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فأنظروني بما تحلفوني فيهما»^(١)، وقال الرسول (صلى الله عليه وآله): «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن»^(٢)، وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: «... أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي ...»^(٣).

وإتماماً لما تقدّم لا بدّ من الإشارة إلى أمر مهمّ يتعلّق بمحبّة أهل البيت (عليه السلام)، وهو أنّ محبة أهل البيت (عليه السلام) لا تكفي إلّا أن تكون محبة صادقة، مقرونة بالعمل والتقوى والإيمان، ولا إيمان بلا عمل. وقد شرط الرسول (صلى الله عليه وآله) في قبول العبادة أن يكون معها حبّ أهل البيت (عليه السلام) بقوله: «لو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ لم يدرك محبتنا لأكبّه الله على منخره في النار»^(٤)، وقال أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام) (ت ١١٤هـ / ٧٣٢م) - وهو الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية - للصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه»^(٥).

-
- (١) ابن حنبل، المسند: ج ٣، ص ٣٩٤؛ الصدوق، الخصال: ص ٤٨٧؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک: ج ٣، ص ١٦٠-١٦١؛ الطوسي، الخلاف: ج ١، ص ٢٧؛ ابن البرّاج، المهذب: ج ١، ص ١٨؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودّة: ص ٤٦.
- (٢) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة: ص ٢٠٢.
- (٣) ابن حنبل، المسند: ج ٥، ص ٤٩٢؛ البيهقي، السنن الكبرى: ج ٢، ص ١٤٨.
- (٤) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٣٥.
- (٥) الكليني، الكافي: ج ٣، ص ٧٤؛ الطوسي، الأمالي: ص ٧٣٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٧، ص ٩٧.

المبحث الثالث

بدء السبي والوصول إلى الكوفة

توَحَّى عبيد الله بن زياد - وهو الوالي الأموي للكوفة - عدّة اعتبارات وغايات لسبي عائلة آل البيت عليهم السلام، بعد قتل رجالهم ومَن كان معهم من نساء قتلى أنصار الإمام الحسين عليه السلام، منها التشهير بعائلة أهل البيت، حيث نشر من خلال وسائله الدعائية الإعلامية أنّ الإمام الحسين عليه السلام خارجي^(١)، خرج عن طاعة خليفة المسلمين يزيد بن معاوية، وأنّه أراد أن يُفَرِّق وحدة كلمة الأمة ويشقّ صفّ

(١) يُقصد به ذلك الرجل الذي ينتمي إلى فرقة الخوارج، وهم الجماعة التي انفصلت عن جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الشرعي، إبان الحرب مع معاوية بن أبي سفيان والي الشام المعزول في معركة صفّين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، ورفضت التحكيم ونتائجها، ودخل الإمام علي معهم في معركة النهروان سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، ولم يتمّ القضاء عليهم نهائياً، بل انتشر ما تبقى منهم في الكوفة والبصرة والأحواز (الأهواز) والمشرق والمغرب الإسلاميين، وخلال ربع قرن من الزمن التفتّ حولهم كثير من الأتباع، ومعظمهم من الموالي المتذمّرين من إجراءات السلطة الأموية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وأصبحوا خلال هذه المدّة عبارة عن حركة سياسية دينية فكرية، وكانوا ينظرون إلى الخلفاء الأمويين وأمرائهم وولاتهم أتهم غير شرعيين، منحرفون عن الدين ومخالفون لقواعده، وقد أربكت حركة الخوارج السلطة الأموية طوال مدّة حكمهم من خلال المعارك التي خاضوها مع السلطة، وقد انقسم الخوارج على أنفسهم إلى عدد من الفرق، مثل الأزارقة المتطرّفة، والصفريّة والنجدات والأباضية. عن الخوارج وفرقهم ومبادئهم السياسية والدينية ومعاركهم يُنظر: الكرمانى، الفرق الإسلامية، ذيل كتاب شرح المواقف، للكرمانى: ص ٦٥؛ صابر طعيمة، الأباضية عقيدة ومذهباً: ص ١٧-١٦١؛ محمّد رضا الدجيلي، الأزارقة؛ أسماء غني عبد الله العزاوي، نشاط الخوارج في البصرة والأحواز خلال القرن الأول الهجري؛ ستار جبار علوان، الأحوال السياسية والحضارية في أقليم كرمان حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ص ٢٢٨.

المسلمين. وكذلك من غاياته إعطاء درس وعبرة وتبديد الهالة القدسية للحسين وأهل بيته (عليه السلام)، وإدخال الخوف والرعب في قلوب كل من يريد الخروج من الثائرين ضد السلطة الأموية، وأنّ حاله سيكون كحال الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث سيقتل وتُسبى عائلته. وأشار محمد مهدي شمس الدين إلى « أنّ اجراءات السلطة الأموية في حماية نفسها لا تتوقّف عند حدّ، ولا تعترف بأيّ قداسة أو عُرف ديني أو اجتماعي، وأنها عازمة على سحق كلّ ثورة»^(١).

لقد تحرّك عمر بن سعد وجيشه من الطفّ قاصداً الكوفة بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم، أي بعد المعركة بيوم^(٢)، ومعه السبايا من حُرّم الإمام الحسين (عليه السلام)، زوجاته، وبناته، وأخواته، ونساء إخوته، وبنّي عمومته، وجواريه، وعيالات الأنصار، والصبيان مثل الإمام محمد الباقر بن علي السجاد، ومحمد بن العباس، ومن الغلمان زيد وعمر وأولاد الحسن السبط، ومن الرجال علي بن الحسين (عليه السلام)، وكان يشكو المرض. ومن الموالي عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الإمام الحسين (عليه السلام)، وعلي بن عثمان بن الخطاب المغربي. وسيروا الجميع على أقتاب^(٣) الجمال بغير وطاء^(٤)، كما تُساق سبايا الأجانب^(٥).

ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا، رأياً قاطعاً دقيقاً بشأن عدد الأسرى من الرجال، والسبايا من النساء، بل هناك روايات لا تستقيم مع الواقع، منها:

-
- (١) أنصار الحسين دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات: ص ١٨٤.
 - (٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٣؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٨٤.
 - (٣) مفردا القتب، وهو الرجل الصغير على قدر السنام. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٦٠.
 - (٤) وهو خلاف الغطاء، أي بدون غطاء. الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٨١.
 - (٥) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ١٧٤؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٣٦٥؛ بحر العلوم، في رحاب السيّد زينب (عليه السلام): ص ١٤٨؛ مظفر عبد العالي، الفتح والاستشهاد في ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٢١٩.

أشار ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) إلى أنه لم يسلم من أهل بيت الحسين بن علي والذين معه إلا خمسة رجال، وهم: علي بن الحسين الأصغر حيث كان مريضاً، وحسن بن حسن بن علي^(١)، وعمرو بن حسن، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل الأصغر. ومن النساء ست، وهن: زينب وفاطمة بنات علي، وفاطمة وسكينة بنات الحسين، والرباب زوجة الإمام الحسين، وأمّ سكينة وعبد الله الرضيع، وأمّ محمد بنت الحسن بن علي زوجة علي بن الحسين، وموالي ومماليك عبيد وإماء^(٢).

وأشار الدينوري (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) إلى أنّ عدد الأسرى من الرجال أربعة، وهم: علي بن الحسين عليه السلام وقد رهق، وعمر وله من العمر أربع سنين، دون ذكر اسم والده، ورجلان أحدهما المرقع بن ثمامة الأسدي^(٣)، بعث به عمر بن سعد إلى ابن زياد فسيّره إلى الربدة^(٤)، ولم يزل بها حتى وفاة يزيد وهروب ابن زياد إلى الشام^(٥)، فرجع المرقع إلى الكوفة، والآخر عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة

(١) الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي، كان مع عمّه الإمام الحسين عليه السلام يوم الطفّ، وقد أُسر بعد أن جرح عدّة جراحات، وشفي منها فيما بعد، وقيل عند إصابته أخذه أخواله من بني خارجة الفزاري؛ لأنّ أمّه فزارية، وتركه لهم ابن سعد، ولمّا شُفي أرسلوه إلى أهله في المدينة. يُنظر: ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧٤؛ عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣٦٥.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٧٧.
(٣) المرقع بن ثمامة بن أثال الصيدائي، لحق بالحسين عليه السلام وقاتل بين يديه. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٠؛ علي الكوراني، قبيلة بني أسد: ص ٤٦.

(٤) وقيل: إنّ ابن زياد نفاه إلى الزارة، وهي قرية كبيرة في البحرين. البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٦.

(٥) أشارت بعض الروايات إلى أنّ المرقع أخرجته قومه من المعركة بعد أن نفذت نباله، وجرح عدّة جراحات، ولم يؤسر، وفي الكوفة أخبر ابن سعد خبره ابن زياد فنفاه. يُنظر: البلاذري، أنساب

الحسين بن علي، وأرادوا قتله لكن ما إن عرفوا أنه عبد أدخلوا سبيله^(١).
وأشار ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) إلى أنّ عدد الأسرى من الرجال هو
اثنا عشر غلاماً من بني هاشم، وأكبرهم يومئذ علي بن الحسين (السجّاد)، ومعه
ابنه محمّد (الباقر)^(٢).

وأشار أبو حنيفة النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م) إلى أنّ الذين أُسروا من
الرجال عشرة، وهم: علي بن الحسين (السجّاد) (عليه السلام) وهو مريض، وعمره ثلاث
وعشرون سنة، وابنه محمّد الباقر وهو صغير، والحسن المثنّى، وعبد الله^(٣)، وعمره،
ومحمّد أولاد الحسن السبط، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمّد بن عقيل،
والقاسم بن محمّد بن جعفر، وعبد الله بن العباس بن علي. ومن النساء أربع، وهنّ:
أمّ كلثوم وأمّ الحسن بنات علي، وفاطمة وسكينة بنات الحسين^(٤). وهناك من أشار
إلى أنّ عدد السبايا من النساء كان عشرين امرأة^(٥).

وكانت عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) قد خرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن ثمّ إلى
العراق، وهم عامّة أهل بيته من بني أبي طالب، نسائه وأخواته وبناته وأبنائه
وأخوته وأبناء إخوته وأبناء عمومته وأبنائهم ونسائهم ومواليهم، وبعض أنصاره،

الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٧؛ ابن الأثير، الكامل
في التاريخ: ج ٣، ص ١٨٤.
(١) الأخبار الطوال: ص ٢٥٩.
(٢) العقد الفريد: ج ٥، ص ١٣١-١٣٤؛ ابن نما الحلّي، مثير الأحرار: ص ٧٨.
(٣) وهناك من يذكر بأنّ عبد الله بن الحسن قد قُتل يوم الطفّ. يُنظر: الطبرسي، أعلام الوري:
ص ١٢٧؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٦٤.
(٤) شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٩٧.
(٥) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٥٦.

أمّا أخاه محمد بن الحنفية فإنه بقي في المدينة المنورة؛ ليكون للحسين عيناً يوافيه بالأخبار^(١).

وأشار الباحث ليبب ييضمون إلى أنّ عددهم كان مائة وثلاثة وعشرين شخصاً، وتوزيعهم وفق التالي:

أ- الذكور:

- ١ - أولاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وحفيده محمد بن العباس؛ ثلاثة عشر.
 - ٢ - أولاد جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وأحفاده؛ ستة.
 - ٣ - أولاد عقيل بن أبي طالب وأحفاده، ما عدا مسلم بن عقيل عليه السلام؛ ستة عشر.
 - ٤ - أولاد الحسن بن علي عليه السلام اثنا عشر.
 - ٥ - أولاد الإمام الحسين بن علي، وحفيده محمد الباقر عليه السلام؛ خمسة.
 - ٦ - موالي أهل البيت عليهم السلام عشرة.
- المجموع إثنان وستون^(٢).

وهنا وقع الباحث في وهم؛ إذ يذكر أنّ للحسين أربعة أولاد مع حفيده محمد الباقر، في حين أنّ المصادر التي بين أيدينا أشارت إلى أنّ للحسين أربعة أولاد، وهم: علي الأكبر^(٣)، وقد قُتل مع أبيه في الطفّ، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفية، ولا عقب له. وعلي الأصغر (السجاد)، وكنيته أبو محمد، وأمّه شاه زنان بنت كسرى يزدرجرد (٦٣٢-٦٥٢م) آخر ملوك الفرس، ولم يُقتل في الطفّ وفيه العقب. وجعفر وأمّه قضاعية، وتُوفي في حياة أبيه، ولا عقب له. وعبد الله

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٢٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٣.

(٢) موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٧.

(٣) عن سيرة علي الأكبر، يُنظر: عبد الرزاق المقرّم، علي الأكبر.

الرضيع، وأمه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية، وقُتِل يوم الطف^(١). وبهذا فإنّ الذين خرجوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الطفّ، ثلاثة من أولاده، قُتِل منهم إثنان ونجا واحد فقط، فضلاً عن نجاة حفيده محمّد الباقر، وبهذا يكون مجموع الذكور واحداً وستين، وليس إثنين وستين.

ب- الإناث:

- ١ - زوجات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثمان.
 - ٢ - بنات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثلاث عشرة.
 - ٣ - زوجات الإمام الحسن السبط (عليه السلام) خمس.
 - ٤ - بنات الإمام الحسن السبط (عليه السلام) أربع.
 - ٥ - زوجات الإمام الحسين (عليه السلام) أربع.
 - ٦ - بنات الإمام الحسين (عليه السلام) ثلاث.
 - ٧ - زوجات عقيل بن أبي طالب ستّ.
 - ٨ - بنات عقيل خمس.
 - ٩ - زوجات عبد الله بن جعفر إثنتان.
 - ١٠ - نساء مختلفات إثنتان.
 - ١١ - الجواري تسع.
- المجموع إحدى وستون^(٢).

وهناك مَنْ أشار إلى أنّ عدد زوجات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم استشهاد أربع زوجات حرائر بعقد نكاح، وهن: أم البنين الكلابية، وأسما بنت

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ١٨؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٥؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٤٩.

(٢) لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٧.

عميس الخثعمية، وأمامة بنت أبي العاص، وليلى بنت مسعود التميمية، وأمهات ولد عشر إماء^(١)، وإنَّ أمامة بنت أبي العاص (ت ٥٠هـ / ٦٧٠م) قد تزوّجت بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب^(٢)، وتُوفيت عنده في عهد معاوية بن أبي سفيان^(٣) (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩م). كما تزوّجت ليلي بنت مسعود التميمية بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام أيضاً من ابن أخيه عبد الله بن جعفر^(٤)، وهذا يعني أنّ هناك اثنتين من أزواج الإمام علي عليه السلام لم تخرجا إلى الطفّ مع الإمام الحسين عليه السلام، وبهذا فإنّ عدد زوجات الإمام علي عليه السلام اللاتي خرجن مع ولده الإمام الحسين عليه السلام إلى الطفّ ستّ، وليس ثمان.

وهناك من المصنفين المحدثين من يشير إلى عدم خروج زوجة الإمام الحسين عليه السلام ليلي بنت أبي مرّة بن مسعود الثقفي، أمّ علي الأكبر إلى الطفّ، ولعلّها متوفاة قبل

(١) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٩، ص ٧٥؛ ابن الصبّاغ المالكي، الفصول المهمة: ج ١، ص ٦٤٧؛ ذبيح الله المحلاتي، رباحين الشريعة في ترجمة علامات نساء الشيعة: ج ٣، ص ٣٠؛ محمّد الحسون، أعلام النساء المؤمنات: ص ٧١٦.

(٢) هو المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، وكنيته أبو يحيى أو أبو حليلة، صحابي وُلد قبل الهجرة، أو بعدها بربع سنين، وقيل: إنّه لم يُدرك من حياة النبي إلّا ستّ سنين، وروى عن النبي، وقيل: إنّ حديثه مرسل، وكان قاضي المدينة في عهد عثمان بن عفّان (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٣-٦٥٥م)، وشهد صفّين إلى جانب الإمام علي، واتّصف بقوته الشديدة، فلمّا ضرب بن ملجم الإمام عليّاً في مسجد الكوفة، وحاول الهرب تمكّن منه المغيرة، وألقى عليه قطيفة، وأمسك به وأخذ سيفه، وضرب به الأرض، وتوفي المغيرة سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٤، ص ١٤٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٤٠٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٤، ص ١٢٥؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ١٥٨؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ١٩، ص ٣٠٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٤، ص ١٤٤٨؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٣٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١، ص ٣٣٥.

(٤) الزبيرى، نسب قريش: ص ٨٣؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ١١٩؛ الديار بكرى، تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣١٧.

ذلك^(١). وبهذا يكون عدد نساء الحسين، اللاتي خرجن معه إلى الطف ثلاثاً، وليس أربعاً.

وأشارت المصادر إلى أن عدد بنات الحسين اللاتي كنَّ معه اثنتان، وهما: سكينه وفاطمة^(٢)، وأتت خرجتا إلى الطف مع أبيهما، وبهذا يكون عدد بنات الحسين اللاتي خرجن معه إلى الطف اثنتين وليس ثلاثة، وكان لهما دور في معركة الطف، وفي أيام السبي.

وأشار ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (بن فندق) البيهقي (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م)، إلى روايتين متناقضتين، فمرة يقول: بأن للإمام الحسين (عليه السلام) أربع بنات هن: سكينه وأمها الرباب، وفاطمة وأمها أم إسحاق بنت طلحة، وزينب وأم كلثوم وأمهما شهربانويه بنت يزدجرد ملك فارس (٦٣٢-٦٥٢م)، وماتتا وهما صغيرتان^(٣)، وهما شقيقتا علي بن الحسين (عليه السلام)، وأكبر منه، لأن أمه ماتت عند الطلق في ولادته^(٤)، وذلك سنة ٣٣هـ / ٦٥٣م^(٥)، وقيل في مدة النفاس^(٦)، وقيل في طفولته^(٧).

-
- (١) عباس القمي، نفس المهموم: ص ٢٨٦؛ عبد الرزاق المقرم، علي الأكبر: ص ١٥.
 (٢) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ١٨؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ١١٣-١١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤٦؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ٢٥؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٢؛ المشغري، الدر النظيم: ص ٥٧٥؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٤٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ١٠٩، ص ٩٦.
 (٣) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: ج ١، ص ٣٥٠.
 (٤) المصدر السابق: ص ٥١.
 (٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٤١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ٢٠، ص ٢٣٠.
 (٦) المسعودي، إثبات الوصية: ص ١٨١.
 (٧) ابن داود، رجال: ص ٢٠٢؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣، ص ١٦٣؛ محمد تقي التستري، قاموس الرجال: ج ١١، ص ٣١.

ومرة أخرى وبعد صفحات قليلة من روايته الأولى يقول البيهقي: بأنه لم يبق من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، إلا علي (زين العابدين) وفاطمة وسكينة ورقية^(١)، وبسبب هذا التناقض الذي بدا واضحاً عند البيهقي، لعدم استقراره على حالة واحدة حول عدد وأسماء بنات الإمام الحسين عليه السلام؛ يكون من الصعب الأخذ بروايته، لذا من المحتمل أن يكون لفظ رقية لقباً لإحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام، وربما لفاطمة^(٢).

وبهذا يكون عدد الإناث اللاتي خرجن مع الحسين إلى الطف سبعا وخمسين فقط.

ووفقاً إلى ما أشرنا إليه أعلاه من أن عدد الذكور واحد وستون، وأن عدد الإناث سبع وخمسون؛ فيكون المجموع الكلي مائة وثمانية عشر، وليس مائة وثلاثة وعشرين.

وقد فصل الباحثون في من خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته، وكما يلي:
من زوجات أبيه علي ثمان، وهن:

١ - الصهباء التغلبية، ومعها ابنتها رقية الكبرى زوجة مسلم بن عقيل، ومع رقية ابنتها عاتكة، وولداها عبد الله ومحمد.

٢ - أم مسعود بنت عروة الثقفي، جاءت مع بنتها رملة.

٣ - ليلى بنت مسعود الدارمية التميمية، ومعها ولداها أبو بكر (عبد الله) ومحمد الأصغر.

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) نبيل الحسني، سبايا آل محمد عليهم السلام، دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء: ص ١٣٥.

- ٤ - أمّ زينب الصغرى، ومعها ابنتها رقية.
 - ٥ - أمّ فاطمة، ومعها ابنتها فاطمة.
 - ٦ - أمّ خديجة، ومعها ابنتها خديجة الصغرى.
 - ٧ - رقية الصغرى.
 - ٨ - أمّامة بنت أبي العاص العبشمية^(١).
- وقد أشرنا سابقاً، بأن كلا من أمّامة بنت أبي العاص، وليلى بنت مسعود التميمية، لم تخرجا إلى الطفّ؛ بسبب وفاة إحداهما، وزواج الأخرى.
- ومن أخواته ثلاث عشرة أختاً، هنّ:
- ١ - زينب الكبرى العقيلة (عليها السلام)، وأمّها السيّدة فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وآله).
 - ٢ - أمّ كلثوم الوسطى، وأمّها أمّ ولد.
 - ٣ - خديجة، وأمّها أمّ ولد، وزوجها عبد الرحمن بن عقيل، وأنجبت له سعداً وعقيلاً، وعبد الرحمن هذا قُتل في الطفّ، ومات ولداه من شدّة العطش والدهشة والذعر عند هجوم جيش ابن سعد على المخيم.
 - ٤ - رقية الكبرى، وزوجها مسلم بن عقيل، وأنجبت له عبد الله ومحمّداً اللذين قُتلا يوم الطفّ، وبنتها عاتكة وعمرها سبع سنوات، سحقها الخيول يوم الطفّ عند هجوم جيش ابن سعد على المخيم.
 - ٥ - أمّ هانئ، وأمّها أمّ ولد، وزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل، وأنجبت له محمّداً الأوسط.
 - ٦ - زينب الصغرى، وأمّها أمّ ولد، وزوجها محمّد بن عقيل، وأنجبت له عبد الله.

(١) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٣٦؛ لبّيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٩-٥٣٠.

٧ - رملة الكبرى، وأمّها أمّ مسعود بنت عروة، وزوجها عبد الرحمن الأوسط ابن عقيل، وأنجبت له أمّ عقيل.

٨ - رقية الصغرى، وأمّها أمّ ولد.

٩ - فاطمة، وأمّها أمّ ولد، وزوجها أبو سعيد بن عقيل الأحول، وأنجبت له حميدة ومحمّد، ومحمّد هذا عمره سبع سنين، وعندما قُتل الإمام الحسين عليه السلام، وتصارخت النسوة، خرج مذعوراً بباب الخيمة ماسكاً بعمودها، فجاءه سهم وقع في خاصرته فقتله.

١٠ - خديجة الصغرى، وأمّها أمّ ولد، وزوجها عبد الله الأوسط بن عقيل.

١١ - أمّ سلمة، وأمّها أمّ ولد.

١٢ - ميمونة، وأمّها أمّ ولد، وهي أخت أمّ سلمة.

١٣ - جمانة، وكنيتها أم جعفر، وأمّها أمّ ولد^(١).

كما خرجت عمّة الإمام الحسين عليه السلام جمانة بنت أبي طالب، وبنت أخته زينب وتدعى أم كلثوم، مع زوجها القاسم بن محمّد بن جعفر^(٢).

وخرجت تسع جوار لأهل البيت، أربع منهنّ لزينب، وهنّ:

١ - فضة النوبية، جارية السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢ - قفرة، ويُقال لها مليكة، خادمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ - روضة، مولاة رسول الله.

٤ - سلمة، أمّ رافع، زوجة أبي رافع القبطي، مولى رسول الله.

(١) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٣٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٣٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٩.

- ٥ - ميمونة، أمّ عبد الله بن يقطر، وهي حاضنة الإمام الحسين (عليه السلام) وجاريته. وأربع جوار لزوجات الإمام الحسين (عليه السلام)، هنّ:
 - ٦ - فاكهة، أمّ قارب، خادمة الرباب.
 - ٧ - حنة أو حسينة، أمّ منجج، وهي تخدم في بيت علي السجاد (عليه السلام).
 - ٨ - كثة أو كبشة، وتخدم أمّ إسحاق بنت طلحة التيمي، زوجة الإمام الحسين (عليه السلام).
 - ٩ - مليكة زوجة عقبة بن سمعان، وخدمت في بيت الإمام الحسن (عليه السلام)، ثمّ الإمام الحسين (عليه السلام)، مع زوجها الذي كان مولى للرباب^(١).
- ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا العدد من النسوة - إن صحّ وجوده - هو الذي تعرّض للسبي من كربلاء إلى الكوفة، ثمّ إلى الشام.
- وخرج مع الإمام الحسين (عليه السلام) اثنا عشر أخاً، وهم:
 - ١ - العباس (عليه السلام).
 - ٢ - عثمان.
 - ٣ - جعفر.
 - ٤ - عبد الله.
 - وهؤلاء الأربعة أمّهم أمّ البنين الكلابية.
 - ٥ - إبراهيم.
 - ٦ - أبو بكر.
 - ٧ - عمر.
 - ٨ - عون.

(١) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٤٢٤؛ ليبب ييضمون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣٠-٥٣١.

- ٩ - عبيد الله.
- ١٠ - العباس الأصغر.
- ١١ - محمد الأوسط.
- ١٢ - محمد الأصغر.
- ١٣ - محمد بن العباس بن علي بن أبي طالب، وهو صغير^(١).
وخرج من أولاد وأحفاد جعفر الطيار بن أبي طالب ستة أشخاص، هم:
 - ١ - عون بن جعفر الطيار، وأمه أسماء بنت عميس.
 - ٢ - عون الأكبر بن عبد الله بن جعفر، وأمه زينب بنت الإمام علي عليه السلام.
 - ٣ - عون الأصغر بن عبد الله بن جعفر.
 - ٤ - محمد بن عبد الله بن جعفر، وأمه الخوصاء من بني بكر بن وائل.
 - ٥ - عبيد الله.
 - ٦ - القاسم بن محمد بن جعفر^(٢).
- وخرج من نساء عقيل ست، ومن أولاده الذكور إثنا عشر، ومن بناته قُدر عدد هن خمساً، وهم:
 - ١ - جعفر بن عقيل، وخرجت معه أمّه أمّ الثغر أو يُقال لها أمّ الحفصاء العامرية.
 - ٢ - عبد الله الأصغر بن عقيل.
 - ٣ - موسى بن عقيل، وأمه أمّ البنين بنت أبي بكر بن كلاب العامرية، حيث كانت مع ولدها.

(١) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٤٢٨؛ ليب ييضمون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣١.

(٢) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٤٢٩؛ ليب ييضمون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣١.

- ٤ - علي بن عقيل، وأمّه أمّ ولد.
 - ٥ - أحمد بن عقيل، وأمّه أمّ ولد، وجاءت مع ولدها.
 - ٦ - عبد الله الأكبر.
 - ٧ - عبد الرحمن بن عقيل، ومعه ابنه.
 - ٨ - عون بن عقيل^(١).
- وخرج من أحفاد عقيل مع الإمام الحسين (عليه السلام):
- ١ - عبد الله بن مسلم بن عقيل.
 - ٢ - محمّد بن مسلم بن عقيل.
- وكل من عبد الله ومحمّد، وأمّهما رقية بنت الإمام علي (عليه السلام) وكانت قد خرجت معها، وقد قُتِلَا في الطف.
- ٣ - محمّد بن مسلم.
 - ٤ - إبراهيم بن مسلم.
- وكل من إبراهيم ومحمّد صبيان، قُتِلَا في الكوفة بعد أن فرّا من الطفّ، وأمّهما رقية الكبرى بنت الإمام علي (عليه السلام)، وتوفيت أختها عاتكة وعمرها سبع سنوات، إذ سحقتهما الخيل عند الهجوم على المخيم.
- ٥ - سعد بن عبد الرحمن بن عقيل.
 - ٦ - عقيل بن عبد الرحمن بن عقيل.
- وسعد وعقيل ماتا من شدّة العطش والخوف، وذلك عند هجوم الجيش على المخيم.
- ٧ - غلام محمّد بن أبي سعيد بن عقيل الأحول، وأمّه أمّ ولد.
 - ٨ - جعفر بن محمّد بن عقيل^(٢).

(١) المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان.

وخرج مع الإمام الحسين (عليه السلام) من زوجات أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) خمس نساء، ومن أولاده ستّة عشر شخصاً، إثنا عشر من الذكور، وأربع من الإناث، وهم:

١ - الحسن المثنى بن الحسن السبط، وأمّه خولة بنت منظور الفزارية.

٢ - عمرو بن الحسن.

٣ - القاسم بن الحسن.

٤ - عبد الله بن الحسن.

وهؤلاء الثلاثة أمّهم أم ولد.

٥ - أحمد بن الحسن (عليه السلام)، وله من العمر ستّة عشر سنة، وأخته أم الحسن وأمّ الحسين، سُحقتا يوم الطفّ بعد شهادة الحسين (عليه السلام)، لما هجم القوم على المخيم للسلب، أمّهم أمّ بشير بنت أبي مسعود الخزرجية الأنصارية.

٦ - محمّد بن الحسن.

٧ - جعفر بن الحسن.

٨ - أبو بكر بن الحسن.

٩ - الحسين بن الحسن، الملقّب بالأثرم.

١٠ - طلحة بن الحسن.

والحسن وطلحة وأخت لهما تُدعى فاطمة، أمّهم أمّ إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التيمي، وفاطمة زوجها علي السجّاد، وهي أمّ محمّد الباقر.

١١ - زيد بن الحسن.

١٢ - عبد الرحمن بن الحسن.

وزيد وعبد الرحمن، كانت معهما أختها أم الحسن (رملة)، وأمّهم أم ولد، كانت معهم في الطفّ^(١).

(١) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٤٠؛ ليب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣٣.

وخرج مع الإمام الحسين (عليه السلام) من زوجاته أربع، ومن أولاده الذكور أربعة^(١)،
ومن بناته ثلاث، وهم كما يلي:

- ١ - علي الأكبر، وأمّه ليلي بنت أبي مرّة الثقفية.
 - ٢ - علي الأوسط، وهو زين العابدين (عليه السلام)^(٢)، وأمّه شاه زنان بنت كسرى
يزدجرد ملك الفرس، وكانت متوفّاة، ومعه أخته رقية.
 - ٣ - علي الأصغر، وأمّه سلافة.
 - ٤ - عبد الله الرضيع، وأخته سكينه، وأمّهما الرباب بنت أمريّ القيس الكلبيّة.
 - ٥ - فاطمة، وأمّها أم إسحاق بنت طلحة التيمي.
 - ٦ - وكان مع الإمام علي السجّاد ابنه محمّد الباقر (عليه السلام)، وعمره ثلاث سنوات^(٣).
- وخرج من موالي أهل البيت مع الإمام الحسين (عليه السلام) عشرة، وهم:
- ١ - الحارث بن نبهان، مولى الحمزة.
 - ٢ - سعد بن الحارث الخزاعي، مولى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
 - ٣ - علي بن عثمان بن الخطاب الحضرمي.

(١) كان للإمام الحسين (عليه السلام) ستّة أولاد، وهم، علي الأكبر، قتل مع أبيه يوم الطفّ، وعلي الأصغر (السجّاد) ويكنّى أبا محمّد، وجعفر، وقد توفّي في حياة أبيه، وعبد الله الرضيع، قُتل يوم الطفّ صغيراً، وسكينه، وفاطمة، ولم نجد للحسين ولدًا باسم علي الأوسط في المصادر التي بين أيدينا. يُنظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ١٨؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٥؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٢.

(٢) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ١٨؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٥؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٢.

(٣) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٤٠؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣٣-٥٣٤.

٤ - نصر بن أبي نيزر.

٥ - سلمان بن أبي رزين.

٦ - مسلم بن عمرو التركي.

٧ - قارب بن عبد الله الدثلي الليثي.

٨ - منجج بن سهل.

٩ - عقبة بن سمعان، مولى الرباب.

١٠ - جون بن حوي النوبي، مولى أبي ذر الغفاري^(١).

ومن هذا العرض نجد أن الذين خرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام من أهله ومواليه، نساءً ورجالاً، صغاراً وكباراً، هم مئة وثلاثة وعشرون شخصاً، كما يذهب إلى ذلك الباحث ليبب بيضون، ولكن قد أشرنا آنفاً إلى أن أولاد الإمام الحسين عليه السلام الذين خرجوا معه إلى الطف كانوا ثلاثة فقط، وبهذا يكون عدد الذكور واحداً وستين، وكذلك أشرنا إلى أن عدد زوجات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، اللاتي خرجن إلى الطف ست وليس ثمان، وعدد نساء الحسين اللاتي خرجن معه ثلاث وليس أربعاً، ومن بناته إثنتان وليس ثلاثاً؛ وبهذا يكون عدد الإناث سبعة وخمسين، والمجموع الكلي هو مئة وثمان عشرة، ويظل هذا الرقم محل نظر وتأمل، فإنه لم يكن قريباً إلى الواقع.

كما يُشار إلى أن عدد أنصار الإمام الحسين عليه السلام ونسائهم الذين خرجوا معه إلى الطف، يقترب من عدد آل بني طالب، أولئك الذين خرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام^(٢)، وربما يكون هذا العدد صحيحاً عند خروج الإمام الحسين عليه السلام من

(١) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٤٢٧؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٣٤.

(٢) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٥٢؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ١، ص ٥٢٦.

المدينة، ويبدو أنّ كثيراً منهم تسرّب في طريق السير إلى العراق، وظلّ عددهم قليلاً. ولكنّ المصادر التي بين أيدينا لم تذكر لنا أسماء النساء زوجات أو جوارى أنصار الإمام الحسين (عليه السلام)، اللائي سبين مع سبايا أهل البيت (عليه السلام) بعد انتهاء المعركة، إذ نعتقد وجود عددٍ منهنّ قد سبين، ولا نعرف هل بقين مع سبايا أهل البيت (عليه السلام) عند السبي إلى الكوفة أو إلى الشام أم لا. إلّا أنّ بعض المراجع - وهي محلّ نظر وتامل - أشارت إلى وجود بعض نساء أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الطالبين قد سبين مع سبايا أهل البيت إلى الكوفة، وتدخلت قبائلهنّ عند ابن زياد، وطلبت منه إخراج تلك النسوة، ووافق على ذلك، وبهذا تخلصنّ من السبي إلى الشام^(١).

وذكرت الروايات التاريخية بعض نساء أنصار الإمام الحسين (عليه السلام)، اللائي حضرن معركة الطفّ، وكان لهنّ دور واضح في المعركة، ومن بين تلك النسوة:

١. المرأة الأسدية^(٢)، زوجة علي بن مظاهر الأسدي^(٣) الذي قُتل يوم الطفّ، وقد حضرت معه المعركة، ورفضت أن تنصرف من المعركة بعد أن أذن الإمام الحسين (عليه السلام) لأنصاره بإرجاع نسائهم إلى مأمّنه، كي لا يتعرضنّ للسبي كما ستعرض عائلته لذلك. لكن زوجة علي بن مظاهر رفضت الرجوع؛ وأبت إلّا أن تُواسي وتُشارك نساء أهل البيت بما سيجري عليهنّ^(٤).

(١) محمّد السهاوي، إِبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٢٢٨؛ جواد محدثي، موسوعة عاشوراء: ص ٢٣٠.

(٢) عن قبيلة بني أسد يُنظر: مهدي عريبي الدخيلي، بني أسد ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي. (٣) هو علي بن مظاهر الأسدي، أخو حبيب بن مظاهر، وقد قُتل الاثنان في الطفّ. النهازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٥، ص ٤٠٨.

(٤) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٣١٣؛ محمّد الحسّون، أعلام النساء المؤمنات: ص ١٣٠؛ عبد الله الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص ٥٣؛ عبد العظيم المهدي البحراني، من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٢٨٠.

وهناك مَنْ ينفي مشاركة علي بن مظاهر الأسدي في معركة الطف^(١)، ونحن لا نتفق مع ذلك؛ إذ إنَّ علي بن مظاهر لا بدَّ من استجابته لدعوة أخيه حبيب بن مظاهر^(٢) قبل الآخرين، عندما استأذن الأخير الإمام الحسين (عليه السلام) في الذهاب إلى حي بني أسد. ويبدو أنَّه كان قريباً من موضع الطف، ودعوتهم لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) وعند وصوله إلى حيِّهم، إذ قال حبيب لهم: «أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله، فأطيعوني اليوم في نصرته تنالوا شرف الدنيا والآخرة، إنِّي أقسم بالله لا يقتل أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً، إلَّا كان رفيقاً لمحمَّد في أعلى عليين»^(٣)، ولاقت دعوة حبيب هذه استجابةً، فاجتمع من رجال الحي تسعون رجلاً يريدون التوجُّه إلى الطف لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، إلَّا أنَّهم مُنعوا بالقوَّة من قِبَل جيش عبيد الله بن زياد^(٤). وهنا نعتقد أنَّ علي بن مظاهر قد التحق لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، مصاحباً لأخيه حبيب عند رجوعه إلى موضع الطف بعد هذه المهمة.

٢ - زوجة مسلم بن عوسجة الأسدي^(٥)، وهو من شيوخ القرّاء^(٦)، وقد قُتل

(١) ذبيح الله المحلاقي، فرسان الهيجاء في تراجم أصحاب سيد الشهداء: ج ١، ص ٣٦٤؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ١٧٩؛ حسين نعمة أبو هلاله، أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء من غير الهاشميين، دراسة في أحوالهم العامة: ص ٦٥.

(٢) عن سيرة حبيب بن مظاهر يُنظر: المظفر، البطل الأسدي حبيب بن مظاهر؛ علي عبد الستار، هاشم ناصر، حبيب بن مظاهر الاسدي ودوره في واقعة الطف: ص ١٦٩-١٧٠.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٢، ص ١٤٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٣٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٦؛ عبد الرزاق المقرَّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٢٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٨٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ٣٤٥.

(٥) مسلم بن عوسجة: صحابي رأى النبي وروى عنه، كان عابداً متسكفاً، يقضي يومه في مسجد الكوفة الأعظم للعبادة، وجاهد مع المسلمين الفاتحين لاقليم اذربيجان، وكان مسلم وحبيب يأخذان البيعة للإمام الحسين (عليه السلام) في الكوفة، وخرجا سوياً متخفيين يسيران في الليل، ويكمنان في النهار، حتى وصلا الطف. الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ٢٦٤؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٢٨٠.

زوجها وولدها، والذي يُدعى خلف^(٢) يوم الطف^(٣). وفي رواية أخرى أنّه عندما قُتل ابن عوسجة صاحت جارية له: «يا ابن عوسجته يا سيّده»^(٤)، وهذا يعني وجود امرأة أخرى، فضلاً عن زوجته، وهي جارية له قد صحبتته إلى الطف.

٣- أم وهب بنت عبد بن قاسط الكلبي^(٥)، وزوجة ولدها. خرج وهب بن عبد الله بن عمير الكلبي إلى الطف، ومعه أمّه وزوجته، وكانت أمّه تشجّعه على نصره الإمام الحسين (عليه السلام) في الطف، ولما قُتل يومئذ رُمي برأسه إلى معسكر الإمام الحسين (عليه السلام)، فذهبت إليه زوجته، وبينما هي مشغولة في مسح الدم والتراب عن وجهه ضربها رستم غلام الشمر - بأمر من سيّده - بعمود على رأسها فماتت، وتعدّ أول امرأة قُتلت يوم الطف^(٦).

(١) القرّاء، ومفرده قارئ، اشتقّ هذا المصطلح من القرآن الكريم، وهم الذين يقرؤون ويحفظون القرآن الكريم، ويدرسونه تعبداً لله تعالى، ويبدلون جهداً في ذلك، ويتمسكون بشعائر الدين أكثر من غيرهم، وكان الواحد منهم عالماً بعلوم اللسان العربي من اللغة والإعراب والفصاحة شعراً ونثراً، وعلوم الشريعة فقهاً وتفسيراً وحديثاً. يُنظر: هادي حسن حمود، القرّاء ودورهم في الحياة العامة في صدر الإسلام والخلافة الأموية: ص ٦٦-٦٧.

(٢) إيمان أحمد جابر اللامي، خطب وأقوال أهل البيت في واقعة الطف - دراسة تاريخية: ص ١٤٠.
(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٥؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٧؛ محسن الأمين، لواعج الاشجان: ص ٢٦٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٩٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٢.
(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٧، ٣٣٣؛ الصدوق، الأمالي: ص ٩٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٦١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٢٨٢.
(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٩٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٦؛ ذبيح الله المحلاتي، رياحين الشريعة في ترجمة علامات نساء الشيعة: ج ٣، ص ٣٠.

وهناك مَنْ ينفي وجود وهب يوم الطف، وبالتالي لا وجود لزوجته^(١)، بل الموجود هو عبد الله بن عمير الكلبي^(٢) وزوجته أم وهب^(٣)، وإن وهب ابن له^(٤)، وسواء أكان المقتول وهب أم أباه، فإن أم وهب كانت موجودة في الطف، ويبدو أنها قد تعرضت للسبي.

٤ - بحرية بنت مسعود الخزرجية، قد صحبت زوجها جنادة بن كعب الأنصاري^(٥) وابنها من مكة إلى العراق، وقد قُتل زوجها في الحملة الأولى، كما قتل ولدها الوحيد أيضا^(٦) عمرو، وكان عمره حوالي إحدى عشرة أو ثلاث عشرة سنة^(٧).

(١) محمد تقي التستري، قاموس الرجال: ج ٩، ص ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٧؛ حسين أبو هلاله، أنصار الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٥٤.

(٢) عبد الله بن عمير الكلبي، هو من المجاهدين المسلمين في الفتوحات الإسلامية، وكانت داره في الكوفة، ومن الذين التحقوا بمعسكر الإمام الحسين (عليه السلام)، تصحبه زوجته وتشجعه على ذلك، عشية الثامن من المحرم، وكان رأيه بأن الجهاد بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) أكثر ثواباً عند الله تعالى من جهاد المشركين. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٢٨٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٦؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٧٢.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٤، ص ١٠١؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧.

(٥) جنادة بن كعب بن الحرث الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، استشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م في الحملة الأولى. ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١١٠؛ محمد السماوي، إِبصار العين: ص ١٥٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٢٢٤.

(٦) الرسان، التسمية: ص ١٥٣؛ الشجري، الأمالي الخميسية: ج ١، ص ١٧٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٥.

(٧) ابن أعثم، الفتوح: ج ٢، ص ١٦٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٠٤؛ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال: ج ٢، ص ٣٢٦.

٥ - كما كانت هناك عجوز إسمها غير معروف قد حضرت معركة الطف، وقُتل زوجها وولدها في تلك المعركة^(١). وإنّ المصادر لم تذكر أسماء تلك النسوة اللاتي قُتل أزواجهنّ أو أبنائهنّ في كثير من هذه الحالات، ممّا يجعلنا نعتقد وجود حالات مماثلة أخرى.

وبعد هذه الإشارات التاريخية المقتضبة حول مشاركة بعض نساء أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) في معركة الطف، فإنّنا نظنّ وجود أخريات إلى جانبهنّ أدّين دوراً مماثلاً، وتعرضنّ للسبي أسوةً بنساء أهل البيت، إذ لا بدّ من إخراج كثير من أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) بعض نسايتهم أو جواريتهم. وفي دراسة معاصرة قدّر عدد الذين استشهدوا يوم الطف مع الإمام الحسين (عليه السلام) من الأنصار غير الهاشميين خمسة وتسعين رجلاً^(٢).

حمل رؤوس قتلى الطف

وحمل ابن سعد معه عند توجّهه إلى الكوفة رؤوس الذين استشهدوا مع الإمام الحسين (عليه السلام)، من أهل بيته (عليه السلام) وأنصاره بعد قطعها^(٣)، وقد تنافست القبائل في حملها إلى ابن زياد لتحظى بالقرب منه، ونيل جائزته.

اختلفت الروايات في عدد الرؤوس التي حُمِلت، حيث يذكر أبو مخنف (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م) أنّ عددها سبعون رأساً، وقد جاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، ويقودهم قيس بن الأشعث الكندي، وهو ابن بعشرين رأساً، ويقودهم الشمر بن

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٧؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين: ج ٣، ص ١٢١.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن ذلك يُنظر: حسين أبو هلاله، أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الهاشميين: ص ١٠١-١٠٧.

(٣) الطبرسي، أعلام الوري: ص ٢٥٠.

ذي الجوشن، وتميم بسبعة عشر رأساً، وبنو أسد بستة رؤوس، ومذحج بسبعة رؤوس، وسائر الجيش بسبعة رؤوس^(١).

ويذكر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) أن عدد الرؤوس اثنان وثمانون رأساً، وقد جاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، يقودهم قيس بن الأشعث، وهوازن بعشرين رأساً، يقودهم شمر بن ذي الجوشن، وتميم بسبعة عشر رأساً، وبنو أسد بستة عشر رأساً، ومذحج بسبعة رؤوس، وقيس بتسعة رؤوس^(٢).

ويذكر أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) أن عدد الرؤوس اثنان وسبعون رأساً، جاءت هوازن باثنين وعشرين رأساً، وتميم بسبعة عشر رأساً، يقودهم الحصين بن نمير، وكندة بثلاثة عشر رأساً، يقودهم قيس بن الأشعث، وبنو أسد بستة رؤوس، يقودهم هلال الأعرج، والأزد بخمسة رؤوس، يقودهم عيهم بن زهير، وثقيف باثني عشر رأساً، يقودهم الوليد بن عمرو^(٣).

إنّ المتمعن في الأعداد التي ذكرها أبو حنيفة يجدها خمسة وسبعين رأساً، وليست اثنين وسبعين رأساً كما ذكر.

ويذكر ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) أن عدد الرؤوس ثمانية وسبعون رأساً، جاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، يقودهم قيس بن الأشعث، وهوازن باثني عشر رأساً، يقودهم شمر بن ذي الجوشن، وتميم بسبعة عشر رأساً، وبنو أسد بستة عشر رأساً، ومذحج بسبعة رؤوس، وباقي الجيش بثلاثة عشر رأساً^(٤).

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٣٢؛ وكذلك يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٩١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٦١؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٤٩.

(٢) أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) الأخبار الطوال: ص ٢٥٩؛ وكذلك يُنظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٦٣٠.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٥.

ويذكر سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) روايتين في عدد الرؤوس، جاء في الأولى أنّ عدد الرؤوس كان إثنتين وتسعين رأساً^(١)، وفي الثانية أنّ عدد الرؤوس يزيد على سبعين رأساً^(٢)، دون أن يفصل في كيفية توزيع حملها بين القبائل. كما أنّ هناك بعض القتلى لم تقطع رؤوسهم، أمثال الطفل الرضيع عبد الله بن الحسين (عليه السلام) حيث دفنه أبوه بعد قتله، وكذلك الحرّ بن يزيد الرياحي، لم تسمح عشيرته بقطع رأسه، بل أخذته ودفنته^(٣).

إنّ هذا الاختلاف في عدد رؤوس قتلى الطفّ، مرده إلى عدم معرفة عدد القتلى بشكل دقيق من قبل المؤرّخين أعلاه، فهم لم يحدّدوا هذه الرؤوس وعددها، هل هي رؤوس أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الهاشميين أو الأنصار الهاشميين؟ وهم لم يخلطوا وحسب بين عدد قتلى الأنصار وقتلى بني هاشم، بل لم يصلوا إلى العدد الحقيقي للقتلى، وبالتالي إلى عدد الرؤوس، وقد توصّلت الدراسات المعاصرة إلى تحديد عدد القتلى من أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الهاشميين، وكان عددهم خمسة وتسعين ناصراً^(٤)، وعدد قتلى الأنصار الهاشميين مع الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه كان عددهم تسعة عشر رجلاً^(٥).

وكان ابن سعد قد أرسل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) عصر يوم المعركة بعد انتهائها إلى الكوفة؛ ليُقدّم إلى عبيد الله بن زياد بيد قاطع الرأس خوّل بن يزيد الأصبحي ويصحبه حميد بن مسلم الأزدي^(٦).

(١) تذكرة الخواص: ص ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٨.

(٤) حسين أبو هلاله، أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الهاشميين: ص ١٠١.

(٥) إيمان أحمد جابر اللامي، خطب وأقوال أهل البيت في واقعة الطفّ - دراسة تاريخية: ص ١٤٢.

(٦) حميد بن مسلم الأزدي، هو من الذين نقلوا جملة من أحداث معركة الطفّ، كشاهد عيان؛ لآته

روي عن النّوّار بنت مالك الحضرمية^(١) إحدى زوجات خوئي - والتي لم توافق زوجها على فعله، وأخذت على نفسها عهداً بأن لا تجتمع معه في بيت واحد، وتركت فراشه منذ تلك الليلة - بأنّ الخوئي قد وصل برأس الإمام الحسين (عليه السلام) ليلاً إلى قصر الإمارة، ووجد بابه مغلقاً فأتى منزله ووضع الرأس تحت إجانة^(٢)، فرأت النّوّار نوراً يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، وطيور بيضاء ترفرف حولها^(٣).

وقيل: إنّه عندما أوتي بالرؤوس للكوفة، إذا بفارس أحسن النّاس وجهاً قد علّق في رقبة فرسه رأس غلام أمرّد، كأثّة القمر ليلة تمامه، والفارس يمرح فإذا طأطأ رأسه استقر الرأس على الأرض، وكان هذا الرأس للعباس بن علي بن أبي طالب، والذي علّقه على رقبة فرسه حرملة بن كاهل الأسدي، الذي عُوقب في الدنيا قبل

كان حاضراً فيها في صفوف جيش ابن سعد، إذ كان يقوم بما يشبه دور المؤرّخ في نقله للأخبار، وبعد الطفّ خرج مع التوابين، ولم يؤثر منه موقف قتالي، وعاد مع العائدين، ثم انضم إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، القائد العسكري للمختار الثقفي، وعندما بدأ الأخير يتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فرّ حميد بن مسلم من الكوفة، ولم يرجع إليها إلّا بعد سيطرة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م) عليها. يُنظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٦، ص ٢٥٥؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٢، ص ٢٨٩؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٧، ص ٣١٢؛ آل سيف، من قضايا ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، شبكة الإمامين الحسنين www.alhassanain.com: ج ٢، ص ٨٢.

- (١) لم نعثر لها على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.
- (٢) الإجانة، وهي التي تُغسل فيها الثياب. يُنظر: ابن سلام، غريب الحديث: ج ٣، ص ٩١؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٥٠.
- (٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٩٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٣، ص ٢٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢٥؛ حسن عبد الأمير النصرأوي، رأس الإمام الحسين (عليه السلام) من الشهادة إلى الدفن: ص ١٩.

الآخرة، حيث تحوّل وجهه إلى اللون الأسود، بل أشدّ سواداً من القار^(١).
ومّا يدلّ على خلوّ جيش الأعداء من الرحمة مرور ابن سعد ومعه السبايا عند تحرّكه نحو الكوفة، على مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، وإن كان ذلك بطلب من السبايا أنفسهم، فهو صورة مروعة ومفزعة أخذت ما أخذته في نفوس نساء آل البيت السبايا، فتوجّعت زينب باكيةً منتحبةً، تنادي جدّها رسول الله بقولها: «يا محمّده صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرّقل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّده وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسقى عليها الصبا...»^(٢)، والسيدة زينب (عليها السلام) في مناجاتها هذه مع جدّها رسول الله، قد أبكت كلّ ذي لبّ له قدر بسيط من الرحمة، ومع ذلك وبرباطة جأشها المعتاد عندما رأت ابن أخيها علي بن الحسين (عليه السلام) قد أخذ منه الألم والتوجّع مأخذه عند رؤيته القتل وجسد أبيه مقطّع الأوصال اتّجهت إليه تصبّره، وتطمئنّه على المستقبل المشرق لثورة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) بقولها: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي، فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق ناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، وهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة فيوارونها، وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه على مرّ الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر لمحوه وطمسه، فلا يزداد أثره إلّا علوّاً»^(٣).

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٥٣.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٣-٢٠٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤١١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٨-٣٤٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٤؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٥٧.

كما رمت سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسها على جسد أبيها عند رؤيته،

(١) سكينه هي بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، اسمها أمّنة أو أميمة، وسكينه لقب لها، لُقبت به من قبل أمّها الرباب بنت امرئ القيس؛ لسكونها وهذونها، إذ كانت السكينه صفّة لها. والرباب هي من قبيلة قضاعة، وقد أسلم أبوها في عهد عمر بن الخطاب، وولاه على من أسلم من قضاعة في الشام، واتّصفت الرباب بالوفاء لزوجها الإمام الحسين (عليه السلام)، فبعد واقعة الطفّ بسنة واحدة تُوفيت حزناً عليه، ولم يذكر المؤرّخون سنة ولادة سكينه، بل ذكروا وفاتها وهي في السبعين من عمرها، حيث تُوفيت في الخامس من ربيع الأول سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م، في المدينة المنورة ودُفنت فيها، وهذا القول يجعل الاحتمال قائماً بأنّ ولادتها بين سنتي ٤٦هـ/ ٦٦٦م و٤٧هـ/ ٦٦٧م، ويُقال: إنّها كانت في واقعة الطفّ بعمر ما بين الثالث عشرة والرابع عشرة، أي أنّها ادركت سنّ الزواج في حياة أبيها، وتزوّجت من ابن عمّها عبد الله بن الحسن السبط الذي قُتل في معركة الطفّ، وقد عاشت في كف أبيها وأخيها علي (السّجاد) ت ٩٤هـ/ ٧١٢م وابن أخيها محمّد الباقر ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م، وهذا فلا غرو أنّها ورثت عنهم العبادة والتقوى والعلم والأدب والعفة، والعزوف عن الدنيا، واتّصفت سكينه بأنّها سيّدة نساء عصرها، وأوفرهنّ ذكاءً وعقلاً، وكانت تُزيّن مجالس المدينة المنورة بمنزلتها، التي هي عبارة عن ندوة لتعليم العلم والفقه والحديث، وقد وصفها الإمام الحسين (عليه السلام) بأنّها كانت مستغرقة جُلّ وقتها في ذات الله تعالى، كما وصفها بخيرة النسوان عند وقوفه عليها يوم الطفّ وهي باكية نادية، وإنّها قد استأثرت بقلب الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لأنّها كانت مبعث أنسه وراحته. وقد ظلّمت سكينه في ما تُسبب إليها من حضورها مجالس الشعر والشعراء، ومن زواجها المتعدد، فهو من صناعة الأمويين، والكلّ يعرف مدى عدائهم للعلويين، فقد حاولوا - من خلال الأخبار التي اختلقوها عن السيّدة سكينه، والتي شغلت مساحة واسعة من كتب الحكايات، وملاحم الغزل، ووسائل القصّاصين - أن يحيلوا قداسة البيت العلوي إلى دناءة أموية، فكل ما قيل من شعر فيها فهو يعود على سكينه بنت خالد بن مصعب بن الزبير، أو في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. لمزيد من التفاصيل عن سيرة السيّدة سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام) يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ٣٤٨؛ ابن حبيب البغدادي، المحبر: ص ٤٣٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٠٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٨٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٤، ص ١٧٠، و ج ١٦، ص ١٣٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤٥٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٧، ص ١٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٥، ص ١٩٥؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٤٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٧، ص ٢١٢؛ بنت الشاطئ، تراجم سيّدات بيت النبوة: ص ٧١١؛ محمّد علي بن يحيى الحلّو، عقيلة قريش أمّنة بنت

ولم يستطع أحد أن يرفعها منه إلا بتجمع عدد من الرجال وسحبهم إياها بقوة^(١)، وهذا ما سولت لابن سعد نفسه أن يمرّ بنساء ثواكل، ومعهنّ مريضهنّ قبل أن تجفّ دموعهنّ، وتهداً نفوسهنّ.

وقد جدّ ابن سعد ومن معه من الجيش والسبايا في السير مسرعين إلى الكوفة، ولم يتوقّفوا في موضع النخيلة^(٢) عند مرورهم بها؛ وذلك لأنّها لا تبعد كثيراً عن موقع الطفّ، حتى وصلوا عند غروب الشمس إلى مشارف الكوفة، وباتوا ليل الثاني عشر - كما يعتقد البعض - في موضع الحنّانة^(٣)، وعسكروا في هذا المكان القريب من مركز المدينة، حيث نزل الحرس الموكل على حراسة السبايا والرؤوس،

الحسين (عليه السلام) الملقبة بسكينة: ص ٣٩-١٤٤؛ توفيق الفكيكي، سكينة بنت الحسين؛ عبد الرزاق المقرّم، السيّد سكينة بنت الحسين؛ أمل محمّد خضر، دور نساء أهل البيت: ص ١٤٦.

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨١.

(٢) النخيلة: تصغير نخلة، موضع من مواضع الكوفة يقع بالقرب منها، وكان يُعرف قديماً باسم بر ملاحه، واليهود يسكنون فيه منذ القديم، وفي النخيلة مسجد قديم متاخم لبنانية ضريح النبي حزقيال ذي الكفل، وورد ذكر النخيلة في الأحداث التي وقعت في العصر الراشدي، فقد خرج إليها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مراراً، عند توجّهه لمحاربة معاوية بن أبي سفيان في صفّين، وعندما سمع بمقتل عامله على الأنبار، وخطب فيها خطبته المشهورة في ذمّ أهل الكوفة، وفيها قُتلت مجموعة من الخوارج عند مجيء معاوية إلى الكوفة. يُنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما أستعجم: ج ٤، ص ١٣٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧٨؛ أمانة مسجد النخيلة، النخيلة المسجد والمزار: ص ٦-٧.

(٣) الحنّانة، بفتح الحاء وتشديد النون، مؤنث الحنان، وحنّ الاشفاق ورقة القلب، والحنّانة مشتقة من كلمة حنا، وحنا اسم لدير نصراني قديم من أديرة الحيرة، وقد بناه المنذر بن النعمان الأول (٤١٨-٤٦٢م)، ويُحاذي هذا الدير منارة عالية كالمقرب، تُسمّى القائم لبني أوس بن عمرو، وفيها سجن للمناذرة ملوك الحيرة، ويُقال لِمَن حُبس فيها ثوى، أي: أقام، والحنّانة مسجد من مساجد الكوفة القديمة، يقع في الزاوية، وهي موضع معروف منذ العصر الجاهلي، وفي الزاوية قبر أبي موسى الأشعري. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٧٢٢؛ حرز الدين، مرآة المعارف: ج ٢، ص ٢١٩؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٢٦١.

وضربوا الخيام والفساطيط، وأنزلوا سبايا آل البيت فيها، وباتوا يحرسونهم تلك الليلة حتى صباح اليوم التالي حيث دخلوا الكوفة^(١).

وفي صباح اليوم الثاني عشر من المحرم دخلوا إلى الكوفة، واستعرضوهم في شوارعها، وتحلّل ذلك خطب السيّد زينب الكبرى وأمّ كلثوم ابنتي الإمام علي بن أبي طالب، وفاطمة وأخيها علي بن الحسين (عليه السلام)، ثمّ أُدخِلوا إلى مجلس عبيد الله بن زياد، وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم.

ويلاحظ ممّا تقدم:

ظاهرة السبي كانت موجودة عند دول الروم والفرس المجاورة للعرب، وكذلك موجودة عند قبائل العرب قبل الإسلام، وهي ظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية، وأنّ سببها الحروب المتواصلة بين تلك الدول أو القبائل، ممّا جعلهم يسبون ويأسرون نساء ورجال من انتصروا عليهم، ومن ثمّ يُسخّرونهم لأعمال شتّى في خدمتهم.

وقد ظلّت هذه الظاهرة عند بزوغ نور الإسلام، إلّا أنّه اتخذ إجراءات عدّة للقضاء على هذه الظاهرة، وتجفيف منابعها كلّما أمكن ذلك، التزاماً وتطبيقاً لمنهج الدين الإسلامي الحنيف، حيث أكّدت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على تحقيق ذلك.

وقد اختلف التعامل في ظلّ الإسلام مع الأسرى والسبايا، من الشدّة والقسوة والظلم إلى التعامل بمنتهى الإنسانية من حيث الحسنى والرأفة والعدالة، من خلال ما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله) في معاملته مع الأسرى في حروب الدفاع عن الإسلام ونشره، وخاصّةً مع النساء، واستمرّ ذلك إلى عهود تلت عصر النبوة إبان عمليات الفتح

(١) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٣٥٤؛ ليب ييضمون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٢٦٣.

ونشر الإسلام في البلدان المجاورة لدار الإسلام. وقد أدى هذا إلى زيادة أعداد السبايا والأسرى، ودخول كثير منهم في الإسلام واعتناقه. وقد حرّر كثير منهم بطرائق شتى، ممّا جعل بعضهم يؤدّي دوراً بارزاً في جوانب مختلفة في دولة الإسلام.

إلا أنّ ممّن حُسبوا على الإسلام، بل وحكموا دولته، أمثال يزيد بن معاوية وواليه في الكوفة عبيد الله بن زياد، ولأغراض سياسية باطنها الحقد والضغينة والتسلّط على رقاب المسلمين؛ قاموا بارتكاب جريمة لا تُغتفر بقتلهم الإمام الحسين بن علي وأهل بيته (عليه السلام) وأنصاره وهم عطاشى، ومن ثمّ سبي عيالهم، ونهب أموالهم، والتجوال بهم من بلد إلى آخر وهم مقيّدون يُضربون بالسياط، ويتفرّج عليهم النّاس، هؤلاء هم آل البيت أو أهل البيت الذين فرضت محبّتهم على البشر، وقد أكّد ذلك القرآن الكريم في عدد من آياته، فضلاً عن أحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله) ووصاياهم في عترته، إذ شدّد في التذكير به، ووجوب أن يخلفوه خيراً فيهم.

الفصل الثاني

سبايا آل البيت عليهم السلام في الكوفة

المبحث الأول: الاستعراض في شوارع الكوفة

المبحث الثاني: خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل الكوفة

المبحث الثالث: خطبة فاطمة بنت الحسين عليه السلام في أهل الكوفة

المبحث الرابع: خطبة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل الكوفة

المبحث الخامس: خطبة علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام في أهل الكوفة

المبحث السادس: دخول سبايا آل البيت عليهم السلام قصر الإمارة

المبحث السابع: مجلس ابن زياد العام وأصداء المعارضة

المبحث الأول

الاستعراض في شوارع الكوفة

اتخذ عبيد الله بن زياد عدّة إجراءات قبل دخول السبایا إلى الكوفة؛ خشيةً من ردود أفعال أهلها، وأن تتحرّك حميتهم وغيرتهم، ويكون هناك فعل مضادّ للسلطة عند رؤيتهم سبایا أهل البيت عليه السلام وهم بتلك الحالة المأساوية، فأمر بتعطيل الأسواق وغلق الدكاكين، وأمر بنشر عشرات من جنوده في دروب المدينة وسككها وشوارعها؛ للمحافظة على الأمن إن حدث حادث، وأمر بعدم حمل الناس للسلاح يومئذ عند دخول السبایا الكوفة^(١)؛ لأنّه كان من بين أهل الكوفة من يعلم بحقيقة الأحداث، ويدرك عظم المصائب، وفضاعة الجناية التي ارتكبتها السلطة الأموية، وتخاذل أهل الكوفة عن نصرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ويعرف أنّ السبایا المحمولين مع عمر بن سعد هم بقية آل الرسول صلی الله علیه وآله، وأنّ الرؤوس المحمولة على أطراف الرماح هي رؤوس ابن رسول الله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، وهم خير أهل الأرض، لذا فإنّ بكاءهم كان لعظم الرزية، ومنهم من كان هواه وميوله مع بني أمية، أو جاهلاً لم يعلم بحقائق الأحداث، متوهماً أنّ والي الكوفة ابن زياد قد فتح فتحاً جديداً في ثغور المسلمين، وجيء بهؤلاء السبایا من ذلك الثغر، وهم غير مسلمين، فكان هؤلاء يضحكون

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين ومصرع أهل بيته واصحابه في كربلاء: ص ١١١؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٥٤.

جهرًا، ويتبادلون التهاني فيما بينهم عند لقائهم بعضهم لبعض بهذه المناسبة^(١).
لقد رسم عبيد الله بن زياد خطةً لدخول السبايا إلى الكوفة، تتمثل بدخول الجيش تتقدمه الأبواق والرايات، ثم بعد ذلك رأس الإمام الحسين (عليه السلام) على رمح طويل، وتليه رؤوس بقية أصحابه التي وُضعت على الرماح أيضًا، وأشهروها على الإعلام، ووراء ذلك تكون السبايا، ثم يدخل الجميع الكوفة، وكان كل ذلك قد أُعد بطريقة احتفالية ابتهاجًا بالنصر، وإيحاءً للناس بأن الجيش الأموي قد حقق نصرًا كبيرًا على أعدائه^(٢).

وقد وُصف رأس الحسين (عليه السلام) وهو على رمح طويل، بأنه «رأس زهري قمري، أشبه الخلق برسول الله، إتصل بلحيته الخضاب، فوجهه كدائرة قمر طالع، الريح تلعب به يمينًا وشمالًا»^(٣).

كما وصف مسلم الجصاص^(٤) والذي كان يقوم بترميم دار إمارة الكوفة، بقوله: «بينما أنا أجدّص الأبواب وإذا أنا بزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: ما لي أرى الكوفة تضجّ؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ قال: الحسين بن علي، قال: وتركت الخادم حتى خرج، ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجصّ، وخرجت من ظهر القصر، وأتيت إلى الكناس^(٥) إحدى محلات الكوفة، فبينما

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١١١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨٤؛ إبراهيم

الزنجاني، وسيلة الدارين: ص ٣٥٠؛ هاشم البحراني، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ١٢٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١١١؛ هاشم البحراني، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ١٢٢.

(٣) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ص ٢٢١.

(٤) لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٥) وهي محلّة في الكوفة، وعندها صلب يوسف بن عمر الثقفي (١٢٠-١٢٦هـ / ٧٣٧-٧٤٣م)

الوالي الأموي، الثائر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٢٢هـ / ٦٣٩م. ياقوت

الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٨١.

أنا واقف والناس يتوقَّعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو أربعين شقة تُحمل على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة، وإذا علي بن الحسين على بعير بغير وطاء»^(١)، ويستمرّ الجصّاص في وصفه للإمام علي بن الحسين عليه السلام: «وأوداجه تشخب دمًا»^(٢).

وعلى الرغم من أنّ هذه الرواية تصف لنا حال السبايا عندما جاؤوا بهم إلى الكوفة، إلّا أنّ الملاحظ عليها أنّها رواية مرسلة، كما أنّ المحامل والهوارج لم يرد ذكرها إلّا في خبر مسلم الجصّاص، فضلاً عن أنّ نسبة شجّ الرأس ونسبة الأشعار المعروفة إلى السيّدّة زينب عليها السلام، التي ألقتها عند دخولهم الكوفة، بعيدة عن هذه المخدّرة عقيلة الهاشميين، العاملة غير المعلمة، صاحبة مقام الرضى والتسليم^(٣). ومن المعروف أنّه قد جاء في المصادر التي أشارت إلى ورودهم إلى الكوفة أنه كان حملهم على أقتاب الإبل دون وطاء^(٤).

ويروي شاهد عيان آخر - يُدعى جديلة الأسدي^(٥) - دخول السبايا إلى الكوفة

(١) هاشم البحراني، العوالم: ص ٣٧٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٤.

(٢) فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٣٣٦.

(٣) عباس القمّي، منتهى الآمال: ج ١، ص ٥٦٩.

(٤) الطوسي، الأمالي: ص ٩١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٥.

(٥) لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا، ونعتقد أنّه نفسه بشير بن خزيم الأسدي، الذي روى خطبة السيّدّة زينب عليها السلام، ويُقال له أيضاً: بشير بن حذيم، وبعضهم يُسمّي أباه: حذام الأسدي، كما قيل: حذيم بن شريك الأسدي، وحذيم بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح التحتانية، وهو من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام. ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ٢٤-٢٥؛ الطوسي، رجال الطوسي: ص ١١٣؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٦؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٦٠٦؛ علي النمازي الشاهرودي، مستدركات رجال الحديث: ج ٢، ص ٣٢٠؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٥، ص ٢٢٧.

بقوله: «كنت في الكوفة سنة قتل الحسين، فرأيت نساء أهل الكوفة وهنّ مشققات الجيوب، ناشرات الشعور، لاطحات الخدود، فأقبلت إلى شيخ كبير وقلت له: ما هذا البكاء والنحيب؟ فقال: من أجل رأس الحسين، فبينما أنا كذلك وإذا بالعسكر قد أقبل والسبايا معه، ثم أخذ أهل الكوفة يطعمون الأطفال بعض التمر والجوز، فصاحت أمّ كلثوم: إنّ الصدقة علينا حرام أهل البيت^(١)، وجعلت تأخذه من أيدي الأطفال وترمي به، فضجّت الناس بالبكاء والنحيب، فقالت أمّ كلثوم: تقتلنا رجالكم، وتبكيها نساؤكم، لقد تعديتم علينا عدواناً وظلماً عظيماً، جئتم شيئاً فرياً^(٢)، تكاد السماوات يتفطرن، وتنشق الأرض، وتخزّ الجبال هدأً^(٣). وفي رواية أخرى أنّ أطفال السبايا عندما قدّم لهم أهل الكوفة بعض التمر والخبز، رمّوه من أيديهم وأفواهم حال سماعهم قول أمّ كلثوم بأنّ الصدقة محرّمة عليهم أهل البيت^(٤)، وبالرغم ممّا كانوا يعانونه من الجوع والعطش والتعب إلّا أنّهم لم يتعدّوا على حدود الله تعالى، ولم يخضعوا لأيّ أحد مهما قست عليهم الأيام.

وعندما أشرفت امرأة من الكوفيات من سطح دارها وهي تتفرّج على السبايا، وقد قيل لها: إنّهم من الخوارج، فسألتهن: «من أي الأسارى أنتن؟ فقلن: نحن أسارى آل محمّد، فنزلت من سطح دارها، وجمعت ملاء^(٥) وأزرا ومقانع، وقدمتهنّ لهم

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١١٠.

(٢) وهو عدم الكذب أو اختلاقه. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٧٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام) ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء: ص ١١٠.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١١٠؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٢١٣؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٣٥.

(٥) ومفردها ملاءة، وهي ملحفة تُفرش على السرير مطرّز، وبعضهم يقول: إنّها ربطة تضعها المرأة على رأسها. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٥٨.

ليتغطوا به وأعطتهن فتغطين»^(١)، وقد قبلن بهذا وأخذنه ليكون غطاءً وستراً لهنّ؛ لأنّه قد نُهِيتَ منهنّ كثير من ملابسهنّ وحاجياتهنّ يوم الطف.

ومن الصور التي كانت تُشاهد في الكوفة يوم دخول السبايا إليها، أنّ الناس حيارى وبيكون، رافعين أيديهم إلى أفواههم من شدّة حيرة الناس وصدمتهم وبكائهم، ويروى أنّ هناك شيخاً كبيراً واقفاً يبكي حتى اخضلت لحيته ويقول: «بأبي وأمّي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير النسل، لا يخزى ولا يبرى»^(٢).

وقد وصف عدد من المؤرّخين دخول سبايا آل البيت إلى الكوفة، فذكر اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) دخول سبايا آل محمّد إلى الكوفة بقوله: «وحملوهنّ إلى الكوفة، فلمّا دخلنّ إليها خرجت نساء الكوفة يصرخنّ ويبكينّ، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكينّ فمَن قتلنا؟!»^(٣).

ويصف ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) دخول السبايا بقوله: «وساق القوم حُرّم رسول الله من كربلاء كما تُساق الأسارى، حتى بلغوا بهم إلى الكوفة، خرج النَّاس إليهم، فجعلوا يبكون وينوحون»^(٤).

ويذكر الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) أنّه: «عندما جيء بالسبايا ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج النَّاس للنظر إليهم، وقد أقبل بهم على الجمال بغير غطاء؛ أخذت

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٠؛ فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٣٣٧؛

محسن الأمين، لوايع الأشجان: ص ١٩٩.

(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٠.

نساء الكوفة يبكين ويندبن، فقال علي بن الحسين بصوت ضئيل وقد أنهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: **إِنَّ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ يَبْكِينَ، فَمَنْ قَتَلَنَاهُ؟!**^(١).

ولعلّ هذا الأمر يشعر ببداية التغيّر الاجتماعي في السلوك الأخلاقي والسياسي لمجتمع الكوفة، من خلال تعاطفهم مع القضية الحسينية ورفضهم قتله. ويمكن تفسير ذلك على أنّ هذا الأمر لدى مجتمع الكوفة كان فكراً صنعته ثقافة معينة عكست واقعهم الذاتي، الأمر الذي أظهر عوائق هذا الفكر وتحلفه. فالأمويون زجّوا بنظرية سياسية بُنيت على أساس القهر والغلبة، فتولّدت أزمة في الخلق العربي الإسلامي، إذ كان مؤسس الدولة الأموية - معاوية - منكباً منذ بداية حكمه على التفتّن في زراعة الفتنة داخل المجتمع، وذلك من خلال الدعاية التحريضية ضد الإمام علي (عليه السلام)، وأن التشييع كحركة معارضة مقاومة يجب استئصالها^(٢).

ومما تقدّم يمكن القول أنّ خبر السبايا انتشر بين أهل الكوفة قبل وصولهم، ممّا أدّى إلى حدوث تجمّعات كبيرة للأهالي في شوارع الكوفة لاستقبال السبايا والتفرّج عليهم، حيث فرّض على السبايا التجوال في تلك الشوارع، وهذا ما كان يهدف إليه ابن زياد من التشهير بآل البيت (عليه السلام) والتشفيّ بهم. ويُلَمَس ذلك من خلال الاستعراض العسكري الذي أعدّه عند دخول السبايا إلى الكوفة، وكأنّه انتصار على أعداء الإسلام والمسلمين، وأنّه جاء بسباياهم.

ثمّ إنّ أهل الكوفة كانوا منقسمين في موقفهم، ما بين مؤيّد للسلطة الأموية ويبدو عليه الفرح علناً ويتبادل التهاني مع الآخرين، وقد انضمّ مع أصحاب هذا الموقف من كان جاهلاً بما حدث، وبين من كان معارضاً للسلطة يبكي سرّاً ونساءؤه يبكين علناً، ولا حيلة له في اتّخاذ موقف ما؛ لما نشره ابن زياد من الخوف والرعب بين أهالي الكوفة.

(١) الأماي: ص ٩١؛ ويُنظر: الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٥.

(٢) هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر: ص ٣٢٥.

المبحث الثاني

خطبة السيِّدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل الكوفة

إنَّ الدور الذي قُمنَ به بنات الرسالة المحمدية، وهنَّ سبايا بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام دور إعلامي مهم، مع ما كان فيهن من عظم الفاجعة والألم، بحيث تمكنَّ دورهم هذا من فضح سلطة بني أمية في الكوفة وفي دمشق على التوالي في توعية الناس وتعريفهم بحقائق الأحداث، وإثهم آل البيت لا خوارج كما يتردّد في دعاية إعلام بني أمية، وأبرزنَ الهدف الذي من أجله ثار الإمام الحسين عليه السلام، وفضحنَ أعمال بني أمية الشنيعة في إساءتهم لذريّة الرسول صلّى الله عليه وآله في قتل أولاده وأهل بيته، وسبي عياله وانتهاك حرّماته.

ومن اللواتي قُمنَ بهذا الدور البطولي السيِّدة زينب، والسيِّدة أمّ كلثوم بنتا الإمام علي بن أبي طالب، والسيِّدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وكانت أقدرهنّ السيِّدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في أداء هذا الدور الريادي برباطة جأش، وهي ثكلى قد فقدت ابنها، وأبناء أخوتها وأخواتها، وبني عمومته، فضلاً عن إخوتها، وفي مقدّمتهنّ سيّد البيت العلوي، أخوها الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقد ذُبحوا أمام ناظريها^(١)، تجلس عند أوصالهم المقطّعة وتقول: «اللهم تقبّل منّا هذه القرابين»^(٢).

(١) أمل محمّد خضر، دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف: ص ٢-٣.

(٢) جعفر البياتي، الأخلاق الحسينية: ص ٢٩٣؛ حسين الشاكري، العقيلة والفواطم: ص ٦١.

وقبل أن نتناول خطبة السيِّدة زينب بنت علي (عليه السلام) لا بدّ من الحديث بإيجاز عن أهمّ محطات حياتها، وأهمّ ما في ذلك أنّها ضربت المثل الأعلى في الصبر على المصائب، والثقة بالله تعالى في مواطن البلاء، وجسّدت معاني ومفاهيم الإسلام السامية، فألجمت تلك الأسيرة أفواه أولئك الطغاة المجرمين بحجر، لم يتمكّنوا بعدها من الدفاع عن أنفسهم، وإقناع النّاس بصحة ما قاموا به عمل شنيع للدفاع عن دولتهم، فهي في ضعفها ووحدتها أعظم قوّة ممّن أسرها، بدّدت أكاذيبهم، وحافظت على نسل بيت النبوّة من الزوال، فهذه الروح الجهادية لازمتها في حياة أبيها وأخويها، ولا سيما في معركة الطف^(١).

السيِّدة زينب هي بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الهاشمية القرشية^(٢)، وأمّها فاطمة بنت محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأشقاؤها الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) والمحسن وأمّ كلثوم^(٣)، ولها عدد من الإخوة والأخوات من أمّهات شتى، فإضافةً إلى أشقائها بلغ عدد إختوها أربعة عشر أخاً، وعدد أخواتها الإناث سبع عشرة أو تسع عشرة اختاً^(٤).

أمّا كنيّتها، فقد كُنّيّت بأُمّ كلثوم، وقد تسبّبت هذه الكنية في أن يقع كثير من المؤرّخين في وهم بين السيِّدة زينب (عليها السلام) وأخواتها الأخريات المسمّيات بأُمّ كلثوم،

(١) هناء سعدون جبار، السيِّدة زينب (عليها السلام) ودورها في أحداث عصرها: ص ٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٣١٤؛ العبيدي، أخبار الزيّنيّات: ص ١١١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١١٧؛ حسن محمّد قاسم، تاريخ مناقب ومآثر السّت الطاهرة البتول زينب وأخبار الزيّنيّات: ص ٣٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ١٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٣١٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٢، ص ٥؛ محبّ الدين الطبري، ذخائر العقبى: ص ١٧٧؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ١، ص ٥٠٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ج ٣، ص ١١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١١٩.

فالأولى أمّ كلثوم الكبرى، وهي أصغر من السيّدة زينب عليها السلام، وأمّهما فاطمة بنت الرسول عليه السلام^(١)، وأمّ كلثوم الوسطى، وهي من زوجة أخرى لعلي، وقد تزوّجت من ابن عمّها مسلم بن عقيل^(٢)، وأمّ كلثوم الصغرى، وهي من زوجة أخرى لعلي أيضا، وقد تزوّجت من عبد الله الأكبر بن محمّد بن عقيل^(٣).

لم تُشر المصادر إلى سنة ولادة السيّدة زينب عليها السلام بالتحديد، وإنّما ذكرت أنّها وُلدت في حياة جدّها^(٤)، كما أنّ الباحثين لم يتفقوا أيضاً على سنة ولادتها عليها السلام، فأشار أحدهم إلى أنّها كانت في عام ٤هـ/ ٦٢٥م^(٥)، وأشار آخر إلى عام ٥هـ/ ٦٢٦م^(٦)، أو إلى شعبان من عام ٦هـ/ ٦٢٧م^(٧)، أو إلى عام ٩هـ/ ٦٣٠م^(٨)، ويبدو أنّ القول الأخير لا يقارب الصحة؛ فإذا كانت ولادتها في السنة التاسعة للهجرة وتوفّي الرسول صلّى الله عليه وآله في السنة الحادية عشرة للهجرة^(٩)، وتوفّيَت أمّها بعد الرسول صلّى الله عليه وآله بستة أشهر على إحدى الروايات^(١٠)، فكيف تكون زينب كبرى بنات السيّدة فاطمة عليها السلام،

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ص ٣١٢؛ محبّ الدين الطبري، ذخائر العقبى: ص ١٧٧.

(٢) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٣٢.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٤٨٥.

(٤) العبيدي، أخبار الزينبيّات: ص ١١١.

(٥) جعفر النقدي، زينب الكبرى عليها السلام وفاطمة بنت الحسين عليهما السلام: ص ١٧.

(٦) المصدر السابق؛ القطيفي، وفاة زينب الكبرى: ص ٢.

(٧) حسن محمّد قاسم، تاريخ مناقب ومآثر السّت الطاهرة البتول زينب وأخبار الزينبيّات: ص ٣٠؛

بنت الشاطئ، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء: ص ٢٧؛ عمر كحالة، أعلام النساء: ج ٤،

ص ٩١؛ محمّد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: ص ٣١.

(٨) باقر شريف القرشي، السيّدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد: ص ٣٧.

(٩) الواقدي، المغازي: ج ١، ص ٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم

والملوك: ج ٢، ص ٤٥٣؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ص ٥٨؛ الطوسي، مصباح المتهجّد:

ص ٧٩٠.

(١٠) الضحّاك، الآحاد والمثاني: ج ٥، ص ٣٥٤؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيّل: ص ٦؛

المسعودي، التنبيه والإشراف: ص ٢٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣، ص ١٦١؛

الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢١١.

كما صرح بذلك أغلب المؤرخين؟! فمتى كانت ولادة أم كلثوم؟! ومتى حملت بالمحسن؟! وإذا غضضنا النظر عما تقدم، مع ذلك فإننا نعتقد أن السنة الخامسة للهجرة هي الأقرب إلى الصحة؛ لكي تستطيع السيدة زينب أن تروي لنا خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

وقد زوج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ابنته زينب (عليها السلام) من ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ^(٢). الذي لم يكن مع ابن عمه الإمام الحسين (عليه السلام) في الطف؛ وذلك لفقدان بصره ^(٣)، وتوفي عام ٨٠هـ / ٦٩٩م ^(٤)، وكان عمره يومئذ تسعين سنة ^(٥).

وقد اختلّف في عدد الأولاد الذين أنجبتهُم السيدة زينب (عليها السلام) لعبد الله، فذكر ابن سعد بأنهم: علي وعون وعباس ومحمد وأمّ كلثوم ^(٦)، وذكر الطبرسي أنهم: علي وجعفر وعون وأمّ كلثوم ^(٧)، وذكر الديار بكري: أنهم علي وعون وعباس وأمّ كلثوم ^(٨)، وذكر النووي: أنهم جعفر الأكبر وعلي وعون الأكبر وعباس وأمّ كلثوم ^(٩).

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٦٠؛ محمد تقي التستري، قاموس الرجال: ج ١٢، ص ٢٦٨؛ علي الأحمد الميانجي، مواقف الشيعة: ج ١، ص ٤٨٧.
(٢) الدولابي، الذرية الطاهرة: ص ١٦٦؛ ابن شهر آشوب، المناقب: ج ٣، ص ٩٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٥، ص ٤٦٩؛ هبة الدين الشهرستاني، السيدة زينب في عاصمة أبيها: ص ٣.
(٣) ابن عتبة، عمدة الطالب: ص ٣٧؛ جعفر النقدي، زينب الكبرى (عليها السلام) وفاطمة بنت الحسين (عليه السلام): ص ١٠٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ج ٢، ص ٧٤؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى: ص ٢٣١.
(٥) ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٣، ص ١٣٥.
(٦) الطبقات: ج ٦، ص ٣١٤؛ ويُنظر: سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٤٩؛ ابن عتبة، عمدة الطالب: ص ٣٨.
(٧) أعلام الوري: ج ١، ص ٣٩٦.
(٨) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ج ٢، ص ٣١٧.
(٩) تهذيب الأسماء: ج ١، ص ٢٦٤.

ويبدو أنّ اختلاف المصنّفين في عدد أولاد السيّدة زينب عليها السلام يعود إلى تشابه أسمائهم مع أسماء إخوتهم من زوجات أبيهم الأخريات. وإنّ عون قُتِل مع خاله الإمام الحسين عليه السلام في الطفّ، ومحمّد الذي قُتِل مع أخيه في المعركة نفسها فهو من زوجة أخرى لعبد الله بن جعفر، تُدعى الخوصاء بنت حفصة، من بني بكر بن وائل^(١).

لقد نشأت السيّدة زينب عليها السلام وترعرعت في بيت النبوة والوحي، فهي من أسرة تنتهي إليها كلّ المكارم والفضائل، فهم أوّل النّاس إسلاماً، وهم المجاهدون لإعلاء كلمة الله تعالى، وقد عاشت السيّدة زينب عليها السلام عاشت مع جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّها السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام خمس سنوات، وما يقارب الثلاثين سنة مع أبيها، ومعظم عمرها مع أخويها الحسن والحسين عليهما السلام، فتغذّت منهم روحياً.

وأما ما يدلّ على غزارة علمها، فقد كان لها مجلس في بيتها أيام وجودها في الكوفة، تفسّر فيه القرآن الكريم للنساء^(٢)، وعنّها رُويت خطبة أمّها فاطمة عليها السلام، التي احتجّت بها حول نحلته فدك^(٣) التي أنحلها لها أبوها الرسول صلى الله عليه وآله عند منعها

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٩٢؛ ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٣٧.

(٢) محمّد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: ص ٥٤.

(٣) قرية من قرى خيبر، وارضها خصبة، ذات أودية ومياه وعيون ومزارع ونخل كثير، وهي من أعمال المدينة، بينها وبين المدينة يومان، وبينها وبين خيبر أقلّ من مرحلة، وخيبر ناحية على ثمانية فراسخ من المدينة لمن أراد الشام، وفدك موقعها متميّز من خلال الطريق التجاري الذي يمرّ بالقرب منها، وسكّانها من اليهود الذين سكنوها بعد هجرتهم من بلاد الشام، وبعد معركة خيبر سنة ٦هـ/٦٢٧م أجلي عنها أهلها، فصارت ملكاً خالصاً للنبي صلى الله عليه وآله، فأنحلها ابنته فاطمة عليها السلام، قبل موته بأربع سنين، وقيل: إنّ خراجها سنوياً ثلاثمائة ألف دينار. تفاصيل أوسع عن فدك يُنظر: سامي جودة بعيد، فدك حتى نهاية العصر العباسي: ص ١٣-١٩٧.

من حقّها فيها^(١). وقد روى هذه الخطبة عن زينب (عليها السلام) عبد الله بن عباس^(٢).
المتّبع في حياة وسيرة السيّدة زينب (عليها السلام) يجد أنّها لم تتمتع يوماً في حياتها بمباهج الدنيا وزخرفها، ولم تشعر أنّها في بيئة مطمئنة^(٣)، وأنّها تحمّلت مقداراً من ثقل الإمامة أيام مرض ابن أخيها الإمام علي السجّاد (عليه السلام)، إذ إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أوصى به إليها بجملة من وصاياه^(٤).

كما تعدّدت الروايات التاريخية أيضاً في السنة التي تُوفيت فيها السيّدة زينب (عليها السلام) وفي مدفنها، فأشارت إلى أنّ وفاتها في الخامس عشر من رجب سنة ٦٢هـ / ٦٨١م^(٥)، ومن الباحثين من أشار إلى أنّها قد دُفنت في سنة ٦٥هـ / ٦٨٣م^(٦)، وقد ذُكرت أماكن متعدّدة لمدفنها، حيث قيل: في سنجار، ودمشق، ومصر، والمدينة المنورة^(٧).

ويبدو أنّ شهرة السيّدة زينب (عليها السلام) جاءت من خلال تحمّلها المسؤولية الكبرى

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ج ١، ص ٣٥؛ الجوهري، السقيفة وفدك: ص ١١٠؛ الشيخ المفيد، حديث نحن معاشر الأنبياء: ص ٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٣٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢١٩؛ العلامة الحلي، نهج الحقّ وكشف الصدق: ص ٢٦٩؛ السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: ج ٣، ص ١٥٧-١٥٨؛ محمّد بيومي، السيّدة فاطمة الزهراء: ص ١٣٨-١٤٦؛ عبد الله الناصر، محنة فاطمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله): ص ٨٥-٦٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ٦٠؛ محمّد تقي التستري، قاموس الرجال: ج ١٢، ص ٢٦٨؛ علي الأحمدي الميانجي، مواقف الشيعة: ج ١، ص ٤٨٧.

(٣) علي إبراهيم حسن، نساء هنّ في التاريخ الإسلامي نصيب: ج ١، ص ٤٩.

(٤) عبد الله المامقاني، تنقيح المقال: ص ٧٩.

(٥) العبيدلي، أخبار الزينبيات: ص ١٢٢.

(٦) جعفر النقدي، زينب الكبرى (عليها السلام) وفاطمة بنت الحسين (عليه السلام): ص ١٢٢؛ بنت الشاطئ، السيّدة زينب: ص ١٥٥.

(٧) إنّ تحديد مكان دفن السيّدة زينب (عليها السلام) ليس هو موضوع دراستنا، وعليه سنحيل القارئ إلى من تناول هذا الموضوع بحثاً ودراسة. يُنظر: هناء سعدون العبودي، السيّدة زينب (عليها السلام) ودورها في أحداث عصرها: ص ٩٩-١١٥.

إبّان أحداث معركة الطفّ وما بعدها في الكوفة والشام، وأيّ مسؤولية لها نريد التحدّث عنها؟! وهل تستوعبها القلوب والعقول؟! فقد نجحت بالقيام بمسؤوليتها بالرغم من المآسي التي عاشتها.

ولمعرفة ذلك ما علينا إلا أن نتخيّل صورة يوم العاشر من المحرم، من جهات متعدّدة وأبعاد مختلفة، فالحسين عليه السلام مجرّر، وإخوته وأبنائه وعمومته وأنصاره كالأضاحي على الأرض في البداء، وكانت هذه الأجساد الطاهرة على بعد خطوات، وعلى مرمى العين من مخيم النساء والأطفال، ولم يسلم هذا المخيم من الحرق بعد أن نهب ما كان فيه من متاع، وسلب النساء حليهنّ وحاجياتهنّ، وفرار الأطفال اليتامى على وجوههم وهم عطاشى حيارى، لا يدرون أيّ جهة ستؤويهم، وصياح جيش ابن سعد وصهيل خيوله وأبواقه المخيفة تملؤ المكان. ثمّ جاء ليل الحادي عشر، وهي أقسى وأثقل وأطول ليلة مرّت على السيّدّة زينب عليها السلام ومن معها، حيث لا حماة من أهلها، يحيطون بهم الأعداء من جند ابن سعد.

أمام هذه الصورة المرعبة ابتدأ الدور الفعليّ للسيّدّة زينب عليها السلام، حيث أمامها مهمتان:

الأولى: المحافظة على الإمام السجّاد، وعلى الحرم والأطفال، فسارعت إلى جمع من تفرّق منهم بعد حرق الخيام، وباتت تلك الليلة ومعها بعض أخواتها لحراسة ومداواة الحرم والأطفال.

الثانية: وهي الأشقّ والأصعب، وهي مسؤولية حمل الرسالة؛ إذ عليها أن تقوم بفضح الجرائم التي ارتكبتها الأمويون في قتلهم الحسين وإخوته وأبنائه وأنصاره، وسبي أهل بيته، واستكمال مجريات الثورة الحسينية، وكان ذلك من خلال خطبها، سواء أكان في الكوفة أم الشام^(١)، تلك الخطب التي أجّجت الرأي العام بعد أن

(١) هناء سعدون العبودي، السيّدّة زينب عليها السلام ودورها في أحداث عصرها: ص ٥٧.

أوضحت له الصورة بشكل جليّ، وصار بنو أميّة وأعوانهم في خزي وعار أمام الناس بعد أن عرّتهم وكشفت انتهاكاتهم للحرّمات، وبيان مدى الإساءة لذرية النبي (صلى الله عليه وآله) بقتل أولاده من أهل بيته (عليه السلام)، وسبي عياله.

إنّ خطاب السيّدة زينب بنت علي (عليه السلام) في حشود أهل الكوفة، الذين كانوا يتفرّجون على سبايا أهل البيت (عليه السلام)، اللائي يتجوّل بهنّ شرطة ابن زياد في شوارع المدينة، يعدّ هذا الخطاب أول تصريح يصدر عن أهل البيت (عليه السلام) عن معركة الطفّ بعد حدوثها، كما مثّل أول تحدّد من قبل السيّدة زينب (عليها السلام)، حيث اتّسم بقوة البيان وصلابة الإيّاان بوجه أعداء أهل البيت، وهي تلي أمّها في الفضائل وأباها في المعرفة.

لقد تحمّلت السيّدة زينب مسؤولية الاستمرار في نشر أهداف الثورة الحسينية، وتعرية الحكم الأموي وتسلّطه، وتحطيم الدعاية الإعلامية التي كانوا قد نشروها، وكشف الحقائق أمام الناس وتوضيحها لهم، على أنّ الذين تمّ قتلهم وسبيهم هم ليسوا من الخوارج، وإنّما هم آل بيت النبوة. وقد عبّر خطابها عن رأي آل البيت في معركة الطفّ بعد حدوثها، متضمّناً لوم مجتمع الكوفة الذي كان سبباً في وقوع هذه المأساة التي أصابت أهل البيت (عليه السلام).

لقد شبّه بشير بن خزيم الأسدي - وهو من فصحاء العرب - خطبة السيّدة زينب (عليها السلام) في أهل الكوفة^(١)، بعد أن أخذه العجب من بلاغتها وفصاحتها؛ ببلاغة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في الأسلوب والبيان والمستوى، «فهو مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى

(١) يُنظر: ملحق رقم (١): ص ٤٦٥.

أمثلتها هذا كلّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ^(١)، حيث قال بشير في حقّها: «ولم أر خفيرة^(٢) والله أنطق منها، كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفس^(٣)، وسكنت^(٤) الأجراس^(٥)». ويتبيّن من كلام بشير بن خزيم بأنّها أقوى على التكلّم، وأقدر على الخطابة، رغم أنّها شديدة الحياء، وقد سترت وجهها عن مَنْ تكلمهم مع ما أصابها من مصائب، ورغم أنّها لم تخاطب الرجال، ولم تلقِ أي خطبة في جمع ما من قبل، ولكن مع ذلك فقد تمكّنت من تحطيم جدار الخوف، واستطاعت أن تلقي خطبتها أمام جموع أهل الكوفة دون أن تتلعثم أو تتلکأ، وهذا هو الذي جعل بشير بن خزيم يندهش من براعتها وشجاعته الأدبية.

لقد كانت الظروف المحيطة بسبباي آل البيت في الكوفة صعبة جداً، حيث تجمّعات النّاس المتفرّجين عليهم من جهة، واحاطتهم بحراسات مشدّدة من قبل أفراد شرطة ابن زياد من جهة أخرى، إلّا أنّه مع ذلك كله نجد أنّ السيّد زينب عليها السلام كانت صلبة، وبإشارة واحدة - وبتلك الروح القوية التي استولت على

(١) الراوندي، منهاج البراعة: ج ١، ص ٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٤٥؛ خنساء مهدي حمود، خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطفّ مدّة السبي - دراسة اسلوية: ص ٢.
(٢) الخفيرة: شدّة الحياء، والمرأة الخفيرة: التي سترت وجهها. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٢٥٣.

(٣) إرتدت الأنفس، أي لم تردّ جواباً. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٩.

(٤) أي هدأت من صوت أو حركة. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٧٩.

(٥) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٢٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ١٩٢؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩٥. أمّا ابن طيفور فقد ذكر هذه الخطبة بإسم أم كلثوم، وهنا أستخدم كنية السيّد زينب بدلاً من اسمها. يُنظر: بلاغات النساء: ص ٣٧.

الموقف - إلى جموع الناس بالسكوت؛ فساد الهدوء والصمت، وافتتحت كلامها بالثناء على الله تعالى، والصلاة على الرسول ﷺ واصفة إياه بأنه أبوها؛ لتذكر الناس بأن الذين تم قتلهم وسبي عيالهم هم أحفاد رسول الله ﷺ. ثم إن قولها: «أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل^(١) والغدر^(٢)؟ أتبيكون؟ فلا رقأت^(٣) الدمعة، ولا هدأت الرنة^(٤)، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً^(٥)، تتخذون أيمانكم دخلاً^(٦) بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف^(٧) النطف^(٨)، والصدر الشنف^(٩)، وملق^(١٠)»

(١) الختل: الخداع والمراوغة. ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ١٩٩؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٤، ص ١٩١.

(٢) الغدر: الخيانة ونقض العهد. يُنظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٨.

(٣) رقأت: رقاً الدمع: سكن وأنقطع أو جفّ. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٢١١؛ الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٥٣.

(٤) الرنة: الصيحة الحزينة، الرنين: الصيحة عند البكاء بحزن. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٢٥٤.

(٥) أنكاثاً: أي تعقدون الإيثار، ثم تقومون بنقضه. يُنظر: محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣٣٦.

(٦) الخديعة والغدر، أي إعطاء العهد بالإيمان ثم الخداع والغدر. يُنظر: الكليني، الكافي: ج ١، ص ٢٩٢؛ سعد أبو حبيب، القاموس الفقهي: ص ١٢٩.

(٧) الشدة، والطعام الماسخ، ويُقال لئن يقصر كلامه ويمدح نفسه ولا خير عنده، ويقال: صلفت المرأة عند زوجها، أي لم تحظ عنده، والصلف: التكلم بما يكرهه صاحبه، وتستعمل في الرجل والمرأة. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ١٢٩.

(٨) التلطّخ بالعيب، ومن به من نطفة، أي: تلطّخ بالعيب والفساد، وتقول: فلان لزمته النطافة، وبعدت منه النطافة. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٤٣٦؛ الجوهري، الصحاح: ص ١٤٣٤؛ الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٩٦٧.

(٩) شدة البغض والتكر، شفه أي: أبغضه، والشنوف، الغيور الذي لا يفر طرفه عن النظر من شدة الغيرة والحذر. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٦٧؛ الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٣٨٣.

(١٠) الودّ واللطف الشديد، ورجل ملق: يعطي بلسانه، وليس بقلبه. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١٧٤.

الإماء، وغمز^(١) الأعداء، أو كمرعى على دِمَّة^(٢)، أو كفْضة على ملحودة، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، أن سَخِطَ الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون^(٣) ونجد - كما أشار أحد الباحثين المحدثين - في هذه الفقرة من خطبتها جانبين:

الجانب الأول: تحميل المجتمع الكوفي المسؤولية المباشرة عمّا حدث للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

الجانب الثاني: توضيح مساوئ أهل الكوفة، وما يتمتّعون به من أخلاق وعادات سيئة، كإنكارهم للعهود، وعدم مراعاتهم للأيمان التي قطعوها على أنفسهم من خلال مكاتبتهم للإمام الحسين عليه السلام، ووفودهم التي أرسلوها إليه وهو في مكّة^(٤)، يلحّون فيها بقدمه عليهم إلى الكوفة، وعندما أرسل إليهم الإمام الحسين عليه السلام رسوله وابن عمّه وثقته من أهل بيته مسلم بن عقيل عليه السلام بايعوه، ومن ثمّ خذلوه وأسلموه حتى قتله ابن زياد. وهذا عين ما فعلوه مع الإمام الحسين عليه السلام أيضاً، لأنّهم قد استسلموا بسهولة إلى مشاعر الخوف والتهديد والإرهاب الذي نشره ابن زياد في الكوفة، وعلى ذلك فإنّ صفة الغدر واضحة عند أهل الكوفة، إذ إنّ الجيش - سواء كان قيادات وأفراداً - الذي زحف لقتال الإمام الحسين عليه السلام في الطفّ كان من أهل الكوفة، ولم يشارك فيه أحد من جند الشام. والكثير ممّن لم

(١) وهي العصر باليد، ورجل غَمَزُ أيّ ضعيف، وتعني أيضاً: رذال المال. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٨٦؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٣، ص ٨٨٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) المكان الذي تتراكم فيه أرواث الحيوانات وبولها، وتختلط مع التراب في المرباض، أي: حقول الحيوانات. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ١٥٨.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٢٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٢٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٢٥.

يُشارك بالمعركة اكتفى بالتفرّج على سبايا أهل البيت (عليه السلام)، ولم يستحوا من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)، فلماذا هذا الصمت وعدم المبالاة في كلّ ما يحدث حولهم؟ ولا نجد لهم أي ردّة فعل على ما جرى إلّا البكاء^(١).

لقد حملت السيّدة زينب (عليها السلام) أهل الكوفة المسؤولية عن الفاجعة، لذلك وجهت إليهم كلمات التوبيخ والتقريع والذمّ: «... يا أهل الختل والغدر...»، أنتم أهل الخداع والمراوغة، وأصحاب الخيانة ونقض العهد، فشبهتهم بقولها: «إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً»، وهذا التشبيه مشتقّ من القرآن الكريم، وفي الوقت نفسه يدلّ على مستوى رفيع للسيّدة زينب (عليها السلام) في البلاغة والفصاحة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ﴾^(٢)، وجاء في كتب تفسير القرآن أنّ امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواربها الصوف والشعر من الصباح إلى نصف النهار، تصنع من ذلك خيوطاً جاهزة للنسيج، ثمّ تأمر جواربها بنقض ما تمّ غزله طوال هذا الوقت، ولا يزال دأبها في ذلك^(٣). وقد استعملت السيّدة زينب (عليها السلام) هذا المثل القرآني الكفيل بتأجيج روح الندم والأسف لما فرطوا به، وأرادت أن تهزّ مشاعرهم للخطأ الجسيم الذي اقترفوه مع الإمام الحسين (عليه السلام)^(٤) بغدرهم وخيانتهم مع ما عندهم من القوّة التي أضاعوها بحماقتهم، فتجدد هم يقفون في بادئ الأمر إلى جانب الحقّ، ويقدمون

(١) أمل محمّد خضر، دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطف: ص ٢٥٦-٢٦٠.

(٢) النحل: آية ٩٢.

(٣) الطبري، جامع البيان: ج ١٤، ص ١٩٨؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ٦، ص ٣٨؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٨٢؛ الطبرسي، مجمع البيان: ج ٦، ص ١٩٤؛ الزمخشري، الكشاف: ج ١٤، ص ٥٨٢.

(٤) حسين أبو سعيدة، هكذا أنت يا بطلة كربلاء فكر جهادي انقذ من مدرسة عاشوراء - دراسة وتحليل: ص ٦٣.

في سبيله التضحيّات، لكنّهم سرعان ما يتراجعون وهم في ذروة الصراع مع الباطل، والنصر قريب منهم^(١)، وإنّ مواقفهم في ذلك ما زالت شاخصة أمام أهل البيت عليهم السلام، وأول تلك المواقف هو موقفهم مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، واستجابتهم السريعة لخديعة معاوية بن أبي سفيان برفعه المصاحف في معركة صفّين^(٢)، وثانيها مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام؛ إذ بايعوه والتفّوا حوله لمواجهة معاوية، وعندما حان وقت المواجهة تحاذلوا عنه، وإنّ قسماً منهم انحاز إلى جانب معاوية طمعاً بالمال^(٣)، وثالثها ما كان مع الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما أشرنا إليه آنفاً.

وقد أشارت السيّدّة زينب عليها السلام إلى أبرز الصفات السيّئة في مجتمع الكوفة فقالت: «وهل فيكم إلّا الصّلف النطف، والصدر الشّنف، ومَلَقُ الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دِمْنَةٍ، أو كفَضّة على ملحودة»، فإنّهم في حالة تكبر وإعجاب بالنفس، والتمدّح بما ليس في الذات، وتنطفّهم بالعيب، أو القذف بالفجور، والبغض والتنكّر، وتملّقهم كما تملّق الأمة لسيّدتها من أجل إرضائه. واتّصفوا بالغمز وهو العصر باليد، وهي صفة الضعف عند الرجال الجبناء، ولهذا كان قصدها ضعف أهل الكوفة لدرجة سهولة عصرهم، أي: إظهار ضعفهم أمام العدو، ومن معانيها اللين، ولهذا يُطلق على الرجل الضعيف الغمَزُ، وكذلك تعني ردّال المال، أي: الذين يتودّدون للحكّام من أجل الحصول على منافع مالية منهم. والمرعى هو محلّ العشب الذي يسرح فيه القطيع، والدمنة هو المحلّ الذي تتراكم فيه أرواث الحيوانات وبولها، وتختلط مع التراب في مراتبهم، فتتماسك الأوساخ

(١) حسن موسى الصفّار، المرأة العظيمة قراءة في حياة السيّدّة زينب: ص ١٨٦.

(٢) المنقري، واقعة صفّين: ص ٤٩٩-٥٠٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٠٧.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٧٨-٣٢٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن: ج ٢، ص ٧٣.

المتكوّنة من الروث والبول والتراب، وبسبب الرطوبة الموجودة ينبت هناك نبات أخضر جميل المنظر واللون، لكن الجذور نابتة في مكان وسخ ملئ بالجراثيم. وهكذا وجدت السيّدة زينب (عليها السلام) أهل الكوفة أنّ لهم ظاهراً حسناً، وباطنهم وواقعهم قبيح، يشتمل على الخبث والخديعة والخيانة والكذب والنفاق والجرأة على الله تعالى، وسحق القيم والمفاهيم، وعدم التحلّي بالفضائل، التي من أبرزها الوفاء بالعهد.

وقد شبّهت السيّدة زينب (عليها السلام) المجتمع الكوفي بذلك الرجل الذي يوضع على قبره قطعة بيضاء من الجصّ أو الفضة وهو بعيد عن الدين، فيكون ظاهر القبر جميلاً، لكنّ الجثّة في داخل القبر جيفة متعفّنة، وتعني بذلك أنّ بياض الخارج لا يُغني عن سواد وقبح الداخل، وكذلك أهل الكوفة ظاهرهم زينة وباطنهم ضغينة. ثم استمرت السيّدة زينب بخطبتها - كما ينقلها الطبرسي^(١) - وذكرت معانٍ مهمّة، حيث قالت: «أبكون؟ وتنتحبون؟»^(٢)، إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، وبهذا تقول لهم: ابكوا كثيراً بأصوات عالية، وإنّ ضحككم بها حقّقتموه سيكون قليلاً، وكلّه لا يُفيدكم، وإنّها إشارة لقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣)، والمعنى: فليضحك هؤلاء المنافقون قليلاً؛ لأنّ الضحك حتى لو استمرّ فإنّه ينتهي بموت الإنسان، وهو قليل بالقياس مع بكائهم الدائم يوم القيامة، لأنّ ذلك ﴿... يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤)، وهذا تهديد ووعيد وإنذار لهم.

(١) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) وهو البكاء بصوت شديد مرتفع، طويل وممدود. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث:

ج ٥، ص ٢٧.

(٣) التوبة: آية ٨٢.

(٤) المعارج: آية ٤.

وقولها: «فلقد ذهبتم^(١) بعارها^(٢) وشنارها^(٣)، ولم ترحضوها^(٤) بغسل بعدها أبداً،
وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة^(٥)»، إنها
الدقة في تصوير المعنى، أي أنهم صحبوا كل شيء يلزم منه عيب، أو كل ما يُعير به
الإنسان من قول أو فعل، فتقول لهم أنه قد لزمكم العار، وستبقى أفعالكم الشنيعة
مصاحبة لكم، ولا غسل يبرؤكم منها، فجرىمتكم ليست ثوبا لتغسلوه، ويسقط ما
تعلق به من نجاسة مكروهة، لكن كيف تغسلون وتمحون وتمسحون عن أنفسكم
وصحيفتكم آثار هذه الفاجعة العظيمة، التي تبعدكم عن رحمة الله تعالى باعتدائكم على
رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وقتلكم سبطه وحببيه الإمام الحسين عليه السلام، وسبيكم عياله
وثقله وهم حرم الرسول صلى الله عليه وآله، فهل هناك مجال للإعتذار بارتكاب جريمة بهذا الحجم
ومع تلکم کیفیة؟!

وقولها: «وملاذ^(٦) خيرتكم^(٧)، ومفزع^(٨) نازلتكم^(٩)، ومنار حجتكم،

(١) يُقال ذهب بها، أي: أستهلبها، والذهاب: هو السير. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٣٩٣.

(٢) وهو كل شيء يلزم منه عيب، أو كل ما يُعير به الإنسان من قول أو فعل. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٥١.

(٣) شتر العيب والعار، والأمر المشهور بالشنعة، ورجل شنير: إذا كان كثير الشر والعيوب. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٥١؛ الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٤٠٧.

(٤) هو غالباً ما يكون غسل الشيء المكروه النجس. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ١٥٣.

(٥) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٦) الملجأ والحصن الآمن، الذي يحتتمي الإنسان به في المصائب والشدائد. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١٩٩.

(٧) المؤمنون من الأبرار. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٢٠.

(٨) الملجأ والمُفزع لقومه فزعاً، وفلان مفزع الناس: إذا داهمهم أمر فزعوا إليه. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٣، ص ١٣٥٨.

(٩) مصيبة الدهر الشديدة تنزل بالناس. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣٦٧.

ومدرة^(١) ستّكم، ألا ساء ما تزرّون، وبعداً وسحقاً^(٢)، فلقد خاب السعي، وتبّت^(٣) الأيدي، وخسرت الصفقة^(٤)، وبؤتم^(٥) بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة^(٦)، فتريد أن تقول: الذي قتلتموه هو الملجأ والحصن الآمن الذي يُحتمي به، ويلجأ إليه الخيرون في الشدائد، وهم المؤمنون الأبرار، وهو الذي يفزع لهم وبكلّ ما أوتي في شدائد الدهر التي تنزل بالقوم، أمثل هذا يُقتل؟!!

وقولها: «ويلكم^(٧) يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟^(٨)، وأيّ كريمة له أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ حرمة له انتهكتهم؟^(٩)، لقد وعدتهم السيّد زينب (عليها السلام) بالعذاب الشديد؛ لقتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) وهو ابن رسول الله، والكبد كناية عن الولد^(١٠) - وقد رُوي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «أولادنا أكبادنا»^(١١) -

(١) زعيم القوم والمتكلّم عنهم وخطيبهم، والذين يرجعون إلى رأيه. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ١٢٣١.

(٢) وهو دون الدقّ، ويُقال للثوب البالي: سحق. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ١٣٩.

(٣) وهو الخسران والضلال والهلاك. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١١٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٢٢٦.

(٤) بفتح أوله وإسكان ثانيه وبعده قاف وهاء، البيعة، الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٦٥.

(٥) أي نزله وهيئته ومكّن له فيه. يُنظر: الرازي، مختار الصحاح: ص ٤٢.

(٦) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٧) وهو العذاب الشديد، الويلة، الفضيحة والبلية، وإذا قيل: وويلته، أي: وفضيحتاه. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٣٦٦.

(٨) وهي تقطيع الشيء وتشقيقه، وتقطيع اللحم. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٤٤٢.

(٩) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(١٠) الزبيدي، تاج العروس: ج ٥، ص ٣٧٨.

(١١) السرخسي، المبسوط: ج ٣، ص ٢٨٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٥٧.

ولم يكن قتله اعتيادياً كما يجري في معارك شتّى، بل قطعوا جسده إرباً إرباً. وقد شبّهت السيّد زینب عليها السلام الإمام الحسين عليه السلام بكبد رسول الله صلى الله عليه وآله، وشبّهت جريمة قتله بقطع كبد الرسول صلى الله عليه وآله، وكم يحمل هذا التشبيه في طياته من معاني بلاغية وحقائق روحانية، والثابت أنّ مكانة الكبد في الجسم لها وظائف مهمّة جداً، فكم يبلغ الانحراف لمن يدّعي أنّه مسلم ويقتل شخصاً هو بمنزلة الكبد من رسول الله تعالى.

وقولها: «لقد جئتم بها صلعاء^(١) عنقاء^(٢) سوداء فقهاء^(٣) خرقاء^(٤) شوهاة^(٥)، كطلاع الأرض^(٦)، أو كملاء السماء^(٧)»، فإنّها قد وظّفت المفردات لمعانٍ مقصودة، وذلك لمواجهة خطة بني أميّة وأعوانهم، حيث جسّدت السيّد زینب الواقع ورسمته بوضوح، فكان لصدى كلماتها الأثر البالغ لتصوير حجم الفاجعة، وذلك من خلال إتيانها بصفات متتالية، حاكية عن الحالة المعبرة عنها الواحدة تلو الأخرى، من دون فصل؛ لتبقى تتردّد في أذهان السامعين، عاكسة لهم الدلالة الواقعية^(٨)، التي أحدثت توافقاً صوتياً في إثارة أفق فني لاستيعاب الدلالة للجريمة التي ارتكبوها، التي لا يمكن تغطيتها في معنى حجم أو مساحة معينين، بل هي بحجم الأرض كلّها، والسماء والفضاء كليهما، أي أنّ حجمها أكبر من أن يتصور. ثم قالت: «أفعبجتم أن تمطر السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا

(١) وهي عند العرب، كلّ خطّة مشهورة. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج ١١، ص ٢٧٨.

(٢) وهي الداهية. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ١، ص ١٦٩.

(٣) وهي مائلة الحنك. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٥٧.

(٤) وهي الجاهلة. يُنظر: بن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٢، ص ٢٦.

(٥) شوهاة: القبيح. الميداني، مجمع الأمثال: ج ١، ص ٣٤٢.

(٦) طلاع الأرض، تسيل الطلاع، أي ملء الأرض، وطلاع كلّ شيء ملؤه. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ٩٨.

(٧) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٨) خنساء مهدي حمود، خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص ٦.

تُنصرون»^(١)، وفي قولها هذا إشارة إلى بعض الظواهر الكونية الغريبة التي حدثت عند قتل الإمام الحسين عليه السلام، حيث مطرت السماء أياماً دماً^(٢)، وهذا خبر حقيقي شاهدته السيّدّة زينب عليها السلام وأخبرت به؛ ليخلّده التاريخ، وتذكره الأجيال جيلاً بعد جيل. وقيل أيضاً: إنّه عند مقتل الإمام الحسين عليه السلام ظهرت حمرة في السماء لم يُر مثلاً من قبل.

وأشار هنا سبط بن الجوزي^(٣)، نقلاً عن جدّه عبد الرحمن بن الجوزي، وهو حنبليّ المذهب، مفسّراً حمرة السماء عند قتل الحسين عليه السلام بأنّ الغضبان يحمرّ وجهه عند الغضب، فيستدلّ من ذلك على غضب الله تعالى، وأنّه أماره سخطه، فيما أنّ الله تعالى ليس بجسم فظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بـحمرة الأفق، وذلك دليل على عظم الجناية.

كما أنّه كلّما رُفِع حجر في القدس والشام يوم قتل الإمام الحسين عليه السلام وُجد تحته دم عبيط^(٤)، وشوّهت الحيطان تسيل دماً. وقيل: لما قُتل الإمام الحسين عليه السلام مكث النّاس شهرين أو ثلاثة كأنّ الحيطان لطّخت بالدم من طلوع الشمس حتى ترتفع^(٥). وقيل: إحمرّت آفاق السماء بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ستّة أشهر، يُرى فيها كالدم، وانكسفت الشمس، واسودّت السماء، وظهرت الكواكب نهراً^(٦)، فويل للذين

(١) السيّد ابن طاووس، الملهوف، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤١٣؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦، ص ١٤١؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ص ٢٩٤.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٤٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠١.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٤٤٢.

(٦) المسعودي، إثبات الوصية: ص ١٦٨؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ: ص ٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٩٠؛ محبّ الدين الطبري، دلائل الإمامة: ص ١٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠١؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ص ٢٩٤.

قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، فلهم عذاب وخزي عظيمان في الآخرة، ولن ينصرهم أو يشفع لهم أحد.

وفي نهاية خطابها كان هناك إنذار بالانتقام؛ لأنّ عدالة الله تعالى تأبى أن تمرّ تلك الجريمة دون عقاب يتناسب مع حجمها وخطورتها، إمّا أن يكون العقاب حالاً أو بعد حين، حيث قالت: «فلا يستخفّنكم المهل^(١)، فإنّه لا يحفره^(٢) البدار^(٣)، ولا يخاف فوت^(٤) الثأر^(٥)، وإنّ ربكم بالمرصاد»، أي: لا تستخفّون بالمهلة، فإنّ الإسراع في الأخذ بدماء القتلى قريب عند الله تعالى، فالانتقام الإلهي من قتلة الإمام الحسين عليه السلام شديد وإن أتى بعد مدّة وبدون عجلة، وإنّ دم الإمام الحسين عليه السلام هو ثأر الله تعالى وابن ثأره^(٦)، فلا بدّ من أخذه.

وبهذا فإنّ السيّدة زينب عليها السلام كشفت الحقائق، واستشرفت رؤيا مستقبلية، طبقاً لأحكام إلهية وأمور عقلية أخذتها عن جدّها وأبيها وأمّها وأخويها عليهم السلام، فقد ذكّرت النّاس بآيات من القرآن الكريم ليرجعوا إلى معانيها وأحداثها ويتدبّروها، وسيجدون ما ينتظرهم من وعيد الله تعالى وعذابه الشديد، وهذه الآيات هي: أول

(١) قيل هو ما أُذيب من النحاس والرصاص وأشباهها، وقيل: هو القح والصديد، وقيل: هو دردي الزيت يشوي الوجوه، والاهمال والتمهل، الإنظار. يُنظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٥٣؛ عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب: ج ٤، ص ٤٨٤.

(٢) أي دفعه من خلفه، وحفره عن الأمر، أي أعجله وأزعجه. يُنظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) وهو الاسرع والتعجيل. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٢٠.

(٤) تفوت وتفاوت، أي عدم السبق عليه، وقيل الفوت هو الموت. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١٣٧.

(٥) وهو الطلب بدم القتيل، أي قتل القاتل. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٢٣٦.

(٦) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٦؛ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٠؛ العلامة الحلي، منتهى المطلب في تحقيق المذهب: ج ٢، ص ٨٩٢.

آية في سورة النحل، وآخر سورة (ص)، أمّا الآية الأولى فهي قوله تعالى: ﴿أَفَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، روي عن النبي ﷺ أنه عندما نزل جبريل بهذه الآية من سورة النحل، وبدأ بقراءتها فزع النبي ﷺ، ونهض من أمر الله تعالى الآتي، ولم يهدأ إلا عند سماعه: (فلا تستعجلوه)^(٢)، وقد أعطى المفسرون معنى: (أمر الله تعالى) في هذه الآية بأنه له معان متعددة، منها: هو يوم القيامة، وهو قريب فيه عذاب شديد للكفار والمشرّكين^(٣)، ومن معانيه الأخرى نصر النبي محمد ﷺ على المشركين والكفار، وهو واقع لا محالة^(٤). وأمّا الآية التي جاءت في آخر سورة (ص) فهي قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٥)، وقد جاء الكلام تهديداً موجهاً إلى المشركين من قريش وغيرهم، بأنّ عليهم وجوب العلم بأخبار هذا القرآن، بما فيه من الوعد للمؤمنين والوعيد للمشرّكين ولو بعد حين - أي بعد الموت - وستأتي الآخرة، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين يا ابن آدم^(٦). وفي هذا الحال الذي تتكلّم فيه السيّد زينب (عليها السلام) هاج الناس وضجّوا بالبكاء، وبُهِتوا وظلّوا في حيرة من أمرهم، لا يعرفون ما يفعلون، وبدت خشية شرطة ابن زياد من هياج الناس، وربما تطوّر الأمر إلى ما لا تُحمد عقباه، فرفعوا رؤوس القتلى أمام السيّد زينب، فتوقّفت عن الكلام عند رؤية رأس أخيها الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) النحل: آية ١.

(٢) الثعالبي، الجواهر الحسان: ج ٣، ص ٤١٠.

(٣) الطبري، جامع البيان: ج ١٧، ص ١٦٢.

(٤) الثعالبي، الجواهر الحسان: ج ٣، ص ٤١٠؛ السيوطي، تفسير الجلالين: ج ١، ص ٣٤٥.

(٥) ص: آية ٨٨.

(٦) الطبري، جامع البيان: ج ٢١، ص ٢٤٣؛ ابن أبي طالب المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية: ج ١٠، ص ٦٢٩١؛ السمعاني، التفسير: ج ٤، ص ٤٥٦.

وضربت برأسها مقدّمة الحمل، وسال الدم من تحت مقنعتها^(١)، ومسحته بخرقه كانت بيدها^(٢). إنّ رواية ضرب السيّد زينب لرأسها بمقدّمة الحمل هي محلّ نظر وتأمل، إذ لا يمكن ذلك، فإن حدث فهو مخالف لوصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام لأخته السيّدّة زينب عليها السلام ليلة العاشر من المحرم^(٣)، ولم يرد عنها مخالفة لوصية أخيها الإمام الحسين عليه السلام، كما أنّ ذكر المحامل والهوارج لم يرد ذكره في غير خبر مسلم الجصاص، وسبق وأن أشرنا إلى هذا الأمر آنفاً، فضلاً عن أنّ السيّدّة زينب عليها السلام كانت تتمتع بروح قوية مليئة بالإيمان والصبر على ما أصابها، ويبدو ذلك واضحاً في جوابها لابن زياد عندما سألها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فأجابته السيّدّة زينب عليها السلام بأنها ما رأت إلاّ جميلاً^(٤).

إنّ لبلاغة السيّدّة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام الخطابية أثر كبير عند الناس، بحيث جعلتهم يضحّون بالبكاء، لأنّهم فزعوا من هول ما أسمعتهم، وبلغ فيهم الأسف في نفوسهم ما بلغه، واستطاعت من خلال هذه الخطبة أن تردّ على الأعداء بكلّ قوّة وشجاعة وحُسن سياسة، بعد أن وجدت أنّه لا فائدة من القوّة والسلاح، وذكّرت الأعداء بآثامهم وخطاياهم، وأنذرتهم بعذاب الله تعالى، بتقريع

(١) وهو لباس للنساء يوضع على الرأس، وقد خيّطت مقدّمة. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٥.

(٣) عن وصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام لأخته السيّدّة زينب في عشية العاشر من المحرم. يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٩؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٤؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٢، ص ٧٥؛ ابن الجوزي، المتظم: ج ٥، ص ٣٣٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٢٢؛ الطبرسي، أعلام الوري: ص ٢٥١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٦٢.

شديد، وتأديب بالغ^(١). فالخطاب عند السيِّدة زينب (عليها السلام) يحمل بُعداً سياسياً في جوهره لإقرار الحقِّ الشرعي في الخلافة، ولا يقف عند حدود الذمِّ لمجتمع الكوفة أو التمجيد والمدح لآل البيت، وإنما يسعى لإقرار الحقِّ الشرعي في الخلافة وأوليتهم على غيرهم.

وأخيراً يصف بشير بن خزيم النَّاس بعد إكمال السيِّدة زينب (عليها السلام) خطبتها «بأنَّهم حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم»، وكان ذلك بسبب الأثر البالغ الذي تركته الخطبة في نفوسهم، فضلاً عن أنَّها جعلت بعضهم يشعر بالندم لعدم نصرته للإمام الحسين (عليه السلام)، وبعضهم الآخر لاتباعهم أوامر ابن زياد، وشعورهم بفداحة الجريمة التي ارتكبوها لقتلهم الإمام الحسين (عليه السلام).

فالوضوح والبلاغة والارتجال والتأثير هي من الصور التي تجلَّت في أسلوب السيِّدة زينب (عليها السلام)، وذلك من أجل إرساء الحقائق، وتشخيص العلاقة مع الآخر أو تقويمها. وهذا الحجاج أو الخطاب هو لإثبات الدعوى، وليس فقط في فعل إلقاء الحجَّة على المخاطب، بل النظر أيضاً في فعل المتلقِّي ليبيِّن أدلَّته، ويستكشف أمورها، ويقبل ويقتنع بالدليل^(٢).

(١) أمل محمد خضر، خطب نساء آل البيت: ص ١٠٠.

(٢) هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه - دراسة في كتاب المساكين للرافعي: ص ٦٠.

المبحث الثالث

خطبة السيِّدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام على أهل الكوفة

كانت السيِّدة فاطمة من النساء اللاتي نهضنَ بدور كبير في الإعلام الحسيني، فأبوها الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمُّها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي^(١)، التي تزوّجها الإمام الحسين عليه السلام بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام عنها، فولدت للإمام الحسين عليه السلام فاطمة^(٢)، ولم تذكر سنة ولادتها، وقد سمّاها الإمام الحسين عليه السلام بهذا الاسم على اسم أمّه السيِّدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله، وكنيتها أمّ عبد الله، أو أمّ سلمة^(٣)، وإخوتها هم: علي الأكبر، وعلي الأصغر (السجّاد)، وجعفر، وعبد الله الرضيع، وسكينة^(٤).

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ٤٧٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤١؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٤٩.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤١؛ عباس القمّي، نفس المهموم: ص ٤.

(٣) جعفر النقدي، زينب الكبرى عليها السلام وفاطمة بنت الحسين عليه السلام: ص ٥؛ محمّد الحسّون، أعلام النساء المؤمنات: ص ٥٧٧.

(٤) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ١٨؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ص ٢٤-٢٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٢؛ جعفر النقدي، زينب الكبرى عليها السلام وفاطمة بنت الحسين عليها السلام: ص ٦.

وكان لفاطمة مكانة عند أبيها؛ لشخصيتها القوية ورجاحة عقلها، ممّا جعل الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء - وهو في ظلّ ذلك الظرف العصيب - يسلمها وصيته، التي سلّمها إلى أخيها الإمام علي السجّاد (عليه السلام) فيما بعد عند شفائه من مرضه^(١)، وقد زوّج الإمام الحسين (عليه السلام) ابنته فاطمة من ابن أخيه الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما سأل عمّه الزواج^(٢)، وكان الحسن المثنى قد حضر مع عمّه يوم الطفّ، وشارك في المعركة، وقد أُسر بعد أن جرح عدّة جراحات وشفى منها في ما بعد، وقيل: بعد إصابته أخذه خاله أساء بن خارجة الفزاري^(٣)، لأنّ أمّه كانت فزارية^(٤)، وتركه ابن سعد لهم^(٥). وأنجبت فاطمة منه عبد الله المحض، والحسن المثلث، وإبراهيم الغمر، وزينب، وأمّ كلثوم، وقد عرف

(١) الكليني، الكافي: ج ١، ص ٣٠٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٧٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ١٨٠؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ١، ص ١٧٢؛ ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٨٤؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة: ص ٥٤.

(٣) أساء بن خارجة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري، روى عن جماعة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله)، توفّي سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م وهو ابن ثمانين سنة. يُنظر: البخاري، التاريخ الكبير: ج ٢، ص ٥٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٢، ص ٣٢٥؛ ابن حبان، الثقات: ج ٤، ص ٥٩؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩، ص ٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٥٠٥.

(٤) وهي خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن سمى بن مازن بن فزارة بن ذبيان، وكانت تحت محمّد بن طلحة بن عبيد الله، فقُتل عنها يوم الجمل ولها منه أولاد، فتزوّجها الحسن بن علي بن أبي طالب. يُنظر: الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٢٠؛ ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ٣١١؛ ابن شهر آشوب، المناقب: ج ٣، ص ١٩٢؛ ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٩٨.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٢٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٣٦٥.

هؤلاء الأولاد بالعلم والأدب^(١). وقد تُوفي الحسن المثنى مسموماً في عام ٩٦هـ/ ٧١٤م^(٢)، أو في عام ٩٧هـ/ ٧١٥م^(٣)، وقيل: إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت ترفض الزواج من بعده رغم أنَّ خطَّابها كانوا من الأشراف^(٤).

وتُوفيت السيِّدة فاطمة عليها السلام في المدينة المنورة سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م، وهي نفس السنة التي تُوفيت فيها أختها سكينه، ودُفنت في البقيع^(٥)، وأشارت بعض المراجع إلى أنَّ وفاتها كان سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، ودُفنت في مصر^(٦).

نجد ممَّا تقدَّم من سيرة حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام أنَّها ذات شخصية قوية مسلَّحة بالإيمان والصبر، والرضا بقضاء الله تعالى وقدره، يمكن الاعتماد عليها في ملِّمات الدهر - وما أكثر هذه الملِّمات عند أهل البيت عليهم السلام - لتثبت جدارة أمام أعداء أهل بيتها، ولا سيما إبان أحداث معركة الطفِّ، فإنَّها تعرَّضت يوم العاشر من المحرم

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٧٨؛ جعفر النقدي، زينب الكبرى عليها السلام وفاطمة بنت الحسين عليهما السلام: ص ٥٢؛ محمَّد الحسَّون، أعلام النساء المؤمنات: ص ٥٩١.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٤؛ جعفر النقدي، زينب الكبرى عليها السلام وفاطمة بنت الحسين عليهما السلام: ص ٥٩-٦٠.

(٣) ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمَّة: ص ٧٥١؛ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال: ص ١٧٧.

(٤) أشارت بعض الروايات إلى أنَّها قد تزوجت فيما بعد من عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفَّان، وأنجبت منه محمَّد الأصغر والقاسم ورقية. ولُقِّب محمَّد بالديباج؛ لحسنه وجماله، وقد سجَّنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م)، مع أخيه لأُمِّه المثنى بن الحسن وأخوته، وفيما بعد قتلهم المنصور جميعاً سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٣١٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ١٨٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٨٣؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٢٩٣، ٣٤٩.

(٥) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٥٢.

(٦) عمر كحالة، أعلام النساء: ج ٤، ص ٤٧؛ ياسين العمري، مهذَّب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء: ص ١٩٩؛ محمَّد الحسَّون، أعلام النساء المؤمنات: ص ٥٩٧.

٦١هـ / ٦٨٠م إلى سلب خلخالين^(١) من رجليها عندما دخل الجُند إلى الخيام، كما نزعوا الملاحف عن ظهور النساء، وكانوا سيكون عند سلبهم، لمعرفة أئمتهم يسلبون بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)، وعند سبيها وأهلها ووصولهم إلى الكوفة وطوافهم في شوارعها بين المتفرجين عليهم؛ انبرت وأجادت في أروع خطاب وجّهته في حشود أهل الكوفة بالرغم من صغر سنّها، وهذا ليس مفاجئاً؛ لأنّها من مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، فقالت: «الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحده وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ ذريته ذُبحوا بشطّ الفرات بغير ذل^(٣) ولا ترات^(٤)، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفترى^(٥) عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود لوصيّيه علي بن أبي طالب، المسلوب حقّه، المقتول بغير ذنب، كما قُتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، في معشر مسلمة بالسنتهم، تعساً^(٦) لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك، محمود النقيّة^(٧)، طيّب

(١) وهو سوار أو حجل: الذي تلبسه المرأة، وتخلخلت المرأة: لبست الخلخال. يُنظر: ابن السكّيت، ترتيب إصلاح المنطق: ص ١٤٩، ٢٠٥؛ الزمخشري، أساس البلاغة: ص ١٥٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٢٢١.

(٢) الصدوق، الأمالي: ص ٢٢٨.

(٣) والجمع ذحول، أي الحقد والأعداء، يُقال طلب بذحله، أي بثّاره. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٧٠١.

(٤) وهي جمع ترة، ومعناها أخذ الثأر. يُنظر: القيرواني، زهر الآداب: ج ٤، ص ١٠٩٥.

(٥) أي لا أكذب، أو أختلقه، أو ألبس الكلام. يُنظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٧٣.

(٦) أي الإعتار والسقوط والهلاك. يُنظر: فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٥٦.

(٧) وهي يُمن العمل، وقيل النقيّة: النفس، أو الطبيعة، أو الخليقة. يُنظر: الفراهيدي، العين ج ٥

العريكة^(١)، معروف المناقب، مشهور^(٢) المذاهب^(٣)، لم تأخذه اللهم فيك لومة^(٤) لائم، ولا عذل^(٥) عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك، ولرسولك صلواتك عليه وآله، حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً بالآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته إلى صراط مستقيم.
أمّا بعد..

يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء^(٦)، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة^(٧) علمه، ووعاء فقهه وحكمته، وحبّته على أهل الأرض في بلاده لعباده، وأكرمنا الله بكرامته، وفضلنا الله بنبيه محمّد، على كثير ممّن خلق تفضيلاً بيناً، فكذبتمونا وكفّرتونا،

-
- ص ١٨٠؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٥، ص ١٠٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٦٨.
- (١) وهي الطيبة، وفلان لين العريكة، أي كان سَلِساً. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥٩٩.
- (٢) الشُّهرة من الانتشار والوضوح، والخبر المشهور سَمّي بذلك لاشتهاره. يُنظر: أحمد عبد الرحمن عبد المنعم، معجم مصطلحات والألفاظ الفقهية: ج ٣، ص ٢٩٤.
- (٣) واحده: المذهب، وهو المعتقد. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٣٩٤.
- (٤) هي الملاومة، وهي أن تلوم رجلاً ويلومك، ورجل لُوم، ملوم. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٢٣٤.
- (٥) وهي الملامة، ويُقال: عذلنا فلاناً، اعتذّل؛ أي لام نفسه. يُنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٢٠٠.
- (٦) بالضم والكسر، التكبر، والعجب والاعجاب بالنفس. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٢.
- (٧) وهي موضع السرّ عند الرجل، والذين يأتهم على أمره: العيبة، وقيل أيضاً: العيبة هي الصدر النقي من الغلّ. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٦٤.

ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو ديلم، قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت، لحقد متقدّم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين. فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل^(١) بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فيما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢)، فتباً^(٣) لكم يا أهل الكوفة، أيّ تراتٍ لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قبلكم؟ وذحول له لديكم، بما عتّم^(٤) بأخيه علي بن أبي طالب جدي وبنيه وعتره النبي الأخيار (صلوات الله وسلامه عليهم)؟ وافتخر بذلك مفتخركم وقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسيينا نساءه سبي ترك ونطحناهم أيّ نطاح

بفيك أيّها القائل الكثكث^(٥) والاثلب^(٦)، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، فأكظم^(٧) وأقعى كما أقعى^(٨) أبوك (فإنّا لكل مرئى ما

(١) بالكسر وهو أصل الشجرة، وهو ما عظم من أصول الشجر. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٣٨.

(٢) الحديد: آية ٢٢-٢٣.

(٣) وهو الخسران والضلال والهلاك. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٣٤١.

(٤) هو الأمر الشاق، وهو الضرر والفساد أيضاً. يُنظر: الجوهرى، الصحاح: ج ١، ص ٢٥٨.

(٥) وهي الحجارة. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ١٧٩.

(٦) الاثلب: تراب الحجارة، أي فُتّأها. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٢٤١.

(٧) وهو السكوت، وأكظم، أي أسكت. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٥٢٠.

(٨) اقعى الرجل في جلوسه، أي تساند إلى ما ورائه. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٩٢.

اكتسب وما قدمت يداه) أحسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١)، ﴿... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٢). وارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: «حسبك يا بنت الطيّين، فقد أحرقتِ قلوبنا، وانتضحت^(٣) نحورنا، وأضرمت أجوافنا»، فسكتت وتركت أهل الكوفة في محتهم ومشقتهم^(٤).

إنّ الذي يقرأ خطبة السيّدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في أهل الكوفة، وينظر في كلامها الذي قالته فيهم، ويتمعن في ألفاظها ومعانيها علم محلّها من الفصاحة والبلاغة، وحسن السبك والبراعة والعذوبة وجزالة القول وبعد المغزى؛ لأنّها من مدرسة أهل البيت الذين اتّصفوا في خطبهم بالصفات آفة الذكر. فابتدأت كلامها بحمد الله والثناء عليه، والإقرار بالشهادتين.

ومن ثمّ بيّنت السيّدة أنّ الذين قُتلوا في معركة الطفّ هم أبناء رسول الله صلّى الله عليه وآله وأحفاده، وأنصار الإمام الحسين عليه السلام، حيث قُتلوا عطاشاً والفرات على بعد خطوات منهم، لحقد دفين على أهل البيت عليهم السلام، إنّها أحقاد جاهلية وأضغان بدرية، وقد قُتل الإمام الحسين عليه السلام، وداست الخيل بدنه الشريف، فكشفت الصورة الوحشية لأفعالهم.

وبعد ذلك انتقلت في حديثها إلى سيرة جدّها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام منذ

(١) الحديد: الآية ٢١.

(٢) النور: آية ٤٠.

(٣) انتضحت، نضح، أي رشه رشاً خفيفاً. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج ٤، ص ٢٣٣.

(٤) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٩٤؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣١٥؛ كاشف الغطاء، الملحمة الكبرى لواقعة كربلاء: ص ١١٩.

إسلامه صغيراً، وهو محمود في أفعاله، ومعروف في فضائله، وطيب في طبيعته، وواضح في معتقده، ولم تأخذه لومة لائم في الحق والثبات عليه، ولم يتمكن رادع يردعه عن ذلك، ولا يزال ناصحاً مجاهداً لله تعالى ورسوله، وقد سلب حقه، وقُتل بغير ذنب بين جماعة من المسلمين، فكان خسراناً لما يفكرون به، فلم يدفعوا عنه ضيماً في حياته، ولا عند مماته، أي أنهم في حياته لم يعطوه حقه والحماية والدفاع، وكذلك بعد وفاته، حيث تعرّض للسب والشتم ولم يدفعوا عنه، الامام علي الذي زُهد في الدنيا، ولم يكن حريصاً عليها، بل كانت رغبته في الآخرة مجاوراً لربه.

وأما قولها لأهل الكوفة: «يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فقهه وحكمته وحجته...»، فإنّ محاسن هذا الكلام لا تُعدّ ولا تُحصى، فهي تذكر صفات سيئة لأهل الكوفة، مقابل صفات حسنة لأهل البيت (عليه السلام)، فأهل الكوفة هم أهل مكر وخداع وغدر وتكبّر وعجب بالنفس، وأهل البيت (عليه السلام) هم أهل فهم، ومستودع علم الله تعالى، وحجته على الناس، وذوو حكمة وفقه وكرامة، وإنّ بلاء أهل البيت (عليه السلام) على الناس بلاء حسن؛ لأنّهم يرشدونهم إلى طريق الهداية والصلاح، وبلاء أهل الكوفة بلاء شرّ سيصيبهم بسبب عدم طاعتهم لأهل البيت (عليه السلام).

ثم أشارت إلى موقف أهل الكوفة من الإمام علي بن أبي طالب وأولاده، بتكذيبهم وتكفيرهم واستحلال دمائهم، وقتلهم، ونهب أموالهم، كأنّهم سبايا من التُّرك والديلم، وهذا ليس بغريب على أهل الكوفة، فقد قتلوا عليّاً بالأمس القريب، وإنّ سيوفهم تقطر من دماء أهل البيت (عليه السلام)، ذلك حقد في القلوب تجاههم.

ثم أكّدت على أنّ ما حصل كان في كتاب مبين، فلا يأس على ما فات، ولا فرح بما هو آت، وإنّ الله تعالى لا يُحب المختال ذا العجب بنفسه، ووعدتهم بعذاب الدنيا الإلهي جزاءً على ما اقترفوه، لقتلهم وظلمهم لأهل البيت عليهم السلام، فضلاً عما ينتظرهم من عذاب الآخرة الطويل.

وبينت فاطمة عليها السلام أنّ بجدها الإمام علي بن أبي طالب وبنيه عليهم السلام اهتدى الناس إلى الإسلام، وأنّ حسدكم لهم كان لتفضيل الله تعالى لهم عليكم.

وفي ردّها على مَنْ افتخر بقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، سأقت مجموعة من الكلمات الواحدة تلو الأخرى، مُشكّلة صورة واقعية إبداعية، لتسلّط الضوء على ما يجري من أحداث في المجتمع، والتنبؤ بما سيحدث مستقبلاً، انطلاقاً من قراءة تجارب سابقة، ليكون وسيلة لتغيّر نفوس مَنْ حولها، الذين يسمعون خطبتها^(١)، فذكرت أنّه أنت أيّها المفتخر بقتل علي عليه السلام ملئ فمك حجراً وتراباً، وعليك السكوت، وإنّك ستقع حتى لو استندت إلى ما يجعلك جالساً لا مطروحاً على الأرض، واستشهدت بآيات من القرآن الكريم لتؤكد تسليم الأمور إلى الله تعالى، والاتكال عليه، وإنّ كلّ ما يصيبهم فهو بعين الله، وإنّهم في ظلّ العطاء الإلهي والفيض الرباني عليهم دون غيرهم، وإنّ قيمهم التي منها ينطلقون لا تخرج عن قيم الدين الإسلامي الذي يبشرون به، فهم راضون بقدر الله وقضائه.

لقد تمكّنت فاطمة بنت الحسين عليه السلام بهذه الكلمات البليغة أن تأسر قلوب أهل الكوفة وتحرّك مشاعرهم، وتجعلهم يشعرون بالخيبة والندامة على ما قدّمت أيديهم، فتعالى بكاؤهم وصراخهم للدرجة التي قالوا لها: كفّاك يا بنت الطيبين، لقد آذيتينا.

(١) خنساء مهدي حمود، خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص ٧.

المبحث الرابع

خطبة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل الكوفة

أمّ كلثوم هي من زوجة أخرى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وزوجها ابن عمّها مسلم ابن عقيل، وقد وَلَدَتْ له بنتاً تُدعى حميدة، زوجها ابن عمّها عبد الله بن محمد بن عقيل^(١).

لقد أدّت أمّ كلثوم الوسطى دور الشراكة مع أختها السيّدة زينب عليها السلام في تحمّل العبء، الذي نهضت به بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وآله وأنصاره، وسبي عياله، ومع حُزنها وأساها فإنّها تميّزت في خطبتها بين حشود أهل الكوفة، التي ألهمت المشاعر آنذاك، فأومأت إليهم بالسكوت، ثمّ بدأت كلامها من وراء كلّتها، رافعةً صوتها بالبكاء، فقالت: «صه^(٢) يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكيّنا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب، يا أهل الكوفة واه لكم، مالكم خذلتُم حسينا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتبّاً^(٣)

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٣٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٤٨٤.

(٢) وهي كلمة زجر للسكوت. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٣٤٥؛ ابن السكّيت، ترتيب إصلاح المنطق: ص ٢٢٩؛ الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٣٩.

(٣) هو الخسران والضلال والهلاك. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١١٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٢٢٦.

لكم وسحقاً^(١)، ويلكم أندرون أيّ دواءٍ دهنتكم؟^(٢)، وأيّ وزر على ظهوركم حملتم؟ وأيّ دماء سفكتموها؟ وأيّ كريمة أصبتموها؟ وأيّ صبية سلبتموها؟ وأيّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير الرجال بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إنَّ ﴿حَرْبَ اللَّهِ هُمْ أَغْلَبُونَ﴾^(٣) و﴿حَرْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَيْرُونَ﴾^(٤)»^(٥).

وعند سماع هذه الخطبة «ضجَّ النَّاسُ بالبكاء والنواح، ونشرت النساء شعورهن، ودعونَ بالويل والثبور^(٦)، وبكى الرجال وبتفوا لحاهم، فلم يُرَ بالك ولا باكية أكثر من ذلك اليوم»^(٧).

لقد كانت خطبة أمّ كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - التي جاءت بعد خطبة بنت أخيها فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) - ذات أهمية لا تقلّ عن خطب مَنْ سبقها في البلاغة والفصاحة، فإنّها قد بدأت كلامها بزجر النَّاس؛ لكي يسكتوا ويسمعوا ما تريد إسماعه لهم بقولها: «صه يا أهل الكوفة»، ثمّ إنّها أبدت استغرابها وتساؤلها من فعل أهل الكوفة، ففي الوقت الذي قتل فيه رجالهم الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره، تقوم نساؤهم بالبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) ومَنْ قُتِلَ معه. وقد

(١) هو دون الدقّ، ويُقال للشوب البالي سحق. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ١٣٩.

(٢) وجمعه دھوك، وهو الطحن والتقطيع والكسر. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥٨٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٣٠٧.

(٣) المائدة: آية ٥٦.

(٤) المجادلة: آية ١٩.

(٥) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٨؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ٨٨؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٣١٦.

(٦) وهو الهلاك. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٢٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٩٩.

(٧) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٨؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ٨٨؛ عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٣١٦.

أوضحت لهم أنّ الذي سيقضي بيننا وبينكم على فعلكم هو الله تعالى يوم القيامة. وعاودت تساؤلها مع أهل الكوفة عن الأسباب التي دعتهم إلى طاعة ابن زياد وخذلان أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وليس قتله عليه السلام فحسب، بل وسبي عياله وسلب أمواله. ومع تساؤلها هذا كانت تعلم أنّ أهل الكوفة غير قادرين على الردّ، ولهذا كانت تريد توبيخهم وتقريعهم على فعلتهم الشنيعة التي ارتكبوها، قائلة لهم: «ويلكم أهل الكوفة قتلتم خير الرجال بعد الرسول، فسحقاً لكم، وتبت أيديكم، والنصر سيكون لآل محمد»، وبعد ذلك استشهدت بآية من القرآن الكريم، موضحة لهم من خلالها أنّ الفوز سيكون للمؤمنين، وهم آل محمد عليهم السلام ومن تبعهم، والخسارة للفاسقين، وهم بنو أمية ومن تبعهم، ألا إنّ ﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١)، و﴿حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، وهنا تشير إلى الضدين، فذكر النور يستدعي ذكر الظلام، وذكر الوجود يستدعي ذكر العدم، وهنا جعلت السامع يميّز بين الهزيمة والتضحية، فتضحية أهل البيت عليهم السلام رغم قتلهم هي النصر، ولبنى أمية الهزيمة رغم قتلهم لأهل البيت عليهم السلام. وهذا فهم جديد نبّهت الناس عليه، بل هو إشعاع فكري، أيقظهم وجعلهم يعرفون ما يهدف إليه أهل البيت عليهم السلام، كما ذكّرتهم بمصيرهم في الدار الآخرة هو العذاب جزاء لما اقترفوه، ممّا أثّر في نفوس أهل الكوفة، فكان كلامها أشدّ من الصواعق على رؤوسهم، فتركهم حيارى لا يعرفون مصيرهم. فضجوا بالبكاء والنواح، ونشرت النساء شعورهن، حتى قيل: لم يرباك ولا باكية أكثر من ذلك اليوم.

(١) المائدة: آية ٥٦.

(٢) المجادلة: آية ١٩.

المبحث الخامس

خطبة الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام في أهل الكوفة

قبل أن نتحدّث عن خطبة الإمام علي بن الحسين عليه السلام لا بدّ من الإشارة إلى نبذة مختصرة عنه، فهو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم^(١)، وأمّه اسمها غزالة^(٢)، أو شهربانويه^(٣)، أو شاه زنان بنت كسرى يزجرد (٦٥٢-٦٣٢م) آخر ملوك فارس^(٤)، وقيل: سلامة^(٥)، وولد في سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م^(٦)، وبهذا يكون عمره إبان معركة الطفّ ٢٧ سنة، بينما أشارت بعض

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١؛ العجلي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث: ج ٢، ص ١٥٣؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٠٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٠؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٣٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٥، ص ٢٤٢؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ١٥، ص ٣٢١.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ٢٠، ص ٢٣٠.

(٣) ابن داود، رجال: ص ٢٠٢؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣، ص ١٦٣؛ محمّد تقي التستري، قاموس الرجال: ج ١١، ص ٣١.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٥؛ محمّد بن اسماعيل المازندراني، منتهى المقال: ج ٤، ص ٣٨٤.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٢١.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٤١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ٢٠، ص ٢٣٠.

المصادر الأخرى بأنّ عمره كان ٢٣ سنة^(١)، وبهذا تكون ولادته في عام ٣٨هـ / ٦٥٨م. وزوجته بنت عمّه الحسن السبط فاطمة أمّ عبد الله^(٢)، وأنجبت له ثلاثة أولاد: الحسين، وعبد الله^(٣)، ومحمّد الباقر أبو جعفر^(٤)، وأضيف إليهم الحسن^(٥)، وأولاده الآخرون من أمّهات ولد شتّى، وهم: عمر، وزيد، وعلي، وخديجة، والحسين الأصغر، وأمّ علي، وأمّ كلثوم، وسليمان لا عقب له، ومليكة، والقاسم، وأمّ الحسن (حسنة)، وأمّ الحسين وفاطمة^(٦).

وأشهر أولاد علي السجّاد بعد محمّد الباقر هو زيد، الذي يُعدّ من أفاضل أهل البيت (عليه السلام)، وقد قام بثورة ضدّ الأمويين في الكوفة عام ١٢٢هـ / ٦٣٩م، وقتله يوسف بن عمرو الثقفي (١٢٠-١٢٦هـ / ٧٣٧-٧٤٣م) والي الكوفة في عهد هشام ابن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م)، وصُلِبَ جثته على خشبة في محلّة الكناسة^(٧). وكان الناس يأتون إلى هذه الخشبة في الليل ويتعبّدون عندها، وبقي

(١) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٣٢٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١؛ خليفة بن خياط، الطبقات: ص ٤٤٩؛ ابن قتيبة، المعارف: ص ٢١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤٧؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ١٥، ص ٣٢١.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ٩، ص ٣١١.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) بضم أوله، وهي مساحة واسعة، وتقع في أطراف الكوفة الغربية من جهة البادية، وكانت سوقاً تُباع فيها الإبل، ومناخاً للقبائل العربية القادمة إلى الكوفة للاستيطان فيها في وقت تأسيسها، وكانت قبيلتا بني أسد وبني تميم تطرحان في هذا المكان كناستهما، كما اتّخذت مكاناً لتجمّع القبائل العربية في وقت حوادث التوتّر. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٩٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ١٧٧؛ أبو عبيد البكري، معجم ما أستعجم: ج ٤، ص ١١٣٦؛ صالح أحمد العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام: ص ٤٢.

ذلك رسماً عندهم بعد أن أحرقت الجثة ورُفعت الخشبة، وقيل: إنَّ ما من أحد قصد موضع الخشبة لحاجة، ودعا الله تعالى عندها إلا وقد استُجيب له^(١).

واختلف في السنة التي تُوفي فيها الإمام علي السجّاد عليه السلام: فقيل: في محرم سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م^(٢)، أو سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م^(٣)، أو سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م، أو سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م^(٤)، ودُفِن في بقيع المدينة المنورة، إلى جانب قبر عمّه الإمام الحسن السبط عليه السلام^(٥).

وكان للإمام علي بن الحسين عليهما السلام عدد من الكنى، منها: أبو الحسن، وأبو محمّد، وأبو الحسين^(٦)، ومن ألقابه زين العابدين^(٧)، والسجّاد، والزكي، والأمين^(٨)، وذو الثغفات، لُقّب بذلك؛ لأنّه كان يصلي كلّ يوم ألف ركعة، فصار في ركبته مثل ثغفات البعير^(٩).

ووصفه سبط ابن الجوزي بقوله: «كان علي بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث،

(١) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٠٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٣٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٥، ص ٢٤٢.

(٢) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص ١٠٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦١؛ أحمد الخطيب، الوفيات: ص ١٠٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢٢١.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٠.

(٧) المصدر السابق: ص ٣٦١؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ١٥، ص ٣٢١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات:

ج ٢٠، ص ٢٣١؛ السيوطي، إسعاف المبطأ: ص ٧٨.

(٨) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٤٠٩.

(٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٠٣؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ٣٥، ص ٤١؛ ابن حجر

العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ١٢، ص ٣٠٥.

عالياً رفيعاً، ورعاً عابداً خائفاً^(١).

وفي أحد مواسم الحجّ، حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة الأموية، وأراد أن يلمس الحجر الأسود، فلم يتمكن من ذلك لازدحام الحجيج، وجاء علي ابن الحسين (عليه السلام) فوقف الناس له سباطين^(٢)، وفتحوا له الطريق بتنحيهم عن الحجر حتى لمسه، ولم يبق عند الحجر سواه، فأغاظ هذا هشاماً وسأل عنه، من هذا؟ ولم يجبه أحد، فانبرى الشاعر المشهور الفرزدق^(٣) (ت ١١٤هـ / ٧٣٢م) قائلاً: أنا أعرفه، وصاح في أبيات من الشعر نذكر بعضها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التقى النقي الطاهر العَلَمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن	الخطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رآته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

(١) تذكرة الخواص: ص ٤٠٩.

(٢) سباطين: يقال: قام القوم حوله سباطين أي صفين، وكل صف من الرجال سباط. ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٢٥.

(٣) هو أبو فراس، أو أبو الاخطل، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، التميمي البصري، ولد في البصرة عام ٢٠هـ / ٦٤١م، ونشأ فيها، وتجوّل في البادية وتطبع بطباعها، فهو سيد بادية بني تميم، وكان يقول الشعر في كلّ شيء، وأمه ليلي بنت حابس أخت الصحابي الاقرع بن حابس، وزوجته النوار انجبت له اربعة أبناء وبنتا واحدة، عاش الشاعر متنقلاً بين الخلفاء والامراء والولاة مادحاً لهم، ولقبه الفرزدق لغلظه وقصره. يُنظر: ديوان الفرزدق ص ٥١١-٥١٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية: ج ١، ص ٤٠؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ج ١، ص ٣٨١؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٢١، ص ١٠٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٧، ص ٢١٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ٢٧، ص ٢٢٤.

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
وقد أثار الفرزدق بقصيدته هذه غضب هشام بن عبد الملك، فأمر بحبسه في
عسفان^(١)، وهو موضع بين مكة والمدينة، فبعث له الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ألف
دينار، وردّها الفرزدق، ويبيّن أنّ ما قاله هو لله ورسوله، ولا أجر عليها، فقال
الإمام علي عليه السلام له: «نحن أهل البيت لا يعود إلينا ما خرج منا»، فقبلها الفرزدق^(٢).

وقد سأل رجل الإمام عليّاً عليه السلام في يوم ما: كيف أصبحت يا بن رسول
الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحت في قومنا مثل بني
إسرائيل في آل فرعون، يُذَبِّحُونَ أبناءنا، ويلعنون سيّدنا وشيخنا على المنابر،
ويمنعون حقّنا^(٣).

ولا نريد الإطالة في سرد كثير من مناقب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، لأنه
سيخرجنا من موضوعنا.

لا بدّ أن نشير إلى أنّ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام كاد أن يقتل يوم الطف، وذلك
لما هجم جيش ابن سعد على المخيّم، وسلب ما سلبوه، انتهوا إلى علي بن

(١) هو موضع بضم أوله وإسكان ثانيه، سُمّيت عسفان لتعسف السيل فيها، وهي لبني المصطلق،
تبعد عن مكة مرحلتين. يُنظر: المهلبي، المسالك والممالك: ص ٣٦؛ أبو عبيد البكري، معجم ما
استعجم: ج ٣، ص ٩٤٢؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة: ص ٢٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم
البلدان: ج ٤، ص ١٢١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٩٤٠.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٤١٦؛ اليافعي، مرآة الجنان: ج ١، ص ١٨٩؛ ابن العماد
الحنبلي، شذرات الذهب: ج ١، ص ١٤٤.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٤١٣.

الحسين (عليه السلام) وهو نائم على فراشه؛ لمرضه الشديد، وأرادوا قتله، فدفعهم عنه عمر ابن سعد بقوله: «لا تعرضوا لهؤلاء النسوة، ولا لهذا المريض»^(١).

وفي الكوفة يوم أسره كان له دوره في الخطابة، إذ بدأ خطبته بعد انتهاء عمّاته وأخته من خطبهن، وقد اتّسمت بأنها إغتراف من نهج الآباء والأجداد وامتداد له، كموروث عامّ يتمثّل في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وقد أدّت بالناس إلى أن يتأثروا تأثراً كبيراً، وتزداد أحزانهم وتلهب مشاعرهم، وتتحرك ضمائرهم مؤنبة إياهم على خذلانهم للحسين وأهل بيته.

قال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «أيها الناس مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات، من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن مَن انتُهكت حريمه، وسُلب نعيمه، وانتُهب ماله، وسُبي عياله، أنا ابن مَن قُتل صبراً^(٢)، وكفى بذلك فخراً. أيها الناس ناشدكم الله، هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي، وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتموه وخذلتُموه؟! فتبّاً^(٣) لما قدّمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأيّ عين تنظرون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمّتي؟! فارتفعت أصوات الناس من كلّ جانب، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين: رحم الله إمراً قَبِل نصيحتي، وحفظ وصيّتي في الله، وفي

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٢١٢؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ١١٩؛

الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٧؛ ابن عبد البر، التمهيد: ج ٩، ص ١٥٧.

(٢) قُتل صبراً، أمسك حياته تكلفاً حتى مات. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٧٠٢.

(٣) هو الخسران والضلال والهلاك. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١١٠؛ ابن منظور، لسان

العرب: ج ١، ص ٢٢٦.

رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله أسوةً حسنةً؛ فقالوا جميعاً: نحن كلّنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لزمّامك^(١)، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيداً ونبراً ممّن ظلمك وظلمنا، فقال علي بن الحسين: هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلّي كما أتيتم إلى أبي من قبل؟ كلا ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا^(٢).

بدأ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مخاطباً حشود أهل الكوفة بتعريف نفسه، وأنّه ابن الذي ذُبح ذبيحاً قرب الفرات عطشاناً، لحقد قديم ورث من الجاهلية ويوم بدر، وصار جسده هدفاً لتدوس عليه خيل الأعداء. ثمّ عدّد ما تعرّض إليه عياله من السبي، وانتهاك الحرمات، ونهب الأموال، وتفاجر بقتل أبيه صبراً، لأنّه كان صلب الموقف على مبادئه. وإنّكم أهل الكوفة وجّهتم الرسائل للحسين، وطلبتُم منه القدوم للكوفة، فكان موقفكم الخداع والخذلان، وكنتم قد اعطيتموه العهد والميثاق والبيعة على التضحية، ثمّ لم تفعلوا ذلك، فهذا سوء الرأي فيكم. وتساءل ماذا تقولون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يرى ذريته مسبيةً منتهكة الحرمات؟! وأنّ هذه الأفعال ليست أفعال جماعة مسلمة.

وإزاء هذا التوبيخ والتقريع ضجّ النّاس وارتفعت أصواتهم بالبكاء، وأيقنوا بالهلاك، ثمّ ترخّم على كلّ شخص يأخذ بنصيحته ووصيته، فكان جوابهم: بأنّهم جميعاً عند السمع والطاعة وحفظ قيادته لهم، وأنّهم معه في السلم والحرب،

(١) هو الخيط الذي يُشدّ في الإبرة، أو في الخشاش، ثمّ يُشدّ في طرفه المقود، أي بمعنى أنّهم تحت قيادته. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٧٢؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٨١.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩٧؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٤٩٩؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٩٩-٢٠٠.

ويتبرأون من يزيد ومن ظلمه وظلمهم. ولكن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لم يستجب لذلك؛ لأنه يخشى منهم الغدر والمكر الذي فعلوه مع أبيه، وإن هذا لمن شهوات أنفسهم التي لا يمكن تحقيقها.

مما يلاحظ على خطبة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وخطب نساء آل البيت، عمّاته السيّدة زينب وأمّ كلثوم بنات علي بن أبي طالب، وأخته فاطمة بنت الحسين؛ الإشارة إلى حقائق مهمّة، إذ إنهم ركّزوا على وصف قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بأنّه ذُبِح ذبحاً، وداست الخيل على صدره، لحقد قديم، وقُتل وأهل بيته وأنصاره عطاشى بالقرب من نهر الفرات، وبعد ذلك نُهبَت أمواله، وسُبيت عياله، وانتُهكت حرمة. ثمّ وجّهوا اللوم إلى أهل الكوفة، لأنهم يُعدّون الجناة الذين ارتكبوا جريمة قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وآل بيته وأنصاره؛ لأنهم كاتبوا الإمام الحسين (عليه السلام) وأرسلوا إليه الوفود، يلحّون عليه بالقدوم إلى الكوفة، ليكون لهم إماماً في ثورتهم على بني أميّة، وعند تلبية الإمام الحسين (عليه السلام) لطلبهم ومجيئه إليهم ظهر منهم الغدر والمكر والخيانة ونقض البيعة، وانقيادهم التام لعبيد الله بن زياد الوالي الأموي في الكوفة، وأصبحوا جنوداً وقادة في جيشه الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) في الطفّ، ولم يُشارك أحد من جند الشام في هذا الجيش، وهكذا صار أهل الكوفة وقود النار التي اقتدح شرارتها جبابرة الظلم والطغيان، يزيد بن معاوية وعبيد الله ابن زياد، وأصبحوا أداة القتل، وبهذا صبّ سبايا أهل البيت (عليه السلام) في خطبهم جلّ غضبهم على أهل الكوفة، وحملوهم وزر فاجعة عاشوراء.

ومن هنا تُعدّ خطبة الإمام علي زين العابدين ونساء آل البيت النبوي مصدراً مهمّاً لبيان المجازر التي وقعت يوم عاشوراء، وما حصل للإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، إذ كانوا شهود عيان لما وقع، فضلاً عنّا تميّز به أهل البيت - من رجال ونساء - من وعي تامّ وبصيرة للأمر.

المبحث السادس

سبايا آل البيت عليهم السلام في قصر الإمارة^(١)

بعد أن طيف بسبايا آل البيت في شوارع الكوفة توجهوا بهم إلى قصر الإمارة، وهم يخترقون جموع حشود الناس، الذين كانوا يكون على ما حلّ بآل البيت، ثمّ أدخلوا السبايا إلى مجلس ابن زياد، وكانوا في حالة يرثى لها من العناء والألم، وكانت في طليعتهم السيّدة زينب بنت علي عليها السلام، التي تنكّرت وانحازت إلى جانب من المسجد، وحفّت بها بقيّة النساء، ولعلم ابن زياد بمكانة السيّدة زينب عليها السلام في أهل

(١) شيّد سعد بن أبي وقّاص هذا القصر عام ١٦هـ/ ٦٣٧م بعد معركة القادسيّة، وفتح العراق وسقوط الدولة الساسانية، وكان يُعرف بقصر سعد، قصر الامارة، دار الامارة، وقصر خبال، ولما عرف عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٣م) تشييد سعد لهذا القصر كتب إليه: "بلغني أنّك اتخذت قصراً، جعلته حصناً يُسمّى قصر سعد، بينك وبين الناس باب، فليس بقصر، ولكنه قصر الخبال، انزل منه ممّا يلي بيوت الأموال واغلقه، وأن لا تجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله"، وقد اتُّخذ هذا القصر مقراً لولاية الكوفة في العصور الإسلامية المتعاقبة، باستثناء مدّة خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أدار شؤون الدولة من المسجد الأعظم، وقد هُدم هذا القصر بأمر من الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م)؛ لتشاؤمه منه، ويبدو أنّه بمرور الزمن أخذ بالاندراس. البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ١٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٢٩؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار: ص ٢١٤؛ البراقبي، تاريخ الكوفة: ص ١٠٧.

البيت ممّا جعله يدي شحاته، إذ «قال ابن زياد: من الجلّاسة؟ فلم تكلمه، وقال الثانية: من الجلّاسة؟ فلم تكلمه. فقال رجل من أصحابه: هذه زينب بنت علي، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم^(١)، فقالت زينب: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمّد، وطهرنا بكتابه تطهيراً، وإنّا نفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيكَ وأهل بيتك؟ فقالت زينب: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم^(٢)، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد فتحاجّون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج^(٣) يومئذ؟ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة!»، فغضب ابن زياد من ذلك وكأنّه همّ بضربها، فقال له عمرو بن حريث المخزومي^(٤): أصلح الله الأمير إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد: لقد أشفى الله نفسي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة^(٥) من أهل بيتك، فرقت زينب وبكت وقالت: «لقد قتلت

(١) وهو الحديث الذي كثر فيه الكلام. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١٧٧.

(٢) هو المرقّد. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٤٧٦.

(٣) هو العلو وفوت الأصحاب، يفلج الرجل أصحابه: يعلوهم ويفوتهم. يُنظر: ابن سلّام، غريب الحديث: ج ٣، ص ٢٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٤) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، ويكنّى أبا سعيد، ولد أيام بدر، وقيل: قبل الهجرة بستين، وتوفيّ النبي وعمره اثنا عشرة سنة، له صحبة هو وأبوه، روي عن النبي وأبي بكر وعمر والإمام علي (عليه السلام) وابن مسعود وغيرهم، وروى عنه ابنه جعفر وآخرون، بنى له داراً كبيرة إلى جانب المسجد في الكوفة، وكانت داره مأوى لأعداء آل البيت، تولّى الكوفة لزياد ابن أبيه، ومن ثمّ لابنه عبيد الله، وتوفيّ سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٢٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ١١٧٣؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: ج ٢، ص ٣١٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤١٧؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ٥١٠.

(٥) هم القباح من النّاس، ويتّصفون بالغضب. يُنظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٩٤.

كهلي^(١)، وقطعت فرعي^(٢)، وأجتثت^(٣) أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد إشتفيت. فقال ابن زياد: هذه سبّاعة^(٤) لا جرم^(٥)، لعمرى لقد كان أبوك شاعراً سبّاعاً. فقالت زينب: «يا ابن زياد! وما للمرأة والسبّاعة، وإن لي عن السبّاعة لشغلاً»^(٦).

ويذكر الصدوق أنّ ابن زياد قال لأمّ كلثوم: «الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت يا ابن زياد: لئن قرّت عينك بقتل الحسين فطالما قرّت عين جدّه، وكان يقبله ويلثم شفّتيه، ويضعه على عاتقه، يا ابن زياد أعدّ لجدّه جواباً فإنّه خصمك غداً»^(٧).

ونعتقد هنا أنّ هذا الحوار جرى بين ابن زياد، والسيدة زينب عليها السلام، وأنّ الصدوق سمّى السيدة زينب بكينيتها أمّ كلثوم، لأنّه لم يرد في المصادر التي بين أيدينا حوار قد جرى بين ابن زياد وأمّ كلثوم بنت علي عليه السلام.

والتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليهما السلام «فقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن

(١) هو الذي خطّه الشيب، أي خالطه، ورأيت به هيبة وتبجيلاً وسناً، والكهل من الرجال ما زاد عن اربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين سنة. الفراهيدي، العين ج ٣، ص ٣٧٨، وج ٦ ص ١٣٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٥، ص ٦٧٠؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٦٧.
(٢) هو التفريع بين القوم تفريعاً، أي تفريع النسل. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج ١١، ص ٣٤٢.
(٢) أي اقتلعه. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ١٢٦.
(٤) هو كلام مقفّى، وله فواصل كقوافي الشعر من غير وزن. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٢١٤.

(٥) وتعني: لا بدّ، لا شك. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ١١٩.
(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٩؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٢٢؛ الطبرسي، أعلام الوري: ص ٢٥١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٠. وعند الشيخ المفيد "قالت السيدة زينب عليها السلام: ما للمرأة والسبّاعة، إنّ لي عن السبّاعة لشغلاً، لكن صدري نفث بما قلت". الإرشاد: ج ٢، ص ١٦٢.
(٧) الأمالي: ص ١٣٩.

الحسين، قال ابن زياد: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت عنه علي بن الحسين (عليه السلام). قال ابن زياد: ما لك لا تتكلم؟ قال علي بن الحسين (عليه السلام): ذاك أخي يُقال له علي قد قتله الناس، وأنّ له منكم مطلباً يوم القيامة، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾^(٢)، فقال ابن زياد: ألك جرأة على جوابي؟ إذهبوا به فاضربوا عنقه، فسمعت به عمته زينب، فقالت يا ابن زياد إنك لم تُبق منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه، فقال علي لعمته: أسكتي حتى أكلّمه؟ ثم أقبل على ابن زياد، فقال له: أبالقتل تهددني؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة! فقال ابن زياد: دعوه ينطلق مع نسائه، ثم قال: أخرجوهم عنّي^(٣)، فأخرجوا آل البيت (عليه السلام) إلى دار قرب دار الإمارة، وأمر ابن زياد بعد ذلك بحبس سبايا آل البيت في دار إلى جوار دار الإمارة.

وأشار حاجب عبيد الله بن زياد إلى وصف حال السبايا، وحملهم إلى السجن بعد انتهاء ابن زياد من مقابلتهم، بقوله: «ثم أمر بعلي بن الحسين، فغلّ وحمل مع النسوة السبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه مملوءاً رجالاً ونساءً يضربون وجوههم ويبكون»^(٤).

(١) الزمر: آية ٤١.

(٢) آل عمران: آية ١٤٥.

(٣) الطبرسي، أعلام الوري: ص ٢٤٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٧-٤٨؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٠١-٢٠٢؛ باقر شريف القرشي، السيدة زينب (عليها السلام): ص ٢٦. وبألفاظ أخرى، يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٠؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٢.

(٤) الصدوق، الأمالي: ص ٢٢٩؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٤٥.

وبهذا فقد تمّ إيداع السبایا السجن، سواء أكان داخل قصر الإمارة أم في مكان آخر، ولكنه لا يبعد عن دار الإمارة إلا قليلاً.

لقد أكّد بعض المؤرّخين حبس آل البيت بروايات مختلفة، منها: ما رواه البلاذري: إنّ أفضل ما فعله ابن زياد هو أمره بمنزل للسبایا في مكان منعزل، وأجرى لهم رزقاً وكسوة ونفقة^(١). وروى ابن الأثير بأنّ سبایا آل الحسين عليه السلام لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر^(٢). وروى ابن طاووس بأنّ ابن زياد أمر بعلي بن الحسين عليه السلام وأهله بأن يحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم^(٣).

ويُذكر أنّه عند دخول النسوة على ابن زياد ورأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه في طشت، لم تتمالك الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام نفسها، ف وقعت عليه تُقبّله، وقالت:

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به	كربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	فكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامي ومن للسائلين ومن	يعنى ويأوى إليه كلّ مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم	حتى أغيب بين الماء والطين ^(٤) .

(١) أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) الكامل: ج ٤، ص ٨٤.

(٣) اللهوف: ص ٩٥.

(٤) ابن خياط، تاريخ: ص ١٤٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٦، ص ١٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٠٣؛ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال: ج ٣، ص ٧٨.

وأشار سبط بن الجوزي إلى أنّ الرباب أخذت رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ووضعتة في حجرها وقبلته، وقالت:

واحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصده أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء^(١).

يُلاحظ ممّا تقدّم أنّ ابن زياد كان هدفه من إدخال سبايا أهل البيت (عليه السلام) إلى قصره، الظهور أمام أركان سلطته وجمهوره بهيئة المنتصر صاحب الزهو، على ما حقّقه من انتصارات مزعومة من قتله وسببه لأهل البيت (عليه السلام)، ولكنّه لم يحسب حسابه جيداً؛ إذ اصطدم - من خلال حوارهِ مع السبايا - بشخصيتين قويتين متسلحتين بالإيمان، هزّتا ولطمتا وجهه، ولقمتا فاه بحجر عدّة مرات، وهما الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وعمّته السيّدة زينب بنت علي (عليه السلام)، اللذان أسقطا كلّ ادعاءاته، وأثارا عليه جلساءه، فصار يردد ويعربد.

لقد ظهر ابن زياد في حوارهِ كاشفاً عن حقه وعدائه - ومن ورائه أسياده بنو أميّة - لأهل البيت (عليه السلام)، شامتاً متشقيّاً بهم، ومتعدّياً بحمده لله تعالى على قتلهم وسبي عيالهم، زاعماً بأنّ قتلهم - أي أهل البيت (عليه السلام) - فضح إدعاءاتهم الكاذبة، ولكن أيّ فضيحة يقصد بها ابن زياد؟ وهل يفتضح الذين طهّهم الله من الرجس تطهيراً؟ وأيّ كذب يدعيه لأهل البيت (عليه السلام)؟ إنّ ابن زياد يعدّ تبليغهم للرسالة كذباً، وبهذا فإنّه قد كفر بما أنزله الله تعالى على نبيه، فهل المطالبة بالعدالة والوقوف ضد الظلم والطغيان وأصحابها كذب، أو من مبادئ الإسلام؟ وما هذه المفاصد التي يجب الوقوف بوجهها إلّا من عمل بني أميّة.

وقد كان ابن زياد في حوارهِ جَبَّاراً، لا يقبل أيّ ردٍّ يغيظه من السيِّدة زينب عليها السلام أو من ابن أخيها الإمام علي السجاد عليه السلام، بل يريد إجابة ترضي غروره. وكانت السيِّدة زينب عليها السلام تتسامى وترقِّع على ابن زياد، ولا تدخل معه في حديث، إلّا أنّ الموقف كان يتطلَّب منها ويجبرها على ممارسة الدور الرسالي للدفاع عن ثورة أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وللتأكيد على موقع أهل البيت عليهم السلام في الأمة الإسلامية، ولذلك كانت إجابتها على أسئلة ابن زياد متّسمة بالجرأة والشجاعة، ولم تبالِ بجبروته، بل بددت هالة سلطته، وتحذّته وجهاً لوجه أمام أعوانه وجمهوره، معلنةً بأنّها لا يساورها أيّ شعور بالهزيمة، وما حدث لأسرتها شيء جميل، بمنطق الرسالة التي يؤمنون بها، ويحملون لواءها، ويبلّغونها العالم، وهي ترى أنّ ما حدث لا يعدو إلّا أن يكون استجابة لأمر الله تعالى، وهم راضون بقضائه والاطمئنان بقدره، بل هم في أقصى غاية الرضا والشكر لله تعالى، الذي فرض الجهاد ضد الظلم والطغيان وأصحابه، وأنّ المعركة قد بدأت ولم تنتهِ، ونهايتها الحاسمة يوم القيامة، وأنّ قاتل الإمام الحسين عليه السلام سيكون خصمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وهناك يكون النصر الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام أصحاب المبادئ الإنسانية السامية.

لقد كانت السيِّدة زينب عليها السلام جريئة في ردّها على ابن زياد، ودعت عليه بفقد أمّه له، ممّا جعله يشتاط غضباً، وأخذ يكيل إلى السيِّدة زينب عليها السلام عبارات جارحة، متشفياً شامتاً، وهي امرأة عزلاء، فأثار شجونها وأشعل الحزن في داخلها، ومع أنّ إجابتها كانت بلوعة وأسى، إلّا أنّها أشارت إلى جريمته بقتل أهلها في الطفّ، ولم يتمكّن من الردّ عليها، بل هرب بتوصيفه إيّاها بأنّها سَجّاعة، وأنّ أباهَا كان شاعراً وسجّاعاً، فأجابه أين هي من السجع الآن؟! وفي أيّ شغل حتى تتفرّغ لذلك ولغيره؟! وهكذا أثارت مشاعر النَّاس، ومن بينهم أقرب المقرّبين من ابن زياد،

والذين كانوا يخففون من غضبه عندما يأتي الردّ على غير ما يريد.

لم يكن الإمام علي بن الحسين السجّاد (عليه السلام)، ومع ما يعانيه من مرض، أقلّ شأنًا من عمّته السيّدة زينب (عليها السلام)، في صلابته وشجاعته التي ورثها من آبائه وأجداده، فمع علمه من أنّ ابن زياد سيأمر بقتله عند أول محاججة بينهما، إلّا أنّ ردوده على ابن زياد كانت قوية، ولم يتردّد في وصف قتلى الطفّ بأنهم قُتلوا على أيدي النّاس، وهذا بالطبع لم يرضِ ابن زياد، بل يُغضبه، وقد همّ بقتل الإمام (عليه السلام)، إلّا أنّ تعلق عمّته السيّدة زينب (عليها السلام) به حال دون ذلك، ومع ذلك فقد ردّ على ابن زياد بعدم خشيته من الموت، لأنّه صار عادةً لأهل بيته، وفيها جائزة كبرى لهم، وهي الشهادة، وأنّ منزلتها الجنة.

وهنا تكرّرت مواقف الفداء والتضحية التي أبدتها السيّدة زينب (عليها السلام) في تقديم نفسها لحماية ابن أخيها عندما أراد ابن زياد قتله، فكانت قد منعت الشمر من فعل ذلك في معركة الطفّ.

وهكذا كانت ردود الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وعمّته السيّدة زينب (عليها السلام) على ابن زياد، فقد أدّت إلى خيبته وفضحه أمام النّاس في مجلسه، وبهذا أفشل الإعلام الزينبي مخططات سلطة بني أميّة في تعبئة الجماهير ضد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، بل جاءت النتائج عكسية، فقد أجّجت روح الثورة في الأوساط الكوفية ضدّ بني أميّة، وتعاطفت جموع النّاس مع أهل البيت (عليهم السلام)، وقد شعروا بالندم والخذلان، وطلبوا التوبة في قعودهم عن نصره الإمام الحسين (عليه السلام)، وأدّى إلى تصحيح الانحرافات الفكرية، إذ أحدثت انقلابات ذهنية، فتحوّل الفرد الكوفي من متفرّج إلى باكٍ متحيّر.

وهذا أفرز فيما بعد حركة التوايين^(١)، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٢) من رحم المجتمع الكوفي، ومع كل ما فعله ابن زياد - أنف الذكر - أمر بإيداع سبايا أهل البيت عليهم السلام في السجن!

رواية اختطاف الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

ذكر بعض المؤرخين رواية تُشير إلى تعرّض الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إلى الاختطاف والتغيّب عن موكب السبايا، وأول مَنْ نقل هذه الرواية هو ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، حيث نقل قول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام حيث قال: «غَيَّبَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَأَكْرَمَ نَزْلِي وَاحْتَضَنَنِي، وَجَعَلَ يَبْكِي كُلَّمَا خَرَجَ وَدَخَلَ، حَتَّى كُنْتُ أَقُولُ: إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ خَيْرٌ وَوَفَاءٌ فَعِنْدَ هَذَا، إِلَى أَنْ نَادَى مُنَادِي ابْنِ زِيَادٍ: أَلَا مَنْ وَجَدَ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ فَلْيَأْتِ بِهِ، فَقَدْ جَعَلْنَا فِيهِ ثَلَاثَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَدَخَلَ وَاللَّهِ عَلِيٌّ وَهُوَ يَبْكِي، وَجَعَلَ يَرْبِطُ يَدَيَّ إِلَى عُنُقِي؟ وَهُوَ يَقُولُ أَخَافُ مِنْهُمْ؟ وَأَخْرَجَنِي وَاللَّهِ إِلَيْهِمْ مَرْبُوطاً، حَتَّى دَفَعَنِي إِلَيْهِمْ، وَأَخَذَ ثَلَاثَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأُخِذْتُ، فَأَدْخَلْتَ عَلَيَّ ابْنَ زِيَادٍ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: أَوْ لَمْ يَقْتُلِ اللَّهُ عَلِيّاً؟ قُلْتُ: كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ عَلِيّاً أَكْبَرُ مِنِّي قَتَلَهُ النَّاسُ، قَالَ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ، قُلْتُ: اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَصَاحَتْ زَيْنَبُ بَابْنَ زِيَادٍ: حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَهُ إِلَّا قَتَلْتَنِي مَعَهُ، فَتَرَكَهُ»^(٣). ويتابع ابن سعد في ذكره هذه الرواية

(١) تفاصيل اوسع عن نشوء حركة التوايين يُنظر: خالد راسم امير، حركة التوايين ٦١-٦٤هـ/

٦٨٠-٦٨٤م دراسة تاريخية: ص ١٢٤-١٦٢.

(٢) تفاصيل اوسع عن حركة المختار الثقفي وتتبعه لقتله الإمام الحسين عليه السلام، يُنظر: رغداء حسين

محمد، حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وابعادها السياسية والفكرية ص ٥٧-١٠١.

(٣) الطبقات: ج ٥، ص ٢١٢.

كلّ من: ابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)^(١)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)^(٢) وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)^(٣).

يبدو أنّ هذه الرواية فيها كثير من الإرباك؛ لأنّها رواية مرسلة عند ابن سعد، هذا أولاً، وثانياً أنّ الذين ذكروها من بعده ربّما نقلوها منه، ثمّ من غير الممكن أن يتعرّض الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إلى الاختطاف والتغيّب، ولو لعدّة ساعات، إذا أخذنا بنظر الاعتبار الخطّة التي رُسِمت للاحتفال بدخول السبايا إلى الكوفة، بما فيها من استعدادات أمنية قويّة، فرضها ابن زياد خشيةً من ردود الأفعال. وكما يُفهم من سياق الرواية أنّ الخطف قد أخذ وقتاً قصيراً، نهائياً أو أكثر، بينما من يتتبع دخول موكب السبايا، والذي دخل الكوفة صباحاً، وداروا به في شوارع المدينة، وتخلّله الوقوف عند حُطبات بنات الإمام علي وأولاد الحسين (عليه السلام)، بمنّ فيهم الإمام علي نفسه، إلى وقت الظهيرة، ثمّ أدخلوه على ابن زياد، وجرى ما جرى من حديث بينه وبين السبايا مطوّلاً استمر إلى العصر، ثمّ أمر بإخراجهم عنه وإيداعهم السجن، وهذا أيضاً يكون تحت حراسة مشدّدة.

أمّا إذا سلّمنا أنّ الذي قام بالخطف هو من أزلام ابن زياد - كما زعمت الرواية - فلا بدّ من القول أين هذا الرجل من عيون السلطة؟! ألا يوجد من يُخبر عنه ويأخذ المكافأة له؟! ثمّ كيف يُكافأ من خطفه على فعلته؟! لماذا لم يتعرّض إلى المساءلة والمحاسبة؟! ثمّ إنّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) هو الوحيد الذي بقي من الرجال، ولم يغيب عن نظر النساء الهاشميات في أثناء السير في الكوفة أو خارجها طرفة عين، ولا سيما عمّته السيّدة زينب (عليها السلام)، التي كان جلّ عملها هو المحافظة عليه ولو كلّفها

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٦٧.

(٢) المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٥.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣٢٧.

ذلك حياتها، فكيف تسكت السيّدة زينب عليها السلام وأخواتها عن ذلك؟! فلا بدّ أن يكون هنّ موقف في الكشف عنه عند خطفه.

ويظهر من الرواية أنّ دخول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام على ابن زياد لم يكن مع دخول السبايا، بل دخل وحده بعد أن وجدوه عند أحد أزلام النظام، ولكن الثابت أنّ دخول السبايا كان دخولاً واحداً، وهذا ما يضعف تلك الرواية. كما يُمكن القول - احتمالاً - أنّ الرجل - وهو من أزلام السلطة - قد أدرك قلبه العطف والرحمة، فأنزل الإمام من الجمل إلى الأرض، وفكّ عنه القيود ليستريح بعض الوقت، وما أن تُودي عليه حتى سلّمه إلى الحرس، وأخذ مالاّ مقابل ذلك.

المبحث السابع

مجلس ابن زياد العام وأصداء المعارضة

لقد عقد عبيد الله بن زياد مجلساً عاماً في المسجد الأعظم، وضم إليه كبار قيادات جيشه، وعدداً من صحابة النبي ﷺ وزعماء القبائل العربية، وكذلك عدداً من وجهاء الكوفة. وكان يهدف من وراء عقد مجلسه هذا إعلان انتصاراته التي حققها بقتله الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وأعطى إذناً للناس عامة بالحضور، وأمر بإحضار رأس الإمام الحسين عليه السلام فوضع بين يديه في طشت، ونظر إلى الرأس مبتسماً، وضرب ثنياي الإمام بقضيب في يده، وقال: «إنَّ في حسنه شيئاً؛ فأجابه الصحابي أنس بن مالك - خادم النبي ﷺ الذي كان حاضراً في المجلس - بقوله: كان أشبههم برسول الله، وكان الرأس مخضباً بالوسمة»^(١).

وفي رواية أخرى قال ابن زياد: «إنَّه، أي الإمام الحسين، كان لحسن الثغر»، وقال أنس في نفسه: «لأسوءك»، لقد رأيت رسول الله يُقبَّل موضع قضيبك من فيه»^(٢). ويذكر ابن حبان أنَّ ابن زياد قال: «ما رأيت مثل هذا حسناً»^(٣). وقيل: إنَّ ابن زياد

(١) ابن حنبل، المسند: ج ٣، ص ٢٦١؛ البخاري: صحيح: ج ٤، ص ٢١٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٣، ص ٢٣٠؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار: ص ٤٠١.

(٢) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى: ص ١٢٧.

(٣) صحيح: ج ١٥، ص ٤٣٠.

كان يضع قضيبه في أنف الإمام الحسين، فاعترض عليه أنس قائلاً: «إني رأيتُ رسولَ الله يلثم حيث يقع قضيبك»^(١).

وقد وصف أنس بن مالك حالَ أهل الكوفة ومشاعرهم يوم أوتي برأس الإمام الحسين (عليه السلام) فقال: «لم ترَ عينَ عبرى مثل يوم أوتي برأس الحسين بن علي في طشت، ووُضِعَ بين يدي عبيد الله ابن زياد لعنهما الله، وجعل يسمه بقضيبه، ويقول: إنَّه كان لصبيح، إنَّه كان جميلاً»^(٢).

واعترض صحابي آخر كان من بين الحاضرين في المجلس، وهو زيد بن أرقم^(٣)، على فعل ابن زياد برأس الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال له: «إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا اله إلا هو، لقد رأيتُ شفتي رسول الله عليهما ما لا أحصيه»، ثم انتحب باكياً. وأضاف ابن أرقم قائلاً لابن زياد: «يا ابن زياد لأحدِّثك حديثاً أغلظ من هذا، رأيتُ رسول الله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخيها، ثم قال: اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين. فكيف كانت ودیعة رسول الله عندك يا ابن زياد؟!»^(٤)، فالتفت ابن زياد إلى الشيخ ابن أرقم، وطرده من المجلس قائلاً: «أبکی الله عينک، أتبکی لفتح الله؟! لولا أنَّک شیخ قد خرفتَ وذهب عقلک لضربتُ عنقک»، فنهض زيد وذهب إلى منزله^(٥)، وقيل: إنه عند خروجه كان يقول: «ملك عبد عبداً، فأخذته تلداً، أنتم يا

(١) العيني، عمدة القاري: ج ١٦، ص ٢٤١.

(٢) الشجري، الأمالي الخميسية: ج ١، ص ١٩٢.

(٣) هو صحابي وشيخ كبير، شهد غزوة مؤتة، وقيل: عُمي بعد وفاة النبي، ثم ردَّ الله تعالى إليه بصره، وتوفي عام ٦٦هـ / ٦٨٦م، وقيل: عام ٦٨هـ / ٦٨٧م في الكوفة. يُنظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٥٣٢.

(٤) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٦.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٩؛ الشيخ

معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم، ويستعبد أشراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لِمَن رَضِيَ»^(١).

وأشار سبط بن الجوزي إلى فعل آخر يدلّ على أفعال ابن زياد المشينة، حيث ذكر أنّه لما وُضِعَ رأسُ الحسين بين يَدَي ابن زياد في طشت، قال له كاهنه: «قُم فضع قدمك على قَمِ عدوك»، فقام ابن زياد ووضع قدمه على قَمِ الحسين، ثمّ قال لزيد بن أرقم: «كيف ترى؟»، فردّ عليه ابن أرقم قائلاً: «والله لقد رأيتُ رسول الله واضعاً فاهُ حيث وضعت قدمك»^(٢).

ثمّ صعد ابن زياد المنبر وخطب في المجلس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه: «الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذّاب بن الكذّاب، الحسين بن علي وشيعته»^(٣)، وما زاد على كلامه هذا حتى نهض إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، قائلاً له: «يا ابن مرجانة! صه، فضّ الله فاك، ولعن جدّك وأباك، وعذّبك وأخزأك، وجعل النار مثواك، ما كفأك قتل الحسين عن سبّهم على المنابر؟ ولقد سمعت رسول الله يقول: مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سبّني، وَمَنْ سبّني سبَّ الله، وَمَنْ سبَّ الله كبّه الله على منخريه في النار. الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، وَمَنْ استعملك وأبوه، يا عدوّ الله، أتقتلون أبناء النبيّين، وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين؟»^(٤)، فغضب ابن زياد ثمّ قال: «مَنْ المتكلّم؟ فأجابه ابن عفيف: أنا المتكلّم يا عدوّ الله! أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب

المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٩٦؛ أبو العرب، المحن: ص ١٣٧.

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٧.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٦-٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٦.

الله عنها الرجس في كتابه، وتزعم أنك على دين الإسلام؟! واه! ابن أولاد المهاجرين والأنصار ليتقموا منك ومن طاغيتك، اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين»^(١)، فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه، وأمر بالقبض عليه، وكان عبد الرحمن بن مخنف الأزدي^(٢) جالساً فقال: «ويح غيرك أهلكت نفسك، وأهلكت قومك»^(٣)، وبادر إليه الجلاوزة من كل ناحية فأمسكوا به، فصاح ابن عفيف بشعار الأزدي مبرور، وحاضر الأزدي يومئذ سبعائة مقاتل، فقام بنو عمه وخلصوه من أيديهم، ومن ثم أخرجوه من باب المسجد، وذهبوا به إلى منزله^(٤)، وعند ذلك نزل ابن زياد من المنبر، وانتقل إلى قصر الإمارة، ودخل عليه أشرف الناس، وعاتبهم على فعل الأزدي، وبدورهم تبرأوا من هذا الفعل، ثم أرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، وسجنه بصحبة جماعة من الأزدي كرهائن إلى أن يسلموا عبد الله بن عفيف له^(٥).

لقد اتخذ ابن زياد إجراءات عدة إزاء هذه التطورات المعارضة لسياسته، فقد استدعى بعض أمراء جيشه، أمثال عمرو بن الحجاج الزبيدي^(٦)، ومحمد بن

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢ ص ٥٩.

(٢) عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، يعد من القادة الشجعان، وانتهت إليه رئاسة أزد شنوة وازد عمان، وكان مع المهلب ابن أبي صفرة، في قتال الازارقة، وقتل في كازرون في إقليم فارس. يُنظر: الزركلي، الأعلام: ج ٣، ص ٣٣٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١.

(٥) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٠.

(٦) هو عمرو بن الحجاج بن عبد الله بن عبد العزيز بن كعب بن سلمة بن مالك بن سلمة بن مازن ابن ربيعة بن زيد الزبيدي المذحجي، عاش حتى شارك في مقتل الإمام الحسين، وكانت نهايته مجهولة. يُنظر: الطبري، تاريخ: ج ٤، ص ٥٢٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ج ٢، ص ٤١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٣٦؛ ابن حجر، الإصابة: ج ٥، ص ١١١.

الأشعث، وشبث بن ربعي^(١)، وجماعة أخرى من أصحابه، وأمرهم بالذهاب إلى ابن عفيف الأزدي، وأن يأتوا به إليه^(٢).

اجتمعت الأزدي ومعه قبايل اليمن؛ ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف، بعد وصول أخبار إجراءات ابن زياد، الذي بدوره حال علمه باجتماع القبائل اليمانية جمع قبائل مضر، وضمهم إلى محمد بن الأشعث، وأمره بقتال الأزدي ومن معهم، وبهذا نشبت حرب قبلية في أحياء الأزدي، اقتتلوا فيها قتالاً شديداً، راح فيها عدد من القتلى، ولم يرض ابن زياد على أمراء جيشه، فأثبهم على تأخيرهم في حسم المعركة، وقد طلب منه شبث بن ربعي عدم التعجيل لأتاهم يُقاتلون أسود الآجام. واقتحم أصحاب ابن زياد دار ابن عفيف ودخلوها بعد أن كسروا بابها، ولم يكن مع ابن عفيف في الدار إلا ابنته، والتي بدورها نبّهت أباها بدخول العدو عليه، ولم تكن مقاومة ابن عفيف لعدوه مجدية؛ لكونه وحيداً ورجلاً مكفوفاً، وكان يدافع عن نفسه ويقول:

انا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر وبطل جندلته مغادر^(٣)

(١) هو شبث بن ربعي بن حصين بن عثيم بن ربيعة بن زيد بن رباح بن يربوع بن حنظلة من بني تميم، وكنيته أبو عبد القدوس، كان مؤذن سجاح التي أدعت النبوة، ثم أسلم، وقد أعان على عثمان بن عفان، وصحب علياً، وكان معه في صفين على بني عمرو، وفي النهروان على ميمنة علي، وصار خارجياً ثم تراجع عن ذلك، وكان رسولاً بين علي ومعاوية، وتولى شرطة الكوفة لابن زياد، وكان على الرجالة في واقعة الطف، ويبدو انه كان كارهاً لقتال الحسين، وتوفي عام ٧٠هـ. يُنظر: المنقري، واقعة صفين: ص ٢١٢؛ ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ٣٣٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٠.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٦؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٠؛ علي الأحدي الميانجي، مواقف الشيعة: ج ٢، ص ١٩٦.

وذكر أنه تمكن من قتل خمسين رجلاً وهو يصلي على النبي وآله، ويرتجز ويقول:
والله لو يكشف لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري
وكنت منكم قد شفيت غلتي إذ لم يكن ذا اليوم قومي تغفري
أم كيف لي والأصبحي قد أتى بجيشه إلى لقاء الغضنفري
وبارزوني واحداً فواحداً ضاق عليهم موردي ومصدري^(١)
وكانت ابنته تتمنى لو أنها كانت رجلاً لتقاتل مع أبيها هؤلاء الفجرة قاتلي
العترة البررة، وقد اعصوبوا عليه من كل ناحية، وتمكّنوا من مسكه وأخذه إلى
ابن زياد، وحينها قال جندب بن عبد الله الأزدي^(٢): «إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذوا
والله عبد الله بن عفيف، فأقبح والله العيش من بعدك»^(٣). ولكن هذا ظلّ قولاً لا
عملاً، فلم يقم الأزدي حينها بشيء يذكر لنصرة ابن عفيف.
أدخل عبد الله بن عفيف على ابن زياد، فلما رآه ابن زياد قال: «الحمد لله الذي
أخزأك، وسأله ابن عفيف: يا عدوّ الله بماذا أخزاني؟ والله لو فرج الله عن بصري لضاق
عليك موردي ومصدري»^(٤)، وقال له ابن زياد أيضاً: «الحمد لله الذي أعمى عينيك،
فقال له ابن عفيف: الحمد لله الذي أعمى قلبك، فقال ابن زياد: يا عدوّ نفسه! ماذا
تقول في عثمان بن عفان؟ فقال ابن عفيف: يا ابن عبد بني علاج! ويا ابن مرجانة
وسمية! وما أنت وعثمان بن عفان؟ أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، الله تبارك
وتعالى ولي خلقه، يقضي بين خلقه وعثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جندب بن عبد الله الأزدي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٥.

(٥) المصدر السابق: ص ١٢٦.

أبيك، وعن يزيد وأبيه! فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين! أما أني قد كنت أسأل ربي أن يرزقني الشهادة، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد الإياس منها، وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي^(١). وبعد أن فرغ ابن عفيف من انشاد شعره، أمر ابن زياد بضرب عنقه، وصُلب في السبخة^(٢).

وانتهت حياة هذا الرجل الكبير بمبادئه، فهو الذي وهب حياته لله تعالى، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقال كلمة حق عند سلطان جائر في أحلك الظروف وأقساها، وقاوم المنكر وناهض الجور، وهو لم يكن مهيباً لذلك جسدياً.

ثم استدعى ابن زياد جندب بن عبد الله الأزدي وقال له: «يا عدو الله، ألسنت صاحب علي ابن أبي طالب يوم صفين، قال: نعم، ولا زلت له ولياً، ولكم عدواً، لا أبرأ من ذلك إليه، ولا أعتذر في ذلك وأتنصل منه بين يديك، فقال ابن زياد: أما أني سأقترب إلى الله بدمك، قال جندب: والله لا يقربك دمي إلى الله، ولكنه يباعدك منه، وبعد فاني لم يبق من عمري إلا أقله، وما أكره أن يكرمني الله بهواني، قال ابن زياد: أخرجوه عني، إنه شيخ قد خرف وذهب عقله»^(٣).

إن إخلاء سبيل جندب بن عبد الله الأزدي دون أن يقتله ابن زياد لم يكن لأنه شيخ كبير وقد خرف كما يزعم ابن زياد، وقد ملأ قلبه غلاً وحقداً عليه، بل لأن قتله بعد قتل ابن عفيف سيؤدي إلى تأجيج وتحريض قبيلة الأزد على سلطته في الكوفة، والأزد من القبائل التي لها وزنها المهم في كل أمر.

(١) المصدر السابق؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢ ص ٦١-٦٢.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٦؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٦.

وبهذا سلك ابن زياد طريق الموازنة في تهدئة القبائل الكبيرة، وكسب مودّتها وعدم إثارتها، ففعوه عن جندب ابن عبد الله محاولة لتهدئة ثائرة الأزد بعد تفاقم الوضع، وتأزّم العلاقة معهم، نتيجة وقائع انتفاضة ابن عفيف وقتله. كما أنّ ابن زياد قد عفى عن أشخاص آخرين من الأزد، أمثال سفيان بن يزيد^(١)، الذي خرج مع أفراد قبيلته لتخليص عمّه من أسر جند ابن زياد له، وكذلك أطلق سراح عبد الرحمن بن مخنف الأزدي من السجن، وعفا عن إخوته وبني عمّه الذين شاركوا في انتفاضة الأزد^(٢).

وهكذا قبلت رؤوس الأزد - وهم أسود الآجام - أن تُودع ابن زياد موادة ذليلة، فلم يسجّل لأحد من أشرف الأزد أنّه أثر التأسّي بابن عفيف الأزدي، ذي القلب المؤمن الكبير والنفس العزيزة الأبية، الذي انتفض بوجه الطاغية ابن زياد، صارخاً بكلمة الحقّ، ولجراً صاحبها صعق ابن زياد بها، فنزل عن المنبر مخذولاً مدحوراً، ودخل قصره حائراً في ما يمكن أن يواجه به هذا الثائر الفرد، الذي كان أمةً في انتفاضته.

وكان في مجلس ابن زياد، قيس بن عباد^(٣)، فسأله ابن زياد أنّه ماذا يقول فيه وفي حسين؟ قال: يأتي يوم القيامة جدّه وأبوه وأمه فيشفعون فيه، ويأتي جدّك وأبوك

(١) سفيان بن يزيد الأزدي، وهو من أزد شنوءة، روى عن النبي، وروى عنه محمد بن سيرين، وشارك في واقعة الجبانة في ميمنة إبراهيم بن مالك الأشتر. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٥؛ ابن حبان، الثقات: ج ٤، ص ٣٢٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٦٣٢.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٦.

(٣) هو أبو عبد الله الشكري القيسي، من وُلد قيس بن ثعلبة الضبعي البصري، من كبار التابعين، يروي عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعمر بن الخطاب، وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والحسن البصري، وابن سيرين، وآخرين. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٧، ص ١٣١؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ج ٢، ص ٣٨٨.

وأَمَك فيشفعون فيك، فلم يقبل ابن زياد بهذا الجواب، فغضب وطرده من المجلس^(١). وهذا يدل على أنَّ ابن زياد يعرف تمام المعرفة الفرق بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ فعله في قتله للحسين وأهل بيته وأنصاره هو من الخطأ الذي يُحاسب عليه الحساب الشديد يوم القيامة.

معارضة ابن زياد من قبل أسرته

واجه ابن زياد رفضاً داخلياً في أوساط أسرته لقتله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقد سخطت عليه أمه مرجانة، وأنَّبتة بقولها: «يا خبيث قتلت ابن رسول الله، والله لا ترى الجنة»^(٢).

وكما رفض عثمان بن زياد - وهو أخو عبيد الله - ما فعله أخوه بقتله الإمام الحسين عليه السلام، وعَنَّفَه بقوله: «صدق والله، لوددت أنَّه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأنَّ حسيناً لم يقتل»^(٣)، ومعناه أنَّ عثمان يُفَضِّل أن تُوضع في أنوف رجال بني زياد ما يُوضع في أنوف النساء من الخزامة التي تتحلَّى وتترنَّج بها المرأة، هذا الأمر خير من أن يعملوا ما ينقص من قدرهم كرجال إلى يوم القيامة، ويقتلوا الإمام الحسين عليه السلام.

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٧، ص ٤١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٦٥؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٢، ص ٢٦٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣١٤؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٧؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٩٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٧.

مجلس عزاء في السجن

وقد أُقيم في الدار التي أودع فيها سبايا أهل البيت عليهم السلام - وهي مجاورة لقصر الإمارة، وعلى مسمع من آذان ابن زياد - مأتمٌ في تلك الليلة إلى الصباح، وقد جاءت نساء أهل الكوفة لمواساة عائلة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن السيّدة زينب عليها السلام لم تسمح للجميع بالدخول عليهنّ، وخاصّةً العرييات، وسمحت فقط لمن كانت أمّ ولد أو مملوكة؛ لأنهنّ تعرضنّ للسبي مثل نساء أهل البيت عليهم السلام^(١). وهذا شكل من أشكال الرفض، عبّر عنه نساء الكوفة لما فعلته سلطة بني أميّة في الكوفة.

معارضة المختار الثقفي لقتل الإمام الحسين عليه السلام

في الجمعة التي تلت قتل عبد الله بن عفيف الأزدي، صعد ابن زياد المنبر في مسجد الكوفة الأعظم وبيده قضيب، ولا زال يردّد على أذهان النّاس انتصاراته المزعومة، وفي آخر خطبته التي خطب فيها النّاس في ذلك اليوم قال: «الحمد لله الذي أعزّ يزيد وجيشه بالعزّ والنصر، وأذلّ الحسين وجيشه بالقتل»^(٢)، فقام إليه المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان جالساً يسمع الخطبة، وهو يُعدّ من أشرف أهل الكوفة دون أن يتركه يكمل، وقال له: «كذبت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله، بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين وجيشه بالجنّة والمغفرة، وأذلّ يزيد وجيشه بالنّار والخزي»^(٣).

ويبدو أنّ ابن زياد لم يكن يعرف المختار من قبل، فعرفه أهل الكوفة بحسبه

(١) ابن طاووس، اللّهُوف في قتلى الطفوف: ص ٢٠٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٨.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق.

ونسبه، وأنّ ختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأوجس ابن زياد في نفسه خيفة من أن يتخذ قراراً ما، ومع ذلك ضربه بسوط وذهبت عينه^(١)، وحبسه ولم يتجرأ على قتله.

وكتب المختار إلى عبد الله بن عمر كتاباً وضح فيه القصّة، ممّا جعل الأخير يكتب غاضباً إلى يزيد بن معاوية جاء فيه: «أما بعد، أفما رضيت بأن قتلت أهل نبيك حتى وليت على المسلمين من يسب أهل بيت نبيّنا، ويقع فيهم على المنبر! عبر عليه ابن عفيف فقتله، ثمّ عبر عليه المختار فشجّه وقيّده وحبسه، فإذا أنت قرأت كتابي هذا فاكتب إلى ابن زياد لإطلاق المختار، وإلا فوالله لأرمينّ عبيد الله وجيشه بجيش لا طاقة له به، والسلام»^(٢). وقد غضب يزيد من أفعال ابن زياد هذه، ولم يرض عليه، بعد أن عرفها عند قراءته كتاب ابن عمر، فكتب إلى ابن زياد مؤثّباً: «أما بعد: فقد وليتكَ العراق، ولم أولئك على أن تسب آل النبي على المنابر، وتقع فيهم، فإذا أتاك كتابي فأطلق المختار من حبسك مكرّماً، وإيّاك أن تعود إلى ما فعلت، وإلا فوالذي نفسي بيده بعثت إليك من أخذ منك الذي فيه عينك»^(٣)، وعند وصول الكتاب أمر ابن زياد بإخراج المختار من حبسه، ودعا شيوخ أهل الكوفة وسلّمه إليهم سالماً، وبعدها خرج المختار من الكوفة نحو الحجاز^(٤).

(١) ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ٢٢٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٠-٢٧١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٤٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٢٩٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٢٩.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٥؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٢٩.

يُلاحظ على هذه الرواية نوع من المبالغة، فكيف يمكن لعبد الله بن عمر أن يُخاطب يزيد بن معاوية بهذه اللهجة التي فيها تهديد ووعد، كما أن يزيد لا يمكن أن يغضب على عبيد الله بن زياد وهو المنفذ لأوامره، ولا سيما فيما يتعلق بسياسة السب التي اتبعت ضد آل البيت، والتي بقيت تُمارس على المنابر حتى رُفعت من قِبَل عمر بن عبد العزيز^(١).

تقوير رأس الإمام الحسين (عليه السلام)

عندما أحضر رأس الإمام الحسين (عليه السلام) لابن زياد أمر بتقويره حتى يُنصب على الرمح. والتقوير: هو قطع الشيء دائرياً وإفراغ محتواه^(٢). وقد تهرّب كثير من الذين كانوا في مجلس ابن زياد من فعل ذلك، إلا حجاجاً من بينهم يُدعى طارق بن المبارك، حيث تصدى لفعل ذلك، وقوّر الرأس الشريف وأفرغه من داخله، ونصبه بباب المسجد الأعظم^(٣). وقد رُفِع من رأس الإمام الحسين (عليه السلام) لغايدده - وهي ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم - ونخاعه وما حوله من اللحم. وقد طلب عمرو بن حريث المخزومي من ابن زياد أن يعطيه ما استُخرج من الرأس، فأعطِي له وجمعه في مطرفة خَزَّ كان يرتديها، وحمل ذلك إلى داره، وغسله وطيبه وكفّنه ودفنه في داره، وهي في الكوفة تعرف بدار الخَزَّ - دار عمرو بن حريث

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٣٨؛ علي رحيم أبو الهيل، السياسة الأموية المضادة للإمام علي: ص ١٠٧.

(٢) الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٢٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٢٢٢.

(٣) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ص ٤٧٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٢، ص ٤٩؛ اليافعي، مرآة الجنان: ج ١، ص ١٠٩.

المخزومي^(١) - وكانت دار الخزّ هذه مشهورة، يذكر الخطيب البغدادي أنّ أبا حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) كان يعمل خزّازاً معروفاً بدار عمرو بن حريث المخزومي^(٢).

ويبدو أنّ عمرو بن حريث كانت له مواقف طيبة تجاه أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن فعله آنف الذكر، فإنّه قام بتهدئة ابن زياد عندما همّ بضرب السيّد زينب عليها السلام في أثناء حوارهم معها عند دخول السبايا قصر الإمارة^(٣).

وإزاء أفعال عبيد الله بن زياد المشينة، التي ليس لها أي صلة بأيّ خلق إنساني، فمرةً يضرب بقضيبه شفتيّ الإمام الحسين عليه السلام مبتسماً متشفيّاً، ومرةً يضع قدمه على رأس الإمام الحسين عليه السلام وبأمر من كاهنه، ومرةً يأمر بتقوير رأس الإمام الحسين عليه السلام؛ فأنّنا نقف أمام مثل هذه الأفعال حيارى، ونساءل ونحن مشوّتو الأفكار إزاء هذه الأفعال التي يصطدم بها كلّ ذي لب: هل أنّ هذه الأفعال تنمّ عن شجاعة رجل مسؤول في الدولة؟! وهل هو مسلم حقيقي؟! نكتفي بهذا، لأنّنا لم نجد من الكلام ردّاً وافياً على مثل هذه الأفعال!!

الطواف برأس الإمام الحسين عليه السلام في شوارع الكوفة

أمر ابن زياد في صباح اليوم الثالث عشر من المحرم أن يُطاف ويُدار برأس الإمام الحسين عليه السلام في كلّ سكك الكوفة، وخطط قبائلها^(٤).

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٩.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ٣٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٥١؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٤٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٨، ص ٣٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٤، ص ١٢٧.

يروى زيد بن أرقم: أنه كان جالساً في إحدى غرف بيته وشاهد مرور رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وهو على رمح طويل، ولما حاذاه - أي الرأس الشريف - سمعه يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١)، وعندها وقف ابن أرقم ونادى: رأس ابن رسول الله أعجب. ولما انتهوا من التطواف في شوارع المدينة رُدَّ الرأس إلى باب القصر^(٢).

وقد نطق رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بحجة في أكثر من موضع، وهذا يكشف عن كرامته وهو يتلو آيات من القرآن الكريم، وهذا ليس بغريب على رجل مظلوم كلّه قيم ومبادئ، ولا يوجد ابن بنت رسول غيره في مشارق الأرض ومغاربها. ويذكر سبط بن الجوزي أنّ ابن زياد قد نصب الرؤوس كلّها في الكوفة على الخشب، وهي أول رؤوس نُصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل، الذي نُصب على الخشب في الكوفة أيضاً^(٣).

مدة بقاء السبايا في الكوفة

لم يبق سبايا آل البيت (عليه السلام) في الكوفة مدّة طويلة إلّا يومين، كما تشير بعض الروايات^(٤) وقد كتب ابن زياد في هذه المدّة القصيرة إلى يزيد بن معاوية، يخبره بانتصاراته وقتله الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وسبي عياله.

(١) الكهف: آية ٩.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٨؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٧٣؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٩.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٤٤٥؛ عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٥٩؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٨، ص ٣٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٤، ص ١٢٧.

وقد أودع آل البيت السبباي السجن المجاور لقصره، وبينما هم في السجن سقط عليهم حجر مربوط فيه كتاب، يعلمهم بأن البريد^(١) سار إلى يزيد لإخباره بأمرهم، وسيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، وعند عودة البريد إذا سمعتم بالتكبير فقد جاء الأمر بقتلكم، وإن لم تسمعوا ذلك فأنتم في أمان. وقبل عودة البريد بيومين أو ثلاثة وقع عليهم كتاب آخر بالطريقة نفسها، وفيه بأن يُوصوا ويعهدوا فقد قارب رجوع البريد^(٢).

ويبدو على هذه الرواية الإرباك، حيث لم تحدّد مدّة ذهاب البريد^(٣) ومدّة عودته

(١) ومن الاعمال التي أسسها واهتم بها معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩م) خلال حكمه، البريد وانشاء المحطات اللازمة له، وزودت بكل الوسائل التي تحتاجها، وقد توزعت تلك المحطات في الطرق ما بين مركز الحكم في دمشق، ومراكز الولايات التابعة لدولة بني أمية، وقسم الطريق إلى عدة مراحل، والمرحلة تساوي ستة أو سبعة فراسخ، والبريد على نوعين، الأول: البريد المستعجل، ويقوم بإيصال الاخبار بسرعة، من وإلى مركز الحكم، وكان غالباً ما ينشط في اوقات الحروب، والازمات التي تمر بها الدولة، والثاني: هو البريد العادي المنظم، ويقوم بنقل مراسلات الدولة من المقر إلى الولايات وبالعكس. تفاصيل أوسع عن البريد وتطوره، يُنظر: خالد عبد الرزاق البريد في التاريخ: ص ٥٣؛ خولة عيسى محمد صالح، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٣٣٤هـ: ص ١٠٧؛ قيس حاتم هاني الجنابي، نشأة وتطور البريد في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٨٦هـ: ص ٨؛ عبد صالح البريد في العصور الإسلامية: ص ٧.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) لقد توصل أحد الباحثين إلى أنّ المراسلات التي كانت تجري بين محمد بن القاسم الثقفي في الديبل، والحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ / ٦٩٤-٧١٣م) في واسط؛ تستغرق ثلاثة أيام، وبالرغم من أنّ المسافة بينهما تقدر ٦٩٠ فرسخاً، ما يعادل ٣٣٣١ كم، أي أنّه يقطع ٤٦ كم في الساعة، بينما المسافة بين الكوفة ودمشق، وعلى طريق البريد، وُجِدَت من خلال استخدام خاصية *Gps* لتحديد المسافات ما يقرب ٨٥٠ كم، فإذا قُسمت على نفس السرعة، التي كان صاحب البريد يقطعها في تلك المدّة، فإنّها ستكون ١٨ ساعة. يُنظر: خولة عيسى صالح

أيضاً، ولكن يمكن القول احتمالاً - من خلال فهم هذه الرواية - أن مدّة وصول البريد وعودته كانت يومين أو ثلاثة أيام.

ويذكر ابن سعد أن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن زياد يأمره بإرسال سبایا آل البيت (عليه السلام)، ورأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وبقيّة رؤوس القتلى إلى دمشق مقرّ الحكم الأموي^(١). وحسب قول سبط بن الجوزي «إنّ ابن زياد حطّ الرؤوس في اليوم الثاني، وجّهّها والسبایا إلى الشام إلى يزيد بن معاوية»^(٢).

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ عبيد الله بن زياد كان يعمل ويتصرّف من موقع قادر، وذلك لتمتّعه بصلاحيات واسعة عند توليته الكوفة، وخاصّةً تلك التي من خلالها يقوم بتثبيت دعائم الحكم الأموي، فضلاً عن أنّه يُعدّ مقرباً من عائلة يزيد ابن معاوية، حيث إن معاوية بن أبي سفيان إبّان عهده استلحق زياداً أبا عبيد الله، وجعله أخاً له، ومنذ ذلك الحين أصبح يُسمّى زياد بن أبي سفيان، بعد أن كان زياد مجهول الأب^(٣).

وبالتالي فإنّ ابن زياد وإن أخبر يزيد بأحداث الطفّ، إلّا أنّه لا يحتاج أمراً ليقوم بإرسال السبایا ورؤوس القتلى إلى حاضرة حكم بني أميّة، لأنّه كان من المعتاد عند

الفاضلي، نشأة البريد وتطوره في الدولة الإسلامية: ص ١٠٩. وتشير الدراسات المعاصرة، بأنّ صاحب البريد يقطع خلال الساعة الواحدة ٤٦ كم، مع ملاحظة أنّ الفرس بإمكانه أن يسير ٤٠ ميل، ٦٤ كم في الساعة. يُنظر: *P. 116 Guinness book of records*، وهذا يعني أنّ

البريد حتى يصل إلى دمشق يحتاج إلى ١٨ ساعة، أي أقل من يوم واحد.

(١) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨١.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٣٣٠.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٢١٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٦، ص ٣١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٧٥؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٥٢٧.

الولاة الأمويين عند قتل أي معارض لحكمهم، غالباً ما يقومون بقطع رأسه، وإرساله إلى مقرّ الحاكم الأموي في دمشق، وهناك شواهد على ذلك سنقوم بذكرها في فصول قادمة^(١).

ثم إن ابن زياد - فضلاً عما ذُكر - لا يرغب ببقاء سبباي آل البيت مدّة أطول في الكوفة؛ خشيةً من هياج أهلها، ولا سيما بعد خطب السيّدة زينب وأمّ كلثوم بنتي أمير المؤمنين، وفاطمة بنت الحسين وأخيها الإمام علي السجاد عليهم السلام؛ التي ألهبت المشاعر، وغيّرت المواقف في أوساط المجتمع الكوفي، وحتى في الدائرة القريبة من ابن زياد، فكان بعض رجال شرطته أو إدارته - وإن لم يكونوا من المواليين لآل البيت - يبدون تعاطفاً مع سبباي آل البيت، وبدون علمه أخذوا يخبرونهم بما يجري من أحداث خارج السجن، من توجيه ابن زياد كتاباً إلى يزيد وعودة جوابه.

إنّ الروايات التاريخية لم تُحدّد بشكل دقيق مدّة بقاء سبباي آل البيت في الكوفة، ولكن يمكن حساب ذلك، إذ وصل سبباي آل البيت مشارف الكوفة ليلة الثاني عشر من المحرم، وفي صباح اليوم الثاني عشر دخلوا الكوفة، وكانت أحداثه متواصلة طوال ذلك اليوم، من استعراضهم في شوارع المدينة التي عجتّ بالناس المتفرّجين، وخطب السيّدة زينب وأمّ كلثوم وفاطمة والإمام علي السجاد عليهم السلام في تلك الحشود، وبعد ذلك إدخالهم على ابن زياد في قصر الإمارة، والحديث المطوّل بينه وبين كلّ من السيّدة زينب عليها السلام والإمام علي السجاد عليه السلام، ثم أمره بإدعائهم السجن، وعقد مجلسه العام، وحديثه في هذا المجلس مبيّناً النصر الذي حقّقه كما يزعم، ومعارضته من قبل صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومن المواليين لآل البيت ومحبيهم،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ٣٠٤؛ ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ٥٩؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ٤٦؛ أبو هلال العسكري، الأوائل: ص ١٤٣.

وتطوّر تلك المعارضة إلى معركة بين قبيلة الأزد وشرطة ابن زياد، وأخذت وقتاً من ليل الثالث عشر، وقد قُتل فيها عبد الله بن عفيف الأزدي، وفي صبيحة اليوم الثالث عشر من المحرم أمر ابن زياد بالطواف برأس الإمام الحسين (عليه السلام) وبقيّة رؤوس القتلى في شوارع وسكك الكوفة، وخطط قبائلها، في وسط حشود النّاس الذين كان أكثرهم ناعمين على فعل ابن زياد، ويبدو أنّ هذا الطواف برؤوس القتلى أخذ وقتاً حتى قارب وقت الظهيرة، وبعد ذلك أمر ابن زياد بنصب جميع الرؤوس على الخشب أمام مسجد الكوفة الأعظم، وبفعله هذا ازداد هياج النّاس، ولخشيتهم من تفاقم الأمر من جهة، ووصول كتاب يزيد بن معاوية بتوجيه سبائ آل البيت إلى دمشق من جهة أخرى؛ عجل ابن زياد في ليل الخامس عشر من المحرم بتوجيه سبائ آل البيت (عليه السلام) إلى الشام. وبهذا كانت مدّة بقاء سبائ آل البيت في الكوفة لا تتجاوز ثلاثة أيّام، من ليلة الثاني عشر إلى ليلة الخامس عشر من المحرم.

جهّز ابن زياد السبائ من النساء والصبيان ورأس الإمام الحسين (عليه السلام) وبقيّة الرؤوس، وقد غلّ الإمام علي السجّاد (عليه السلام) إلى عنقه^(١)، لينطلق الجميع إلى بلاد الشام، وأصحبهم بعدد كافٍ من أفراد وقادة جيشه؛ ليكونوا أشدّ حراسة عليهم في الطريق وصولاً إلى دمشق^(٢).

وخلاصة ما تقدّم: كان دخول عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) السبائ إلى الكوفة في صبيحة اليوم الثاني عشر من المحرم. وقد اتّخذ عبيد الله بن زياد عدّة إجراءات خشيةً من ردود أفعال أهل الكوفة، عند رؤيتهم وعلمهم بأنّ السبائ هم آل البيت،

(١) الصدوق، الأمالي: ص ٢٢٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١١، ص ٣٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ٢٢٥.

عائلة الإمام الحسين عليه السلام، وليسوا من الخوارج، كما رُوِّج لذلك أمويو الكوفة. وهذه الإجراءات كلّها إعلان لحالة الطوارئ.

وعندما علم أهل الكوفة - الذين قد عرفوا بقدوم السبايا قبل دخولهم المدينة - تجمّعوا منذ الصباح الباكر بشكل جماعات، ينتظرون رؤية السبايا، وقد تباينت مواقفهم، فمنهم ذو ميول أموية ويؤيدون ذلك، وانضمّ إليهم مَنْ كان جاهلاً بالأحداث، ومنهم مَنْ كان يعرف ما حدث ولكن ليس بمقدوره فعل شيء.

وقد عدّ دخول السبايا للكوفة احتفالاً عسكرياً ابتهاجاً بالنصر، وتقوم شرطة ابن زياد بالتجوال بهم مع الرؤوس في شوارع المدينة. والهدف من كلّ ذلك هو زرع الخوف في نفوس كلّ مَنْ يُريد الثورة ضد الأمويين، وأنّ حاله سيكون كحال الإمام الحسين عليه السلام من القتل وسبي عياله.

ولكن لم تجرِ أحداث ذلك اليوم كما رُسم لها، بل كانت خُطب النساء العلويّات والإمام علي السجاد عليه السلام - أولاد الرسالة المحمديّة - بين حشود أهالي الكوفة قد قلبت ظهر المجن على رأس صاحبه، إذ أدّوا بذلك دوراً إعلامياً مهماً مع ما فيهم من عظم المصيبة والألم، إذ فقدوا رجالهم وإخوتهم وأبناءهم وأبناء عمومتهم، ونُهبت أموالهم، وهُتكت حجابهم، وتمّ سبيهم من الطفّ إلى الكوفة. ومع كلّ ما ألمّ بهم تمكّنوا من فضح بني أميّة بتوعية الناس، وتعريفهم بحقائق الأحداث، وأنّهم آل البيت لا خوارج، مع إبراز أهداف الثورة الحسينية. ومن اللواتي قُمنَ بهذا الدور السيّدة زينب عليها السلام وأختها أمّ كلثوم بنتا علي بن أبي طالب عليه السلام، وبنت أخيها فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فضلاً عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، مع ما يُعانيه من المرض الشديد.

وقد أكّدت جميع الخطب على توبيخ وتقريع أهل الكوفة على خذلانهم للحسين بعد دعوته، ليكون إماماً لهم في الثورة على الأمويين، وتحميلهم المسؤولية المباشرة

عن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره؛ لأنّ الجنود والقادة في الجيش الذي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وسبى عياله ونهب أمواله كانوا من أهل الكوفة. وبعد أن انتهى طواف السبايا في شوارع المدينة أُدخلوا محلّ ابن زياد ومجلسه، ودارت في هذا المجلس حوارات بين ابن زياد من جهة، والسيدة زينب (عليها السلام) والإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) من جهة أخرى، ورغم تشقيّيهما إلا أنّهما قد أفشلا ما كان يبغيه من لقاءه بهما وبسائر السبايا، وبعد ذلك أمر بإخراجهم من مجلسه وإيداعهم السجن.

وفي مجلسه المنعقد ظهر ابن زياد أمام جلسائه منتشياً مبتسماً، يلعب بقضيب في يده شَفَتِي رأس الإمام الحسين (عليه السلام) الذي وُضع أمامه في طشت، وهذا أثار امتعاض واعتراض بعض الجالسين، كالصحابي زيد بن أرقم الذي طُرد من المجلس بسبب ذلك. وعندما خطب ابن زياد نال من الإمام الحسين (عليه السلام)، وبجّل سيّده يزيد بن معاوية، فنهض إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، فشتمه وشتم سيّده، وطالب أبناء المهاجرين والأنصار بالثورة على الأمويين، وقد دفع ابن عفيف حياته على موقفه هذا. ولم تكن هذه الاعتراضات وحدها، بل هناك اعتراضات أخرى من داخل بيت ابن زياد، تمثّلت في تأنيب أمّه مرجانة له، وعدم رضی أخيه عثمان بن زياد على قتله الإمام الحسين (عليه السلام)، واعتراض المختار بن أبي عبيد الثقفي في الأيام التي تلت قتل ابن عفيف، وذلك عندما كرّر ابن زياد في خطبته النيل من الإمام الحسين (عليه السلام) وشيعته، وقد أودعه ابن زياد في السجن لاعتراضه، ثمّ أخلّى سبيله بتدخّل عبد الله ابن عمر وأمر يزيد بن معاوية. ولم يقتصر الرفض على الرجال، بل ما أن أُودِعُوا سبايا آل البيت (عليهم السلام) السجنَ حتى هبّت نساء أهل الكوفة إلى ذلك السجن؛ لمواساة أهل البيت (عليهم السلام)، فأقيم أول مجلس عزاء على الإمام الحسين (عليه السلام).

وفي اليوم الثالث عشر من المحرم أمر ابن زياد بالطواف برأس الإمام الحسين عليه السلام وبقية الرؤوس في شوارع الكوفة، وبعد الانتهاء من ذلك أمر بنصبها على الخشب في باب مسجد الكوفة الأعظم.

وفي ليلة الخامس عشر من محرم وجه ابن زياد السبايا إلى الشام، بعد أن جهّزهم والرؤوس معهم، وأصحابهم بعدد من قادة وأفراد جنده، وكان ذلك بطلب من يزيد بن معاوية، أو خشية ابن زياد من تفاقم الأمر في الكوفة لبقاء سبايا أهل البيت عليهم السلام مدة أطول فيها.

وبهذا ومع مرور هذه الأيام الثلاثة الثقيلة على أهل البيت عليهم السلام من النساء والصبيان، فقد بدأت لهم مرحلة أخرى من المعاناة في السير إلى الشام، عبر طريق طويل تخلّله البوادي والمدن، وتفرّج الناس عليهم. وهذا ما سنفضّله في الفصل القادم.

الفصل الثالث

سبي آل البيت عليهم السلام

من الكوفة إلى بلاد الشام

المبحث الأول: الأمراء الذين رافقوا سبياً آل البيت عليهم السلام إلى الشام

المبحث الثاني: الطرق بين الكوفة ودمشق

المبحث الثالث: مسير سبياً آل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى دمشق

المبحث الرابع: استعراض سبياً آل البيت عليهم السلام في دمشق

المبحث الأول

الأمراء الذين رافقوا سبائا آل البيت عليه السلام إلى الشام

لقد أشارت الروايات التاريخية إلى عدد من الأمراء الذين رافقوا سبائا آل البيت عليه السلام، وأوصلوهم إلى دمشق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اختلفت الروايات في أيهم أُرسِل إلى الشام أولاً، هل هو رأس الإمام الحسين عليه السلام وحده، أم رأس الإمام الحسين عليه السلام ومعه بقية رؤوس القتلى، أم سبائا آل البيت من النساء والصبيان ورأس الإمام الحسين عليه السلام وبقية الرؤوس؟

أشار بعض المؤرخين إلى أن رؤوس الشهداء قد أُرسِلت مع سبائا آل البيت من الكوفة إلى بلاد الشام^(١)، بينما أشار آخرون إلى أن رؤوس القتلى سبقت سبائا آل البيت إلى بلاد الشام^(٢)، وهناك مَنْ أشار إلى أن ابن زياد قد بعث رأس الإمام الحسين عليه السلام أولاً، وبعث بعده بقية رؤوس القتلى وسبائا آل البيت إلى الشام^(٣).

ويبدو أن إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام وحده أولاً؛ لنيل رضا يزيد بن معاوية

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الصدوق، الأُمالي: ص ٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ ابن طائوس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٢٠٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٢.

على عبيد الله بن زياد، وتعزيز مكانته عنده. وأما إرسال رأس الإمام الحسين (عليه السلام) مع بقية رؤوس القتلى، وإلحاق السبايا بهم في أحد مواضع الطريق فيما بعد، هدفه التمويه خشيةً من متابعة بعض الجماعات الرافضة لفعل بني أمية. وربما تقوم بمهاجمة القافلة، وأخذ الرؤوس ودفنها، وتحرير سبايا آل البيت من السبي.

لقد كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بانتصاراته المزعومة التي حققها، بقتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وآل بيته وأنصاره، وسبي عياله من الطف إلى الكوفة. ولما وقف يزيد على كتاب ابن زياد أعاد إليه الجواب يأمره بحمل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ورؤوس من قتل معه، وحمل ثقله وعياله إلى دمشق^(١).

لقد هبَّ ابن زياد سبايا آل البيت وجهزهم، وهم من النساء والصبيان، وأمر أن يغلَّ علي ابن الحسين (عليه السلام) بغلٍّ إلى عنقه، ومعهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وبقية رؤوس القتلى^(٢). وقد أسلفهم أبو خالد ذكوان^(٣) عشرة آلاف درهم ليتجهزوا بها للمسير^(٤). ويبدو أن سبب استلاف ابن زياد الأموال، كان للضائقة المالية التي عاشها، من جراء تجيش الجيوش على الإمام الحسين (عليه السلام) لقتله، ومن ثم سبي عياله، وبذل الأموال لكسب تأييد بعض الناس في حربه مع الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال شراء ذممهم بإعطائهم الأموال.

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨.

(٣) أبو خالد ذكوان، ويُقال: طهمان، وهو من موالي بني أمية، وقد أعتقوه. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٤٦٦.

(٤) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨١.

لقد وجّه ابن زياد قافلة السبايا إلى الشام، وأصحابهم بما يقرب من ألف جندي حرساً لهم؛ تحسباً لما يمكن أن يحدث أثناء سير قافلة السبايا في الطريق^(١)، فضلاً عن تهيئة عدّة السفر من المراكب كالجمال^(٢) والخيول والبغال، والمرافقين من غير العسكريين لهذا العدد الكبير الذي ضمّته القافلة^(٣).

إنّ رواية ابن سعد التي نقلها عن عدد من الرواة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، حدّدت الوقت الذي خرجت فيه قافلة السبايا من الكوفة إلى بلاد الشام بعد أن جُهِزوا نهاراً، ولم يتمكّنوا من الخروج من الكوفة إلّا بعد ذهاب شطر من الليل؛ لشدّة ازدحام النّاس المتجمّعين والباكين على سبايا آل البيت^(٤).

وقد حُمِّل سبايا آل البيت - وهم: الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأخواته وعمّاته وباقي النساء والأطفال - على محامل بغير وطاء، وكذلك رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس إخوته وأهل بيته وأنصاره، وساقوا الجميع من بلد إلى بلد، كما تُساق الأسارى الأجانب^(٥).

لقد كان قرار ابن زياد في توجيه سبايا آل البيت عليهم السلام إلى الشام؛ إمّا لخشيته من انقلاب الأوضاع عليه في الكوفة، أو تنفيذاً لأوامر سيّده يزيد بن معاوية بإرسالهم

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٨؛ فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٦٧.

(٢) ويُذكر أنّ الإبل التي حُمِّل عليها رأس الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وسبايا أهل بيته، لما نُحِرت لم يستطع أحد من أكل لحومها؛ لأنّها كانت أمرّ من الصبر. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٠٥.

(٣) جعفر المهاجر، موكب الأحزان: ص ٢٠.

(٤) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٩.

(٥) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٧.

إليه. فاختار كل من محفز^(١) بن ثعلبة العائذي^(٢) والشمر بن ذي الجوشن، وهما من أمراء جيشه البارزين، وكلّفهما بأن ينطلقا بثقل سبايا آل البيت، ورؤوس القتلى كلّها إلى يزيد بن معاوية في دمشق، ولما وصلا باب قصر يزيد رفع محفز صوته عالياً وقال: «جئنا برأس أحق الناس والأهمهم»^(٣).

ويبدو أن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) أوّل من وصل إلى يزيد مع محفز بن ثعلبة. ويستبعد بعض المؤرّخين صحبة الشمر بن ذي الجوشن لمحفز بن ثعلبة في قيادة قافلة سبايا آل البيت والرؤوس في مسيرتها إلى الشام^(٤).

وأشارت روايات أخرى إلى أن ابن زياد قد كلّف أميراً آخر من أمراء جيشه،

(١) اُختلّف في أسمه، بعضهم يسمّيه: محفز، وهذا الذي نستخدمه في دراستنا، ويسمّيه آخرون: محقن، كما يُسمّى: مجفر، ويُسمّى: محفر. يُنظر: الكلبي، الأنساب: ص ٢٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ١٧٤؛ الطبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٤٧٣؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٣؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٠.

(٢) هو محفز بن ثعلبة بن مرة بن خالد بن عامر بن قنان بن عمرو بن قيس بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر العائذي القرشي، وخزيمة يُدعون: عائذة قريش، نسبةً إلى أمّهم عائذة بنت الخميس بن قحافة بن خثعم، وبها يُعرفون، وروى عن محفز ولّدّه عبيد الله، وفد على يزيد بن معاوية. يُنظر: مصعب الزبيري، نسب قريش: ص ٤٣٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١١، ص ٣٤؛ الدارقطني، المؤتلف والمختلف: ج ٤، ص ٢١٣٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٦.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢١٦؛ ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٩.

(٤) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٦، ص ٢٢٥.

يُدعى زحر^(١) بن قيس الجعفي^(٢)، بحمل سبايا آل البيت ورأس الإمام الحسين عليه السلام وبقية رؤوس القتلى، ومعه شخصان آخران، هما: أبو بردة بن عوف الأزدي^(٣)، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي^(٤) إلى بلاد الشام^(٥). وقد سبق زحر بن قيس الجعفي برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى دمشق، ودخل على يزيد ودفع إليه كتاب ابن زياد^(٦).

وأشار الدينوري^(٧) إلى أن أمراء ابن زياد، الذين رافقوا سبايا آل البيت ورأس الإمام الحسين عليه السلام وبقية رؤوس القتلى، هم: زحر بن قيس الجعفي، ومحفز بن ثعلبة العائذي، والشمر بن ذي الجوشن إلى بلاد الشام. وبهذا فإن الدينوري جمع الأمراء

(١) ويُسمّى عند بعض المؤرخين: زحر بن قيس الجعفي. يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٧؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣١.

(٢) زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعة بن داء الجعفي الكوفي، وهو من صحابة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، أنزله على المدائن ومعه اربعمئة من أهل العراق، وفي المدائن أخبر بضرب ابن ملجم الإمام علياً عليه السلام، واستشهاده فيما بعد، ثم وصله كتاب الإمام الحسن بن علي عليه السلام يطلب فيه أخذ البيعة له. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤٠٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٨، ص ٤٩٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٤٤٤؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب: ج ١، ص ١٢٩؛ ابن داود الحلي، رجال بن داود: ص ٩٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٥٢٠.

(٣) أبو بردة بن عوف بن عبد نهم الأزدي، عراقي من التابعين، عثماني المذهب، وفد على يزيد بن معاوية. يُنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٣٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٦، ص ١٦؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ١٠، ص ٤٣٣.

(٤) طارق بن أبي ظبيان الأزدي، عراقي من التابعين، وفد على يزيد بن معاوية. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤، ص ٤٣٠.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣١.

(٦) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٧.

(٧) الأخبار الطوال: ص ٢٦٠؛ ويُنظر: ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٣١.

الثلاثة في رواية واحدة لأداء المهمة التي كُلفوا بها، وأن رؤوس القتلى كانت مع سبايا آل البيت، وقد أرسلوا سويةً إلى بلاد الشام^(١).

وأشار أبو مخنف في إحدى رواياته إلى أن ابن زياد اختار زحر بن قيس الجعفي، ومعه أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي وكلفهم بحمل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ورؤوس القتلى من أصحابه إلى يزيد بن معاوية، فخرجوا لينفذوا ما كُلفوا به حتى وصلوا بلاد الشام^(٢).

وقد خلت هذه الرواية من أن سبايا آل البيت قد صحبوا الرؤوس. ويُؤيد الطبري^(٣) أبا مخنف في روايته هذه، وقد خالفهم ابن الأثير، حيث أشار إلى إرسال السبايا معهم إلى يزيد بن معاوية^(٤).

وأشار فخر الدين الطريحي إلى أن ابن زياد كلف الشمر بن ذي الجوشن وخولي ابن يزيد الأصبحي وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج^(٥)، وهم من أمراءه البارزين في معركة الطف، وضم إليهم ألف فارس، وزودهم بما يحتاجونه في الطريق، وأمرهم بإيصال سبايا آل البيت ورؤوس القتلى إلى يزيد بن معاوية في

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٢٠٨.

(٢) مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢٠٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣.

(٥) هو عمرو بن الحجاج بن عبد الله بن عبد العزيز بن كعب بن سلمة بن مالك بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زيد الزبيدي المذحجي، وعاش حتى شارك في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت نهايته مجهولة، فعندما تابع المختار الثقفي قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، خرج عمرو براجلته وأخذ طريق شراف وواقصة، ولم يُعرف له خبر، وكان ذلك سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م. يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٢٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص ٤١٢.

دمشق^(١). وكان خولّي بن يزيد الأصبحي يقود قافلة سبایا آل البيت، ومعهم رأس الإمام الحسين عليه السلام في مواضع بلاد الشام^(٢).

ومّا تقدّم نخلص إلى أنّ هناك أكثر من أمير من أمراء جيش ابن زياد، ومعهم جيش يقدر بألف جندي، قد رافقوا قافلة السبایا حراسة لها من الكوفة إلى بلاد الشام، كلّفهم ابن زياد لأداء هذه المهمة الشاقّة؛ لثقتهم بهم، ولحماية القافلة من أيّ اعتداء قد تتعرّض له في سيرها في طريق طويل، غير مضمون التأييد لفعل بني أميّة.

وقد أُخرج رأس الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة وحده أولاً محاطاً بحراسة مشدّدة؛ للتّمويه على النّاس خشيةً من ردود أفعالهم، ثمّ لحقت بهم قافلة السبایا في أحد مواضع الطريق، وسار الجميع إلى بلاد الشام، وعند وصولهم مدينة دمشق أُدخل رأس الإمام الحسين عليه السلام أولاً إلى يزيد بن معاوية في قصره، وذلك في الأول من صفر سنة ٦١هـ/ ٦٨١م^(٣)، وأُدخل سبایا آل البيت إليه بعد ثلاثة أيّام، لاستكمال استعدادات الاستعراض الكبير الذي أمر به يزيد.

إنّ الهدف من إدخال رأس الإمام الحسين عليه السلام أولاً إلى يزيد؛ لنيل التقرّب منه من قبل ابن زياد، وتعزيز مكانته عنده، وتبشيره بالنصر المزعوم. ولهذا السبب فإنّ أمراء ابن زياد قد قسّموا لأداء مهامهم، فمنهم من حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام، ومنهم من حمل بقية الرؤوس وسبایا آل البيت.

(١) المنتخب: ص ٤٦٧.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٥-١٢٨؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السّطين: ص ٥٤٤؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٣-٣٨٧؛ زهير بن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف: ج ٢، ص ٧٣-٧٧.

(٣) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية: ص ٣٣١؛ القزويني، عجائب المخلوقات: ص ٤٥.

ثم إن رؤوس القتلى، بما فيهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، قد وُضعت - عمداً - بين محامل ركب السبايا على رماح طويلة؛ ليكون التفرّج على حرم رسول الله أكثر من قبل الناس في شوارع دمشق، وهذا ما كان أيضاً يحصل في حركة سيرهم بين المدن والقرى في الطريق الطويل من الكوفة إلى بلاد الشام، حيث كان يُوضع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في صندوق، ويخرجونه عندما يريدون ذلك.

عرضنا فيما الروايات التاريخية التي أشارت إلى سبي آل البيت (عليه السلام) من الكوفة إلى بلاد الشام، حيث كانوا في قافلة كبيرة قادها عدد من أمراء ابن زياد البارزين وجيشهم، إلا أن تلك الروايات لم تشر إلى الطريق الذي سلكته تلك القافلة، باستثناء روايات أبي مخنف التي بيّنت لنا الطريق الذي سلكته قافلة سبایا آل البيت. وفي الوقت ذاته لا بدّ من القول أن ما ذكره أبو مخنف (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م) لم تذكره روايات المؤرّخين الذين جاءوا بعده، ممّا جعل الشكّ يحوم حول رواياته، وكل ما أشارت إليه روايات ما بعده عبارة عن إشارات جزئية غير كافية ومتفرقة، تتناول حدثاً ما حدث في ذلك الموضع أو تلك المدينة أو القرية. لذا وجب على الباحث الاستقراء^(١) للنصوص والروايات المتعلقة بهذه المرحلة من مسيرة سبایا آل البيت (عليه السلام)؛ من أجل معرفة الطريق الذي سلكته قافلة السبايا من الكوفة إلى بلاد الشام، وما حدث فيه من أحداث. ثم إن هناك ثلاث طرق بين الكوفة وبلاد الشام، ستطرق إليها في المبحث القادم؛ لمعرفة أي طريق سلكته قافلة السبايا.

(١) الإستقراء لغةً، يعني تتبع الجزئيات، للحصول على حكم كلي، واصطلاحاً، تتبع الأمور وجمعها، وجمع خواصها. يُنظر: عبد الهادي الفضلي، خلاصة المنطق: ص ٦٧؛ مركز المجمع الفقهي، المصطلحات: ص ٢٧٦.

المبحث الثاني

الطرق بين الكوفة ودمشق

لقد كانت هناك ثلاثة طرق بين الكوفة ودمشق، وإنّ لكلّ طريق من هذه الطرق فروعاً عديدة، قصيرة أو طويلة في بعض مراحلها، وهي عبارة عن شبكة من الطرق تُوصل بعضها ببعض.

أولاً: طريق البادية (طريق البريد)

يمتدّ هذا الطريق من الكوفة إلى دمشق^(١)، ويُعدّ من أقصر الطرق مقارنةً مع الطرق الأخرى، ولم يُسلك هذا الطريق إلّا من قبل الذين يمتلكون الإمكانيّات الكافية ليجتازوا المسافة الطويلة بين منازل الطريق الصحراوي المتباعد. ومحطّات هذا الطريق من الكوفة إلى دمشق تبدأ من الحيرة^(٢) إلى القطقطانة، إلى

(١) دمشق، بكسر أوله وفتح ثانيه، والشين معجمة، وآخره قاف، وهي بلدة مشهورة بقصبة الشام وجنّة الأرض، لحسن عمارتها ونظارتها، وكثرة مياهها وفاكهتها، ونزاهة رقعتها، وسُمّيت دمشق؛ لأنّ أهلها دمشقوا، أي: أسرعوا في بنائها. يُنظر: السيرافي، رحلة: ص ١١٠؛ إسحاق المنجم، آكام المرجان: ص ٥٧؛ المهلبي، المسالك والممالك: ص ٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٦٣؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٢٣٧.

(٢) الحيرة، بالكسر ثمّ السكون وراء مهملة، مدينة تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة، أي ما يُعادل: ٤ كيلو مترات و ٨٢٨ متراً. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٢٨؛ محمّد علي جعفر التميمي، مدينة النجف: ص ٥١.

الأبيض^(١)، إلى الحوشى^(٢)، إلى الجمع^(٣)، إلى الخطي (خطا)^(٤)، إلى الجبة^(٥)، إلى الساعة^(٦)، إلى البقيعة^(٧)، إلى الأعناك^(٨)، إلى أذرعات^(٩)،

(١) الأبيض، وهو من قصور الحيرة، وقيل: بناه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م). ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٠٩٦.

(٢) الحوشى، بالضم، رمل بالدھناء، وهي إحدى محطّات طريق البادية، بين الكوفة ودمشق، تقع بعد القصر الأبيض. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢١٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٤٣٧.

(٣) الجمع، وهي مشعر المزدلفة، وفيه يُجمع بين صلاتي المغرب والعشاء، ومنها يؤخذ حصى الجمرات، وُسِّي بالجمع لاجتماع الناس به. ويبدو أنّ الجمع موضع آخر غير ما ذكر، بل هو إحدى محطّات طريق البادية، بين الكوفة ودمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٦٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٤٦؛ الحميري، الروض المعطار: ص ١٧١.

(٤) الخطي، بالضم والقصر، وهو موضع بين الكوفة والشام. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٤٧٣.

(٥) الجبة، بالضم والتشديد، وهي قرية قرب هيت، عبارة عن جزيرة في الفرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٠٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٢٢.

(٦) الساعة، تقع في جبال أبلأ، وهي إحدى محطّات الطريق، بين الكوفة ودمشق. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٧١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ١٨٩.

(٧) البقيعة، البقاع جمع بقعة، وهو موضع يُقال له: بقاع كلب واسع، قريب من دمشق، ويقع بين بعلبك وحمص ودمشق. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٢٢٥.

(٨) الأعناك، بالنون والكاف، بلدة من نواحي حوران، من أعمال دمشق، يعمل فيها بسط وأكسية جيّدة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٩٦؛ محمد كرد علي، خطط الشام: ج ٤، ص ٢٠٠.

(٩) أذرعات، بالفتح ثم السكون ثم هاء وعين مهملة والفاء وتاء، بلد في طرف الشام، وتجاور أرض البقاع المنسوبة إلى أذرع. ولما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، تلقاه أبو عبيدة الجراح فيها. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ١٥٨؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ١٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ١٣٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٤٧؛ الحميري، الروض المعطار: ص ١٩.

واستمر بهم المسير إلى منزل^(١)، ثم إلى دمشق^(٢).

ثانياً: طريق الفرات

سُمِّي هذا الطريق بهذا الاسم؛ لأنَّ مُدُنَهُ تقع بمحاذاة نهر الفرات. ويكون الماء في متناول أيدي الذين يسلكون هذا الطريق وعلى ضفاف هذا النهر للسفر إلى شمال العراق والشام، ويستفيدون من المدن الواقعة على ضفاف الفرات أيضاً؛ ولذلك كانت الجيوش الكبيرة والقوافل التي هي بحاجة إلى كميات كبيرة من الماء مضطرةً لسلوك هذا الطريق.

ويبدأ هذا الطريق من الكوفة نحو الشمال الغربي بمسافة طويلة، وينحدر من هناك نحو الجنوب، وينتهي إلى دمشق بعد اجتيازه عدداً من مدن الشام. وكان لهذا الطريق تفرعات عديدة يرتبط بها مع طرق أخرى، ولعلَّه البديل المناسب لطريق البادية؛ لكثرة المياه في مواضعه.

ومن المنازل المهمة في هذا الطريق، والذي يبدأ من الكوفة هي: هيت^(٣)، عانة^(٤)،

(١) منزل، لم نعر على تعريف له في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ٩٩. ويُنظر: خارطة رقم (٤): ص ٤٧٢.

(٣) هيت، بكسر أوله، والتاء المعجمة باثنتين من فوق، مدينة تقع في غرب العراق، وعلى شاطئ الفرات، والهيث الهوة، وسُميت هيتاً؛ لأنها في هفوة، وقيل: إن الهيث الموضع الغامض المنخفض. أبو عبيد البكري، معجم ما أستعجم: ج ٤، ص ١٣٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٤٢٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٨١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٤٦٨؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٥٩٧.

(٤) عانة، وجمعها عانات، والعانة الجماعة من حمر الوحش، وتقع بين الرقة وهيت، ويطوف بها خليج من نهر الفرات، كثيرة الأشجار والثمار والكروم، ولها قلعة حصينة، وتُعدّ في أعمال الجزيرة الفراتية، ومن طساسيج الأنبار. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٧٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٤١٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٩١٢.

ألوسة^(١)، قرقيسيا^(٢)، الرقة^(٣)، حمص^(٤)، دمشق^(٥).

وتكثر في هذا الطريق تجمّعات سكانية صغيرة شبه بدوية، غير ذات شأن ولا حضور سياسي أو اجتماعي أو ثقافي لها بنظر السلطة الأموية، ولا فائدة في

(١) ألوسة، بضم اللام وسكون الواو والسين مهملة، بلد على الفرات، قرب عانة، وقيل: فيه ألوس بغير مدّ. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٥٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٦.

(٢) قرقيسيا، بفتح أوله وسكون ثانيه بعده كاف أخرى مكسورة وياء وسين مهملة وياء أخرى، من كور ديار ربيعة، وبين الحيرة والشام، وهي نزهة ذات نعمة، وسوادها دائم الخضرة. مؤلّف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب: ص ١٦٢؛ المهلبي، المسالك والممالك: ص ١١٢؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ١٠٦٦.

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٢١٧؛ جعفر المهاجر، موكب الأحزان: ص ٤٣. والرقة، بفتح أوله وثانيه وتشديده، وجمعها أرقاء، وأصله: كلّ أرض إلى جنب الوادي، ينسبط عليها الماء أيام المدّ، ثمّ ينحسر عنها وتكون مكرمة للنبات، والرقة: الأرض لينة التراب، وتقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات، فهي على شاطئ الفرات الشمالي، في السهل المحصور بين الفرات ورافده البليخ في الجزيرة الفراتية، وسميت بالرقة البيضاء؛ وذلك لجمالها، وغلبة اللون الأبيض في بناء منازلها، عند فتح العرب المسلمين لها، في سنة ١٧هـ / ٦٣٨م أو سنة ١٨هـ / ٦٣٩م، في عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م). أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ٦٦٦؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٥٨؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: ج ١، ص ١٢٣؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٢٧٠؛ نادية محسن عزيز، الدور الحضاري لمدينة الرقة في العصر العباسي (١٣٢-٣٨٠هـ / ٧٤٩-٩٩٣م): ص ٩-١٦.

(٤) حمص، بالكسر ثمّ السكون والصاد مهملة، بلد مشهور قديم كبير، مسوّر في طرفه القبلي، قلعة حصينة على تلّ عال كبير، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، بناها رجل يُقال له حمص ابن المهر بن جون بن مكنس، وقيل: حمص بن مكنس العالقي. السيرافي، الرحلة: ص ١٠٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٠٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ١٨٤؛ شهاب الدين العمري، مسالك الأبصار: ج ٣، ص ٥٣١.

(٥) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٨. ويُنظر: خارطة رقم (٥): ص ٤٧٣.

استعراض السبايا فيها، بل قد يُستثمر ضد السلطة، وذلك من خلال إبلاغ السبايا لرسالة الطفّ والتأثير في ساكني هذه المناطق.

ثالثاً: طريق دجلة (الطريق الشمالي)

من الحقائق الجغرافية المعروفة أنّ نهر دجلة لا يمرّ ببلاد الشام، فكان من يريد السفر إلى شمال شرقي العراق يمكن أن يسلك ضفاف هذا النهر، ولم يكن هذا الطريق هو الطريق الرئيسي بين الكوفة ودمشق، فإنّ الذي يريد أن يسلك هذا الطريق فعليه أن يسير مقداراً منه، ثمّ ينحرف تدريجياً نحو الغرب، والالتحاق بطريق ضفاف الفرات بعد اجتياز مسافة ليست بالقصيرة، ثمّ يدخل دمشق من ذلك الطريق.

ومن أهمّ منازل هذا الطريق: الكوفة، ومنها إلى شاهي^(١)، ومنها إلى القناطر^(٢)، ومنها إلى اليعقوبية^(٣)، ومنها إلى سوق أسد^(٤) ومنه إلى قصر ابن

(١) شاهي، وتُدعى شوشي أيضاً، وهي في سواد الكوفة، وتبعد عنها خمسة فراسخ؛ أي: ٢٤ كم، وهي بالقرب من مقام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، قريب من قرية في ذي الكفل، ويعدّها ياقوت موضعاً قرب القادسيّة. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ١٥٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٩، ص ٢٨٦؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٩، ص ٣١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٣١٦.

(٢) القناطر، موضع يقع بين شاهي واليعقوبية. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٨٣.

(٣) اليعقوبية، وهي إحدى محطّات الطريق بين موضع بغداد والكوفة، وتبعد عن الكوفة ٣٥ ميل، أي: ٥٦ كم. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٨٣.

(٤) سوق أسد، وهي سوق في الكوفة، منسوبة إلى أسد بن عبد الله القسري البجلي الباني (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، أخو خالد بن عبد الله القسري (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، والي العراق الأموي، ومن سوق أسد إلى اليعقوبية أربعة أميال؛ أي: ما يعادل ٦ كم، ومن قصر ابن هبيرة

هيرة^(١) ومنه إلى بيزيقيا^(٢)، ومنها إلى جسر كوئي^(٣)، ومنه إلى نهر الملك^(٤)،

-
- إلى سوق أسد سبعة فراسخ، أي: ما يعادل ٣٣ كم. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٨٣؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ١٨٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٣.
- (١) قصر ابن هيرة، مدينة قريبة من عمود نهر الفرات، وليس بين موضع بغداد والكوفة مدينة أكبر منها، ويطل عليها عن يمين وشمال الفرات أنهار متفرقة ليست كبيرة، وكرلاء محاذية لقصر ابن هيرة من الغرب في البرية، وهو يُنسب إلى يزيد بن عمر بن هيرة الفزاري (ت ١٣٢هـ / ٧٤٩م)، ويبعد القصر عن عمود الفرات فرسخين، أي: تسعة كم، ولما تولى أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٤م) الخلافة العباسية، نزله وأتم تسقيف ما قصر فيه، وزاد في بنائه، وسماه الهاشمية، ولم ينزل أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) فيه، بل بنى قصرًا بالقرب منه، ونزله قبل أن يتم بناء بغداد، ويبعد قصر ابن هيرة عن سوق أسد سبعة فراسخ؛ أي ٣٣ كم، وفي وقتنا الحاضر يقع قصر ابن هيرة شرق قضاء المسيب ضمن محافظة بابل بعشرة كم. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ٢٣٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ٣٠٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٦٥؛ البراقبي، تاريخ الكوفة: ص ٢٠٤.
- (٢) بيزيقيا، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وكسر القاف وياء وألف، قرية قرب حلة بني مزيد، من أعمال الكوفة، وتبعد عن قصر ابن هيرة تسعة أميال؛ أي: ١٤ كم. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٤١٢.
- (٣) جسر كوئي، ويبعد موضع كوئي عن قصر بن هيرة خمسة فراسخ، أي: ٢٤ كم، ونهر كوئي هو النهر الرابع الذي يحمل من الفرات إلى دجلة، علمًا أن مكان كوئي وليس النهر، هو ناحية مشروع جبلة بمحافظة بابل حاليًا، وأول النهر هو أسفل نهر الملك بثلاثة فراسخ؛ أي: ١٤ كم، ويصب في نهر دجلة أسفل المدائن بعشرة فراسخ؛ أي: ما يعادل ٤٨ كم. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ١٨٥؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ص ٩٤.
- (٤) نهر الملك، وهو نهر كبير، أضعاف نهر الصرصر في غزارة مائه، وعليه جسر من سفن للعبور، ونهر الملك مدينة أكبر من صرصر، عامرة بأهلها، وأكثر زرعاً ونخلًا وثمرًا، وينتهي النهر إلى قصر ابن هيرة، ويبعد نهر الملك عن كوئي أربعة أميال؛ أي: ما يعادل ٦ كم. ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٨٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ٣٠٥؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ص ٩٣-٩٤.

ومنه إلى جسر صرصر^(١)، ومنه إلى مدينة السلام (بغداد)^(٢)، ومنها إلى البردان^(٣)،
ومنها إلى عكبرا^(٤)، ومنها إلى باحمشا^(٥)، ومنها إلى القادسيّة^(٦)، ومنها إلى سرّ من رأى^(٧)،

(١) جسر صرصر، وهما قريتان من سواد بغداد: صرصر العليا وصرصر السفلى، وهما على ضفّة نهر عيسى، وما بين السفلى وبغداد فرسخان؛ أي: تسعة كم، وهو طريق الجنوب من بغداد باتجاه الكوفة ومكّة، وكان بعد أن يغادر ربط الكرخ يصل إلى صرصر، وهي على نهر صرصر ثاني، الأنهر الكبيرة الآخذة من الفرات ودجلة، ويجري بموازة نهر عيسى في جنوبه، ويبدأ الطريق الغربي نهر صرصر يصبّ في دجلة، على شيء يسير فوق المدائن، ونهر صرصر الثاني إلى دجلة ومصبّه فوق المدائن بأربعة فراسخ؛ أي ما يعادل ١٩ كم، وكانت أسفل هذا النهر تُسقى طسوج بادوريا جنوب بغداد الغربي. ابن رسته، الأعلاق النفيسة: ص ١٨٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ٣٠٣؛ كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ص ٥٠.

(٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ١٢٥. ومن الجدير ذكره هنا، أنّ بغداد لم تبَنَ في هذا الوقت، عند تسيير سبائ آل البيت إلى الشام.

(٣) البردان، مدينة عامرة على شاطئ دجلة الشرقي، وتبعد عن بغداد خمسة فراسخ؛ أي ٢٤ كم. المهلبي، المسالك والممالك: ص ١١٣؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب: ص ١٦١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٧٥.

(٤) عكبرا، بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة، وقد يمدّ ويقصر، مدينة تقع شمال شرق بغداد بمسافة عشرة فراسخ؛ أي ما يعادل ٤٨ كم. مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٤٢؛ كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ص ٧٢.

(٥) باحمشا، بسكون الميم والثين معجمة، قرية بين اوانا والخطيرة على نهر دجلة القديمة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣١٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ١٤٨.

(٦) القادسيّة، بلدة على شرق دجلة، وهي غير قادسية الفرات التي وراء الكوفة، من جهة جزيرة العرب، وقد اشتهرت هذه البلدة بصناعة الزجاج. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ص ٧٢.

(٧) سرّ من رأى، مدينة كانت بين بغداد وتكرت، على شرق دجلة، وقد خربت. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٧٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٦٧٤.

ومنها إلى الكرخ^(١)، ومنها إلى جبلتا^(٢)، ومنها إلى السودقانية^(٣)، ومنها إلى بارما^(٤)،
ومنها إلى السن^(٥)، وفيه الزاب الأسفل، ومنه إلى الحديثة^(٦)، وفيها الزاب الأعلى،

(١) الكرخ، وهي إحدى محطات الطريق ما بين بغداد والموصل، وتبعد عن بغداد أربعة وعشرون فرسخاً، أي: ١٥ كم، وعن سرّ من رأى فرسخان، وعن الموصل ثمانية واربعون فرسخاً، أي: ٢٣١ كم، وهذا الموضع أقدم من سامراء، ولما بُنيت سامراء اتصلت بها، وكان الاتراك ينزلون فيه في عهد المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م). ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٢٣٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤٩.

(٢) جبلتا، وهي إحدى محطات الطريق بين بغداد والموصل، وتبعد عن سرّ من رأى تسعة فراسخ، أي ما يعادل ٤٣ كم، وعن الموصل واحداً واربعين فرسخاً، أي: ١٩٧ كم، وتبعد عن الكرخ والسودقانية مرحلة واحدة. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ١٣٥.

(٣) السودقانية، أحد المواضع التي تقع على الطريق الشمالي، وتبعد عن بارما مرحلة، وعن جبلتا مثلها. المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ١٣٥.

(٤) بارما، بكسر الراء وتشديد الميم، جبل بين تكريت والموصل، وهو الذي يُعرف بجبل حميرين، وتشقّه دجلة السن، والسن شرق دجلة، فتجري في حافته، وفي الماء منه عيون للقار والنفط. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٢٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ١٥١.

(٥) السن، بكسر أوله وتشديد نونه، يُقال لها: سن بارما، مدينة على دجلة فوق تكريت، لها سور وجامع كبير، وفي أهلها علماء، وفيها كنائس وبيع للنصارى. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٦٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٧٤٧.

(٦) الحديثة، وهي بليدة كانت على دجلة في الجانب الشرقي، قرب الزاب الأعلى. ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٨٧.

ومنها إلى مدينة الموصل^(١)، ومنها إلى بلد^(٢)، وهنا يتفرّع الطريق إلى فرعين: أولهما: باتجاه تلعفر^(٣)، ومنه إلى سنجار^(٤). وثانيهما: إلى باعينا^(٥) ومنها إلى برقعيد^(٦)، ومنها

(١) ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ٩٣. ومدينة الموصل، بالفتح وكسر الصاد، مدينة مشهورة، وإحدى قواعد الإسلام، تمتاز برقعتهما الواسعة، وكثرة سكّانها، وتَمَرُّ بها القوافل القادمة من جهات شتّى، فهي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يُقصد إلى أذربيجان، وسُمّيت بالموصل لأنّها وصلت بين الجزيرة والعراق، ووصلت بين الجزيرة والشام، والجزيرة من عمل سميّساط إلى بلد، ومن الموصل إلى الأردن، وقيل: إنّها وصلت بين دجلة والفرات، أو إنّها وصلت بين سنجار والحديثة، وبناها ملك اسمه موصل. يُنظر: ابن الفقيه، البلدان: ص ١٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٢٣.

(٢) بلد، هي الموصل القديمة، أو أسكي، وهي بلدة كبيرة خراب، وسورها وأسواقها وأبوابها ظاهرة، وتبعد خمسة فراسخ، أي ما يعادل ٢٤ كم عن بادوش. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٨٤؛ عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ١١١، *sözlük t. Muhammed yolcu*, p. 35.

(٣) تلعفر، بالفاء هكذا تقول عامة النّاس، وأمّا خواصهم فيقولون تل عفر، وقيل: أصله التلّ الأعفر للونه، فعُيِّر لكثرة الاستعمال وطلب الخفّة، وهو سن قلعة، وربط بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة، وفي ماء نهرها عذوبة، ورطب نخلها يُجلب إلى الموصل. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٩؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٢٦٨.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٦. وسنجان، بكسر أوله وسكون ثانيه، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية، وتبعد عن الموصل مقدار ثلاثة أيّام، وهي على جبل عال، وقيل: إنّ سفينة نوح مرّت بهذا الجبل فططحته، فقال نوح: هذا سن جبل جار علي، فسُمّي سنجان. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٦٢؛ الهروي، الاشارات إلى معرفة الزيارات: ص ٦٠.

(٥) باعينا، باء ساكنة ونون وألف وثاء مثلثة وألف أخرى، قرية كبيرة كالمدينة، فوق جزيرة ابن عمر، لها نهر كبير يصبّ في دجلة، وفيها بساتين كثيرة، وهي من أنزه المواضع، تُشبّه بدمشق. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ٢٢١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٢٥؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ١٥٤.

(٦) برقعيد، بليدة بين الموصل ونصيبين، عامرة بالسكّان، ولها أسواق كثيرة، وتبعد عن بلد أحد عشر

إلى أذرمه^(١)، ومنها إلى نصيبين^(٢)، ومنها إلى دارا^(٣)، ومنها إلى كفر ثوثا^(٤)، ومنها إلى

فرسخاً، أي: ٥٣ كم، وعن الموصل سبعة عشر فرسخاً، أي: ٨٢ كم. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٢؛ المهلب، المسالك والممالك: ص ١٠٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٣٠٦.

(١) أذرمه، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الراء والميم، قرية قديمة من ديار ربيعة، عليها سور، وتوسطها قنطرة معقودة بالحصن والحجارة، على نهر يشقها، وتبعد عن سنجار عشرة فراسخ، أي ما يعادل ٤٨ كم، وهي اليوم من أعمال نصيبين. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ١٣١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٤٧.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٥؛ عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٣٩. ونصيبين، بالفتح ثم الكسر ثم ياء، وعلامة الجمع الصحيح، ومن العرب من يعربها فيقول: نصيبون، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة الفراتية، على جادة القوافل، من الموصل إلى الشام، تقع شمال سنجار، وتبعد عنه تسعة فراسخ، أي ما يعادل ٤٣ كم، وتبعد عن الموصل ستة أيام، ويحيط بها سور، وتمتاز بكثرة مياهها، إذ يجري في وسطها نهر الهرماس الذي يصب في نهر الخابور، والتي تقع على أعلاه، ونهر الهرماس، يُسمى نهر نصيبين أيضاً، وفيها جامع كبير حسن العمارة، وسوق ضيق، والخراب كثير، وفتحت نصيبين صلحاً في عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م) سنة ١٧هـ / ٦٣٨م، وتقع نصيبين في الوقت الحالي في الجزء الجنوبي الشرقي من تركيا، عند الحدود مع سوريا، قرب مدينة القامشلي. اليعقوبي، البلدان: ص ٢٠٤؛ مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٨٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٣٧٤؛ حنان عبد الخالق، مدينة نصيبين في العصر العباسي دراسة سياسية حضارية: ص ١٥-٣١.

(٣) دارا، قرية من قرى دمشق، تقع على سفح جبل، وفيها مياه جارية غزيرة، وتبعد عن نصيبين خمسة فراسخ، أي: ٢٤ كم. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ١٨٨؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٢٣٠.

(٤) كفرتوثا، بضم التاء المثناة من فوق وسكون الواو وثاء مثلثة، قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، وتبعد عن دارم خمسة فراسخ، أي ما يعادل ٢٤ كم، وهي بين دارا ورأس عين، وهي نزه وعامرة، ومياهها جارية. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٦٨.

قصر بني نازع^(١)، ومنه إلى امد^(٢)، ومن امد طريق يتّجه نحو الجنوب الغربي إلى الرّها^(٣)، ومنها ينحرف الطريق جنوباً إلى حرّان^(٤)، ومنها ينقسم الطريق إلى اتّجاهين: أولهما: يتّجه غرباً إلى سرّوج^(٥)، ومنها إلى جسر منبج^(٦)، ومنه إلى حلب^(٧)،

(١) قصر بني نازع، مدينة واقعة على الطريق الذي يصل نصيبين بآمد، وتبعد عن آمد سبعة فراسخ؛ أي: ٣٣ كم، وعن كفر ثوثة ستة فراسخ؛ أي: ٢٨ كم. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٦.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ص ٦٦٢. وآمد، مدينة حصينة مبنية بالحجارة، من بلاد الجزيرة الفراتية، وعلى نشز من الأرض، وتُحيط بها دجلة إلّا من جهة واحدة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٥٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٤٩١.

(٣) الرها، بضم أوله، مدينة في الجزيرة الفراتية، بين الموصل والشام، بينهما ستة فراسخ؛ أي ما يعادل ٢٨ كم، وسُمّيت بإسم الذي استحدثها، وهو الرّها بن الباندي بن مالك بن دعر. مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٣؛ المهلّبي، المسالك والممالك: ص ١١٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٠٦.

(٤) حران، بتشديد الراء وآخره نون، مدينة عظيمة مشهورة، من جزيرة اقور، وتبعد عن الرّها مسافة يوم، وعن الرقّة مسافة يومين، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وقيل: إنّها أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان، ونزلها الصابئة، وتقع حالياً جنوب شرقي تركيا عند منبع نهر البليخ، أحد روافد الفرات، وفتحها المسلمون سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م، وتشتهر حرّان بسهولها الزراعية. السيرافي، رحلة: ص ١٠٥؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٣٥؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٨٩؛ كامل بن حسين الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب: ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) سروج، بفتح أوله وضم ثانيه بعده واو وجيم، مدينة عامرة، قريبة من أرض الجزيرة، وفيه معدن الميس. مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٣؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٣، ص ٧٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢١٦.

(٦) جسر منبج، مدينة قديمة، قُتحت صلحاً، تقع على الفرات، ومتّصلة بحدود الشام. البيهقي، البلدان: ص ٢٠٧؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٣؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٣١٦.

(٧) حلب، مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة

ومنها إلى قنسرين^(١)، ومنها إلى حمص، ومنها إلى دمشق^(٢). وثانيهما: يتجه جنوباً مع ضفة نهر البليخ الشرقية، إلى منزل باجروان^(٣)، ومنها إلى الرقة^(٤)، والتي كانت مفترقا لعدة طرق باتجاه الشام والجزيرة الفراتية^(٥).

بعد أن استعرضنا المواضع التي تمرّ بها الطرق الثلاث بين الكوفة وبلاد الشام، وحاضرتها دمشق، لا بدّ من التساؤل عن الطريق الذي سلكته قافلة سبايا آل البيت عند نقلهم من الكوفة إلى دمشق، هل هو طريق البادية، أو طريق الفرات، أو طريق دجلة؟

جند قنسرين. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٨٢؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ١٨٣؛ العمري، مسالك الأبصار: ج ٣، ص ٥٣٥.

(١) قنسرين، بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده وسين مهملة، وهي في الإقليم الرابع، وتبعد عن حلب اثنا عشر ميلاً، أي ما يعادل ١٩ كم. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٠٣؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٤٧٣.

(٢) الاصطخري، مسالك الممالك: ص ٦٥.

(٣) باجروان، بفتح الجيم والراء المهملة الساكنة ويعدها واو وألف ونون، وهي من أرض البليخ، وتبعد عن الفرات ليلة. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ٢٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣١٣؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٧٤.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٧٦.

(٥) الجزيرة الفراتية، وتقع بين دجلة والفرات، وحدّها من الجنوب الخطّ الوهمي الواصل بين تكريت على نهر دجلة وهييت على نهر الفرات، وحدّها من الغرب بلاد الشام، وحدّها من الشرق إقليم آذربيجان وجبال أرمينيا، وحدّها من الشمال الخطّ الوهمي الممتدّ شمالاً إلى ميافارقين، وينحدر جنوباً باتجاه الغرب إلى نصيبين وسميساط على الفرات، وتنقسم الجزيرة إلى ثلاثة أقسام، هي: ديار ربيعة وقاعدتها الموصل، وديار مضر وقاعدتها الرقة، وديار بكر وقاعدتها امد، نسبة إلى القبائل العربية التي سكنتها من ربيعة ومضر وبكر. الاصطخري، مسالك الممالك: ص ٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٣٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ص ٢٧٤؛ عصام الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي: ص ٢١٨.

من خلال ما كان يهدف إليه الجهاز الحاكم الأموي من اطلاع أكثر سكّان المدن والقرى - وهي في الأعم الأغلب أهلة بالسكان - على سبايا آل البيت، ورؤوس قتلهم، وفي مقدّماتهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، الذي يمثّل ما يمثّله في العالم الإسلامي من قدسية، كونه ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله، ولا يوجد ابن بنت نبي في المشرق والمغرب غيره؛ ليكون عبرة لكلّ من يريد الوقوف ضد بني أميّة والثورة عليهم.

وهذا ما أشار إليه ابن أعثم، حيث ذكر أنّ أمراء ابن زياد قد ساروا بحُرْم رسول الله من الكوفة إلى بلاد الشام من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل^(١)، وهذا يعني وجود عديد من المحطّات والمواضع في الطريق الذي سلكوه، وإنّ السبايا أخذوهم في الطريق الشمالي إلى الموصل، أي طريق دجلة ومنها إلى حلب، ثم إلى دمشق. وهذا الطريق الطويل تخلّلته المرتفعات والبودي.

ومّا يُعزّز هذا القول ما جاء في خطبة زينب بنت علي عليها السلام، حيث تصوّر سير سبايا آل البيت ولاسيما النساء في مجلس يزيد بن معاوية في دمشق، عندما قالت له: «... ويستشرّفهن أهل المناهل والمناقل ...»^(٢). والمناهل مفردة: منهل، أي الماء الذي ينزل عنده المسافرون للتزوّد منه^(٣). وأمّا المناقل فمفردة: منقل، أي الطريق عبر الجبال^(٤).

ويتّضح من هذا القول أنّ الطريق الذي سلكوه هو عبر الجبال، والمواضع التي يتوقّفون فيها للتزوّد منها بالماء، وعندها يُستبعد طريقا البادية والفرات، مع قصرهما بالمقارنة مع طريق دجلة.

(١) الفتوح: ج ٥، ص ١٢٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٢.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٥.

(٣) الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٥١؛ ابن سيده، المخصّص: ج ٢، ص ٩٧.

(٤) الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ١٠.

٢٦٨ سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

وقد حدّد أبو مخنف في رواياته الطريق الأخير الذي سار به سبّاي آل البيت ومعهم رؤوس القتلى، وذكر جملة من الأحداث التي حصلت عند مرورهم في مواضع هذا الطريق من مدن وقرى^(١).

(١) مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، المعروف بأبي مخنف: ص ١٢٢-١٣٠.
يُنظر: خارطة رقم (٦): ص ٤٧٤.

المبحث الثالث

مسير سبايا آل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى دمشق

إنّ ما يلاحظ على المصادر التي وصفت لنا دخول سبايا آل البيت الكوفة، واستعراضهم في شوارعها من قبل السلطة الأموية، وخطبهم بين حشود أهل الكوفة، ودخولهم مجلس ابن زياد، وقضائهم مدّة قصيرة في الكوفة لا تتجاوز ثلاثة أيّام، من ليل الثاني عشر إلى ليل الخامس عشر من المحرم سنة ٦١هـ / ٦٨١م؛ أنّها - أي تلك المصادر ذاتها - لم تُفصّل لنا عن ما حدث من حوادث لقافلة سبايا آل البيت في طريق سيرها إلى دمشق، إلّا إشارات بسيطة هنا وهناك، سنذكرها تباعا. بعد أن اتخذ ابن زياد قراره بإرسال سبايا آل البيت ورؤوس القتلى إلى يزيد بن معاوية في دمشق، واتّخذ إجراءات عدّة لتحقيق ذلك؛ غادرت قافلة السبايا من الكوفة فجر يوم الخامس عشر من المحرم أو قبل الفجر، وذلك للازدحام الشديد من قبل المتجمّعين من أهالي الكوفة^(١).

ولم تسلك قافلة السبايا الطريق المعتاد المتّجه إلى الشمال؛ وذلك لأنّ ابن زياد وأعوانه كانوا يخشون من ردود الأفعال في الكوفة التي كانت تغلي كالمرجل بأهلها،

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٩.

لذلك اتّجهت قافلة السبايا نحو القادسيّة التي تقع جنوب الكوفة^(١)؛ وذلك للتمويه على النّاس من أن ابن زياد قد أرجعهم إلى المدينة، باعتبار أن هذا الطريق يُؤدّي بمن سلكه إلى المدينة^(٢)، وبالتالي حتى لا يلحق بهم أحد لتخليص الرؤوس والسبايا. وهكذا تمّ اجتماعهم في القادسيّة، وهي أول بريّة، ثمّ اتّجهوا بعد ذلك شمالاً في طريق صحراوي دائري بعيداً عن الكوفة والمواقع القريبة منها، حيث الطريق الذي تسلكه القوافل المتّجهة نحو الشمال، وبهذا تجنّبوا المواقع الآهلة بالسكّان؛ لأنّه من المتوقّع وصول أصداء معركة الطفّ من قتل الإمام الحسين (عليه السلام) ورجال بيته وأنصاره وسبي عياله إلى مسامعهم، الأمر الذي سيّجعل تمويّيات السلطة وخداعها للناس عن حقيقة الضحايا أمراً في غاية الصعوبة، فضلاً عن احتمال حصول أعمال انتقامية من قبل النّاس الغاضبين، خصوصاً وأنّ قافلة السبايا تمرّ على مواقع من مدن وقرى عدّة منها موالية لأهل البيت (عليه السلام).

ويبدو أنّ ابن زياد - وهو من الإداريين الأمويين البارزين في خبرته الإدارية وحزمه - قد اتخذ هذه الإجراءات من تلقاء نفسه في إرسال السبايا ورؤوس القتلى، وانسجمت مع أمر يزيد بن معاوية في توجيه السبايا ورؤوس القتلى إليه في دمشق وعبر طريق دجلة.

لقد عانى سبايا آل البيت (عليه السلام) في طريق سيرهم الطويل من الكوفة إلى الشام معاناة كبيرة، فقد غلّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بغلّ إلى عنقه، وهو يعاني المرض

(١) يُنظر: ملحق رقم (١٨): ص ٤٨٨.

(٢) يُنظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ١٨٤-١٨٥؛ ملحق رقم (١٩): ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

الشديد^(١)، كما أنّه لم يكلم أحداً من الرجال المصاحبين للقافلة بكلمة طوال مدّة سبيهم في الطريق إلى الشام^(٢)، وقد اركبوه على بعير يضلع^(٣)، أي: أعرج بغير وطاء، وإنّ البعير الأعرج يؤذي راكبه، هذا ورأس الإمام الحسين (عليه السلام) على علم، أي: على رمح طويل، ونساء أهل البيت (عليهن السلام) خلف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على بغال أكف^(٤)، والفارطة^(٥) خلفهم وحولهم بالرماح، أي أركبهم على بغال ذات رحل صغير مع العجلة والسرعة من قبل أفراد جيش بني أمية؛ بقصد إيذاء سبايا أهل البيت، ومن خلفهم يحملون الرماح، فإذا دمعت عين أحدهم ضربوا رأسه بالرمح، وعند دخولهم دمشق صاح صائح: إنّ هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون^(٦).

كان في طريق دجلة عدد كبير من مواضع المدن والقرى مرّت بها قافلة سبايا آل البيت ورؤوس القتلى، وحدثت في بعضها أحداث سنمّر بها. والمواضع هي ما يلي:

-
- (١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨.
- (٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٦٧.
- (٣) الضلع: الغمز، كأن في رجله داء، أي بمعنى يعرج. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٨٦؛ الجوهري، الصحاح ج ٣، ص ١٢٥٦؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٨، ص ٢٤٣.
- (٤) اكف والاكف والإكاف، وجمعه أكفّة وأكفّ، وهو الرحل الصغير على قدر السنام، أي شددت على الدابة الرحل، والرحل من إزار وآزره وأزر. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٣٣١؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ١٨؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٩؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٢، ص ٨٧.
- (٥) الفارطة: الفرط، الشتم، وفرط عليه: آذاه، وفرط: أعجله. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٧٧؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١١، ص ٣٥٩؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٦٤.
- (٦) ابن طاووس، إقبال الأعمال: ص ٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٥٤.

١- دير^(١) سرجس وبكس^(٢)

بعد خروج قافلة السبايا من الكوفة متوجّهة جنوباً إلى القادسيّة، مرّت في طريقها على دير^(٣) سرجس وبكس، إلّا أنّ بعض الباحثين يعتقد أنّ أوّل موضع نزلت فيه قافلة السبايا هو منزل خراب، وهو غير هذا الدير^(٤). وإنّ اعتقادهم هذا جاء من أنّ هذا الدير كانت تحفّ به بساتين الكروم والأشجار، إلّا أنّه فيما بعد

(١) الدير وجمعه أديرة، أديار، والدير هو: خان للنصارى والمكان الذي يتعبدّ الرهبان فيه في أدائهم للصلاة والتقرّب إلى الله تعالى؛ ليمنّ عليهم ويبارك فيهم، ويُقصد الدير لزيارة القبور التي بالقرب منه، والدير غالباً ما يكون بناؤه في الصحاري أو رؤوس الجبال أو مطل على أودية، أو في السهول الفسيحة الخضراء، وفي المواضع المنقطعة عن النّاس، ولا يُبنى في المدينة، وإذا بني يُسمّى كنيسة، ولكل دير عيد خاصّ به، ما عدا الأعياد التي يشترك بها النصارى، وسكانه وعامله يُسمّى دياراني وديار، والمرأة تُسمّى ديرية وديرانية، وقد انتشرت هذه الديارات، في الأرض العربية منذ عصور ما قبل الإسلام. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٥٨؛ الشابشتي، الديارات: ص ٥٠؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٣١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٩٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٠٠؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج ١، ص ٢٦٠؛ محمّد سعيد، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها: ص ٧٠؛ حنان عبد الرحمن الملائكة، الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي: ص ٧-٥٧.

(٢) سرجس وبكس هما راهبان من نجران، منسوب لهما هذا الدير، وهو بين الكوفة والقادسيّة، ويبعد عن القادسيّة ميلاً واحداً، وكان كثير الكروم والأشجار، وفيه الخانات والمعاصر، وكانت أرضه من المواضع المقصودة بها تُوصف من نزاقتها، وأشار الشابشتي (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) إلى أنّ هذا الدير قد أصابه الخراب، وعفت آثاره، وتهدمت آباره، ولم يبق منه إلّا قباب خراب وحجرة في الطريق، وتُسمّى من قبل النّاس: معصر أو قباب أبي نؤاس، وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارةً، وأنسبها موضعاً. يُنظر: الشابشتي، الديارات: ص ٢٣٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٥١٤؛ الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة: ج ٢، ص ٧٤.

(٣) ابن نما الحلّي، مثير الأحزان: ص ٦؛ الراوندي، الخرائج والجرائح: ص ٥٧٢.

(٤) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودّة: ج ٣، ص ١٠٨؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٦٣.

تحوّل إلى خراب.

وقيل: إنّ الجماعة التي حملت رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى دمشق وفي أول مرحلة جلسوا يشربون النبيذ، فخرج عليهم قلم من حديد من الحائط، وكتب سطرّاً بالدم:

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

فلما رأوا ذلك هربوا وتركوا الرأس ثمّ رجعوا^(١).

وجاء عن سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م)^(٢) أنّه كان أيام الطواف في موسم الحج فإذا برجل يقول: «اللهم اغفر لي، وأنا أعلم أنّك لا تغفر، فسألته عن السبب، فقال: كنت أحد الأربعين الذين حملوا رأس الحسين إلى يزيد على طريق الشام، فنزلنا أول مرحلة رحلنا من كربلاء على دير للنصارى والرأس مركوز على رمح، وضعنا الطعام ونحن ناكل إذا بكفّ على حائط الدير يكتب عليه بقلم حديد سطرّاً بدم:

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب»^(٣).

يلاحظ من هذه الرواية أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل أولاً بصحبة أربعين

(١) ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب: ص ٣١١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١؛ هاشم البحراني، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ١٠٦.

(٢) سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمّد الاسدي الكاهلي، مولاها الكوفي، وأصله من نواحي الري، وقيل: وُلد في قرية أمّه من أعمال طبرستان سنة ٦١هـ / ٦٨٠م، وكان أبوه من دنباوند، وقد قدم به إلى الكوفة طفلاً، وقيل: أمّه حاملاً به، وكان حافظاً ثقة عالماً فاضلاً، شيخ القراء والمحدثين، وتوفي في ربيع الأول سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٠٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ٢٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٠، ص ١١٢؛ غصون عبد صالح، سليمان بن مهران الأعمش ومروياته التاريخية: ص ٧-١٣٨.

(٣) ابن نما الحلّي، مثير الأحزان: ص ٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٢٤.

رجلاً إلى يزيد، وهم مسؤولون عن حراسته، وقد سبق خروجهم قافلة السبايا، بمعنى آخر: لم تكن سبايا آل البيت ولا بقية رؤوس القتلى معهم. وتؤكد الرواية أيضاً أن أول منزل نزلوا فيه هو دير للنصارى وليس منزلاً خراباً. ثم إن بيت الشعر وطريقة كتابته تعدّ كرامة من كرامات سبط النبي (عليه السلام) الإمام الحسين بن علي (عليه السلام).

وقيل: إنه وجد بيت الشعر هذا مكتوباً على أحد جدران كنائس الروم عند غزو المسلمين بلاد الروم، وسألوهم عن هذا البيت من الشعر ومن الذي كتبه، فأجابوهم بأنه كتب قبل أن يُبعث نبيكم بثلاثمائة عام^(١)، وقيل: خمسمائة عام^(٢).

٢. القادسيّة

لقد سارت قافلة السبايا من الكوفة، بجانب نهر الفرات إلى الجنوب قليلاً حتى وصلوا موضع القادسيّة.

وأشار الشيخ المفيد: إلى أن السبايا من النساء والأطفال قد سُيروا مع محفز بن ثعلبة والشمر بن ذي الجوشن باتجاه القادسيّة؛ ليحققوا بالقافلة التي معها الرؤوس^(٣). وتدّل هذه الرواية على أن الرؤوس قد أُخرجت قبل قافلة السبايا، والتحقوا بهم في القادسيّة.

وبعد ذلك ساروا سويةً وعبروا القادسيّة، وبدلاً من التوجّه نحو القطقطة اتخذوا من هنالك إلى الشام طريقاً صحراوياً دائرياً إلى الشمال. ويبدو أن أمراء القافلة كانوا يهدفون من وراء ذلك الابتعاد عن أعين الناس، وانفصالهم عن الكوفة؛ خشيةً من القبائل العربية أن تخرج عليهم وتأخذ رأس الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) الصدوق، الأمالي: ص ١٩٣؛ الفَتَّال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩٣.

(٢) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩.

منهم^(١)، فساروا حتى وصلوا إلى طريق القوافل المعتاد الذي يتجه من الكوفة شمالاً إلى الموصل. ولا توجد رواية تُوضّح أنّ قافلة السبايا قد التحقت بهذا الطريق عند موضع شاهي، ولم تتوقّف فيه بل واصلت سيرها حتى عبرت القناطر إلى اليعقوبية، واجتازتها ومرت على سوق أسد، ومنه إلى الموضع الذي يليه. وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين^(٢).

٢. الحصّاصة^(٣)

سارت قافلة السبايا والرؤوس مارّة بهذا الموضع^(٤)، وهي في طريقها نحو قصر ابن هبيرة، ويبدو أنّه يقع شرقي الحصّاصة. وقد أشار أبو مخنف إلى أنّ قافلة السبايا عند وصولها إلى الحصّاصة سارت من شرقها ولم تتوقّف فيها، بل واصلت سيرها حتى وصلت تكريت^(٥). وأشار أحد الباحثين بأنّ قافلة السبايا عند اجتيازها الحصّاصة مرتّ ببعض المواضع قبل وصولها إلى تكريت، مثل: بزيقيا، وهي في يومنا هذا تقع ضمن حدود محافظة بابل^(٦)، ثمّ وصلت إلى موضع كوئي، وبهذا فإنّ قافلة السبايا في يومنا هذا

(١) محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٣٥.

(٢) محمّد عبد الغني السعيد، من كربلاء إلى دمشق رحلة سبايا آل بيت المصطفى عليه السلام ٦١هـ/ ٦٨٠م شواهد تاريخية: ص ١٤٣.

(٣) الحصّاصة: بالفتح وتشديد ثانيه، من الحص، وهو ذهاب الشعر عن الرأس، والنبت عن الأرض، وهي من قرى السواد، قرب قصر ابن هبيرة، من أعمال الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٦٣؛ البراقبي، تاريخ الكوفة: ص ١٨٥.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٢.

(٥) مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، المعروف بمقتل أبي مخنف: ص ١٢٢؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٣٥.

(٦) بابل، بكسر الباء الثانية، وقيل: إنّها سُمّيت ببابل لأنّ النّاس اجتمعوا فيها، واختلفت ألسنتهم

قد دخلت الحدود الإدارية لبغداد^(١)، ثم وصلت القافلة نهر الملك وعبرت جسر صرصر، وعند اجتياز القافلة لهذا الموضع تكون قافلة السبايا قد اجتازت حدود بغداد^(٢) ودخلت الحدود الإدارية لمحافظة صلاح الدين، مارة بمواضع حمارات^(٣)، ونهر الفرحاتية^(٤) والمحادر^(٥) ومهيجر^(٦)، كل ذلك قبل وصولهم إلى تكريت.

ومع ما ذكر من مواضع فإنه لا توجد رواية تؤكّد مرور القافلة بها، ويبدو أنّ إشارة الباحثين إلى ذلك؛ لكون تلك المواضع تقع على الطريق الشمالي المؤدّي إلى الموصل، وهذا لا يكون دليلاً قاطعاً؛ لأنّ الأمراء المصاحبين لقافلة السبايا يسلكون في بعض الأحيان طرقات فرعية في البوادي عند انتقالهم من مدينة إلى أخرى، ومما يؤكّد ذلك ما أشار إليه الجغرافيون والبلدانيون العرب والمسلمون، من أنّ أسماء

فيها وتبلبلت، وأنّ الملوك اجتمعوا فيها ثمّ تفرّقوا، وقيل: إنّ الكلدانيين هم الذين كانوا يسكنون فيها، وقيل: إنّ أول من سكنها النبي نوح وعمّها. ابن الفقيه، كتاب البلدان: ص ٣٣٤؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٠٩؛ ابن عبد الحق، مرآة الاطلاع: ج ١، ص ١٤٥. يُنظر: خارطة رقم (١٠): ص ٤٧٨.

(١) يُنظر: خارطة رقم (١١): ص ٤٧٩؛ ملحق رقم (٢٠): ص ٤٩١.

(٢) يُنظر: خارطة رقم (١١): ص ٤٧٩.

(٣) حمارات، وهي قرية من قرى الدجيل، وتبعد عن نهر الحسيني أربعة فراسخ، أي: ١٩ كم. عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٩٤.

(٤) الفرحاتية وعلى مرحلة منها نهر يُسمّى باسمها، وهي من أعمال الدجيل، وتبعد عن حمارات ستّة أميال ونصف تقريباً، أي: ٩ كم. عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٩٤؛ عباس الربيعي، أطلس الحسين: ص ٣٢٢.

(٥) المحادر، سُمّي بهذا الاسم؛ لانحدار سطح أرضها، وموقعها مقابل سامراء. عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٩٤؛ عباس الربيعي، أطلس الحسين: ص ٣٢٢.

(٦) مهيجر، موضع قرب سامراء، عبارة عن تلّ صغير مدوّر قرب دجلة، عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٤٣.

هذه المدن لا تتطابق مع مسميات المدن الواقعة على هذا الطريق^(١). وربما تكون هذه المدن أنشئت فيما بعد، وهذا يعني أنها غير موجودة إبان سبي آل البيت.

٤. تكريت^(٢)

قبل أن تصل القافلة إلى تكريت كتب أمراء القافلة إلى عاملها بأن يقوم باستقبالهم لأنّ معهم رأس خارجي، وعند قراءة عامل تكريت مضمون الكتاب أمر بنشر الأعلام والضرب بالأبواق، وتزيين مدينتهم، وجاء الناس من كلّ جانب، وخرج عامل تكريت بنفسه في استقبال القافلة، وعند سؤاله عن الرأس قيل له هذا رأس خارجي؛ فخرج على يزيد بن معاوية، ثمّ قتله عبيد الله بن زياد والي الكوفة الأموي^(٣).

وهذا يبيّن الأهداف الأموية من وراء تسيير سبايا آل البيت ورؤوس القتلى مروراً بهذه المواضع، إذ كانوا يهدفون إلى إقامة استعراض للسبايا والرؤوس في كلّ موضع يصلون إليه، ومحاولة التشهير بآل البيت والحطّ من قدسيتهم كلّما أمكنهم ذلك. وقد اعترض رجل نصراني قائلاً: «يا قوم إنّي كنت في الكوفة، وقد قدم هذا الرأس، وليس هو رأس خارجي، بل هو رأس الحسين بن علي، فلما سمع النصارى

(١) ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ٩٣؛ المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ١٣٤.

(٢) تكريت، بفتح التاء، والعامة يكسرونها، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، والى بغداد أقرب، وتبعد عنها ثلاثون فرسخاً، أي: ١٤٤ كم، ولها قلعة حصينة، ومن طرفها الأعلى راقبة على دجلة، وهي غربي دجلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٢٦٨.

(٣) مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، المعروف بمقتل أبي مخنف: ص ١٢٢؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ص ٣٥١؛ فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٨١؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٧٠؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٣٥.

ذلك ضربوا النواقيس إعظاماً له، وقالوا: إنا برئنا من قوم قتلوا ابن بنت نبيهم^(١). وما إن علم أمراء القافلة من كشف زيف ادّعائهم، وأنّ هذا الرأس ليس لخارجي، وصار معروفاً أنّه رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وعمّ الرفض بين أهالي المدينة؛ غيّرُوا رأيهم، وعدلوا عن دخول المدينة، واتّجهوا إلى طريق البر. ومن هذا يتّضح أنّ بني أميّة وأمراءهم كانوا يعتّمون على هوية السبايا في كلّ موضع تمرّ فيه القافلة، ولكن ما إن ينكشف أمرهم يسارعون بالابتعاد والتوجّه إلى طرق غير معروفة، كسيرهم في طرق برية تجنّباً من ردود الأفعال، وبالتالي يتعدون عن الناس.

ولم يقتصر الرفض لهذه الجريمة على المسلمين فقط، بل نرى الأديان الأخرى ترفض هذا الفعل، لذا نجد نصارى تكريت يعلنون الحداد على الإمام الحسين (عليه السلام)، وعلى مَنْ قُتل معه من أهل بيته وأنصاره.

٥- وادي النخلة^(٢)

سارت قافلة السبايا حتى وصلت إلى وادي النخلة، فنزلوا فيها وباتوا تلك الليلة^(٣)، ومن وادي النخلة أخذوا على أرمينا، ويبدو أنّه موضع السن، ويُعرف في الوقت الحاضر بإسم الفتحة. ولم نجد موضعاً بهذا الاسم يقع على هذا الطريق،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٢؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ص ٣٥١؛ فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٨١؛ الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٣٧٠؛ زهير بن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من موروث أهل الخلاف: ج ٢، ص ٦٦.

(٢) وادي النخلة، ناحية من نواحي الموصل الشرقية، قرب الخازر، وهو اسم الكورة التي يسقيها الخازر. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧٦؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٣٦٣. (٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص ١٢٢؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٣٧١؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٦٦.

ولا توجد إشارة من أحد الجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين باستثناء أحد الباحثين المعاصرين^(١).

ثم سارت القافلة ووصلت موضع البلاليق^(٢)، ومنها ساروا حتى وصلوا إلى لنا، وأشار أحد الباحثين المعاصرين إلى أن لنا هي نفسها الدين^(٣)، ولا يمكن قبول ذلك؛ لأن "لنا" وفق تعريف البلدانين والجغرافيين بأنها أكبر قرية من كورة^(٤) ما بين النهرين، وتقع بين الموصل ونصيبين^(٥)، ولم نجد لها تعريفاً، فهي إما قد تغير اسمها، أو اندثرت فلم يعد لها وجود.

وعندما وصلت قافلة سبايا آل البيت عليهم السلام إلى هذا الموضع الذي كان عامراً بالناس؛ خرج أهله شيوخاً وشباباً ينظرون إلى رأس الإمام الحسين عليه السلام، ويصلّون على جدّه وأبيه، ويلعنون من قتله، وهم يقولون: «يا قتلة أولاد الأنبياء، أخرجوا من بلدنا»^(٦). ويبدو أن أهالي هذه المدينة من المواليين لأهل البيت عليهم السلام؛ لذا لم يوافقوا على دخول القافلة قريتهم.

(١) عباس الربيعي، أطلس الحسين: ص ٣٣٢.

(٢) البلاليق: جمع بلوقة، وهي فجوات في الرمل، تنبت الرخامي وغيره، وهو بقل، موضع بين تكريت والموصل، ويُقال لها البلاليق. عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٩٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٧٨.

(٣) عباس الربيعي، أطلس الحسين: ص ٣٣٢.

(٤) الكورة، اسم فارسي يقع على قسم من أقسام الاستان (البلاد)، وقد استعارتها العرب وجعلتها اسماً للاستان، والكورة هي كلّ صقع يشتمل على عدد من القرى، أي المدينة وما يتبعها من القرى. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٩.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٣؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٧١؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٣٦.

وأشار ليبب بيضون إلى أن قافلة السبايا وقبل دخولها إلى الكحيل^(١) مرّت ببلدة مرشاد، ثم بمدينة برساباد، وأن أهالي هذين الموضعين خرجوا بشيوخهم ونسائهم وشبانهم يتفرّجون على السبايا ورؤوس القتلى، ويصلّون على محمّد وآله، ويلعنون أعداءهم ومَن قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وطردهم من مدّنتهم^(٢). وعند الرجوع إلى المصادر التي نقل منها ليبب بيضون وجدنا أن هاتين المدينتين - وما جرى من حوادث على أرضيهما - تعودان إلى موضع لينا، فإنّه اقتطع الحوادث التي حدثت فيهما، ونسبها إلى مواضع أخرى ذكرها. كما إننا لم نجد لها ذكراً في المصادر الجغرافية والبلدانية للعرب والمسلمين أو غيرهم، كما لا يوجد موضع بإسم مرشاد، وبرساباد هي نفسها موضع لينا، وإن ليبب بيضون نقل هذه الرواية عن فخر الدين الطريحي^(٣).

٦. الكحيل

لقد سارت قافلة السبايا من لينا ووصلت الكحيل، واجتازوها سائرين باتجاه جُهيّة^(٤)، وقد أشار ليبب بيضون، بأن قافلة السبايا بعد خروجها من جُهيّة مرّت بعسقلان^(٥). وعند الرجوع إلى المصادر الجغرافية والبلدانية لم نعر على مدينة بهذا

(١) الكحيل، وهو تصغير الكحل، وهي قرية تحت الموصل على شاطئ دجلة الغربية، مقابل الحديثة. ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٣٥٠.

(٢) موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٦٩.

(٣) المنتخب: ص ٤٦٨.

(٤) جُهيّة، لفظ للتصغير، وهو اسم لقبائل قضاة، وسُمّيت به قرية كبيرة، من نواحي الموصل على دجلة، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وفيها مرج يُقال له: مرج جُهيّة. ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ٩٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٩٤؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٦٣.

(٥) موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٦٩-٣٧١؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٤٠. وعسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون، وهي مدينة في الشام، من أعمال

الاسم سوى عسقلان فلسطين الشام. كما أشار باحث معاصر آخر إلى أن قافلة السبايا عند خروجها من جُهيّنة، توجّهت إلى حمّام العليل^(١)، ولم نجد هذا الموضع ضمن مواضع الطريق الذي مرّت به قافلة السبايا، ونعتقد أن حمّام العليل قد أنشئ فيما بعد. وواصلت القافلة سيرها إلى الموضع الآخر.

٧. الموصل^(٢)

بعد أن وصلت قافلة سبايا آل البيت عليهم السلام عند مشارف الموصل، بعث أمراء القافلة رسولاً إلى عاملها يطلب منه الخروج لاستقبال القافلة وتهيئة الطعام لهم والعلف لحيواناتهم من الجمال والخيول، فقام عامل الموصل بتزيين مدينته ونشر الأعلام، وتجمّع الأهالي من كلّ جانب، وخرج بنفسه لاستقبال القافلة على بعد ستّة أميال، وعندما طرح النّاس السؤال لمن الرّأس هذا؟ فأجيبوا بأنّه رأس خارجي خرج بأرض العراق، فقتله عبيد الله بن زياد والي الكوفة الأموي، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية، وظنّ بعضهم بأنّه رأس الإمام الحسين عليه السلام، فلمّا تأكّد عندهم ذلك اجتمعوا في أربعين ألف فارس من الأوس والخزرج، وقرّروا أن يقاتلوهم، ويأخذوا رأس الإمام الحسين عليه السلام منهم ويدفنوه عندهم؛ ليكون فخراً

فلسطين، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين غزّة وبيت جبرين، ويُقال لها: عروس الشام، نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الفرنج. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٣، ص ٩٤٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٢٢.

(١) محمّد عبد الغني السعيد، من كربلاء إلى دمشق: ص ٢٤٤. وحمّام العليل، وحمّام علي باصطلاح أهل الموصل، وهي بين الموصل وجُهيّنة، قرب عين القار، غربي دجلة، وهي عين ماء حارّ كبريتي، وفيها منافع. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) يُنظر: ملحق رقم (١٥): ص ٤٨٥.

لهم إلى يوم القيامة، ولما سمع أمراء القافلة بذلك قرّروا عدم دخول المدينة تجنباً من الاصطدام بأهلها، وظلّوا على بُعد مسافة فرسخ عنها^(١).

الملاحظ على هذه الرواية أنّها مبالغ فيها؛ حيث إنّ أربعين ألفاً ليس بالعدد القليل، ثمّ إنهم لماذا لم يقوموا بمهاجمة القافلة وتخليص السبايا منهم؟! لذا نعتقد أنّ هذه الرواية يُراد منها إعطاء مكانة للأوس والخزرج.

وخلال المدّة التي كان ينتظر فيها أمراء بني أميّة دخول المدينة وضعوا رأس الإمام الحسين (عليه السلام) على صخرة، فوقعت عليها قطرة من دم رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، فصارت هذه القطرة تشعّ وتغلي سنوياً يوم عاشوراء، وبقي هذا الأمر إلى عهد الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م)، فأمر بنقل تلك الصخرة إلى مكان آخر، ولم يرَ بعد ذلك لذلك الأمر من أثر، ولكن فيما بعد بُني على ذلك الموضع قبة سُمّيت بمشهد النقطة^(٢).

ثمّ واصلت القافلة سيرها حتى وصلت إلى أسكي موصل (بلد)، وهنا يتفرّع الطريق إلى فرعين، أحدهما يذهب إلى باعيناثا، ومنها إلى برقيد، ومنها إلى أذمة، ومنها إلى تل فراشة، ومنه إلى نصيين، إلّا أنّ قافلة السبايا لم تسلك هذا الطريق وإنّما اتجهت إلى تلعفر.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٣؛ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ص ٣٥١؛ محمّد جعفر الطوسي، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام: ج ٥، ص ٢٠٠؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٧١؛ زهير بن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من موروث أهل الخلاف: ج ٢، ص ٦٩.

(٢) عباس القمي، نفس المهموم: ص ٤٢٦؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٠٢.

٨- جبل سنجار

سارت قافلة السبايا حتى وصلت تلعفر ثم إلى جبل سنجار، وقيل فيه مشهد لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويوجد فيها تلّ قبر أيضاً^(١). وأشار أحد الباحثين إلى وجود مزار فيها لزینب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، ويقع على ربوة عالية في مدخل المدينة^(٢). ونعتقد أن مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام أخذ يُعرف بمرور الزمن بإسم مزار السيّدة زينب عليها السلام.

وبعد أن عبرت قافلة السبايا جبل سنجار توجّهت نحو أراضي الجمهورية العربية السورية، وبهذا نكون قد انتهينا من المواضع التي مرّت بها قافلة السبايا داخل أراضي جمهورية العراق^(٣).

٩- نصيبين^(٤)

إنّ وصول قافلة السبايا إلى نصيبين قادمة من جبل سنجار تكون قد دخلت أراضي جمهورية تركيا، مروراً بأراضي العربية السورية. وخلال مسير القافلة في هذا الطريق مرّت بمواضع لم تكن مثبتة على طريق رحلة القافلة، لكنّها اليوم موجودة، لذا لم نجد أحداً من البلدانين أو الجغرافيين العرب والمسلمين الأوائل يذكر هذه المواضع في مصنفاتهم. ومن هذه المواضع الخاتونية^(٥)، قصر الملك نرام

(١) الهروي، الاشارات إلى معرفة الزيارات: ص ٦٠.

(٢) لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٧٢.

(٣) يُنظر: خارطة رقم (٧): ص ٤٧٥؛ ملحق رقم (١٢): ص ٤٨٠-٤٨١.

(٤) يُنظر: ملحق رقم (١٦): ص ٤٨٦.

(٥) الخاتونية، تقع في الجهة الشمالية الشرقية في محافظة الحسكة السورية، وتبعد عن مركز المدينة ٥٠ كم، بمحاذاة حدود العراق، مع امتداد سلسلة جبال سنجار. لم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلّا في الموسوعة الحرّة، www.wikipedia.org.

سين، معبد العيون^(١)، تل براك^(٢)، بئر الحلو^(٣)، خربة ظاهر^(٤)، تل الذهب^(٥)، الكيطة^(٦)، والقامشلي^(٧).

وعند وصول القافلة إلى نصيبين نزلوا فيها وشهروا رأس الإمام الحسين (عليه السلام)،

(١) معبد العيون، ويقع في تل براك، وقد عُثِر فيه على محتويات ومكتشفات اثرية هامة، ومنها بناء مدرج ومعبد. ولم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلا في الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org.

(٢) تل براك، يقع غرب نهر جججغ، أحد روافد نهر الخابور، ويبعد مسافة ٤٢ كم من الحسكة السورية، وهو من التلال الاثرية، والذي يعود إلى ستة آلاف سنة ق. م، وعلى هذا التل كان مقرّ نارم سين ملك مملكة ابلا، وكان قوي التحصين منيعاً. ولم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلا في الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org.

(٣) بئر الحلو، لم نعثر على تعريف له في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) خريبة ظاهر، لم نعثر على تعريف له في المصادر التي بين أيدينا.

(٥) تل الذهب، لم نعثر على تعريف له في المصادر التي بين أيدينا.

(٦) الكيطة، لم نعثر على تعريف له في المصادر التي بين أيدينا.

(٧) القامشلي، سُمّيت المدينة قبل توسّعها بالسريانية بـ"بيت زالين"، وتعني مكان القصب، نسبة إلى القصب المنتشر حول نهر الجججغ المارّ بها. كما سُمّيت لاحقاً باسمها الحالي "القامشلي"، وهي تكرید لمعنى الكلمة السريانية، حيث تعني قامش "*kamış*" "قاميش" القصب باللغة الكردية، تقع المدينة بالقرب من آثار مدينة أوركيش القديمة تل موزان حالياً التابعة للحوارين، التي تأسست خلال الألفية الرابعة قبل الميلاد. ويُعدّ السريان من أوائل مَنْ سكن المنطقة حيث وفدوا من نصيبين، ثم تلاهم الأكراد والأرمن وقبائل بني بكر العرب والمردلية نسبة إلى ماردين تقع مدينة القامشلي في جنوب جبال طوروس، حيث تُعدّ مكاناً خصباً زراعياً لأنها لا تبعد أكثر من ١٠ كم عن جبال طوروس. يحده المدينة من الشرق ناحية القحطانية، ومن الجنوب الشرقي ناحية تل حميس، ومن الغرب ناحية عامودا، أمّا من الشمال فمدينة نصيبين التركية، حيث يفصل بين مدينتي القامشلي ونصيبين الخط الحدودي السوري - التركي فقط، حيث بالإمكان رؤية مدينة نصيبين من أسطح أبنية القامشلي والعكس صحيح، تبلغ مساحة المدينة دون نواحيها بـ ٣٨ كم^٢. لم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلا في الموسوعة الحرة، www.wikipedia.org.

وأمر عاملها منصور بن الياس^(١) بتزيين المدينة بالمرايا، وقد نشرت أكثر من ألف مرآة؛ وذلك لإعطاء أكثر من صورة للرؤوس والسبايا، وبالتالي يمكن رؤيتهم من جميع الاتجاهات. وأراد مَنْ كان يحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام أن يدخل المدينة فلم يستجب له فرسه، ولم يفلح في تبديل أكثر من فرس حتى سقط رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الأرض، فأخذه إبراهيم الموصلي^(٢) وعرفه بعد أن تأمله كثيراً، بأنّه رأس الإمام الحسين عليه السلام، فلم يرض على فعلهم هذا ممتعضاً وموبّخاً لهم، فقتلوه على موقفه هذا، وتركوا رأس الإمام الحسين عليه السلام خارج المدينة، ولم يتمكنوا من إدخاله^(٣).

١٠-دعوات^(٤)

واصلت قافلة السبايا سيرها من نصيين إلى عين الوردة^(٥)، ولما وصلت قريباً

-
- (١) لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.
- (٢) لم نعثر له على ترجمة، وهو غير إبراهيم الموصلي الذي عاش في العصر العباسي، وُلِدَ سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م، وتوفي في بغداد سنة ١٨٨هـ/ ٨٠٤م، وقيل ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. يُنظر: أبو سعد السمعاني، الأنساب: ج ٥ ص ٤٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ١ ص ٤٢؛ اليافعي، مرآة الجنان: ج ١ ص ٣٢٤.
- (٣) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٠؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٤٢٦؛ محمد جعفر الطوسي، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام: ج ٥، ص ٢٠٠.
- (٤) دعوات، لم نعثر على تعريف لها في المصادر التي بين أيدينا.
- (٥) عين الوردة، وهي مدينة مشهورة في الجزيرة الفراتية، وحدثت على أرضها معركة بين التوابين المطالبين بالثأر للإمام الحسين عليه السلام، وجيش بني أمية بقيادة عبيد الله بن زياد، سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وكان النصر لبني أمية. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٨٠؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٤٢٣. تفاصيل أوسع عن عين الوردة يُنظر: خالد راسم أمير، حركة التوابين ٦١-٦٥هـ/ ٦٨٠-٦٨٤م دراسة تاريخية: ص ٢٠٦.

من دعوات كتب أمراء القافلة إلى عاملها بأن يخرج لاستقبالهم وأن معهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام). وعندما قرأ عامل دعوات الكتاب أمر بضرب الأبواق وخرج لاستقبالهم، وشهروا الرأس ودخلوا من باب الأربعين، ونصبوا رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في الرحبة من زوال الشمس إلى العصر والناس طائفة في حزن يبكون، وأخرى في فرح يضحكون. وفي تلك الرحبة التي نُصِب فيها رأس الإمام الحسين (عليه السلام) لا يجتاز فيها أحد إلّا وتُقضى حاجته إلى يوم القيامة.

ويبدو أنّ هذا الموضع لم تكن فيه معارضة لأمراء القافلة؛ لذلك باتوا تلك الليلة ثملين من شربهم الخمر إلى الصباح، ورحلت القافلة غداة اليوم التالي^(١).

واستمرت قافلة السبايا بالسير حتى وصلوا إلى قنسرين.

وأشار باحثان معاصران إلى أنّ قافلة السبايا قد مرّت على عدد من المدن قبل دخولها قنسرين، وتلك المدن هي: حران، ولاية شان لورفا (مدينة الرها قديماً)، الرقة، قلعة دوسر^(٢) وبالس^(٣).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٤.

(٢) قلعة دوسر، دوسر، بفتح أوله وسكون ثانيه وسين مهملة وراء، قرية قرب صفين على الفرات، قيل: إنّها قلعة جعبر أو ربضها. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ٥٦٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٤.

(٣) محمد عبد الغني السعيد، من كربلاء إلى دمشق: ص ٣٦٩-٣٧٤؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٧٩. وبالس، بلدة في الشام، بين حلب والرقة، وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى بالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح، وتقع على ضفة الفرات الغربية، وقد شرق الفرات عنها قليلاً قليلاً حتى أصبحت المسافة بينها أربعة أميال، أي: ٦ كم. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٦؛ المهلب، المسالك والممالك: ص ٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٢٨.

١١- حلب

توجهت قافلة السبايا إلى مدينة حلب، واستمرت بالسير حتى وصلت إلى جبل الجوشن^(١)، سُمِّيَ بهذا الاسم نسبة إلى الشمر بن ذي الجوشن، وهو الذي تولَّى ذبح الإمام الحسين عليه السلام، وكان من بين الذين اقتادوا الرؤوس والسبايا والتشهير بهم في البلدان. وفي هذا الموضع أنزل السبايا على مسافة من مكان الرؤوس وبقي في هذين الموضعين بعد الارتحال أثران مهمان، الأول: نقطة من دم الإمام الحسين عليه السلام سقطت من رأسه على الحجر الذي وضع عليه الرأس، والثاني: قبر محسن بن الحسين عليه السلام الذي أسقط من إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام التي كانت حاملاً به، أثناء مبيت السبايا، وقد بُني عليه مشهد السقط^(٢) أو مشهد الدكة^(٣). ومن مدينة حلب توجهت القافلة إلى مدينة قنسرين. ومن الجدير ذكره أن أبا مخنف لم يشر عند مرور قافلة السبايا لهذه المواضع، بل أشار على أن القافلة بعد أن خرجت من دعوات ساروا حتى وصلوا قنسرين^(٤).

١٢- قنسرين

ولما بلغ خبر وصول سبايا آل البيت عليهم السلام أهالي مدينة قنسرين وهي عامرة بأهلها

(١) الجوشن، بالفتح ثم السكون والجيم معجمة، وهو جبل مطّل على حلب من جهتها الغربية، وعلى سفحه مقابر ومشاهد للشيعّة، ومنه يُحمل النحاس الأحمر، وقيل: إنّه بطل منذ أن عبر عليه سبايا آل البيت. وكانت إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام حاملاً فأسقطت هناك، وطلبت من صناع الجبل خبزاً وماءً فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم، فصار من يعمل في ذلك الجبل لا يربح. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٥٩؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: ص ٢١؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ص ٢٧٨.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب: ج ١، ص ٤١١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٨٦.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٤.

قاموا بغلق أبواب المدينة، وبدأوا يلعنون أمراء القافلة، ويرمونهم بالحجارة ويقولون لهم: «يا فجرة يا قتلة أولاد الأنبياء، والله لا دخلتم بلدنا، ولو قُتلنا عن آخرنا»، فرحلوا عن المدينة ولم يدخلوها^(١).

وهكذا فإن حالة الرفض والاستياء كانت واضحة لدى أهالي قنسرين من المسلمين وغيرهم لأمراء بني أمية، لدرجة أنهم كانوا مستعدين للموت لمنعهم من دخول مدينتهم.

وأشار الخوارزمي إلى رجل يهودي في مدينة قنسرين نزلت عنده قافلة السبايا عند وصولها المدينة ليلاً، فشرّبوا وسكروا، وأثناء مبيتهم تلك الليلة عنده أخبروه بأنّ معهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام) فطلب منهم رؤيته، فأروه الرأس وهو في صندوق يسطع النور منه إلى السماء، فأصاب اليهودي العجب من ذلك، وطلب الرأس منهم فأعطوه إيّاه، وهنا خاطب الرأس وهو بتلك الحال قائلاً: «إشفع لي عند جدّك، فأنطق الله تعالى الرأس مجيئاً على قول اليهودي قائلاً: إنّنا شفاعتي للمحمّدين ولست بمحمّدي، فجمع اليهودي أولاده وأقرباءه، وأخذ الرأس ووضع في طشت وصبّ عليه ماء الورد مخلوطاً بالكافور والمسك والعنبر، وقال لهم: هذا رأس ابن بنت محمّد، والهفاه لم أجد جدّك محمّداً فأسلم على يديه، ثمّ والهفاه لم أجدك حيّاً فأسلم على يدك وأقاتل دونك، فلو أسلمت الآن أتشفع لي يوم القيامة؟ فأنطق الله تعالى الرأس بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قالها ثلاث مرّات، فأسلم الرجل ومَن كان معه»^(٢).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٥؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٠؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٤٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ١١٥-١١٦.

١٣- معرة النعمان^(١)

وصلت قافلة السبايا إلى معرة النعمان فاستقبلوا من قبل أهلها، وفتحوا لهم أبواب مدينتهم، وقدموا لهم المساعدات من الطعام والشراب، وبقوا فيها بقية يومهم ثم رحلوا عنها^(٢).

١٤- شيزر^(٣) (سيبور)

استمر سير قافلة السبايا حتى وصلوا شيزر، ويبدو أن هذه المدينة اسماً آخر هو سيبور، الذي لم نجد له تعريفاً في مصادرنا الجغرافية والبلدانية التي اطلعنا عليها، وربما تغير اسمها بسبب التصحيف.

وكان في هذه المدينة شيخ كبير ممن رأى عثمان بن عفان، جمع أهل المدينة من الشيوخ والشبان، وأخبرهم بأن هذا هو رأس الإمام الحسين عليه السلام قتله هؤلاء

(١) معرة النعمان، سُميت هذه المدينة نسبة إلى الصحابي النعمان بن بشير الأنصاري، وقد اجتاز بها ومات، ودفنه ولده فيها، وإلى جانب سورها قبر يشوع بن نون، وقبر عبد الله بن عمار بن ياسر أيضاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ١٥٦؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٧٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) شيزر، بتقديم الزاي على الراء وفتح أوله، قلعة تشتمل على كورة في الشام، قرب المعرة، وتبعد عن حما مقدار يوم، ما يُعادل تسعة أميال، أي: ١٤ كم، وعن حمص ثلاثة وثلاثين ميلاً، أي: ٥٣ كم، وعن انطاكية ستة وثلاثين ميلاً، أي: ٥٧ كم، ولها سور من اللبن، وفيه ثلاثة أبواب، ويمر في وسطها نهر الأردن، وعليه قنطرة في وسط المدينة، وأوله من جبل لبنان. مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٦؛ المهلبي، المسالك والممالك: ص ٩٤؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٣، ص ٨١٨؛ الزنجشيري، الجبال والأمكنة والمياه: ص ١٩٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٨٣.

اللعناء، وعندها رفض المتجمعون اجتياز القافلة مدينتهم، ولم تُجدِ محاولات ذلك الشيخ عندما رأى تأزم الأمر من ثني أهالي المدينة عن ذلك، فقطعوا قنطرة النهر الذي يمرّ في وسط المدينة، وخرجوا بسلاحهم وقاتلوا حرس القافلة قتلاً شديداً، وقُتل من أصحاب خويّ بن يزيد الأصبحي ستمائة فارس، ومن أهالي المدينة خمسة فرسان. ودعت زينب لأهل هذه المدينة قائلة: «أعذب الله شرابهم، ورخص الله أسعارهم، ورفع أيدي الظلمة عنهم»^(١)، ولما وجدوا أمراء القافلة ذلك الموقف من الأهالي تركوا المدينة ولم يدخلوها^(٢).

ويلاحظ أنّ هناك مبالغة في عدد قتلى أصحاب خويّ بن يزيد الأصبحي، وأنّ ما جاء من دعاء السيّدة زينب لأهالي هذه المدينة إنّما هو تثميناً لموقفهم في الثبات على الحقّ، ورفضهم أفعال بني أميّة.

١٥- كفر طاب^(٣)

سارت القافلة إلى كفر طاب، وكان حصناً صغيراً أغلق أهله بابه، ولم يسمحوا لهم بدخول مدينتهم، وطلب خويّ بن يزيد الأصبحي منهم الماء، فأجابوه بأنّ من

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٣.
 (٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٥؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٤؛ زهير ابن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من موروث أهل الخلاف: ص ٧٣.
 (٣) كفر طاب، الطاء المهملة وبعدها الف ثم باء موحّدة، بلدة بين المعرة وحلب، في برية معطشة، شربهم ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج. المهلبّي، المسالك والممالك: ص ١٠٢؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه: ص ٢٨٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٧٠؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٥٠٠؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١١٧٠.

منع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من شرب الماء لا نُسقيه قطرة واحدة^(١)، وموقفهم هذا يُعدّ رفضاً واضحاً لأفعال بني أميّة وأعوانهم.

١٦. حَمَاة^(٢)

لما وصلت قافلة السبايا مدينة حَمَاة قام أهلها بغلق أبوابها في وجوههم، وركبوا ستور مدينتهم، ومن فوقه نادوا المكلفين بقيادة قافلة سبايا آل البيت، وأقسموا لهم بالله تعالى بأنّهم لن يسمحوا لهم بدخول المدينة ولو أدّى ذلك إلى قتلهم جميعاً^(٣). وهذا يبيّن مدى رفض أهالي حَمَاة لفعل بني أميّة وأعوانهم، لدرجة أنّهم كانوا على استعداد إلى القتال، وإلى أن يُقتلوا بأجمعهم.

١٧. حمص

عندما لم يجد أمراء وأفراد الجيش المرافق للقافلة أيّ استجابة من أهالي حَمَاة، من فتح الأبواب وتقديمهم ما يحتاجون إليه؛ توجّهت القافلة ومَن معها إلى موضع

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٥؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٤٤؛ ليبس بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٣؛ زهير بن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف: ص ٧٣.

(٢) حَمَاة، بالفتح، وهي مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، رخيصة الأسعار، واسعة الرقعة، حافلة الأسواق، ويحيط بها سور محكم، وبظاهر السور حائط كبير، وفيه أسواق كثيرة، وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي. السيرافي، رحلة: ص ٩٩؛ مؤلف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٦؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ٤٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٠٠.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٦؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٤٤؛ زهير ابن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف: ص ٧٤.

الرستن^(١) - وهو يقع ضمن حدود مدينة حمص - وعلى مشارفه كتبوا إلى عاملها خالد بن النشيط^(٢)، يخبرونه بأنّ معهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وعند ذلك أمر خالد بنشر الأعلام وتزيين المدينة، ثم خرج لاستقبال القافلة، وعلى بُعد ثلاثة أميال تجمّع الناس من كلّ مكان، وانضمّ عامل الرستن وأهلها إلى أمراء وأفراد الجيش الأموي، وشهروا رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، واتّجه الجميع إلى حمص ودخلوا بابها، وازدحمت الناس فيه، ومنعهم أهل حمص وتمكّنوا من غلق الباب في وجوههم، ورموهم بالحجارة، فقتل ستّة وعشرون فارساً، وقالوا لهم: «يا قوم أكفر بعد إيمان، وضلال بعد هدى»^(٣)، فتراجعوا ووقفوا إلى جانب كنيسة قسيس، وهي دار لخالد بن النشيط.

واتّفق أهل حمص على أن يقتلوا خوّلّي بن يزيد الأصبحي، ويأخذوا رأس الإمام الحسين (عليه السلام) منهم؛ ليكون فخراً لهم إلى يوم القيامة^(٤)، وخشية من وقوع ذلك قرّر أمراء القافلة الابتعاد عن المدينة والخوف يتتابهم، واتّجهوا نحو الغرب (لبنان). ولعلّ توجّهم نحو هذا الطريق؛ لأنّه مؤمّن عسكرياً على عكس الطريق المستقيم من حمص إلى دمشق^(٥)، أو لربّما أرادوا أن يأتوا دمشق من جانبها الغربي الذي يسكنه المسيحيون.

(١) الرستن، بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق وآخره نون، بليدة قديمة، وكانت على نهر الميلاس، ويُعرف اليوم بنهر العص، ويقع الرستن في منتصف المسافة بين حماة وحمص، وفي هذا الموضع بقايا آثار تدلّ على عمارتها السابقة، وهي الآن خراب لا يوجد فيها مرعى. الهروي، الاشارات إلى معرفة الزيارات: ص ١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٤٣؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٦١٥؛ عبد الله البغدادي، النفحة المسكية: ص ٢١٥.

(٢) خالد بن النشيط، لم نعث على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٧.

(٤) المصدر السابق؛ لييب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٥.

(٥) يُنظر: ملحق رقم (١٧): ص ٤٨٧.

١٨- بعلبك^(١)

بعد أن تقدّمت القافلة من حمص مرّت بمواضع الجوسية^(٢) واللبوة^(٣)، وهي متّجهة إلى بعلبك، ولما صارت على مشارفها كتب الأمراء إلى عاملها يخبرونه بأنّ معهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، فأقام عامل بعلبك احتفالاً كبيراً، وأمر بنشر الأعلام والضرب بالأبواق والجواري يضربن بالدفوف، وقدّم للأمراء القافلة ومَن كان معهم من أفراد الجيش الخلق^(٤) والسكر والسويق، وبات الجميع تلك الليلة ثملين. وهنا سألت السيّدة زينب قائلة: «ما يُقال لهذه البلدة؟ فقالوا: لها بعلبك. فدعت على أهلها قائلة: أباد الله خضراءهم، ولا أعذب الله شراهم، ولا رفع أهل أيدي الظلمة عنهم»^(٥).

(١) بعلبك، بالفتح ثمّ السكون وفتح اللام والباء الموحّدة والكاف المشدّدة، مدينة قديمة، وابنتها عجبية، وآثارها عظيمة، وقصورها على اساطين من الرخام، وتبعد عن دمشق مقدار ثلاثة أيّام، وقيل: اثنا عشر فرسخاً، أي: ٥٧ كم. السيرافي، رحلة: ص ١٠٤؛ مؤلّف مجهول، حدود العالم: ص ١٧٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٥٣.

(٢) الجوسية، بالضمّ ثمّ السكون وكسر السين وياء، قرية من قرى حمص، وتبعد عنها ستّة فراسخ، أي: ٢٨ كم من جهة دمشق، بين جبل لبنان وجبل سمير، وفيها عيون تسقي أكثر ضياعها سيحاً، وهي كورة من كور حمص. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٨٥؛ ابن عبد الحقّ، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٣٥٨؛ يُنظر: ملحق رقم (١٤): ص ٤٨٤.

(٣) اللبوة، بلدة لبنانية من قرى بعلبك، وتعود تسميتها إلى اللغة الآرامية، وتعني القلب أو الوسط، ولكن هناك من يرى أنّ أصل تسميتها عربية، بمعنى اللبوة أنثى الأسد. لم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلّا في الموسوعة الحرّة، www.wikipedia.org.

(٤) الخلق، بفتح الخاء وضمّ اللام، وهو نوع من الطيب للنساء، معمول من الزعفران، تغلب عليه الصفرة والحمرة. ابن عبد البر، الاستذكار: ج ٤، ص ٢٩؛ محمّد بن مكّي العاملي الشهيد الأول، ذكرى الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٠؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٣، ص ١٢٣.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٧؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٧؛ زهير

١٩- صومعة^(١) الراهب^(٢)

بعد أن قضت قافلة السبايا مبيتها ليلة واحدة في بعلبك قرّر أمراؤها الرحيل عنها صباحاً والتوجّه إلى دمشق، وفي الطريق اجتازوا موضع معربون^(٣). وبهذا

ابن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من موروث أهل الخلاف: ص ٧٦. وبلفظ آخر لدعاء أمّ كلثوم على أهل هذه المدينة. يُنظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢٧؛ سليمان ابن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٨٩.

(١) الصومعة، وهي ما رفع واستدق رأسه، بيت العبادة للمتعبّد والنّاسك عند النصارى، وقد ورد ذكر الصومعة في القرآن الكريم بمعنى معابد الرهبان، قال الله تعالى: ﴿... رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُومِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ...﴾ (الحج: آية ٤٠)، ولتفسير هذه الآية يُنظر: محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير: ج ٢، ص ٢٦٨. وتحتوي الصومعة على خزانة، تُوضع فيها كتب الراهب ومقتنياته الأخرى، وتشتهر بعض الأديرة بكثرة صوامعها، ولرئيس الدير صومعة خاصّة به. الشابشتي، الديارات: ص ٥٠؛ الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من كلوم: ج ٦، ص ٣٨٢٩؛ الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٢٠٠؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٢١، ص ٣٥٩؛ حنان عبد الرحمن الملائكة، الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي: ص ١١.

(٢) الراهب، وجمعه رُهبان ورهبانة، ولفظه من الرهينة، ومعناها الخوف، ويُقال ترهّب الرجل، أي صار راهباً متعبداً منقطعاً في الصومعة، وقد ورد ذكر الرهبان في القرآن الكريم، لتواضعهم وقولهم الحق، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: آية ٨٢)، ولتفسير هذه الآية يُنظر: الطبري، جامع البيان: ج ٥، ص ٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ٦، ص ٢٥٥. وللتفصيل عن مصطلح الراهب يُنظر: الشابشتي، الديارات: ص ٢٦٧؛ ابن سيّده، المحكم والمحيط الأعظم: ج ٤، ص ٣١٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٢٣٧؛ أحمد الشنشاوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، م ١٠: ص ٩؛ رعد عبد النبي جعفر المالك، الرهبانية النصرانية في مصر من القرن الثالث الميلادي إلى القرن الخامس الميلادي: ص ٦.

(٣) معربون، وهو موضع حدودي بين لبنان وسوريا، من قرى قضاء بعلبك، في محافظة بعلبك الهرمل، وتبلغ مساحتها ١١٢٠ هكتار. لم نجد لها تعريفاً في المصادر الجغرافية والبلدانية التي بين أيدينا إلا في الموسوعة الحرّة، www.wikipedia.org.

تكون قافلة السبايا قد غادرت الأراضي اللبنانية^(١) ودخلت الأراضي السورية. واستمروا في سيرهم حتى أدركهم المساء عند صومعة راهب فنزلوا إلى جانبها^(٢). وعندما جنّ الليل وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى جانب الصومعة، ولما عسعس الليل سمع الراهب دويّاً كدويّ الرعد، وتسييحاً وتقديساً، واستأنس بالأنوار الساطعة الطالعة، وأخرج الراهب رأسه من الصومعة، فنظر إلى باب قد فُتحت من السماء والملائكة ينزلون جماعات جماعات، ويسلمون على رأس الإمام الحسين عليه السلام قائلين: «السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله. وهنا جزع الراهب جزعاً شديداً، ولما بزغ الصباح همّ أمراء القافلة بالرحيل، فسألهم عن الذي معهم؟ فأجابوه بأنّه رأس خارجي خرج بأرض العراق، قتله عبيد الله بن زياد والي الكوفة الأموي، وسألهم مرّة أخرى عن اسمه، فأجابوه بأنّه الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمّه فاطمة الزهراء، وجده محمد رسول الله، فذمّهم الراهب وبشرهم بالويل والعذاب، وأكد على قول أنّ السماء ستمطر دماً عند قتل نبي أو وصي نبي، وطلب من زعيمهم خويّ بن يزيد الأصبحي إبقاء الرأس ساعة واحدة عنده وسيرده إليهم، وأجابه خويّ بن يزيد الأصبحي بأنّه لا بدّ من تسليم الرأس إلى يزيد بن معاوية ونيل الجائزة منه، ولما أحضر الراهب لهم مقدار المال المساوي لجائزة يزيد وسلّمه إليهم؛ دفعوا إليه الرأس وهو على الرمح، فأنزله الراهب وقبّله وبكى عليه، وكان يعزّ عليه أن لا يواسيه بنفسه، وخاطب الرأس قائلاً: «يا أبا عبد الله، إذا لقيت جدّك رسول الله فاشهد لي، أنّي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً رسول الله»^(٣).

(١) يُنظر: ملحق رقم (١٣): ص ٤٨٣

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٨؛ لييب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٧؛ زهير ابن علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف: ص ٧٧.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٨؛ لييب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٧؛ زهير علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله: ص ٧٧.

ولما أرجع الراهب إليهم الرأس سارت القافلة، وفي الطريق أرادوا تقسيم الدراهم بينهم وإذا هي بأيديهم خزف مكتوب عليها: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)، وعندها أوصى خولي بن يزيد الأصبحي من كان معه في القافلة بكتمان خبر ما حدث؛ لأنه يعلّمه خزيّاً بين الناس^(٢).

وأشار سبط بن الجوزي في رواية أخرى إلى أنّ حملة الرؤوس ومعهم أسارى وسبايا آل محمد (عليه السلام) توقفوا عن السير عندما حلّ الليل إلى جانب أحد الأديرة، وفي منتصف الليل رأى راهب الدير نوراً من مكان رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عنان السماء، وعند ذلك سألهم من أين أنتم؟ فأجابوه بأنهم من أصحاب ابن زياد، وسألهم ثانية عن الرأس، فأخبروه بأنه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة ابنة رسول الله^(٣)، فقال لهم: «ابن نبيكم»^(٤)؟ فأجابوه بنعم، فقال لهم: «بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنناه أحداقنا»^(٥)، ثم طلب منهم الرأس ليقع عنده تمام هذه الليلة مقابل إعطائهم عشرة آلاف دينار وإرجاعه عند رحيلهم في الصباح، فوافق أمراء قافلة السبايا على ذلك، وقبضوا الأموال، وأخذ الراهب رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وغسله وطيبه، وجلس تلك الليلة كلها باكباً عنده، ولما حان الصباح قال للرأس: «لا أملك إلا نفسي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ جدك محمداً رسول الله، وأشهد أنّي مولاك وعبدك»^(٦)، وبعد ذلك خرج الراهب من

(١) الشعراء: آية ٢٢٧.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٨؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٣٨٧؛ زهير علي الحكيم، مقتل أبي عبد الله: ص ٧٧.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

الدير، وأخذ يقدم خدماته لسبايا آل البيت. ثم غادر أمراء القافلة الدير وأخذوا الرأس معهم. ولما قربوا من دمشق أرادوا تقسيم الأموال بينهم؛ خشيةً من يزيد أن يأخذها عند علمه بها، ففتحوا أكياس الأموال فإذا هي قد تحولت خزفاً، وكتب على الوجه الأول للدينار: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(١)، وعلى الوجه الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)، وعند ذاك رموها في نهر بردى، وتواصوا فيما بينهم بعدم الحديث عن ذلك^(٣).

٢٠. عسقلان

يذكر إبراهيم الزنجاني رواية دون الإشارة إلى مصادرهما الأولية، جاء فيها أن قافلة سبايا آل البيت عليهم السلام بعد مغادرتها دير الراهب، ساروا مجدين فوصلوا إلى عسقلان، وأميرها «يعقوب العسقلاني»^(٤)، وكان في حرب الحسين، فلما وصل العسكر مع الرأس والنساء إليه أمر أن يزيتوا ذلك البلد، وأمر أصحاب اللهو أن يفرحوا ويلعبوا ويضربوا الطنبور والعود، وجلسوا في القصور مشغولين باللهو وشرب الخمر. فلما دخلوا وأدخلوا الرأس والنساء كان هناك رجل تاجر غريب اسمه زريد الخزاعي^(٥) وكان واقفاً، فسأل بعض الناس عن سبب هذا الفرح والسرور، وعن سبب تزيين الأسواق فقالوا كأنك غريب؟ قال: نعم، قالوا كان في العراق رجل مع جماعة وهم يخالفون يزيد ولم يبايعوه، فبعث إليهم عسكرياً فقتلهم وهذه رؤوسهم ونساؤهم. فسأل زريد يا هذا هؤلاء كانوا مسلمين أم كفرة؟ ف قيل له: إثمهم سادات

(١) إبراهيم: آية ٤٢.

(٢) الشعراء: آية ٢٢٧.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٤.

(٤) يعقوب العسقلاني، لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا.

(٥) زريد الخزاعي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

أهل الإسلام، فقال: ما كان سبب خروجهم على يزيد؟ قيل له: إن كبيرهم كان يقول: أنا ابن رسول الله وأنا بالخلافة أحق. سأل من كبيرهم؟ ومن كان أبوه؟ ومن كانت أمه؟ قيل: أمّا اسمه: الحسين، وأخوه: الحسن، وأمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله، وأبوه: أمير المؤمنين. فلما سمع يزيد ذلك اسودّت الدنيا في عينيه، وضاعت الأرض عليه، فجاء قريباً من السبايا، فنظر إلى علي بن الحسين وبكى بكاءً شديداً، فقال زين العابدين: مالي أراك تبكي يا هذا وجميع أهل البلد في فرح وسرور؟! فقال: يا مولاي أنا رجل غريب قد وقعت في هذا البلد، وسألت أهل البلد عن سرورهم وفرحهم فقالوا: باغ بغى على يزيد فقتله وبعث برأسه ونسائه إلى الشام، فسألت عن اسمه، فقالوا هو الحسين بن علي وجده محمد، فقلت: تباً لكم فمن كان أحق منه بالخلافة؟! فقال (عليه السلام): جزاك الله يا يزيد، فقد أرى فيك المعرفة ولنا المعرفة، قال: فقلت يا سيدي وهل لك حاجة؟ قال (عليه السلام): قل لحامل الرأس أن يتقدّم على النساء؛ لتُشغل النظارة بالرأس عن النظر إلى النساء، قال: فمضيت من وقتي، وأعطيت حامل الرأس خمسين مثقالاً من الذهب والفضة حتى اعتزل وتقدّم به فاستراحت النساء من سدّ النظر^(١).

ويلاحظ على هذه الرواية - التي يرويها أحد المحدثين - أنها لا تنسجم مع خط السير الجغرافي لقافلة السبايا بالمقارنة مع موقع مدينة عسقلان الذي يقع في فلسطين، والمعروف أنّ القافلة وصلت إلى شمال لبنان ثم اتجهت إلى دمشق، وقيل: إنّ والي عسقلان كان من المشاركين في جيش ابن زياد الذي حارب الإمام الحسين (عليه السلام)، إلّا أنّنا لم نجد في المصادر التي أطلعنا عليها ما يُشير إلى أنّ أحداً من أهل الشام كان مع جيش ابن زياد في الطف.

(١) إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٣٧٦-٣٧٧.

٢١- دمشق

واصلت القافلة سيرها باتجاه دمشق ومروا بمواضع منها سرغايا^(١)، ومنها إلى الزبداني^(٢).

وأشار أحد الباحثين المعاصرين، بأن قافلة السبايا قد مرّت بعدد من المواضع ما بين الزبداني ودمشق، وهي: التكية^(٣)، ومنها إلى عين الفيحة^(٤)، ومنها إلى الهامة^(٥)، ومنها إلى دَمَر^(٦)، ومنها إلى الربوة^(٧). وكانت القافلة تجدد في سيرها حتى وصلت

(١) سرغايا، فتح أوله وسكون ثانيه وغين معجمة، وهو الحدّ بين أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيشة وتبوك، من منازل الحاج الشامي. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٢١١؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٧٠٧.

(٢) الزبداني، يفتح أوله وثانيه ودال مهملة وبعد الألف نون وياء مشدّدة كياء النسب، كورة معروفة مشهورة، بين دمشق وبعليبك، ويخرج لها نهر دمشق بمسافة ستّة فراسخ، أي: ٢٨ كم. السيرافي، رحلة: ص ١٠٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٣٠.

(٣) التكية، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بردى، وأعظم من نهر دمشق، ومخرجه من قرية يُقال لها قنوا، من كورة الزبداني، على بعد خمسة فراسخ، أي: ٢٤ كم من دمشق، ممّا يلي بعليبك. عبد القادر بن بدران، مناداة الاطلاع ومسامر الخيال: ص ٣٦٩؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ٢٤٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٧٨.

(٤) عين الفيحة، بالكسر ثمّ السكون وجيم، قرية بين دمشق والزبداني، وعند مخرج نهر دمشق بردى. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٨٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٠٤٩.

(٥) الهامة، وهي إحدى المواضع القريبة من دمشق. الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه: ص ٣٣١.

(٦) دمر، تشديد أوله وثانيه والراء المهملة، قرية من قرى الغوطة، وتقع على نهر بردى. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٢، ص ٥٥٦.

(٧) محمّد عبد الغني السعدي، من كربلاء إلى دمشق: ص ٥٩٦. والربوة، وتبعد مقدار فرسخ، أي: ٤ كم عن دمشق، في وادي بردى. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ج ١، ص ٢٨٢.

أحد أبواب دمشق في الأول من صفر سنة ٦١هـ / ٦٨٠م^(١)، ولم يُسمح لها بدخول دمشق، بل أوقفت على ذلك الباب مدة ثلاثة أيام حتى أكملت السلطة الأموية استعداداتها للاحتفال بهذا الحدث^(٢).

لقد جاءت قافلة سبايا آل البيت من غرب دمشق من جهة لبنان، أي: من طريق بعلبك، عين الفيحة، الهامة، دمشق، بمحاذاة نهر بردى. فإنهم أول ما يصلون إلى دمشق القديمة المسورة فسيكون أمامهم الباب الصغير، أو باب الجابية^(٣)، حيث أنزلوهم عنده.

ولعل وصول القافلة من جهة الغرب إلى دمشق كان لإخفاء خبر وصول القافلة من قبل السلطة الأموية، مثلما أخفوا حقيقة سبايا آل البيت؛ كي لا يخرج الناس لاستقبالهم قبل استكمال السلطة إجراءاتها الأمنية واستعداداتها الاحتفالية. ونعتقد أنهم أنزلوا سبايا آل البيت عند موضع يُدعى اليوم مقبرة الباب الصغير^(٤). ولا توجد رواية تذكر بأن أحداً من أهالي دمشق قد دنا من سبايا آل البيت وتكلم معهم، على الرغم من بقائهم ثلاثة أيام في هذا المكان.

(١) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، توضيح المقاصد: ص ٥؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٣٩١؛ إبراهيم الزنجاني، وسيلة الدارين في أنصار الحسين (عليه السلام): ص ٣٧٩.

(٢) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٢؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٣٧١؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٥١. يُنظر: خارطة رقم (٧): ص ٤٧٥.

(٣) يُنظر: مخطط رقم (٨) لمدينة دمشق القديمة المسورة: ص ٤٧٦.

(٤) مقبرة الباب الصغير، وهي من المقابر الأثرية القديمة، تقع ما بين الباب الصغير وباب الجابية، دُفِن فيها عدد من الصحابة والتابعين والحكام والأمراء، وهذه المقبرة ما تزال موجودة اليوم، وتُعرف بهذا الاسم أيضاً. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ص ١٩٤؛ العمري، مسالك الأبصار: ج ٨، ص ٢٠١؛ عبد القادر بن بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: ص ٣٧٣؛ ابن جبير، الرحلة: ص ٢٥٤؛ ابن بطوطة، الرحلة: ص ٣٢٠.

ثم تمّ إنزالهم في المقبرة؛ لأنّ موقعها خارج غرب دمشق، وخالية من تواجد النّاس والعمران. وهذا المكان أصبحت فيه مقامات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام والسّيّدات: زينب وأمّ كلثوم بنتا علي، وسكينة وفاطمة بنتا الإمام الحسين عليه السلام، وبقية السبايا، وأشار ليبب بيضون بأن هذه المقامات هي التي باتوا فيها منذ نزولهم إلى أن أُذن لهم بدخول دمشق، وليست مقابر لهم^(١).

وبهذا يكون سبايا آل البيت - إذا سلّمنا بأنّ خروجهم من الكوفة كان في ليلة الخامس عشر من المحرم ووصولهم إلى دمشق في الأول من صفر - قد قضوا مدّة ستّة عشر يوماً إذا كان شهر المحرم تسعة وعشرين يوماً في تلك السنة، أو سبعة عشر يوماً إذا كان شهر المحرم ثلاثين يوماً في طريق سبيهم، عبر تلك المسافة الطويلة.

(١) موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤٣١.

المبحث الرابع

استعراض سبایا آل البيت ﷺ في دمشق

لقد بدأت مرحلة جديدة في حياة سبایا آل البيت ﷺ عند وصولهم إلى أبواب دمشق ومن ثم دخولها، مرحلة ملؤها الآلام والمآسي والأحزان في هذه المدينة، لما يضمّره بنو أمية من بغض وحقد لآل البيت، فكيف بهم وقد وقعت نساء الرسالة المحمدية في أيديهم سبایا؟! فقد جاءت لهم الفرصة للتشفيّ بهم والانتقام منهم.

قبل الحديث عن استعراض سبایا آل البيت في مدينة دمشق، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ يزيد بن معاوية عندما وصله خبر مقتل الإمام الحسين ﷺ زُعِمَ أنّه صدرت عنه بعض التصريحات التي تدلّ على حزنه وندمه لقتل الإمام الحسين ﷺ^(١).

ونعتقد أنّ هذه التصريحات لا تعدو أكثر من كونها رواية أموية وُضعت لتبرير

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين ﷺ: ص ٢١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٢٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٨٩؛ ابن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٨؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٩٢؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ص ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٦؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٣١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٥٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٥؛ الدميري، حياة الحيوان: ج ١، ص ٩٢؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣٨.

الجريمة الكبرى التي اقترفها يزيد بن معاوية، وللتخلص من جريمته بحق أهل البيت (عليه السلام) وُضعت تبعات هذا العمل على واليه في الكوفة عبيد الله بن زياد. ونعتقد أنّ حزن يزيد أو بكاءه عند سماعه مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ما هو إلاّ تصنّع منه، لأنّه بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) حظي ابن زياد بالتكريم منه، فاستوسق كلا العراقيين الكوفة والبصرة لأبن زياد، كما أوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة له لقتله الإمام الحسين (عليه السلام)^(١). كما ورد أنّ يزيد بن معاوية جلس يوماً على شرابه وعن يمينه ابن زياد. وذلك بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) - فأقبل على ساقيه فقال:

اسْقِنِي شَرْبَةً تَرَوُّي مُشَاشِي^(٢) ثمّ مل فاسق مثلها ابن زيادِ
موضع السرّ والأمانة عندي وعلى ثغر مغنمي وجهادي
ثم أمر المغنّين فغنّوا بهذه الايات^(٣).

وأشار ابن أعثم إلى الحال التي أصبح عليها ابن زياد بعد قتله الإمام الحسين (عليه السلام) وارتفاع شأنه في البصرة والكوفة، حيث اشترى دارين وهدمهما ثمّ بناهما وأنفق عليهما مالاً جزيلاً، وأسماهما الحمراء والبيضاء، فكان يشيّ في الحمراء، ويصيّف في البيضاء، وعلا أمره وارتفع قدره وانتشر ذكره، وبذل الأموال، واصطنع الرجال، ومدحته الشعراء^(٤).

لقد كان ردّ يزيد بن معاوية على كتاب ابن زياد الذي أخبره فيه بأحداث الطفّ،

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٥.

(٢) مشاش، كلّ عظم يمكن مضغه. ابن سيده، المخصّص: ج ١، ص ١٣٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٩٨؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٦٣.

(٤) الفتوح: ج ٥، ص ١٣٥.

أمرًا بأن يبعث إليه رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه^(١)، وحمل ثقله وعياله إلى دمشق^(٢).

ولما وصل محفز بن ثعلبة العائذي، والشمر بن ذي الجوشن باب قصر يزيد ومعهما رؤوس القتلى وسبايا آل البيت، رفع محفز - عند دخوله على يزيد ليقدم له رأس الإمام الحسين عليه السلام - صوته عاليًا وقال: «جئنا برأس أحق الناس والأمهم»، فردّ يزيد عليه قائلاً: «ما ولدت أم محفز الأم وأحق، ولكنه قاطع ظالم»^(٣). وفي لفظ آخر لهذه الرواية وعند وصول محفز رفع صوته عاليًا قائلاً: «أنا محفز بن ثعلبة، جئت برؤوس اللثام الكفرة، فقال يزيد: ما تحفّزت منه أم محفز الأم وأفجر»^(٤)، أو «ما ولدت أم محفز شرّ والأم»^(٥).

وروى سبط ابن الجوزي أنّ يزيد بينما كان جالساً في بهو له مع أحد ندمائه فقيل له: هذا زحر بن قيس الجعفي في الباب، فذعر واعتدل في جلسته وأذن له بالدخول، وسأله عمّا وراءه، فأجابه ما تحبّ أبشر بفتح الله ونصره، وبدأ يُخبره بما جرى في الطفّ، وأنّ الحسين قدم إلى الطفّ بسبعين راكباً من أهل بيته وشيعته،

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١١، ص ٣٣. وفي لفظ مقارب في المعنى، يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨.

وعرض عليه الأمان والنزول لحكم ابن زياد، فرفض ذلك واختار القتال، وبمدة وجيزة أخذت السيوف ما أخذته من الرؤوس جميعاً، وتركت أجسادهم مجرّدة في الفلاة، فدمعت عين يزيد ولعن ابن مرجانة، وترحم على أبي عبد الله الحسين، وأكد على أن رضاه هو بدون ما حصل من قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وقبح فعل ابن زياد هذا بقوله: قبح الله ابن مرجانة، لو كان بينه وبين الحسين رَحِم ما فعل به هذا^(١). وعندما قدّموا الرؤوس له قال يزيد: «فرّقت سمية بيني وبين أبي عبد الله، وانقطع الرّحم، لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، رحمك الله يا حسين فقد قتلك رجل لم يعرف حقّ الأرحام»^(٢). ثمّ يعطي يزيد العذر لابن زياد في قتله الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه اضطر إلى ذلك، ثمّ يؤنّب من جهة أخرى لقتله الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لأنّه بسبب ذلك جعل العداوة له في قلوب النّاس خيرهم وشرّهم. وقيل: إنّه تنكّر لابن زياد ولم يصل زحر بن قيس الجعفي بشيء^(٣).

إنّ إهداء رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بين يدي يزيد بن معاوية - من قبل ابن زياد - ما هي إلّا بشرى لتأكيد النصر الذي حقّقه الأخير في قضائه على الإمام الحسين (عليه السلام)، وعلى من خرج معه من أهل بيته وأنصاره المواليين لأهل البيت (عليه السلام)^(٤).

وفي رواية أخرى أشارت إلى أنّ الذي دخل على يزيد هما زحر بن قيس الجعفي والشمر بن ذي الجوشن، وأدخلا معها رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، فرمى بين يديه،

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢١٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١١، ص ٣٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٤٤٥؛ ابن نهار الحلي، مثير الأحرار: ص ٧٩٨.

ثم تكلم الشمر قائلاً: «يا أمير المؤمنين، ورد علينا هذا - يعني الإمام الحسين - بثمانية عشر رجلاً من أهل بيته، وستين رجلاً من أصحابه ومن شيعته، فسرنا إليهم، وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس، وأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف مآخذها، جعلوا يلوذون لودان الحمام من الصقور، فما كان إلا مقدار جزر جزور أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معقّرة، تسفي عليها الرياح، وزوارهم العقبان ووفودهم الرخم»^(١).

بينما أشار مؤرّخون آخرون، بأنّ الذي قال هذا الكلام ليزيد بن معاوية، هو زحر بن قيس الجعفي^(٢)، ولما سمع يزيد هذا الكلام قال: «قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أمّا لو أنّي صاحبه لعفوت عنه»^(٣)، وقيل: إنّ يزيد دُمعت عيناه^(٤)، ومن جانب آخر نجده قد قال: «كذلك عاقبة البغي والعقوق، ثمّ تمثّل يزيد:

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦٠؛ الدميري، حياة الحيوان: ج ١، ص ٩٢؛ الديار بكري، تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣٢٤. الرخم، رخت النعامة أو الدجاجة على بيضها، ورخت عليه أي: حضنته. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٣٣؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢١٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٤، ص ١٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٨.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٤٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٨؛ الدميري، حياة الحيوان: ج ١، ص ٩٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٨، ص ٣٣٥؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٨، ص ٣٧٨٥.

مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مَرًّا وَتَرْكُهُ بِجَعَجَعٍ^(١).

ويروى أنَّ حامل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) - ومن دون ذكر اسمه - دخل على يزيد بن معاوية، ودنَّ منه وقال:

«أَوْقِرْ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَ

قَتَلْتُ أَزْكَى النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَذْكُرُونَ النَّسَبَ

فقال له يزيد: إذا علمت أنَّه خير النَّاسِ لم تقتله؟ قال: رجوت الجائزة، فأمر بضرب عنقه فحُزَّ رأسه؟^(٢).

وأشار ابن عبد ربَّه إلى «أنَّه لما أُدْخِلَ على يزيد بن معاوية سبايا آل البيت، ومن بينهم اثنا عشر شابًّا أكبرهم علي بن الحسين (عليه السلام)، وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم، فقال يزيد لهم: أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق، وما علمت بخروج أبي عبد الله ولا بقتله»^(٣).

ولما وصل صاحب البريد إلى يزيد، وهو مريض معصَّب الرأس ويداه ورجلاه في طشت من ماء حارٍّ وبين يديه الطبيب يعالجه، وعنده جماعة من بني أمية يحادثونه قال له: «أقرَّ الله عينيك بورود رأس الحسين، فنظره شزراً وقال: لا أقرَّ الله عينيك، ثمَّ قال للطبيب: أسرع واعمل ما تريد أن تعمل، وخرج الطبيب عنه وقد أصلح جميع ما

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٢. والجعجع، الحبس والتضييق، أو أصوات الجبال إذا اجتمعت. يُنظر: ابن سلام، غريب الحديث: ج ٤، ص ٤٨٣؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٣، ص ١١٩٧؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٨، ص ٥٠.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٧-٦٨.

(٣) العقد الفريد: ج ٥، ص ١٣١.

أراد أن يصلحه، ثم أخذ كتاباً بعثه إليه ابن زياد وقرأه، فلما انتهى إلى آخره عضّ على أنامله حتى كاد أن يقطعها، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ودفعه إلى من كان حاضراً، فلما قرأوه قال بعضهم لبعض: هذا ما كسبت أيديكم، فما كان إلا ساعة وإذا بالرايات قد أقبلت، ومن تحتها التهليل والتكبير»^(١).

وفي رواية أخرى أتى برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية فقال: «عليّ بالنعمان بن بشير، فلما جاء قال: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟ قال النعمان: الحرب دول. فقال يزيد: الحمد لله الذي قتله، قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية كره قتله، قال يزيد: ذلك قبل أن يخرج، لو خرج على أمير المؤمنين والله قتله إن قدر، قال النعمان: ما كنت أدري ما كان يصنع، ثم خرج النعمان، قال يزيد: هو كما ترون إلينا منقطع، قد ولّاه أمير المؤمنين ورفعته، لكن أبي كان يقول: لم أعرف أنصارياً قطّ إلا يحب علياً وأهله، ويبغض قريشاً بأسرها»^(٢).

مما تقدّم يمكن القول أنّ يزيد بن معاوية، تارةً تراه يتظاهر بأنّه لا يدري بخروج الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وأنّه لم يأمر بقتله ولا راضٍ بقتله، ولو رجع الأمر إليه لعفى عنه، ويكفيه طاعة أهل العراق بدون قتلهم للحسين عليه السلام، وقد ذرفت عيناه بالدموع عندما قدّم له رأس الإمام الحسين عليه السلام؛ ليبرهن أمام من كان عنده على عدم رضائه بقتل الإمام الحسين عليه السلام وتأسفه على ذلك. وتارةً تراه يحمّد الله تعالى على قتل الإمام الحسين عليه السلام، ويؤكد على أنّه لو كان قد خرج على أبيه معاوية لقتله أيضاً. ثمّ إنّ يزيد أمر بقتل الأمير الذي قدّم له رأس الإمام الحسين عليه السلام؛ بسبب مدحه أبوي الإمام الحسين عليه السلام. وعندما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه في طبق من ذهب سأل

(١) فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٧٠.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٦-٦٧.

الرأس بقوله: كيف رأيت يا حسين؟! ^(١). ورؤي عن زيد بن علي وعن محمد بن الحنفية، عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «لما أُوتي برأس الحسين إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه» ^(٢).

والحقيقة أنّ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن بالأمر المفاجئ وبدون تخطيط، ولم يكن من دون علم يزيد بن معاوية، بل كان بأمره، وقد شدّد على تحقيق ذلك منذ أن كان الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة المنورة، ولم يذرف دموع عينه عندما قدّم أمامه رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مجلس خاصّ ضمّه مع بني أميّة، ولم يُظهر عدم رضائه على ذلك. أمّا تحميله ابن زياد كامل المسؤولية في قتله للحسين؛ إنّما ذلك لامتصاص نقمة الخاصّة والعامة من النّاس، وإثبات براءته، وعدم أمره لفعل ذلك أو الرضا به، وبالتالي أراد التنصّل عن مسؤولية قتل الإمام الحسين (عليه السلام) ^(٣).

ولو لم يكن الأمر هكذا فلماذا لم يتّخذ أيّ إجراء ضد ابن زياد والي الكوفة، إذ كان قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بقرار اتّخذه من نفسه، ودون أمر أو علم سيّده يزيد، بل بالعكس قام بتكريم ابن زياد، واستعرض سبايا آل البيت في شوارع دمشق وأسواقها عند وصولهم لها، وشربه الخمر عند رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن إنشاده الشعر الذي عبّر فيه عن فرحه وسروره بأخذه ثار بني أميّة، وأمره بصلب رأس الحسين على أبواب دمشق ثلاثة أيام ^(٤)، وصلب الرأس الشريف في المدينة

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٧-٦٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٨٠.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥، ص ٨٦؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٨؛ ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٨.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٦١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣١٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٢،

المنورة عند إرساله إليها على خشبة، ثم رُدَّ إلى دمشق^(١).

إضافة إلى محاولاته في إذلال السبايا، فقد أشارت الروايات التاريخية التي وصفت دخول سبايا آل البيت إلى دمشق أنهم أمضوا ثلاثة أيام عند أحد أبواب سورها، منذ وصولهم إلى دمشق^(٢) في الأول من صفر سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م^(٣)؛ لاستكمال استعدادات الاحتفال بهذا اليوم^(٤) الذي كان يزيد بن معاوية ينتظره، وقد أعدَّ له عدته، وهياً له من الاستعدادات ما يتناسب مع هذا الحدث، وجعله يوماً خاصاً من أيام فرحه وزهوه وانتصاره^(٥) وعيداً لبني أمية^(٦)، بينما عدَّ المسلمون العام الذي قتل فيه الإمام الحسين بن علي عليه السلام عام حزن^(٧).

ومن الإجراءات التي أمر بها يزيد بن معاوية احتفالاً بهذا اليوم، تزيين المدينة بالحلي والحلل والحرير والديباج^(٨)، وإحضار مائة وعشرين راية^(٩) يستقبل بها رأس

ص ٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢؛ الباعوني الشافعي، جواهر المطالب: ج ٢، ص ٢٩٩.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٩.

(٢) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٢؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٣٩١؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٥١.

(٣) البيروني، الآثار البقية: ص ٣٣١؛ القزويني، عجائب المخلوقات: ص ٤٥.

(٤) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٢؛ عباس القمي، نفس المهموم: ص ٣٩١؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٥١.

(٥) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٣٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٧.

(٦) عباس القمي، نفس المهموم: ص ٣٩١؛ محمد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٥١.

(٧) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٥.

(٨) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٣٠؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٣، ص ٣٦٩.

(٩) الراية، هي العلم، وجمعها الرايات، والراية، اللواء، وجمعه ألوية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش. الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٩٩٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٦٦.

الإمام الحسين (عليه السلام) وتدخل معه إلى المدينة^(١). وخرج الرجال والنساء، الأصاغر والأكابر للتفرّج على سبايا آل البيت ومعهم الطبول والدفوف والأبواق والمزامير، وسائر آلات اللهو والطرب^(٢)، ولم ير الراؤون أشدّ احتفالاً ولا أكثر اجتماعاً منه^(٣). وكلّ هذا يبغى يزيد بن معاوية من ورائه استعراض سبايا آل البيت في موكب يوحى للعامة والخاصة بانتصاره على خصومه، من خلال التفرّج على نسائهم وما بقي من رجالهم.

لقد أقام سبايا آل البيت ثلاثة أيّام عند وصولهم مدينة دمشق في أحد أبواب سورها الخارجي، وهي ستّة أبواب: باب الجابية^(٤)، الباب الصغير^(٥)، باب

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٣٠؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٦٩.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٧؛ عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦١؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٦٩.

(٣) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٦٩.

(٤) يقع في الطرف الغربي من مدينة دمشق، ومنسوب إلى قرية الجابية، لأنّ الخارج لها يخرج من هذا الباب، وكان لباب الجابية، ثلاثة أبواب، الأوسط كبير، وعلى جانبه بابان صغيران، وللأبواب الثلاثة ثلاثة أسواق، تمتدّ من باب الجابية إلى الباب الشرقي، السوق الكبير في الباب الأوسط يكون للناس، والسوقان الآخران، أحدهما للذهاب إلى جهة الشرق، والآخر للذهاب إلى جهة الغرب، وقد سُدّ الباب الكبير والباب الشامي وبقي الباب القبلي، وهو الباب الجنوبي الصغير، ومن هذا الباب دخل أبو عبيدة عامر بن الجراح سنة ١٨هـ / ٦٣٩م، عند فتح المدينة صلحاً في سنة ١٤هـ / ٦٣٥م. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٤٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ١٥٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ١، ص ٥٦؛ عبد القادر بن بدران، مناداة الأطلال ومسامرة الخيال: ص ٣٩؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٠-٢١.

(٥) هو من الأبواب القديمة لدمشق، وقد أُطلق على هذا الباب بعد الفتح الإسلامي لدمشق في سنة ١٤هـ / ٦٣٥م اسم الباب الصغير؛ لكونه أصغر أبواب المدينة، كما يُطلق عليه الباب القبلي أيضاً وباب الحديد. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٤٠٧؛ عبد القادر بن

كيسان^(١)، الباب الشرقي^(٢)، باب توما، باب الفراديس^(٣).

وعند شروق شمس اليوم الرابع ساروا بهم حول مدينة دمشق القديمة بمحاذاة السور مروراً بأبوابها، ثم أدخلوهم إلى داخل المدينة^(٤) من باب توما، وعبروا بهم من الباب الداخلي؛ إذ إنّ الطريق من باب توما إلى باب جيرون الداخلي يؤدي بالقادم من جهة الشرق إلى مكان قصر المُلْك - أي قصر الخضر^(٥) الذي بناه

بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: ص ٤٠؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٦.

(١) هو أحد أبواب دمشق، ويُنسب إلى كيسان مولى معاوية بن أبي سفيان، وروى عنه، وهو من الطبقة الرابعة من أهل دمشق والأردن، وكنيته أبو حريز، وقيل: إنّ اسمه حريز. يُنظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٦٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٤٠٧، و ج ٥٠، ص ٢٨١؛ العمري، مسالك الأبصار: ج ٣، ص ٥١٢؛ بدران، منادمة الاطلال: ص ٤٠؛ ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه: ج ٢، ص ٢٩٠؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٨.

(٢) يقع في الجهة الشرقية لسور المدينة، ويتكوّن هذا الباب من ثلاثة أبواب، أكبرها الأوسط، وقد نزل عليه خالد بن الوليد يوم فتح دمشق. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٦٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١، ص ٢٢؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٢٣٧؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٦.

(٣) ابن الفقيه، البلدان: ص ١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٥، ص ٤٢٥. وباب الفراديس يقع في الجهة الشمالية من الجامع، وقريباً من جبل قاسيون، ومدفن سبعين الف نبي، وفيه مشهد للإمام الحسين عليه السلام. يُنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ٢٥٤؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات: ص ٢٢؛ ابن جبير، الرحلة: ص ٢٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٤٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٣، ص ١٠٢١؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٦.

(٤) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦١.

(٥) قصر الخضر، وهو من القصور الأموية في دمشق، بناه معاوية بن أبي سفيان أيام ولايته في دمشق؛ داراً للحكم، ويقع قبل المسجد الأموي الكبير، بُنيت عليه قبة خضر، ولذلك عُرف القصر بهذا الاسم، سكنه معاوية أربعين سنة. وقيل: إنّ قصر الخضر من بناء أهل الجاهلية،

معاوية بن أبي سفيان أيام إمارته على الشام، التي بدأت في سنة ١٧هـ / ٦٣٨م^(١)، ثم صار قصرًا ليزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٧٩-٦٨٣م) عند توليه الحكم - وذلك للمرور بالساحة العامة الواسعة التي تُقام فيها المهرجانات والاحتفالات، وهي قريبة من قصر يزيد والمسجد الجامع^(٢)، وقد تجمعت فيها أعداد كبيرة من الناس المتفرجين، وأعداد من العسكريين الذين فُرض عليهم التواجد^(٣).

لقد بدأ استعراض سبائ آل البيت في شوارع دمشق وأسواقها منذ الصباح الباكر، يحيط بهم رجال الجيش متجهين بهم إلى قصر يزيد، ولكن لم يصلوا إليه إلا بعد الظهر؛ وذلك للازدحام الشديد لكثرة أعداد الناس المتفرجين من جهة^(٤)،

من البناء القديم. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢، ص ٣٦٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٦٦؛ محمد كرد علي، خطط الشام: ج ٥، ص ٢٤٦.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) بُني على أرض المعبد، يُنسب للاله حداد، أقامه أهل دمشق في العهد الآرامي في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، وبنى الرومان بعد دخولهم إلى دمشق معبدًا لهم في المكان نفسه، وعندما تنصّر أهل الشام على يد الملك قسطنطين (٢٧٢-٣٣٧م) بنوا كنيستهم على أرض هذا المعبد، وكانت تُسمّى كنيسة مريخ، أو كنيسة يوحنا، وبعد أن فتح المسلمون بلاد الشام (معركة اليرموك) في سنة ١٥هـ / ٦٣٦م، أخذوا الجانب الشرقي من كنيسة مريخ وأقيم عليه المسجد، وبهذا صار المكان وبابه الرئيسي مشتركاً بين المسلمين والنصارى، فدخل المسلمون من اليمين إلى مسجدهم، ويدخل النصارى من اليسار إلى كنيستهم، ولما أعاد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م) عمارة المسجد سدّ هذا الباب؛ لقربه من قصر الخضر، وأنشأ عوضه باباً سُمي باب الزيادة، وهو باب الصاغة اليوم. يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٦٦؛ ابن بطوطة، الرحلة: ص ٦٦؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤١٣؛ عبد محمد إبراهيم الكربولي، الجامع الأموي في دمشق وأثره في الحياة السياسية والإدارية والفكرية منذ التأسيس حتى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م: ص ١٨. ويُنظر: مخطط رقم (٩): ص ٤٧٧.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ج ٥، ص ١٢؛ عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦١.

(٤) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦١.

وإيقافهم في بعض أبواب المدينة من جهة أخرى ، ففي باب الساعات وقفوا ثلاث ساعات؛ ينتظرون الإذن من يزيد بالدخول ^(١)، ممّا جعل حركة السير بطيئة. ومعهم أقبلت الرايات ومن تحتها التكبير والتهليل ^(٢)، وقد خرج يزيد بنفسه ليلتقاّهم ^(٣)، وكما مرّ معهم الأطفال والغلمان والنساء من ذرية أبي طالب بن عبد المطلب ^(٤). ولما أشرف سبایا آل البيت عليهم السلام على ثنية العقاب ^(٥)، ورآهم يزيد وهو على منظره ^(٦) في ربي جيرون ^(٧) أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيرون
نق الغراب فقلتُ صح أو لا تصح فلقد قضيتُ من الغريم ديوني ^(٨)

-
- (١) فخر الدين الطريحي، المنتخب: ج ٢، ص ٤٧٠.
 (٢) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٧.
 (٣) الباعوني الشافعي، جواهر المطالب: ج ١، ص ١٥؛ الآلوسي، التفسير: ج ٢٦، ص ٧٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦١٥.
 (٤) لمزيد من التفاصيل عن حياة أبي طالب بن عبد المطلب يُنظر: علي صالح، أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية: ص ١٤٥-١.
 (٥) ثنية العقاب، الثنية، الطريق العالي من الجبل. وثنية العقاب بالضم، هي المطلّة على غوطة دمشق، يمرّ بها القاصد من دمشق إلى حمص. وقيل: إنّ سبب تسميتها بثنية العقاب، العقاب من الطير، كان ساقطاً عليها بعشه وفراخه. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٨٥؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ٢٤٧؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٧.
 (٦) منظره: موضع في رأس الجبل، وفيه رقيب يحرس أصحابه من العدو. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ١٥٦.
 (٧) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣١؛ الباعوني الشافعي، جواهر المطالب: ج ١، ص ١٥. وجيرون، بفتح الـاول وسكون الثاني بعده راء مهملة، وهي مدينة دمشق، قيل: قد نزل جيرون بن سعد بن عاد دمشق، وبنى مدينتها، وسُميت باسمه، وهي إرم ذات العماد. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ١٩٩؛ الحميري، الروض المعطار: ص ١٨٦.
 (٨) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣١. وبألفاظ أخرى يُنظر: الباعوني الشافعي، جواهر المطالب: ج ١، ص ١٥؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦١٥.

كان التفرج على نساء آل البيت عليهم السلام من قبل الناس يؤذيه كثيراً؛ لأنه يعتبر هتكاً لحرمتهم، وغير مناسب لنساء بيت النبوة، مما جعل السيدة زينب بنت علي عليها السلام (١) - وقيل: سكينه بنت الإمام الحسين عليه السلام - لما أوشكت قافلة السبايا دخول دمشق، تقترب من الشمر بن ذي الجوشن وتطلب منه أن يأخذ بهم - عند دخول المدينة - طريقاً غير مأهول حتى لا يكونوا في معرض الفرجة، ومن ثم إخراج رؤوس القتلى المتفرقة بين القافلة إلى أمامها؛ لينشغل الناس بالنظر إليها دون النظر إليهن، إلا أن الشمر لم يستجب لذلك، وفعل عكس ما طُلب منه، وجعل رؤوس القتلى على الرماح مرفوعة في وسط القافلة، وسار بهم في طريق مزدحم بالناس المتفرجين، إلى أن وصل بهم إلى درج باب المسجد الجامع، وأوقفوا عنده السبايا، تمهيداً لإدخالهم على حاضرة الحكم الأموي (٢).

لقد وصف الصحابي سهل بن سعد الساعدي (٣) الزائر لدمشق - والذي كان

(١) محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهدي إلى اللاحق: ص ٣٧٧؛ باقر شريف القرشي، السيدة زينب: ص ٢٦٥.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن نما الحلبي، مثير الأحرار: ص ٧٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢٧؛ محسن الأمين، لواعج الأشجان: ص ٢١٨.

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة المدني الانصاري الساعدي، خزرجي، وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو يحيى، توفي النبي وله من العمر خمس عشرة سنة، وعند إسلامه غيّر النبي اسمه من حزن إلى سهل، وكان من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وشهد له بحديث الغدير في سبعة عشر رجلاً، واستشهد به الحسين في خطبته يوم الطف، عن حديث النبي بأن الحسن والحسين سيدي شباب الجنة، وقد عمّر حتى أدرك الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ / ٦٩٥-٧١٤م) والي العراق الأموي، وفي سنة ٧٤هـ أرسل الحجاج إليه يريد إزاله فقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبت، ثم أمر به فحتم في عنقه وعنق أنس بن مالك وفي يد جابر بن عبد الله الانصاري؛ يريد بذلك اذلالهم، وأن يستلبهم الناس ولا يسمعوهم. وقد التقى سهل علي بن الحسين (السجاد) في دمشق عند وصول

موجوداً يوم استعراض سبايا آل البيت - الاحتفال الكبير بذلك، وقد نقل وصفه أبو مخنف (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م) بقوله: «قال سهل: ودخل الناس من باب الخيزران^(١)، فدخلت في جملتهم، وإذ قد أقبل ثمانية عشر رأساً، وإذا السبايا على المطايا بغير غطاء، ورأس الحسين في يد الشمر - لعنه الله - وهو يقول: أنا صاحب الرمح الطويل، أنا قاتل ذي الدين الأصيل، أنا قتلت ابن سيّد الوصيّين، وأتيت برأسه إلى أمير المؤمنين^(٢)، فقالت زينب: كذبت يا لعين ابن اللعين، ألا لعنة الله على القوم الظالمين، يا ويلك تفتخر بقتل من ناغاه في المهد جبرائيل وميكائيل، ومن اسمه مكتوب على سرادق عرش رب العالمين، ومن ختم الله بجدّه المرسلين، وقمع بأبيه المشركين، فمن أين مثل جدّي محمّد المصطفى، وأبي علي المرتضى، وأمّي فاطمة الزهراء؟! فأقبل عليها خولي وقال: تأبين الشجاعة، وأنت بنت الشجاع.

قال (سهل): أقبل من بعده رأس الحرّ بن يزيد الرياحي، وأقبل من بعده رأس العباس يحمله قشعم الجعفي^(٣)، وأقبل من بعده رأس عون يحمله سنان بن أنس، وأقبلت الرؤوس على أثرهم^(٤).

سبايا آل البيت، واختلف في وفاته، فقبل في سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، وقيل: في سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م، وقيل: سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وقيل: انه آخر من توفي من الصحابة في المدينة. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١، ص ٥١٠؛ البخاري، التاريخ الكبير: ج ٤، ص ٩٧؛ ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ١٦٨؛ مشاهير علماء الأمصار: ص ٤٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٢، ص ٩٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٢، ص ٨٨.

(١) باب الخيزران، لم نعثر على تعريف له. وربما سُمّي بهذا الاسم لوجود عدد من الصنّاع الذين يمتنون العمل بأعواد الخيزران قرب هذا الباب، لذلك أُطلق عليه باب الخيزران. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) على الرغم من إشارة المصادر إلى أنّ الشمر قال هذا، إلّا أنّنا نستبعد ذلك؛ لما عُرِف عن الشمر من واقعه التطبيقي.

(٣) قشعم الجعفي، لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) مقتل الحسين: ص ١٣٠-١٣١.

ويلاحظ على هذه الرواية إقرار الشمر مع افتخاره بقتله للحسين بأنه ذو الدين الأصيل، وأنّ أباه هو سيّد الوصيين، ويقصد به علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسيُقدّم رأسه إلى أميره يزيد بن معاوية؛ للتقرّب منه ونيل جائزته. وأنسى الشمر حبّ الدنيا عمّا سيُلاقيه في الدنيا والآخرة معاً. ولم تتركه السيّدة زينب بنت علي (عليها السلام) وحاله، بل ردّت عليه مبينةً له سوء فعله بقتله الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لمكانته عند الله تعالى، وإنّ جده (عليه السلام) آخر المرسلين، وأباه (عليه السلام) من صال وجال في حروبه مع المشركين لتثبيت أركان الإسلام، فأَيّ فخر هذا الذي يفخر به الشمر؟! وكل ذلك على مسمع المتفرجين. ومن ردّها هذا على الشمر، بيّنت كذب الدعاية الأموية القائلة بأنّهم من الخوارج، بل إنّهم آل بيت النبي.

كما توهّمت الرواية بذكرها رأس الحر بن يزيد الرياحي بأنّه كان مع رؤوس القتلى التي وصلت إلى دمشق، والحقيقة أنّ الحرّ لم يُقطع رأسه يوم الطف؛ لأنّ عشيرته لم توافق على ذلك وأخذت جسده كاملاً ودفنته^(١).

ثمّ إنّ ما يؤخذ على هذه الرواية، هل أنّ سهلاً شاهد ثلاثة رؤوس فقط مع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) فصرح بأسماء أصحاب تلك الرؤوس مع أنه ذكر عدد الرؤوس بثمانية عشر؟ فأين معرفته بأسماء بقية أخوة الإمام الحسين (عليه السلام) وأبنائه؟! إذ لا بد من معرفته بهم والتصريح بأسمائهم، فهو من الصحابة الذين عاشوا في المدينة، وربما التقى ببعضهم.

وقد روى عن الشعبي^(٢) وصفه لجانب من استعراض سبايا آل البيت في دمشق،

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٨.

(٢) الشعبي، هو عامر بن شراحيل بن عبد، وكنيته أبو عمرو، وهو من حمير وعداده في همدان، تابعي من أهل الكوفة، أدرك مائة وخمسين صحابياً، وروى عنه الناس، وكان فقيهاً شاعراً، وُلِدَ سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م، وقيل: سنة ٢١هـ / ٦٤١م، تُوفي سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م، وقيل: سنة

إذ قال: «أشرفت تسع عشرة راية حمراء، وأشرفت السبايا مهتكات بلا وطاء، ثم أقبل رأس العباس بن علي يحمله ثعلبة بن مرة الكلبي^(١) وبيده رمح طويل، وهو ينشد ويقول: أنا صاحبُ الرمحِ الطويلِ الذي به أصولُ على الأعداء في حومة الحرب طعنْتُ به آل النبي محمّد لأنّ بقلبي منهم أعظم الكرب

وقد ردّت عليه زينب: ويلك أتفتخر بقتلك آل بيت محمد؟! فعليك لعنة الله، وهم أن يضرها بسوطه، وخشي على نفسه الخجل من الناس. ثم أقبل من بعده رأس جعفر بن علي يحمله نمير بن أبي جوشن الضبابي^(٢)، وأقبل من بعده رأس محمّد بن علي، ثم أقبل رأس أبي بكر بن علي يحمله أنيس بن الحرث البعجي^(٣)، وأقبل من بعده رأس علي بن الحسين يحمله مرّة بن قيس الهمداني^(٤)، وأقبل من بعده رأس عون بن علي يحمله جابر السعدي^(٥)، وأقبل من بعده رأس القاسم بن الحسن يحمله محمّد بن الأشعث الكندي^(٦)، وأقبل من بعده رأس يحيى بن علي يحمله عمير بن شجاع الكندي^(٧)، وأقبل من بعده رأس عبد الله

١٠٩هـ/ ٧٢٧م. ابن سعد، الطبقات: ج٦، ص٢٥٩؛ ابن حبان، الثقات: ج٥، ص١٨٥؛

مشاهير علماء الأمصار: ج١، ص١٦٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٧، ص٣٥٩.

(١) ثعلبة بن مرّة الكلبي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) نمير بن أبي جوشن الضبابي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٣) أنيس بن الحرث البعجي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) مرّة بن قيس الهمداني، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٥) جابر السعدي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٦) محمّد بن الأشعث الكندي، بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الأكرمين ابن الحارث بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي بن غفير، أمّه أم فروة بنت أبي قحافة، قُتل سنة ٦٧ هـ. ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٤٨؛ ابن حبان، مشاهير علماء

الأمصار: ص١٦٦؛ ابن منده العبدى، فتح الباب: ص٢٣.

(٧) عمير بن شجاع الكندي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

ابن عقيل يحمله قيس بن أبي مرّة الخزاعي^(١)، ثمّ أقبلت من بعده بقية الرؤوس، ثمّ أقبل رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو أشبه الخلق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، يحمله حواش بن خوليّ بن يزيد الأصبحي^(٢)، وقيل غيره^(٣).

ويسترسل أبو مخنف في روايته ويقول: «أقبلت جارية على بعير مهزول بغير غطاء ولا وطاء، على وجهها برقع خرز أدكن، وتنادي: واحمداه واجداه، واعلياه وأبتاه، واحسنه واحسيناه، واعقيلاه، واعباساه، وأبعد سفراه، واسوء صباحاه، فلما أقبل سهل إليها صاحت به فوق مغشياً عليه، فلما أفاق دنا منها، وقال لها: سيدي لم تصيحين عليّ؟ قالت: أما تستحي من الله ورسوله أن تنظر إلى حُرّم رسول الله؟! فقال لها: والله ما نظرت إليكم بريبة، فقالت من أنت؟ فقال لها: أنا سهل بن سعيد الشهر زوري^(٤)، وأنا من مواليكم ومحبيكم»^(٥).

لقد أدّينَ بنات الرسالة المحمدية دوراً إعلامياً مهماً؛ لفضح بني أميّة، ورداً على ممارساتهم الإعلامية الكاذبة في طمس الحقيقة، وتغيير ما علق في أذهان البعض من أنّ هؤلاء النسوة كان رجالهنّ من الخوارج فاستحقّوا القتل وسُبي نساؤهم. ومثلما كان لهذه النسوة دور في الكوفة في فضح بني أميّة، كذلك كان لهنّ دوراً بارزاً عند استعراض سبايا آل البيت (عليه السلام) في شوارع دمشق المزدحمة بالناس المتفرّجين، حيث انبرت إحداهنّ - ونظنّ أنّها السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) - ونادت بصوت

(١) قيس بن أبي مرّة الخزاعي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) حواش بن خولي بن يزيد الأصبحي، لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٣) الدرّبندى، إكسير العبادات: ج ٣، ص ٤٧٥-٤٧٦.

(٤) سهل بن سعيد الشهرزوري، لم نعثر على ترجمة له في المصادر التي بين أيدينا. ونعتقد أنّ هذا خلط مع اسم سهل بن سعد الساعدي، والمقصود به الأخير.

(٥) مقتل الحسين: ص ١٣١-١٣٢.

عالٍ بأنّ هذا الذي يجري عليهم لا يليق بهم ولا يستحقونه من بعد المسافة التي قطعوها في سبيهم، واستعراضهم في هذه الشوارع منذ ساعات الصباح الباكر، وأنّ الذين ندبتهم في ندائها هم أجدادها (النبي محمد صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام، وعقيل بن أبي طالب)، وأعمامها (الإمام الحسن والعباس عليهم السلام)، وأبوها الإمام الحسين عليه السلام، ومع كلّ هذا أيستحق بيت أجدادها، وهم بيت النبوة، وفيه سيّد شباب أهل الجنة، كلّ هذا الذي جرى عليهم؟!

ثمّ إنّ هناك مبالغة في أنّ سهلاً قد أصيب بحالة الإغماء، لصباح سكينه عليه عندما تقدّم نحوها ليكلّمها، إذ هل كان صوت سكينه من القوة والعلو في ظل ضوضاء النّاس المتفرّجين مؤثراً ومؤذياً على مَنْ يسمعه لدرجة يقع معها على الأرض، ويصاب بالإغماء؟!

كما نقل الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م) وصف سهل بن سعد الساعدي لاستعراض سبايا آل البيت في دمشق بقوله: «خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام، فإذا أنا بمدينة مضطّرة الأنهار، كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحجب والدياج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن! فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم في الشام عيد لا نعرفه نحن؟! قالوا: يا شيخ نراك غريباً، فقلت أنا سهل بن سعد، قد رأيت رسول الله وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً، والأرض لا تحسف بأهلها، قلت: ولم ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين، عترة رسول الله، يُهدى من أرض العراق إلى الشام، وسيأتي الآن. قلت: واعجبه؟ يُهدى رأس الحسين والنّاس يفرحون! فمن أيّ باب يدخل؟ فأشاروا إلى

باب يقال له: باب الساعات^(١)، فسرتُ نحو الباب، فبينما أنا هناك إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس في يده رمح منزوع السنان، وعنده رأس من أشبه النَّاس برسول الله وجهاً، وإذ بنسوة من ورائه، على جمال بغير غطاء، فدنوت من إحداهن فقلت لها: يا جارية من انت؟ فقالت: أنا سكينه بنت الحسين، فقلتُ لها: ألك حاجة إلي؟ فانا سهل بن سعد تَمَنَّ رأى جدك وسمعت حديثه، قالت: يا سهل قل لصاحب الرأس أن يتقدَّم بالرأس أماننا، حتى يشتغل النَّاس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحن حُرَم رسول الله. قال: فدنوتُ من صاحب الرأس وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مِنِّي أربعمئة دينار؟ قال: وما هي؟ قلتُ: تُقدِّم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، ودفعت له ما وعدته، ثمَّ وضع الرأس في حقة^(٢) (سَلَّة)، وأدخلوا على يزيد، فدخلت معهم، كان يزيد جالساً على سرير وعلى رأسه تاج مكلَّل بالدرِّ والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قریش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه...»^(٣).

يتبيَّن من رواية الخوارزمي أنَّها أكثر تفصيلاً وتوضيحاً من رواية أبي مخنف، في الكيفية التي استعرضوا فيها سبايا آل البيت عند وصولهم إلى دمشق، من دخول الرايات متتالية بعضها تلو البعض الآخر؛ لكثرة عددها، ثمَّ دخول رأس الإمام الحسين (عليه السلام) مرفوعاً على رمح طويل منزوع السنان، ونساء آل البيت خلفه إلى أن أوصلوهم إلى درج باب الجامع الأموي، وبعدها أدخلوهم على يزيد بن معاوية في قصره.

(١) باب الساعات، كانت التسمية تُطلق على باب الجامع الأموي الجنوبي، ثمَّ انتقلت إلى بابه الشرقي. قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي: ج ١، ص ٢٥.

(٢) الحقَّة، هي سَفَط، أو سَلَّة مستديرة مغطاة بالجلد، يجعل فيها الطيب والعطر والثياب والحلي. ابن أبي شيبه الكوفي، المصنف: ج ٧، ص ٤٣٩.

(٣) مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٧-٦٨.

ثم تذكر هذه الرواية أنّ سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام طلبت من سهل وليس من الشمر، وهذا أقرب إلى الواقع؛ إذ لا يمكن أن تطلب سكينة من الأعداء الذين قتلوهم وسبّوهم، بل طلبت من سهل - بعد أن عرّف بنفسه من أنّه صحابي - بأن يبعد رؤوس القتلى وهي مرفوعة على الرماح من وسط القافلة؛ كي لا يُنظر سويةً إلى الرؤوس والنساء، بل سيكون النظر إلى الرؤوس دون النساء فيما لو أبعدت عن وسط القافلة إلى الإمام.

ولكن من غير الممكن أن يتمّ إنزال الرؤوس تلبية لطلب سهل بن سعد لدفعه الأموال ووضعها في سلة؛ إذ لا يتماشى هذا مع الغرض من الاستعراض الكبير الذي انشغل يزيد بن معاوية بالإعداد له، ولمدّة ثلاثة أيّام، ومنذ وصول قافلة سبايا آل البيت إلى سور دمشق.

ثم إنّ سهل بن سعد الساعدي توجّه إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وفقاً لرواية أبي مخنف، وقال له: «مولاي هل لك حاجة؟ فقال علي بن الحسين لي: هل عندك شيء من الدراهم؟ فقلت: ألف دينار وألف ورقة، أي دراهم^(١)، فقال علي: خذ منها شيئاً وادفعه إلى حامل الرأس، وأمره بأن يبعده عن النساء؛ حتى تنشغل النَّاس بالنظر إليه عن النساء، قال سهل: ففعلتُ ذلك ورجعتُ إليه، وقلتُ: يا مولاي فعلتُ ذلك الذي أمرتني به، فقال لي: حشرَك الله معنا يوم القيامة^(٢)».

يُلاحظ من هذه الرواية أنّ أشدّ ما يؤذي أهل البيت عليهم السلام هو النظر إلى نسائهم من قِبَل النَّاس المتفرّجين، لذا لم يقتصر طلب إبعاد الرأس من وسط القافلة على نساء أهل البيت عليهم السلام، بل كان هذا الأمر يشغل بال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

(١) الورق، هو الدرهم. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ٣٧٥؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٣، ص ٤٧٨.

(٢) مقتل الحسين: ص ١٣١-١٣٢.

أيضاً، ويعدّه أمراً ثقيلاً رغم مرضه الشديد والغلّ في يديه إلى عنقه وما تعرّض إليه من تعب السبي، إلّا أنّه طلب من سهل بن سعد عند سلامه عليه أن يعطي لصاحب الرأس مبلغاً من المال؛ ليخرجه من بين النساء السبايا إلى الإمام لينشغل الناس بالنظر إليه دون النساء، وقد فعل هذا سهل، ودعا له الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بأن يحشره الله تعالى مع أهل البيت (عليه السلام) يوم القيامة.

ثمّ إنّ الرواية يُفهم منها أنّ هناك رأساً واحداً لا عدداً من الرؤوس، وكذلك لم يذكر اسم صاحب الرأس هذا، ولكن هل تمّ إبعاد الرأس؟ وهل أبعد عند طلب سكينه من سهل بن سعد، أو عند طلب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من سهل ذلك؟ ومع ذلك نعتقد أنّ الرأس الشريف لم يُبعد عن وسط قافلة السبايا؛ لأنّه يخالف ما تمّ وضعه من منهاج للاستعراض، وأنّ أيّ خلل في ذلك سيكون منظوراً أمام القائمين على الاستعراض، وبالتالي من يجراً على أن يأخذ الأموال ويُقدّم الرأس إلى الإمام، أو يضعه في سلّة ويخفيه عن رؤية الناس؟!

وينقل الباحث لبّيب بيضون قولاً عن سهل بن سعد، دون الإشارة إلى المصدر الذي أخذ منه تلك الرواية، حيث يصف سعد شاكياً متألماً مخاطباً رسول الله لما رأى رأس الإمام الحسين (عليه السلام) على الرمح، بقوله: «يا رسول الله، ليت عينيك ترى رأس الحسين في دمشق، يُطاف به في الأسواق...»^(١)، وهذه مواجع يشعر بها كلّ ذي لبّ، يرى سبايا آل البيت بهذه الحالة المأساوية.

ويبدو أنّ ظاهرة الفرح والسرور التي عمّت بلاد الشام يومذاك، ناشئة من الجهل المطبق عند عامّة الناس عن حقيقة السبايا الذين تمّ سبيهم، وأنّ هناك قسماً آخر كان يعلم ذلك لأنه أموي الهوى.

(١) موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤٢٢.

وقد برزت مواقف أظهرت - في ما لا يقبل الشك - أنّ كثيراً من أهل الشام أثّرت سياسة التضليل الأموي على آرائهم ومواقفهم، ممّا جعل بعضهم يتّخذ موقفاً سلبياً من سبايا آل البيت، ولكن ما إن تتجلى صورة الحقيقة أمامه حتى يتراجع عن موقفه، ويتحوّل ذلك السلب إلى الإيجاب، وينقلب على بني أميّة، وربما يدفع حياته ثمناً لذلك، ففي شدّة الازدحام وقف شيخ كبير السن، بعد أن دنا من سبايا آل البيت عليهم السلام، وانهال عليهم بقوله: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح الرجال من سطوتكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال علي بن الحسين له: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم قرأته، قال علي: هل قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)؛ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ، قال علي: هل قرأت في القرآن: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(٢)؟ قال الشيخ: قد قرأت، فقال علي بن الحسين عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي بن الحسين: نحن أهل البيت الذي خصّصنا بآية التطهير، فبقي الشيخ ساكناً، نادماً على ما تكلم به، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني تائب إليك ممّا تكلمته، وأبرأ إليك من عدوّ محمّد وآل محمّد من الجنّ والإنس^(٤).

وهذا أول حديث للإمام علي بن الحسين عليهما السلام تحدّث به في دمشق، إذ إنّه لم

(١) الإسراء: آية ٢٦.

(٢) الإسراء: آية ٢٦.

(٣) الأحزاب: آية ٣٣.

(٤) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٠٣؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ج ١، ص ١٩١؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤؛ ابن طاووس، اللهورف في قتلى الطفوف: ص ١٠٢.

يتكلّم مع أحد طوال سيره في طريق السبي من الكوفة إلى بلاد الشام^(١)؛ لأنّه كان ينتظر الفرصة المناسبة ليتحدّث مع النّاس لتستقبل نصائحه كاشفاً الحقيقة لهم، فما إن وجد ذلك الشيخ الشامي الذي انبرى بكلامه موبّخاً لسبايا آل البيت، وحامداً الله تعالى على قتل رجالهم وسبي عيالهم لأن عقله مليء بذلك وأمثاله. وكذلك كثير من الآخرين بما بثته ماكنة الإعلام من الفكر الأموي - إذا جاز أن يُسمّى فكراً أمويّاً - وقد وجد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فيه الاستعداد لسمعه، خاصّة وأنّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بدأ حديثه معه في تذكيره بآيات من القرآن الكريم، وفيمن نزلت، والتي سرعان ما سيطرت على روح الشيخ وعقله، وكشفت له الحقيقة. وبالرغم من أنّ هذا الشيخ لم ير رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا عليّاً (عليه السلام) ولا أولاده، لكنّه على ما يبدو كان يمتلك فطرة سليمة، وعقلاً راجحاً، ممّا عدّ أول رفض صدر منه ضد فعل بني أميّة، على عكس من قتل الإمام الحسين (عليه السلام) ورجال بيته وأنصاره، وسبوا عياله، وكان كثير منهم قد رأى عليّاً والحسن والحسين (عليهم السلام). ثمّ إنّ الشيخ لم يتوان ولم يتردد عن تبرّئه من يزيد وسلطته، ويستغفر الله تعالى ويسأله التوبة، مع علمه بالنتائج التي تترتّب على موقفه هذا، إذ ما إن سمع يزيد بخبره حتى أمر بقتله^(٢)؛ ليكون عبرة في الوسط الشامي، وبالتالي إخافة هذا الوسط وابقائه في جهله.

لقد انفرد عماد الدين الطبري في رواية مفادها: إنّ سبايا آل البيت (عليهم السلام) عندما أوقفوا على درج باب المسجد بقوا على هذه الحالة ستّة وستين يوماً، لا يستطيع أحد

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٩٨.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٠٣؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ١٠٢؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٧١.

من النَّاس أن يسلم عليهم أو يكلمهم، إلى أن تقدّم الشيخ الشامي إلى الإمام علي ابن الحسين عليه السلام وكلمه^(١)، وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً.

وهذه الرواية لا يمكن القبول بها؛ لأنّها لم تذكر من قبل المؤرّخين الذين سبقوا عماد الدين الطبري، ثمّ إنّه أشار إلى أنّ مكان وقوع الحادثة كان على درج باب المسجد، وحقيقة الأمر أنّها وقعت أثناء سير السبايا في الازدحام الشديد. كما لا يمكن قبول قول القائل بأنّ السبايا بقوا مدّة ستّة وستين يوماً في دمشق، ونعتقد أنّ كلمة ستّين قد أُضيفت إلى كلمة ستّة وذلك بسبب التصحيف، أو من وضع الوضّاعين لنشويه الحقيقة، وبالتالي فلا يمكن قبولها.

وخلاصة القول: إنّ خشية ابن زياد من تطوّر الأحداث في الكوفة إلى ما لا تُحمد عقباه، وهو يروم إرسال سبايا آل البيت عليهم السلام إلى بلاد الشام، جعلته يصحب قافلة السبايا بجيش يقوده عدد من أمرائه البارزين، أمثال محفز بن ثعلبة العائذي، والشمر بن ذي الجوشن، وزحر بن قيس الجعفي، وخولي بن يزيد الأصبحي، وشبث بن ربعي، وعمر بن الحجاج، وبعض مساعديهم، من أمثال: أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي. وأدخل رأس الإمام الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية في الأول من صفر سنة ٦١هـ / ٦٨٠م أولاً، سواء كان الرأس الشريف قد أرسل وحده إلى دمشق، أم كان بصحبة بقية الرؤوس والسبايا.

وقد مرّ سبايا آل البيت عليهم السلام برحلة قاسية ومريّة، من الكوفة إلى بلاد الشام عبر طريق طويل مرّ ببعض البوادي والمرتفعات، يتفرّج عليهم سكّان المدن والقرى، وكان لسكّانها مواقف متباينة، فمنهم من هم ذوي هوى أموي، عارفاً بحقيقة ما يجري من قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، وسبي عياله، فقد استقبل

(١) البهائي، حسين بن عبد الصمد: كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٢.

القافلة فرحاً مستبشراً راقصاً مغنياً، وقدّم إلى مَنْ كان بصحبة القافلة من الأمراء الأمويين وأفراد جيشهم المساعدات من الطعام والشراب والمبيت، وإن اختلفت من موضع إلى آخر، أمثال تكريت، نصيبين، دعوات، معرة النعمان، الرستن، وبعبك. ويُعدّ هذا تجاوزاً للدين والأخلاق الاجتماعية والإنسانية، لأنّهم عاشوا التضليل الأموي ضد آل البيت مدّة ليست بالقصيرة، بعد أن تولّى معاوية بن أبي سفيان الإمارة في دمشق سنة ١٧هـ / ٦٣٨م، والذي نهج سياسة عدائية ضد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).^(١)

ومن سكّان هذه المدن والقرى مَنْ كان على عكس أولئك، حيث كان يعرف الحقيقة ومرارتها، أو عرفها من خلال اطلاعه عند مرور قافلة سبايا آل البيت (عليه السلام)، فكان موقفهم الشجب والاستنكار، ولم يظهر منهم أي تأييد للأمويين على فعلهم المشين هذا، الذي وصل إلى حدّ التجاوز على أمراء بني أميّة وأعوانهم، ولم يقدّموا لهم شيئاً، بل قاتلوهم ولم يسمحوا لهم بدخول مدنها أو قراهم، وهذا ما حصل في الموصل، ولينا، وحلب، وقنسرين، وشيزر، وكفر طاب، وسيبور، وحماة وحمص. ومردّ هذه المواقف هو الثبات على مبادئ الإسلام.

أمّا مواقف النّاس من غير المسلمين فقد كان واضحاً بالرفض والاستنكار لأفعال بني أميّة في قتلهم للإمام الحسين (عليه السلام) وأهله وأنصاره وسبي عياله، فكان موقف نصارى تكريت واضحاً، فما أن عرفوا بأنّ الرأس هو رأس الإمام الحسين (عليه السلام) حتى منعوا أمراء الجيش وأفراده من دخول المدينة، وأعلنوا حالة الحداد بضرب النواقيس، وكذلك موقف صاحب الصومعة في بلاد الشام بعد أن أخذ

(١) عن هذه السياسة الأموية العدائية ضد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُنظر: علي رحيم، السياسة الأموية المضادة للإمام علي (عليه السلام) دراسة في سياسة السبّ: ص ٣٦-١١٥.

الرأس الشريف بات يبكي عليه، وقبل أن يرجعه إلى أمراء القافلة تشهّد بالشهادتين وأشهر إسلامه، وجرى الفعل نفسه من قبل اليهودي في قسرين، حيث أخذ الرأس ونظفه وعطّره، ونطق الرأس الشريف عنده، فكان ذلك سبباً لإسلامه.

ولم يتعظ بعض أهالي المدن والقرى بالكرامات التي حصلت للإمام الحسين عليه السلام، كنقطة الدم من الرأس الشريف في الموصل، وعدم دخول الفارس الذي كان يحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى مدينة نصيبين، وكذا نقطة الدم التي سالت من الرأس على سفح جبل الجوشن في حلب، والتي بُني عليها مشهد، فضلاً عن بناء مشهد السقط أو الدّكة، الموضع الذي أسقطت فيه إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام حملها على السفح ذاته.

ثمّ بدأت مرحلة جديدة لسبايا آل البيت عليهم السلام أكثر قسوة ومعاناة، وذلك عند وصولهم مدينة دمشق، ودخولها بعد الدوران حول سورها، واستعراضهم في شوارعها وأسواقها، وحشود النّاس المتفرّجين عليهم، الذين يبدون فرحهم وسرورهم أيضاً، ثمّ دخولهم إلى مجلس يزيد بن معاوية في قصره، والذي ضمّ عدداً من مشايخ دمشق وأعوانه من أمراء الجيش، وسفراء بعض الدول الذين صادف وجودهم وصول سبايا آل البيت عليهم السلام، فضلاً عن رجال من اليهود والنصارى، حيث كان يزيد مسروراً منتعشاً بزهوّه وبنصره المزعوم، وما أن قدّم أمامه الرأس الشريف حتى نكت ثنايا الإمام الحسين عليه السلام على مرأى من أهل البيت عليهم السلام، واستنكر فعل يزيد هذا من قبل عدد من الحضور، بعضهم من صحابة الرسول صلّى الله عليه وآله.

كلّ هذا حصل لسبايا آل البيت عليهم السلام، فزادهم معاناة فوق معاناتهم، وكأنهم ليسوا هم آل بيت النبي صلّى الله عليه وآله الذي أرسل رحمةً للناس جميعاً.

وعندما أُذن لهم بالدخول إلى مجلس يزيد بن معاوية دارت حوارات عديدة بينهم

٣٣٠ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

وبين يزيد، من قبيل الحوار الذي دار بين يزيد والإمام علي بن الحسين (السجاد) (عليه السلام)، وكذا بينه وبين السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)، فضلا عن حوارات أخرى بينه وبين بعض الحضور في المجلس، وهذا ما ستحدث عنه في الفصل القادم.

الْفَضْلُ الرَّائِعُ

سبایا آل البيت علیهم السلام

في مجلس يزيد بن معاوية

المبحث الأول: الأحاديث الأولى لسبایا آل البيت علیهم السلام مع يزيد في مجلسه

المبحث الثاني: خطبة السيدة زينب بنت علي علیهما السلام في مجلس يزيد

المبحث الثالث: خطبة الإمام علي بن الحسين (السجاد) علیهما السلام في مجلس يزيد

المبحث الرابع: أصداء الرفض لفعل يزيد بن معاوية

المبحث الأول

الأحاديث الأولى لسبايا آل البيت عليهم السلام مع يزيد في مجلسه

لقد كان لسبايا آل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد بن معاوية مواقف عبّرت عن صلابة المبادئ والإيمان بها والثبات عليها، رغم قتل أعزّتهم من ذويهم، ومن ثمّ سبيهم في طريق طويل، عاشوا فيه أياماً مرّة، مرّت عليهم ثقيلة، بضربهم والإسراع في مشيهم، ومنعهم من الكلام، وربطهم بالحبال، والتشهير بهم من موضع إلى آخر، وأذاقوهم من التعب والجوع والعطش ما يصعب تحمّله؛ إذ لا وجود لناصر أو حامٍ من الرجال، وزاد على هذا الذي جرى على سبايا آل البيت عليهم السلام استعراضهم في مدينة دمشق، حاضرة الحكم الأموي، في شوارعها وأسواقها، يتفرّج عليهم النّاس فرحين في ازدحام شديد لم يُر مثله. وهدف بني أميّة من ذلك هو القضاء على بيت النبوة الذي يشكّل حاجزاً منيعاً أمامهم لا يمكن تجاوزه، ليستطيعوا ممارسة أفعالهم البعيدة عن الإسلام بحرية؛ إذ لا مانع ولا رادع، ومن ثمّ سيمثل بنو أميّة الإسلام بصورته الأموية، وهنا على الإسلام السلام.

لقد دخل الأمراء المصاحبون لقافلة سبايا آل البيت على يزيد بن معاوية، وأخبروه بخبر الانتصار على الإمام الحسين عليه السلام وقتله، وقتل أصحابه وسبي عياله،

وتنفيذ أوامره بحمل كل ما تبقى من عائلة الحسين ورؤوس القتلى إليه، بما فيهم رأس الإمام الحسين (عليه السلام).^(١)

وقد سمعت هند بنت عبد الله^(٢) حديث الأمراء مع زوجها يزيد بن معاوية، فتقنعت بثوبها وخرجت إلى مجلس يزيد، فقالت: «يا أمير المؤمنين رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟! قال: نعم فأعولي^(٣) عليه، وحدي^(٤) على ابن بنت الرسول وصريحة^(٥) قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله»^(٦).

وبعد استعراض سبايا آل البيت في شوارع وأسواق دمشق، والذي امتد من الصباح الباكر إلى ما بعد الظهر، مع ما صاحبه من التعب الشديد للسبايا؛ وصلوا درج باب المسجد الجامع، وأوقفوا هناك إلى أن أذن يزيد بن معاوية للأمراء بإدخال السبايا إلى مجلسه للتفرج عليهم، والذي ضم أعداداً من الناس، من زعماء الشام من بني أمية وغيرهم، وأمراء الجيش، وسفير دولة الروم الذي صادف حضوره يوم

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٢١٢؛ ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من القسم غير المطبوع: ص ٨١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤.

(٢) هي هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس العشمية القرشية، وقيل: إن اسمها فاختة بنت عبد الله بن عامر، وتكنى أم كلثوم، وهي زوجة يزيد بن معاوية وأم ابنته عاتكة، ولما قُتل الحسين بن علي أكبرت قتله وأقامت عليه المناحة. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٧٠، ص ٤، ١٦٦. تفاصيل أوسع يُنظر: صبيح نوري خلف، نساء البيت الأموي: ص ٢١٨.

(٣) هو الصباح مع البكاء، والمعول عليه، الذي يبكي عليه من الموتى. الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية: ص ١٠٧؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٣٢١.

(٤) هو حزن المرأة عند موت زوجها، ولبس ثياب الحزن وترك الزينة. الزمخشري، أساس البلاغة: ص ١٥٨؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ١، ص ٣٥٢.

(٥) هو الصريح من الرجال، المحض الحسب. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١١٥؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٣٤٧.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢١٩؛ صبيح نوري خلف، نساء البيت الأموي: ص ٢١٨.

دخول سبايا آل البيت في هذا المجلس^(١)، وبعض الزعماء من الأديان اليهودية والنصرانية^(٢)، وكان بعضهم له مواقف في اعتراضه على فعل يزيد الدموي.

لقد حرص يزيد بن معاوية على أن يظهر أمام الجالسين في مجلسه بأنه يتمتع بكامل هيئته وقوته وصحيح فعله، من خلال ما حققه من إنجازات بقتله الإمام الحسين عليه السلام وقتل أصحابه وسبي عياله، إلا أن ردود سبايا آل البيت عليهم السلام على يزيد قد بددت تلك الهبة والقوة، ولا سيما ردود علي بن الحسين عليه السلام وعمته السيدة زينب بنت علي عليها السلام، والتي شكّلت استمراراً للثورة الحسينية، فقد أظهرت تلك الردود الحق، ودافعت عنه، وتحدّت ظلم يزيد المتربّع على عرشه، مع علمهم بأنّ ليس له رادع من دين أو عقل، ومع ذلك فلم يخافوا منه ولا من بطشه، إذ إنّ حرسه المحيطين به ينفذون أوامره بكل سرعة، وبدون تردد أو تأمل أو تعقل، ومع ذلك فإنّ يزيد لم يتجرأ على الردّ ردّاً قوياً على علي بن الحسين عليه السلام وعلى السيدة زينب بنت علي عليها السلام، أو يأمر بفعل ما ضدهم؛ وذلك لضعف حججه، وحجم سوء فعله وذنبيه، وخشيته من ردود الأفعال ضده.

فلما أراد أعوان يزيد إدخال ثقل الإمام الحسين بن علي عليه السلام - من النساء وما بقي من أهل بيته، منهم أحد عشر غلاماً، والإمام علي بن الحسين^(٣) - على يزيد بن معاوية في قصره بدمشق، أتوا بحبال وربطوهم بمد تلك الحبال من عنق علي بن الحسين إلى عنق عمته أمّ كلثوم بنت علي، ومن كتف زينب بنت علي إلى كتف ابنة

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٤، ص ٢٧.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٥٣؛ الراوندي، الخرائج والجرائع: ج ٢، ص ٥٨١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٩٠؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٣.

(٣) ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٥، ص ١٣١.

أخيها سكينه بنت الحسين وبقية السبايا، وبعد إكمال ذلك ساقوا الجميع باتجاه قصر يزيد بن معاوية، وكانوا يضربونهم عند تأخيرهم في المشي، حتى أوقفوهم أمام يزيد وهو جالس على سرير الملك في قصره، وهم مقرنون بالحبال، فقال علي بن الحسين ليزيد: «ما ظنك بجَدِّنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة؟! فبكى الحاضرون، فأمر يزيد بالحبال فقطعت»^(١).

إنَّها صورة حال سبايا آل البيت (عليه السلام) المأساوية، يُقاد علي بن الحسين وعمَّاته وأخواته وبقية الأسرى والسبايا من الصغار والكبار، بعد أن رُبطوا بالحبال من عنق إلى آخر، ومن كتف إلى آخر، ويضربونهم كلما قصَّروا في مشيهم، بل ولأي سبب كان، ليدخلوهم على يزيد الذي صوَّره بعضهم بأنَّه يذرف الدموع على قتل الحسين، في حين لم يحرك ساكناً ويأمر برفع الحبال، إلَّا بعد أن كلَّمه علي بن الحسين عن حال السبايا. ويبدو أنَّ ربطهم بالحبال هذا كان يوم استُعْرِضوا في دمشق، وهو غير ما ربطوا به بالحبال على مطاياهم في أثناء سيرهم في السبي من الكوفة إلى دمشق. ثمَّ إنَّ الحضور ما إن عرفوا بأنَّ هؤلاء سبايا آل البيت (عليه السلام) - من خلال حديث علي بن الحسين مع يزيد - ضجَّوا بالبكاء. ولَمَّا نظر يزيد بن معاوية إلى السبايا - عند حضورهم بين يديه - بدأ يسأل مَنْ هذه؟ ومَنْ هذا؟ فأجيب بإسم كلِّ واحد أو واحدة سأل عن اسمه أو اسمها^(٢).

وكانت السيِّدة فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) من بين السبيَّات اللاتي أدخِلن مجلس

(١) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٣؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٢؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٤؛ فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٧٣؛ جعفر عباس الحائري، بلاغة الإمام علي ابن الحسين: ص ٢٥١.

(٢) فخر الدين الطريحي، المنتخب: ص ٤٧٣؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤٥٧.

يزيد - كما هو معلوم - إلى جانب عمّاتها وأخواتها وبقيّة النساء، وبينما هي جالسة قام رجل شامي أحمر كان من بين الحضور - بما أنّ هذه النسوة هنّ سبايا، كما روج الإعلام الأموي بذلك - فطلب من يزيد قائلاً: «يا أمير المؤمنين هَب لي هذه الجارية، فخافت فاطمة بنت الحسين من قول هذا الرجل، فلاذت بعمّتها زينب؛ لتحتمي بها آخذةً بثيابها، وزينب تعلم أنّ هذا لا يكون لهم، فردّت على الرجل الشامي قائلةً: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له، فردّ يزيد غاضباً: كذبت إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت، فقالت زينب: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها، فأزداد غضب يزيد ورد على زينب قائلاً: إِيّاي تستقبلين بهذا؟! إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت له زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً، قال يزيد: كذبت يا عدوّ الله، فقالت له: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسطانك، وعندها استحيا وسكت. وأعاد الشامي طلبه، فزجره يزيد بقوله: أعزب^(١) وهب الله لك حتفاً^(٢) قاضياً^(٣)»^(٤).

وأشار مؤرّخون آخرون بأنّ البنت التي طلب الرجل الشامي من يزيد بن معاوية بأن يهبها له هي فاطمة بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وليست فاطمة بنت الحسين^(٥).

-
- (١) أي أبعد. يُنظر: الجوهرى، الصحاح: ج ١، ص ١٨١؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٢٢٦.
- (٢) جمعه الختوف، الموت، ومات فلان حتف أنفه، إذا مات من غير قتل. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٣٨؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٧٢.
- (٣) القضية أي الموت. يُنظر: ابن سيده، المخصّص: ج ٢، ص ١٢٢؛ الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٧٧٥.
- (٤) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٩؛ الطبرسي، أعلام الورى: ج ١، ص ٤٧٥؛ الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٨؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٥.
- (٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٣؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١١.

لقد وُضِعَ رأس الحسين (عليه السلام) في طشت من ذهب أمام يزيد بن معاوية، وأجلس النساء خلفه كي لا ينظرن إلى الرأس^(١)، ولكن عندما رأت النساء رأس الإمام الحسين (عليه السلام) صحنَ وصاحت نساء يزيد أيضاً^(٢)، وعرضت له بقية رؤوس القتلى، رأساً رأساً، ويزيد يسأل رأس من هذا؟ فيُخبر عنه، ويُعرّف به^(٣).

وقيل: إنَّ يزيد بعد أن انفَضَّ مجلسه بعث برأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى نسائه، فأخذته بنت له تُدعى عاتكة^(٤)، فغسلته ودهنته وطيّته، فقال يزيد لها: «ما هذا؟» قالت: بعثت إليّ برأس ابن عمّي شعثاً، فلممته وطيّته^(٥).

ووجهت السيّدة زينب بنت علي (عليه السلام) كلامها إلى يزيد قائلة: «يا يزيد، أما تخاف الله ورسوله من قتل الحسين؟! وما كفّاك ذلك حتى تستجلب بنات رسول الله من العراق إلى الشام؟! وما كفّاك حتى تسوقنا إليك كما تُساق الإماء على المطايا بغير وطء؟! وما قُتل أخي الحسين أحدٌ غيرك يا يزيد، ولولا أمرُك ما يقدر ابن مرجانة أن يقتله؛ لأنّه كان أقلّ عدداً وأذلّ نفساً، أما خشيت من الله بقتله، وقد قال رسول الله فيه وفي أخيه: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين؟! فإن قلت لا،

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٠؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمّة: ج ٢، ص ٨٣٦.

(٣) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٦٢.

(٤) عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمّها فاختة بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وكنيتها أمّ كلثوم، أمّ البنين الأموية، وهي زوج عبد الملك بن مروان، وأمّ يزيد بن عبد الملك، وإليها تنسب أرض عاتكة، خارج باب الجابية، وكان لها بها قصر، وبه مات عبد الملك بن مروان. يُنظر: ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ٣١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٧، ص ٣١٠.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٤.

فقد كذبت، وان قلت نعم، فقد خصمت نفسك، واعترفت بسوء فعلك. فقال يزيد: «ذرية يتبع بعضها بعضاً، وبقي يزيد خجلاً ساكتاً»^(١).

كأن في كلامها (عليها السلام) ردّاً على محاولة يزيد إلقاء اللوم على ابن زياد، فهنا تؤكد السيّدة زينب (عليها السلام) على أنّه هو الذي أمر ابن زياد، فكلاهما شريكان في أمر القتل. إنّ وضع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في طشت أمام يزيد بن معاوية في مجلسه، قد أثار نفوس سبباي آل البيت (عليهم السلام) ولا سيما السيّدة زينب بنت علي (عليها السلام) فانبرت توضّح لحضور المجلس في مخاطبتها يزيد بن معاوية وتؤنّبه على أفعاله، دون أن تكثر بحاجز الخوف الذي وضعته السلطة من إجراءات على الناس، بحيث ركّزت في كلامها على التعريف بهؤلاء السبباي وصلّتهم برسول الله تعالى، وأنّهم ليسوا من الخوارج، كما روجت لذلك أبواق الإعلام الأموي. ثمّ وجهت السيّدة زينب (عليها السلام) عدداً من الأسئلة وضعت يزيد في زاوية حرجة، حيث وجّهت إليه لوماً لا ذعاً ومتواصلاً، من قتله للإمام الحسين، وزيادة على ذلك جلبه بنات الرسالة المحمّدية سبباي من الكوفة إلى دمشق.

كما فنّدت السيّدة زينب بنت علي (عليها السلام) ادعاءات يزيد، وتنصّله من قتل الحسين وتحميل ابن زياد مسؤولية ذلك، حيث أكّدت السيّدة زينب على أنّ ابن زياد لم يكن إلّا منفذاً لأوامر سيده يزيد، ولم يكن بمقدور ابن زياد فعل ذلك من تلقاء نفسه؛ لقلة عدده وضعف نفسه. وذكرت الحضور في المجلس بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) في الحسن والحسين وسيادتهما الشباب في الجنة.

وهنا لا يمكن ليزيد أن يتنصّل عن جريمته، فهي الخصومة للنفس وسوء الفعل، ممّا جعل يزيد يفضل السكوت؛ إذ لم يجد جواباً لما ذكرته السيّدة زينب.

(١) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٩٢.

وعندما وضع رأس الحسين في طشت من ذهب أمام يزيد، أخذ ينكت بقضيبه ثغر^(١) الحسين، وأنشد أبيات الحصين بن الحمام المري^(٢):

نفلق هاماً من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلماً
أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أياننا تقطر الدما^(٣).

فقال يحيى بن الحكم^(٤) وكان جالساً مع يزيد:

هام بأدنى الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
أمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها من نسل
فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم، وقال: أسكت^(٥).

(١) يقصد به الفم، أو الاسنان كلها. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ١٠٣؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٦، ص ١٤٦.

(٢) هو أبو يزيد الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام المري... إلى أن يصل في نسبه إلى مضر بن نزار، وهو سيد بني سهم بن مرة، وأمه صرقله بنت ضيم بن عوف وترجع إلى قضاة، وكان يُقال له مانع الضيم. يُنظر: أبو القاسم الحسن، المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء: ج ١، ص ١١٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ج ١، ص ٢٥٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٣، ص ٥٧؛ رزق الله بن يوسف، شعراء النصرانية: ج ٥، ص ٧٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٥، ص ٣٩٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٥، ص ٣٨١؛ الكامل: ج ٤، ص ٨٥.

(٤) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وكنيته أبو مروان، وهو أخو مروان ابن الحكم، سكن دمشق، ولّاه ابن أخيه عبد الملك بن مروان المدينة المنورة عام ٧٦هـ / ٦٩٥م لمدة قصيرة، بعد نقل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق، ثم تولى حمص، ولم تُعرف السنة التي تُوفي فيها. ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢٥٢؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ج ٢٢٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٤، ص ١١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ١٤٩.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٣، ص ٢٦٠؛ المجلسي،

ثم أقبل على أهل المجلس وقال لهم: إن هذا - يعني الحسين بن علي - كان يفخر عليّ ويقول إن أبي خير من أب يزيد، وأمّي خير من أمّ يزيد، وجدّي خير من جدّ يزيد، وأنا خير من يزيد، فهذا هو الذي قتله، فأما قوله: بأنّ أباه خير من أبي فقد حاجّ أبي أباه، وقضى الله لأبي على أبيه، وأما قوله بأنّ أمّه خير من أمّ يزيد، فلعمري لقد صدق، إنّ فاطمة بنت رسول الله خير من أمّي، وأما قوله بأنّ جدّه خير من جدّي، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول أنّه خير من محمّد، وأما قوله بأنّه خير منّي فلعله لم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). ثمّ دعا بقضيب خيزران، فجعل ينكت به ثنايا الحسين وهو يقول: لقد كان أبو عبد الله حسن المضحك^(٢)، وأنشد الشعر.

لقد قرأ يزيد بن معاوية أبياتاً كثيرة من الشعر أمام مجلسه، يُمجّد نصره بقتل الحسين بن علي، منها هذه الأبيات:

يا غراب البين ما شئت فقل	إنّما تندب أمراً قد فعل
كلّ ملك ونعيم زائل	وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل ^(٣)

بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣١.

(١) آل عمران: آية ٢٦.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٤؛ الطبطبائي، تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٤٢.

(٣) يُسمّى القنا أسلاً؛ تشبيهاً لطوله واستوائه، وتُسمّى الرماح أسلاً؛ لطولها. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣٠١؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٠٤.

لو رأوه لاستهلّوا فرحاً
لست من خندف^(١) إن لم انتقم
لعبت هاشم بالملك فلا
قد أخذنا من علي ثأرنا
وقتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه بيدر فاعتدل^(٣).
ثم قالوا يا يزيد لا تشل^(١)
من بني أحمد ما كان فعل
خبر جاء ولا وحي نزل
وقتلنا الفارس الليث البطل

وقد اختلف المؤرخون في نقل تلك الايات^(٤).

وأما ما قصده يزيد بن معاوية من بيت الشعر الذي تلاه وأن بني هاشم وخاصة
آل محمد قد لعبوا بالملك باسم الرسالة والنبوة، فهو ينفي نزول الوحي من السماء،
ومجيء خبر من الله تعالى إلى محمد.

وأشاع يزيد بين الناس - كما كان يفعل أبوه معاوية من قبله - أن انتصارهم في
الحروب يُعدّ دليلاً على أنهم على الحق، ولذلك فهم مؤيّدون من الله تعالى^(٥)،

(١) أي ذهاب اليد. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢١٨؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٣٧.

(٢) بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال، بعدها فاء، مشيئة كاهرولة للرجال والنساء، وصار لقباً اشتهرت به ليل بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، زوجة الياس بن مضر، لمشيئتها مهرولة، واشتهر بنوها بنسبتهم اليها دون أبيهم، لان الياس لما مات حزنت عليه حزناً شديداً، حيث هجرت اهلها ودارها وهامت على وجهها حتى ماتت. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٣٥؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج ٦، ص ٣٩٩.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص ١٣٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٨، ص ١٨٨؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩١؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٥-٦٦؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٥؛ الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٤٥.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٦٣؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ محسن الأمين، لوايح الاشجان: ص ٢٢٥.

وبسبب التغلب على خصومهم داخلهم التكبر والتجبر. إلا أن السيدة زينب بنت علي (عليه السلام) قد فندت هذا المعنى، وهزت هذه الصورة من الأعماق، وهي ترى ما يفعله يزيد برأس أخيها الإمام الحسين، من تحريكه شفثيه بقضيب في يده، مترنحاً بأبيات من الشعر، مما جعلها تتخذ أسلوباً عاطفياً مؤثراً جداً على من حضر في المجلس، فراح يبكي من كان في المجلس عندما رآها قد هوت إلى جيبها وشقته، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب: «يا حسينا، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكة ومنى، يا ابن فاطمة الزهراء وسيدة النساء، يا ابن بنت المصطفى»^(١). وفي قبال هذا لم يكن ليزيد موقف يذكر، بل ظل ساكناً^(٢).

ويلاحظ على هذه الرواية - مع إقرارنا بانفعالات المرء إزاء ما يصيبه من مدلهمات الزمان - أنها تبقى محل نظر وتأمل؛ لأنها لا تحاكي الشخصية العظيمة للسيدة زينب بنت علي، فضلاً عن أن حدوث ذلك هو مخالفة لوصية أخيها الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ليل العاشر من المحرم^(٣).

ويوضح ابن أعثم في إحدى رواياته ما يضمنه بنو أمية في قلوبهم تجاه آل بيت النبوة، إذ يقول: «فتقدم علي بن الحسين، حتى وقف بين يدي يزيد بن معاوية، وجعل يقول:

(١) الطبرسي الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٢١٢؛ محسن الأمين، لواعج الاشجان: ص ٢٢٢.

(٢) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٩٢؛ محمد أمين الأميني، مع الركب الحسيني: ج ٦، ص ١٥٤.

(٣) عن وصية الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) لأخته السيدة زينب في ليل العاشر من المحرم. يُنظر: اليقوي، تاريخ اليقوي: ج ٢، ص ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٩؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٤؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم: ج ٢، ص ٧٥؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٣٨.

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فإن الله يعلم أننا لا نحسبكم
فقال يزيد: صدقت يا غلام، ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، الحمد لله
الذي أذهلهم وسفك دمائهما.

فقال له علي بن الحسين: يا ابن معاوية وهند وصخر، لم يزل آبائي وأجدادي فيهم
الأمرة من قبل أن تلد، ولقد كان جدِّي علي بن أبي طالب يوم بدر وأحد^(١)
والاحزاب^(٢) بيده راية رسول الله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار، ثم جعل
علي بن الحسين يقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترقي وبأهلي بعد منقلبي منهم أسارى ومنهم صُرِّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
ثم قال علي بن الحسين: ويلك يا يزيد، إنك لو تدري ما صنعت، وما الذي
إرتكبت في أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي، إذا هربت في الجبال، وافترشت الرمال،
ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب
المدينة، وهو وديعة رسول الله فيكم. فأبشر بالخزي والندامة غداً، إذا جمع الناس في يوم
لا ريب فيه^(٣).

(١) أحد، وهو جبل وقعت عنده معركة بين المسلمين والمشركين عام ٣هـ / ٦٢٤م، وكان النصر فيها
للمشركين. يُنظر: الواقدي، المغازي: ج ١، ص ١٩٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢،
ص ١٨٧.

(٢) الأحزاب، معركة وقعت بين المسلمين والمشركين عام ٥هـ / ٦٢٦م، وتُسمى معركة الخندق
أيضاً؛ لأن المسلمين قد حفروا خندقاً حول المدينة المنورة ليمنعوا المشركين من دخول المدينة،
وكان النصر للمسلمين. يُنظر: الواقدي، المغازي: ج ١، ص ٤٤٠.

(٣) الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار:
ج ٤٥، ص ١٣٦؛ محسن الأمين، لواعج الشجان: ص ٢٢٥.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ علي بن الحسين عليهما السلام لم يخش ولم يتردّد في كلامه مع يزيد بن معاوية وهو في مجلسه العريض، بل أشار إلى ما يتّصف به آل البيت عليهم السلام من المحبة لا الكراهية في قلوبهم لكل المسلمين، دون التمييز بين واحد وآخر، بين الأسود والأبيض والأحمر، إلّا بأعماله وأفعاله الموافقة للدين الإسلامي، على عكس بني أمية، فإنّ حبّهم لمن لا يعارضهم في تولّيهم السلطة، ويقدم لهم خدماته، ويتفانى في ذلك، وكرههم لمن يريد لها ويبعدهم عنها، حتى لو كان ذلك بموجب الشرع الإسلامي. وأمّا يزيد فيرى أنّ ما حصل بين آل بيت النبوة عليهم السلام وبني أمية، هو الخلاف في من يقود الأمة الإسلامية، وهذا ما صرّح به لعلي بن الحسين عليهما السلام، بأنّ أباه وجدّه يطلبان الإمرة.

وهنا ذكره علي بن الحسين عليهما السلام بأنّ جدّه الأول هو النبي محمد صلّى الله عليه وآله قد بعثه الله تعالى رحمةً للناس كافة، وأنّ جدّه الثاني هو علي بن أبي طالب عليه السلام وصي النبي صلّى الله عليه وآله وأخوه قضى حياته مجاهداً في ظلّ راية الإسلام، وأنّ عمّه الحسن وأباه الحسين عليهما السلام هما سيّدا شباب أهل الجنّة وكفى، وهذا كلّ قبل أن يُولد يزيد. وأمّا أهله فهم صناديد الكفر والطغيان، وقد ضربتهم سيوف الإسلام، وكان أحدها سيف علي بن أبي طالب عليه السلام في بدر وأحد والأحزاب (الحنديق)، حتى دخلوا كُرْهاً في الإسلام، بعد أن قُتل من قُتل من كبارهم. ثمّ ماذا يكون جواب يزيد وأعوانه يوم القيامة عندما تجمع الضحايا وجزّاروها؛ لفعلهم بذرية النبي صلّى الله عليه وآله من قتل الرجال، وسبي النساء والأطفال؟! أهكذا تحفظ وديعة النبي صلّى الله عليه وآله؟! لكن هيهات؛ إذ لو وقف يزيد على فداحة فعله لهام على وجهه، واتّخذ من رمال الأرض فراشاً، ومن رياح السماء وعواصفها لحافاً؛ لهول ما ينتظره في الآخرة، حيث لا ندامة حينذاك، إنّما الخزي الأبديّ.

المبحث الثاني

خطبة السيدة زينب بنت علي عليه السلام في مجلس يزيد^(١)

لقد ردّت السيّدة زينب بنت علي عليه السلام على يزيد بن معاوية في مجلسه - كما أشرنا آنفاً - والذي دفعها في إلقاء خطبتها في المجلس؛ هو استمرار يزيد وتمّاديه في كفره وبشكل علني وأمام كلّ الحاضرين من المسلمين وغيرهم، وتصرفاته غير المتّزنة، شماتة وسروراً بقتل الحسين بن علي عليه السلام، والتي تُثير أشجان ومشاعر سبائا آل البيت عليهم السلام، ومنهم زينب بنت علي عليه السلام. فقد كشف يزيد عمّا في نفسه من أنّ قتله الحسين وسبي عياله هو انتقام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبدأ يردّد من الشعر أبياتاً لعبد الله بن الزبير^(٢) التي قالها بعد معركة أحد، منها:

(١) لا بدّ من التنويه هنا إلى أنّ خطبة السيّدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في مجلس يزيد قد نقلها كثير من المؤرّخين بألفاظ مختلفة، إلّا أنّها لا تختلف في معناها. يُنظر: ابن طيفور، بلاغات النساء: ص ٢١-٢٣؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥-٣٧؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ج ٦، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٨٠-٨١؛ حميد بن أحمد الحلي، الخدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية: ج ١، ص ٢١٨-٢٢٠؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٥-١٠٨.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وأمه عاتكة بنت عبد الله بن عمر ابن وهيب، وهو شاعر، كان يهجو أصحاب الرسول، ويحرّض بشعره المشركين على المسلمين، ويهجو الشعراء المسلمين أمثال شاعر الرسول صلى الله عليه وآله حسان بن ثابت، ويسير مع قريش حيث سارت في حربها مع الرسول. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ١، ص ٣٩١؛ الصفدي، الوافي

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا وأستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
حين ألفت بقناة بركها واستحروا القتل في عبد الأسل^(١)
ثم زاد على تلك الابيات بيتاً من عنده، فقال:

لستُ من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٢).

فعندما سمعت زينب (عليها السلام) ترديده هذه الأبيات، والتي يُصرّح فيها بعداوته للإسلام ونبيّه (صلى الله عليه وآله)، وعدم الإيثار برسالته، والأخذ بثأر أجداده القتل في بدر، وعبثه برأس الحسين (عليه السلام)، وعلى مسمع وأنظار من كان في المجلس، هنا وجدت زينب (عليها السلام) نفسها لا بدّ وأن تقوم بدور الردّ على تلك الإنتهاكات الباطلة، وتُعلن عن صيحة حقّ لم تسمعها من الحاضرين، وتفندّ كلّ إدّعاءاته بانتصاره المزعوم المسرور به، وبالتالي فإنّها أكّدت استمرار الثورة الحسينية التي رويت بالدماء الزكية وبالتضحّيات الكبيرة، والتي جعلت يزيد مهزوماً بمقاييس الحقّ ومبادئه، فوجّهت كلامها إليه وإلى من يسمع، فقد دمّرت عقيلة بني هاشم (عليهم السلام) في خطبتها جبروت الطاغية^(٣)، وألحقت به الهزيمة والعار، وعرفته أنّ دُعاة الحقّ لا تنحني رؤوسهم أمام الطغاة الظلمة^(٤).

بالوفيات: ج ١٧، ص ٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٦، ص ٥٨٩؛ محمّد أحمد درنيقة، معجم شعراء المدح النبوي: ج ١، ص ٢٠٤.

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ج ١، ص ٢٦٢؛ الراوندي، الخرائج والجرائع: ج ٢، ص ٥٨١؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ٣، ص ٢٦٠.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠.

(٣) يُنظر: ملحق رقم (٢)، ص ٤٦٧-٤٦٩.

(٤) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ج ٣، ص ٣٨٠.

ابتدأت السيدة خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية بحمد الله تعالى رب العالمين، ثم الصلاة على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين، وأكدت على أن الرسول صلى الله عليه وآله هو جدّها، وهي بهذا تريد تعريف الحاضرين بأنّ هذه العائلة التي قُتل رجالها وسُبيت وأسُرت نساؤها وأطفالها من قبل بني أميّة هي ذريّة رسول الله، لا من بلاد الكفر والشرك. فبينما كان يزيد بن معاوية يستشهد في كلامه بأبيات من الشعر، متفاخراً بما فعله من قتله ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسبي عياله، نجد السيدة زينب بنت علي عليه السلام تردّد عليه بأيّ من القرآن الكريم، وتذكّره العاقبة التي يؤول إليها كلّ شيء، فإنّ الذين أسأوا إلى أنفسهم بكفرهم بالله تعالى، والاستهزاء بآياته، وتكذيب رسله، وارتكابهم الذنوب، ومعاصي السوء؛ سيؤول حالهم إلى النار. وإنّ مفردة السوء التي وردت في الآية التي ذكرتها السيدة زينب بنت علي عليه السلام هي إحدى مسمّيات النار^(١).

وفي قول السيدة زينب عليه السلام: «أظننت^(٢) يا يزيد! حين أخذت علينا أقطار^(٣) الأرض وآفاق^(٤) السماء، وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى^(٥)»، نلاحظ أنّها قد خاطبت يزيد بن معاوية باسمه الصريح، فهي لم تخاطبه بكلمة: يا (أمير المؤمنين) أو: أيها (الخليفة)، أو بأي عبارة أخرى من العبارات التي تدلّ على منصبه؛ موضحةً بذلك عدم اعترافها بتبوّؤه هذا المنصب، وهذا هو رأي آل البيت عليه السلام في

(١) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٣٢؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ١٧٦.
 (٢) الظن، معروف، وقد يُوضَع موضع العلم، والظنّ يدلّ على معنيين مختلفين، يقين وشك.
 الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢١٦٠؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٤٦٢.
 (٣) أقطار، ومفردها قطر، الناحية، وجمعها النواحي والأطراف. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٩٥؛ الحري، غريب الحديث: ج ٣، ص ٩٧٢.
 (٤) آفاق، ومفردها أفق، أي الناحية، وجمعها نواحي. يُنظر: فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٣٥؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٣، ص ٦.
 (٥) الأسارى، ومفرده الأسير، أي المسجون، ويُقال: إنّ فلاناً أسر فلاناً، أي شدّه وثاقاً. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٢٩٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ١٩.

يزيد ومعاوية ومنصبهما، ومن جاء بعدهما من بني أمية؛ لأنه لا يستند إلى مستند شرعي، ليس بنظر آل البيت وحسب، بل عند المسلمين، لأنهما من أبناء الطلقاء^(١).
ثم بينت السيّد زينب حال سبايا آل البيت (عليه السلام) وهم يقطعون طريق السبي من الكوفة إلى بلاد الشام، من المعاناة والضيق والحصار الذي فرض عليهم، في مختلف مواضع الأرض ونواحيها التي مروا بها، فضلاً عن نواحي السماء، وهو تعبير مجازي يدلّ على مدى المعاناة التي عاشها سبايا آل البيت (عليه السلام)، لأنّ يزيد لم يكن بإمكانه أن يتصرّف بنواحي السماء، وهكذا جعلهم يعيشون في محنة قاسية لا تليق بهم، وكأنهم أسرى وسبايا الكفار جيء بهم من أحد مواضع الثغور التي يفتحها المسلمون عادةً في جهادهم.

وفي قولها: «أنّ بنا على الله هواناً»^(٢) وبك عليه كرامة^(٣)؟! وأنّ ذلك لعظم خطرك^(٤) عنده، فشمت بأنفك^(٥)، ونظرت في عطفك^(٦) جذلان^(٧) مسروراً، حين رأيت الدنيا

(١) لمزيد من التفاصيل عن مصطلح الطلقاء ومفهومه وأحداثه يُنظر: فاطمة عبد سعيد، الطلقاء دراسة في المعنى وإشكالية القراءة التاريخية: ص ٧٩-٧٠.

(٢) الذّلّ والخزي. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ٤٣٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٨، ص ٥٩١.

(٣) أي العزة والمنزلة الرفيعة. يُنظر: فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٥٣؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٧، ص ٦١٣.

(٤) أي علوّ المنزلة. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٢١٣؛ الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٦٤٨.

(٥) أي رفع الانف عزا وتكبّراً. يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٢٧.

(٦) نظرت في عطفك، العطف بكسر العين، هو جانب البدن، والإنسان المعجب بنفسه، ينظر إلى جسمه وملابسه بنوع من الأنانية وحبّ الذات والغرور. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٣، ص ١٧٦.

(٧) أي الفرح. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٩٤؛ الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٦٥٤.

لك مستوسقة^(١) والأمور متسقة^(٢)، وحين صفا^(٣) لك ملكنا وسلطاننا».

أشارت السيدة زينب في لوحة حسية إلى يزيد، ومثلت المعاني التي ذهب إليها من غرور واستعلاء واعجاب بالنفس في اعتقاده لما رأى آل بيت النبوة مغلوبين، ووجد الغلبة والظفر لنفسه؛ أن له عند الله تعالى جاهاً وكرامة، وأن ليس لأهل البيت مكانة وجاه إلا الذل والخزي، ولذلك كانت له الغلبة والنصر عليهم حتى قتل رجالهم، وسبى نساءهم، حيث كان كل الذي حصل بعين الله، وهو دليل - بزعمه - على علو منزلته عند الله تعالى، مما جعله يشعر بالعز والتكبر، وينظر بنوع من الأنانية والغرور، حين رأى الدنيا له مجتمعة، والأمور لديه منتظمة. كما أن نجاح خطته في القضاء على خصمه الشرعي ابن بنت النبي وسبي نسائه جعله يتباهى بملكه وسلطانه، إلا أنه تناسى أن ما ادّعه لنفسه إنما أخذه غصبا؛ لأن الجميع يعلم أن حق خلافة رسول الله هو في أهل البيت عليه السلام.

ثم أرادت السيدة زينب أن توضّح ليزيد ما كان عنه غائباً، بأن الأمر ليس كما يعتقد أو يظن، وليس تسرعه في العمل أو في إبداء رأيه صحيحاً منه، فلا بد من التمهّل وعدم العجلة، فوضّحت له حقيقة الأمر^(٤)، ثم ذكرته بهذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٥)، أي يطيل الله تعالى لهم المدة^(٦)، أو يطيل أعمارهم، ويجعل الساحة مفتوحة أمامهم، إنما يطيل أعمارهم ومدة سلطتهم وحكومتهم؛ لتكون

(١) مستوسقة، مجتمعة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٥، ص ١٨٥.

(٢) متسقة، منتظمة، أي كما تريد. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٨١؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٤٦.

(٣) صفا، تصافينا، اصطفيته، أخترتة. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ١٦٣؛ الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٠٢.

(٤) الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٥٧؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٦٣٣.

(٥) آل عمران: آية ١٧٨.

(٦) الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٣٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ٢٩١.

عاقبة أمرهم هي ازدياد الإثم والمعاصي في سجلّ أعمالهم، ولهم عذاب مهين، أي: يجزيهم الله تعالى في جهنم عذاباً ممزوجاً بالإهانة والتحقير^(١). وفي قولها: «أمن العدل يا ابن الطلقاء^(٢)! تخديرك^(٣) حرائك^(٤) وإمائك^(٥)، وسوقك^(٦) بنات رسول الله سبايا؟! قد هتكت^(٧) ستورهن^(٨)، وأبديت وجوههنّ، يحدى^(٩) بهنّ من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ^(١٠) أهل المناهل^(١١) والمناقل^(١٢)، ويتصفّح^(١٣) وجوههنّ القريب والبعيد،

-
- (١) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ٨٩.
 (٢) الطلقاء، ومفردها طليق، وهو الأسير الذي فكَّ عنه أسرُه وأُطلق سراحه. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١٠٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٢٧.
 (٣) الخدر، يُقال خدر البنت، الزامها الخدر، أي أقامها وراء الستر. الزمخشري، أساس البلاغة: ص ٢١٧؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٩٦.
 (٤) الحرائر، ومفردها حرّة، وهي نقيض الأمة ذات العبودية. ابن قتيبة، غريب الحديث: ج ٢، ص ٨١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ١٨١.
 (٥) إماء، ومفردها أمة، وهي المرأة ذات العبودية. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٤٣١.
 (٦) سَوَق، يُقال ساق الماشية، حثّها على المسير من الخلف. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج ١٣، ص ٢٣١.
 (٧) هتكت، اهتكت أن تجذب سترًا، وتشقّ منه طائفة وتقطعها، فيبدو ما وراءه منه. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٣٧٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٣، ص ٦٦٨.
 (٨) ستور، ومفردها ستر، والمرأة الستيرة، ذات ستارة، وسترة ما أسترّت به، والسترة، ما سُرّ الوجه به. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٢٣٦؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٦، ص ٤٩٥.
 (٩) أي يحدى الإبل ويسوقها، زاجراً لها من الخلف، ومغنياً لها. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٣٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٦٨.
 (١٠) يستشرف، رفع الرأس للنظر إلى شيء. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٥٣؛ التفتازاني، مختصر المعاني: ص ٣٥.
 (١١) المناهل، ومفرده منهل، وهو موضع الماء الذي ينزل عنده المسافرين للتزود منه. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٥١؛ ابن سيده، المخصّص: ج ٢، ص ٩٧.
 (١٢) المناقل، ومفردها منقل، وهو الطريق عبر الجبال. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ١٠.
 (١٣) يتصفّح، يتأمل. الزبيدي، تاج العروس: ج ٤، ص ١٢٢.

والدني^(١) والشريف، ليس معهم من رجاهنّ ولي^(٢)، ولا من حماهنّ حمي^(٣).
 أمّا هدف السيّدة زينب بنت علي عليه السلام من قولها: «أمن العدل يا ابن الطلقاء» فإنّها تريد أن تُذكّر يزيد بموقف الرسول صلّى الله عليه وآله مع مشركي قريش، ومنهم عدد من رجالات بني أميّة، عند فتح مكّة عام ٨هـ/٦٢٩م، والذي اتّخذ طابع العفو والسماح، بالرغم من أنّ المشركين كان موقفهم من الإسلام والمسلمين عدائيّاً، وكان بإمكان الرسول صلّى الله عليه وآله أن يتّخذ الإجراء المناسب مع المشركين الذي يقرّه الشرع الإسلامي، وكان من البارزين منهم أبو سفيان صخر بن حرب، وهو جدّ يزيد بن معاوية، وقد سعى لتحيّض قريش لمحاربة الإسلام في عدّة حروب ضدّ الرسول صلّى الله عليه وآله والمسلمين^(٤)، إلّا أن الرسول صلّى الله عليه وآله عند دخوله مكّة ومع ما بدر من أهل مكّة وخاصّة من أبي سفيان وأمّثاله، التفت إليهم قائلاً: «يا معشر قريش، ما ترون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٥)، وكان فيهم أبو سفيان وابنه معاوية، وبما أنّ يزيد هو ابن معاوية وحفيد أبي سفيان، لذلك أطلقت عليه السيّدة زينب (ابن الطلقاء)، تذكّره بذلك بجده وأبيه، ولتبينّ له ولمجلسه ماذا فعل جدّها رسول الرحمة بأجداد يزيد من العفو والسماح، وماذا فعل أحفاد الطلقاء بأحفاد الرسول من القتل، وأي قتل؟! إنّهُ القتل الجماعي للكبار والصغار، والسبي، وأي سبي؟! إنّهُ سبي لآل بيت

(١) الدني، ويقصد به الرجل الخفيف، الحقيق، وجمعه أدنياء. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ١٥٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٥، ص ٤٠٦؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٢٠، ص ٣١١.

(٣) حمي، الدفع عن شيء، ورجل حمي، لا يحتمل الضيم. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٣١٢؛ الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٣١٩.

(٤) الواقدي، المغازي: ج ١، ص ١٢١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣٣٧؛ البيهقي، السنن الكبرى: ج ٩، ص ١١٨؛ ابن عبد البر، الاستذكار: ج ٥، ص ١٥٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج ٣، ص ٥٧٠.

الرسول ﷺ من النساء الثواكل والصبيان اليتامى من الطف إلى الكوفة وإلى دمشق. إن يزيد يخلو من صفة العدل، ولا يُرجى منه ذلك، إلا أن السيدة زينب بنت علي (عليه السلام) أرادت منه أن يكون عادلاً ما دام تصدّى للمسؤولية، وبالتالي كيف سوّلت ليزيد نفسه أن يعرض بنات الرسالة وعقائل النبوة ومخدرات الوحي إلى كشف سترهنّ، ويكنّ محطّ نظر وتأمل النّاس الأجانب إلى ملامحهنّ، بمستوياتهم المختلفة داخل المدن عند استعراضهنّ، أو في طريق السبي الطويل من بلد إلى آخر، مروراً بالطرق الجبلية، ومواضع المياه التي تتزوّد منها القافلة، مع التشهير بهنّ، وقد كنّ لا يرى أحد لهنّ ظلاً، وفي الوقت الذي يحافظ يزيد على ستر نسائه وإمائه الساكنات في قصره، ولا تراهن عيون الغرباء، وسيقت نساء آل البيت بطريقة مذلّة، وحثهنّ على السير مسرعين بقوة من الخلف، ومع هذا الحال المرّ لا يوجد لهنّ من الرجال أحد، لتدبير شؤونهنّ وحمايتهنّ من الأعداء، ودفع الأخطار عنهنّ؛ لأنّهم كلّهم قد قُتلوا في الطفّ، ولم يبق إلا عدد من الصبيان، والإمام علي بن الحسين (عليه السلام) الذي كان مريضاً. وكلّ هذا الذي جرى إنّما هو بأمر يزيد وبإشراف أعوانه، الذين أغدق عليهم بجوائزه؛ ممّا جعلهم يتسارعون فيما بينهم لتنفيذ أوامره.

وفي قولها (عليه السلام): «وكيف ترجى^(١) المراقبة^(٢) ممّن لفظ^(٣) فوه^(٤) أكباد السعداء،

(١) ترجى، رجو، الرجا، نقيض اليأس، وهو الأمل. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ١٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس ج ١٩، ص ٤٤٧.

(٢) المراقبة، وهي رقب الله في أمره، أي أخافته. الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ١٣٧؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٤٢٧.

(٣) لفظ، هو أن ترمي بشيء كان في فيك. ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٤٦١؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ٤٩٢.

(٤) فوه، الفم أصله فوه، والجمع أفواه، والفعل فاه يفوه فوها، إذا فتح فمه للكلام. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٥٩.

ونبت^(١) لحمه بدماء الشهداء»، أشارت السيِّدة زينب (عليها السلام) إلى أن يزيد قد خلا قلبه من الخوف من الله تعالى، ولا يتوقَّع منه غير ذلك؛ لأنَّه امتداد إلى سلوكيّات ما حدث في معركة أحد بين المسلمين ومشركي قريش، ومعهم أبو سفيان جدّه، وقد استشهد في هذه المعركة الحمزة بن عبد المطلب^(٢) عمّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، حيث جاءت هند بنت عتبة^(٣) - أم معاوية وجدّة يزيد، التي كانت حاضرة في معركة أحد - إلى جسد الحمزة بعد أن سقط شهيداً، وشقّت بطنه، وأخرجت كبده، وأخذت قطعة منه ووضعتها في فمها، وعضتها بأسنانها، وحاولت أن تأكلها^(٤)؛ بسبب حقدّها المتأجج في صدرها، لقتل أبيها وعمّها وأخيها في معركة بدر^(٥)، فماذا ينتظر من حفيد تلك المرأة من مواقف إزاء بيت النبوة رافعي رايات الإسلام؟! إلّا الحقد وارتكاب الجرائم الكبيرة بحقّهم.

-
- (١) النبت، الحشيش، والنبات فعله، ويجري مجرى اسمه، ترى الفتى ينبت إنبات الشجر. الفراهيدي، العين: ج ٨ ص ١٢٩؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٣، ص ١٤٢.
- (٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن عبد مناف، عم الرسول، وأمّه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وكنيته أبو عمار، وقيل: أبو يعلى، شهد مع الرسول (صلى الله عليه وآله) معركة بدر، وقُتل في معركة أحد. يُنظر: الطبراني، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١٣٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٦٩.
- (٣) هي هند بنت عتبة بن عبد شمس، العبشمية القرشية الكنانية، وهي إحدى نساء العرب اللاتي كانت لهنّ شهرة قبل الإسلام وفي ظله، وزوجها أبو سفيان صخر بن حرب، وولدها معاوية أبو يزيد، وأبوها عتبة بن ربيعة، من سادات قريش وكنانة، وقد قُتل مع المشركين في معركة بدر، وكانت تقدّم المشورة لابنها معاوية في الحكم والسياسة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٨، ص ٢٣٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ٢٥، ص ٦٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٤، ص ٨١؛ العيني، عمدة القري: ج ١٦، ص ٢٨٤؛ صبيح نوري خلف، نساء البيت الأموي ودورهنّ في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي: ص ١٨١.
- (٤) الواقدي، المغازي: ج ١، ص ٢٨٦؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٥، ص ١٣١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٧٢؛ ابن الأثير، أسد الغاية: ج ٢، ص ٤٧.
- (٥) ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٤٥٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ١٤٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٤، ص ٣٨٨؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٣، ص ١٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ١٢٥.

وفي قولها: «وكيف يستبطأ^(١) في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشف^(٢) والشتان^(٣) والإحن^(٤) والأضغان^(٥)؟! ثم يقول غير متأثم^(٦) ولا مستعظم^(٧):
لأهلّوا وأستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
منحياً على ثنايا^(٨) أبي عبد الله تنكتها^(٩) بمخصرتك^(١٠)، وكيف لا تقول ذلك وقد

-
- (١) يستبطأ، بطأ، البطء، والابطاء، نقيض الاسراع. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٣٤؛ الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٣٦.
- (٢) الشف، البغض والتنكر. الفراهيدي، العين: ج ٩، ص ١٨٣؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٧٦.
- (٣) الشتان، شدة البغض. الالبيري المالكي، تفسير القرآن العزيز: ج ٢، ص ٧؛ الآلوسي، التفسير: ج ٦، ص ٨٣.
- (٤) الإحن، الحقد في الصدر. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ٨.
- (٥) الأضغان، الضغن والضغينة، الحقد الشديد، والعداوة والبغضاء. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٦٦؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ٢٥٥.
- (٦) متأثم، تأثم، تحرّج عن الأثم وكفّ عنه، أي تاب عنه واستغفر منه. الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٨٥٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٦، ص ٦.
- (٧) مستعظم، العظم خلاف الصغر، كبر، وهو عظيم، وعظمٌ وعظمة الامر، كفره، وأعظمه وأستعظم، رآه عظيماً. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤١٠.
- (٨) ثنايا، ومفردها ثنية، وهي الأسنان الأربعة في مقدّمة الفم، اثنتان من فوق واثنتان من تحت. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٧.
- (٩) تنكت، نكت الأرض بالقضيب، أي التأثير فيها بعد ضربها. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٣٣٩؛ الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٢٦٩.
- (١٠) مخصرة، هي العصا، التي في أسفلها، قطعة من الحديد، حادة تشبه رأس السهم. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ١٨٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٢٤٢.

نكأت^(١) القرحة^(٢)، واستأصلت^(٣) الشأفة^(٤) بإراقتك دماء ذرية آل محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب».

نستشف من بيان السيدة زينب بنت علي عليه السلام أن يزيد وأهله لا يتأخرون ولا يترددون، بل يسارعون في الإفصاح عن شدة كرههم وحقدهم الثابت في الصدور، وبغضهم لآل بيت النبي، فهم في حالة الإنشراح بقتلهم الحسين ورجال أهل بيته وأنصاره، وسبي العقائل من نسائه، ويردد يزيد أبياتاً من الشعر، ويضيف إليها أبياتاً أخرى من نظمه، دون تخرجه من الآثام وعظمة ارتكابها، مخاطباً سلفه الذين أخذتهم سيوف الإسلام، مبشراً لهم بأخذ ثأرهم. ثم تمدى يزيد عندما وضع رأس الحسين في طشت أمامه، وراح بعصاه يضرب ويلعب بشفتيه وأسنانه، كل ذلك كان على مرأى من ثواكل ويتامى نساء أهل بيته، وهو في أوج انتعاشه وسروره، ولا رادع من حياء أو من خشية الله تعالى. وقد أجج في ذلك هيجان الأحزان من جديد، وفجر دموع النسوة اللاتي يعانين من الفقد والألم والوحدة والمآسي، فاستولى عليهنّ البكاء والنحيب، لأنّ الحسين - وفقاً لوصف أخته السيدة زينب بنت علي عليه السلام - هو عندهنّ نجم من نجوم الأرض، وما أروع هذا الوصف! لأنّ الحسين وجهه مشرق وضاء، ووجهه متألّثة لآل عبد المطلب بن هاشم. ثم إنّ يزيد

(١) نكأ، قشرها بعد أن كادت أن تبرأ. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٤١٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٧٣.

(٢) القرحة، مصدر قرحته، إذا جرحته. ابن السكّيت، ترتيب إصلاح المنطق: ص ٣٠٣؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٠٣.

(٣) استأصلت، أي أزلته من أصله. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ١٥٦.

(٤) الشأفة، قرحة تخرج في أسفل القدم، وتذهب عند كويها، والشأفة ورم. ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ١٦٧؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٢، ص ٢٩٣.

بقتله الحسين لم يتمكّن من قطع شجرة النبوة التي تحظى بعناية الله تعالى وحمايته، وستستمر في أولاد الحسين وأحفاده.

وفي قولها: «أتهتف^(١) بأشياخك؟ زعمت تناديهن، فلتردنّ وشيكاً موردهن، ولتودنّ أنّك شللت^(٢) وبكمت^(٣) ولم تكن قلت ما قلت»، أشارت السيّدة زينب (عليها السلام) إلى أنّ يزيد كان يرفع صوته عالياً، منادياً سلفه من شيوخ الكفر الذين أخذتهم سيوف الإسلام يوم كانوا أعداء أشداء له، وكان يردّد شعراً: ليت أشياخي ببدر شهدوا... وتمنى يزيد حضورهم ليروا انتصاره المزعوم، وقد أخذ بثأرهم من آل محمد، وليباركوا له يمينه التي لا تشلّ، مع أنّ أشياخه هم الذين كانوا يخرجون من مكة إلى المدينة؛ لقتال المسلمين ونبههم. ثمّ استشرفت زينب حال يزيد ومصير مستقبله، بأنّه سيكون حال أشياخه من حيث العقوبة الإلهية، وسوف يتمنّى بأنّه لو أُصيبَ بشلل جسمه وقطعت يده ولم يفعل ما فعله، من ضربه ثنانياً وشفّتي الحسين، ويتمنّى أيضاً بأنّه لو كان أبكم أخرس ولم يقل ما قاله بحق آل البيت.

وفي قولها: «اللهمّ خذ بحقّنا، وانتقم^(٤) ممّن ظلمنا، واحلل^(٥) غضبك بمنّ سفك^(٦) دماءنا، وقتل حماتنا»، توجّهت السيّدة زينب بنت علي (عليه السلام) إلى الله تعالى بالدعاء،

(١) أتهتف، هتف يهتف هتافاً، الصوت الشديد العالي. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٤.
 (٢) الشلل، تعطلّ أو تبيّس في حركة عضو من أعضاء الجسم، أو وظيفته، أو قطعها. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢١٨؛ الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٣٧.
 (٣) بكمت، الأبكم، الأخرس. بن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ١، ص ١٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٥٣.
 (٤) انتقم، انتصر. ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٢١٠؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ٥٣١.
 (٥) احلل، تحل، وجب. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٨.
 (٦) سفك، سفك الدماء، سفكت العين الدم، أي هدرته. الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥٩٠.

وهو المطلع على خفايا الأمور وظواهرها، داعية إياه أن يردّ حقّهم ويتنصر لهم ممّن ظلمهم، وينزل غضبه على من هدر دماء رجالهم.

وفي قولها: «فوالله ما فريت^(١) إلّا جلدك، ولا جزرت^(٢) إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريّته، وانتهاك^(٣) حرمة^(٤) في حُمته^(٥) وعترته^(٦)، وليخاصمّنك^(٧) حيث يجمع الله تعالى شملهم^(٨)، ويلمّ شعثهم^(٩)، ويأخذ لهم بحقّهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٠)، فحسبك^(١١) بالله حاكماً، وبمحمّد خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً^(١٢)». أخذت السيّد

(١) فريت، دقت وفتت وقطعت. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٢٨٠؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٤٩٧.

(٢) الجزر، القطع، وتستعمل هذه المفردة في نحر البعير وتقطع لحمة. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٦٢؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٥.

(٣) انتهاك، انتهكت حرمة فلان، أي تناولتها بما لا يجب. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٣٧٩؛ الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٦١٣.

(٤) الحرمة، أهل الرجل. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ١٢٥؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٧٧.

(٥) اللحمة، القرابة، ويُقال بينهما لحمة نسب. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٤٦.

(٦) العترة، ولد الرجل من ذريّته، وعقبه من صلبه. الزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ١٨٦.

(٧) يخاصمك، أي خصيمك الذي يخاصمك، من الخصومة، والجمع خصماء. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ١٩١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ١٨٠.

(٨) شملهم، شملة تشملك، أي دفعك، وشمل القوم، أجمع أمنهم وعددهم. ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٣٧٠؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٤، ص ٣٩٣.

(٩) شعثهم، ما تفرّق من الأمور أو الأفراد. الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٢٨٥؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٦.

(١٠) آل عمران: آية ١٦٩.

(١١) حسبك، كفاك. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١٤٩.

(١٢) ظهيراً، الظهير: العون، والمظاهر، المعاون. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٧؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٢٥.

زينب (عليها السلام) تعدد في خطبتها الجرائم التي ارتكبتها يزيد، وتذكره أنها ستعود عليه بالخسران في الدنيا والآخرة، وأن سروره فيها لا يدوم؛ لأن عقاب جريمته عبارة عن تفتيت جلده، وتقطيع أجزاء من لحم جسمه، وسيقدم على رسول الله وهو محمل بكبائر الذنوب؛ بهدر دماء ولده وبني عمه من بني هاشم، فضلاً عن تعرضه لحرمة وقربة نساء رسول الله، وسيحاسب يزيد حساباً عسيراً في المحكمة الإلهية، والتي فيها الحاكم الله تعالى، والخصم وولي دم الحسين وأصحابه هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وجبرائيل وصالح المؤمنين.

وفي قولها: «وسيعلم من سؤل^(١) لك ومكنك^(٢) من رقاب المسلمين، إن^(٣) يئس^(٤) للظالمين بدلاً^(٥)»، وأيكم ﴿شُرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٦). ترى السيدة زينب (عليها السلام) عدم شرعية تولية يزيد الخلافة، وتسلبه على رقاب المسلمين، بل وعدم شرعية سلطة من وهب يزيد هذه السلطة، وتقصد به أباه معاوية. وبهذا فإن كلا الإثنين قد تحمّل الجنايات بقتلهم الأبرياء من المسلمين، وسيكون العذاب الأكثر لمعاوية؛ معرفته بإمكانات ولده يزيد، التي لا تمكّنه من تولي الحكم، لما يتّصف به من الفسق، وجهله في إدارة الدولة. ولعلّ هذا المعنى هو المقصود في قول السيدة زينب

(١) سؤل، سوّلت لفلان نفسه أمراً، وسؤل له الشيطان، أي زين له، وأراه إيّاه. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٢٩٨؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٣٣.

(٢) مكن، التمكين من الشيء. الجوهرى، الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ٤١٤.

(٣) بئس، المشقة والضرر، والرجل البائس، هو النازلة به البلية. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣١٦؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٣، ص ٩٠٧.

(٤) وقد أخذ هذا النص من هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: آية ٥٠).

(٥) وقد أخذ هذا النص من هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (مريم: آية ٧٥).

المقتبس من قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُنْدًا﴾^(١).
وفي قولها: «ولئن جرّت عليّ الدواهي»^(٢) مخاطبتك، فإنّي لأستصغر قدرك^(٣)،
واستعظم تقريعك^(٤)، واستكبر توبيخك^(٥)، لكنّ العيون عبرى^(٦)، والصدور حرّى^(٧)،
بيّنت السيّدّة زينب عليها السلام أنّ وقوفها وكلامها مع يزيد لم يكن أمراً طبيعياً، بل بسبب ما
جرّه الدهر عليها، وتقلباته من المصائب ونوازله الكبيرة، لأنّها في منتهى العقّة
والخدر، ويزيد في غاية اللؤم والحقارة، ومن الصعب عليها مخاطبة رجل نازل
القدر والمكانة، ولكنّها مضطّرة إلى ذلك. ومع عظم توجيه الملامة، إلّا أنّها أرادت
أنّ تبين له فظاعة أفعاله، ومنها ضربه ثنيا الحسين عليه السلام أمام الحاضرين في مجلسه،
وأنّ السيّدّة زينب عليها السلام وبقية السبأيا - وهم في هذا الحال - يعيشون الحزن والألم
بعيون دامعة، وصدور ملتهبة بالحرارة، وقلوب مقرّحة؛ بسبب قتل الحسين عليه السلام بلا

(١) مريم: آية ٧٥.

(٢) الدواهي، مفردها داهية، النائبة والنازلة العظيمة. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١،
ص ١٥٢؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ٤٢٣.

(٣) أستصغر قدرك، أستصغر، أستصغره، أعدّه صغيراً. الرازي، مختار الصحاح: ص ١٩٢؛
الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٧١٣. القدر، مبلغ الشيء. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١١٣؛
الزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ٣٧٠.

(٤) التقريع، الضرب مع العنف والإيلام. الرازي، مختار الصحاح: ص ٢٧٤؛ الزبيدي، تاج
العروس: ج ١١، ص ٣٦٣.

(٥) أستكبر توبيخك، أستكبر، التعظّم. الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٨٠٢؛ ابن منظور، لسان
العرب: ج ٥، ص ١٢٩. التوبيخ، الملامة والتهديد. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣١٥؛
الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٤٣٤.

(٦) العيون عبرى، مغرورقة وملثمة بالدموع. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ١٣٠؛ ابن سيده،
المخصّص: ج ١، ص ١٢٥.

(٧) الصدور حرّى، ملتهبة من الحزن والأسى. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٣؛ ابن منظور، لسان
العرب: ج ٤، ص ١٧٧.

ذنب، وبذلك الكيفية الفجيعة، وما تعرّضت له سبايا آل البيت (عليه السلام) بعد قتل رجالهم، وهذا - حالات الحزن والألم - أمر طبيعي لكل إنسان في الكون باقٍ على فطرته الأولى، التي فطر الله تعالى الناس عليها.

وفي قولها: «ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء»^(١) بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي تنطف^(٢) من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلّب^(٣) من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناها العواسل^(٤)، وتعفوها^(٥) الذئاب، وتؤمّمها الفراعل^(٦)، تتعجب السيّد زينب (عليها السلام) أن يُقتل الكرماء الأسخياء، وهم الحسين وأصحابه، من قبل أناس يُطلق عليهم الطلقاء، وهم آل أبي سفيان وأعوانه، الذين يشكّلون حزب الشيطان، وأن أيديهم تقطرو تسيل من دماء قتلى الطفّ. والظاهر أن كلام السيّد زينب (عليها السلام) هذا هو استعارة بلاغية، وتعني به تلك الأيدي والأكف التي كانت تضرب بسيوفها ورماحها أجسام آل رسول الله، الحسين ورجال بيته وأصحابه، فتتقاطر سيوفهم ورماحهم من دماء أولئك الكرماء الطيّبين، الذين بقيت

(١) النجباء، ومفردها نجيب، وهو الفاضل السخي الكريم. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٤٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) تنطف، تقطر أو تسيل. ابن منظور، لسان العرب: ج ٩، ص ٣٣٦؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٢، ص ٥٠٦.

(٣) تتحلّب، يُقال حلب فلان الشاة أو الناقة، أي أخرج ما في ضرعها من اللبن، وأستحلب اللبن، أستدرّه. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ١٣٣؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ٨٥.

(٤) تتناها العواسل، تتناها، تأتي إليها مرّة بعد مرّة، العواسل مفردة غسل وهو الذئب. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٣٣٣؛ الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٦٥.

(٥) تعفوها، عفا، والعفو من أسماء الله تعالى، وهو تجاوز الذنب، وترك العقاب عليه. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٨٦.

(٦) الفراعل مفردة فرعل، ولد الضبع. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٣٤٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٦٧.

أجسادهم الطواهر الزواكي ثلاثة أيّام على ثرى الطفّ، ممتنعة عن افتراس الحيوانات لها، والتي تأتيها مرّة بعد مرّة، وتدور حواليتها، بعكس جنود عمر بن سعد. فقد وصفت السيّدة زينب (عليها السلام) الواحد منهم كأبن الضبع في شراسته، عندما رضّوا جسد الحسين يوم الطفّ بحوافر خيولهم^(١).

وفي قولها: «فلئن اتخذتنا مغنماً^(٢)، لتجدنا وشيكاً مغرمًا^(٣)»، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤)، فإنّ الله المشتكى، وعليه المعوّل^(٥). أشارت السيّدة زينب (عليها السلام) إلى أنّ يزيد قد أمر جلاوزته بعد قتل الحسين وأصحابه بسبي ما تبقى من أهل بيت الحسين، والقُدوم بهم إلى دمشق مقرّ الحكم الأموي. وفي طريق السبي تعاملوا مع سبايا آل البيت كغنيمة حصل عليها الأمويون لانتصارهم في حربهم مع الحسين وقتله، ولكن، وفي القريب العاجل، سرعان ما تتحوّل تلك الغنيمة إلى دين في رقبة يزيد لا يمكن التخلص منه، لأنّ هذا الدّين عبارة عن ذنوب ومعاص، وفي مقدّماتها قتل الحسين وأصحابه وسبي عياله،

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٤؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٢، ص ٥٧؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٥.

(٢) مغنماً، الغنيمة، وجمعها مغانم، وقيل المغنم، هو كلّ ما حصل عليه الإنسان من أموال الحرب. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٤٦.

(٣) مغرمًا، المغرم، المستقلّ بالدين، أو أسير الدين، ويراد به مغرم الذنوب والمعاصي. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٣٦.

(٤) وقد أخذ هذا النصّ من الآيات القرآنية الآتية: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران: آية ١٨٢)، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: آية ٥١)، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الحج: آية ١٠).

(٥) المعوّل، عوّلت عليه، أي استعنت به، وصيّرت أمري إليه، ويُقال: عوّل الرجل عليه، أي اعتمد واتكل عليه، واستعان به. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٤٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٥، ص ٥٣١.

وسيسأل عنها في محكمة العدل الإلهية، والتي لا يُظلم فيها أحد، وعندها سيجد يزيد نفسه وحيداً ذليلاً مهاناً، بغير محام يدافع عنه، وقد استعان عليه آل البيت بالله تعالى واتكلوا عليه، وهو الملجأ والأمل لهم، وسينتقم من أعدائهم، لأنّه الشاهد على ما حدث لهم على يد يزيد وأعوانه.

وفي قولها: «فكد كيدك»^(١)، واسع سعيك»^(٢)، وناصب»^(٣) جهدك»^(٤)، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا تدرك أمدنا»^(٥)، ولا ترحض»^(٦) عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها»^(٧).

أشارت السيّدّة زينب (عليها السلام) بلهجة صارمة، يفيح منها صوت التحديّ ليزيد، بأنّه يظلّ يفعل خفيّة حيلةً ومكرّاً شيئاً ما، يريد أن يضرب به غيره، إلّا أنّه كسب متعب وضارّ له. وهذا استشراف دقيق من سيّدّة سبيّة واثقة من نفسها، بأنّ أعمال يزيد ونشاطاته اللاحقة ستكون فاشلة، ولم يتوصّل إلى أيّ هدف من أهدافه، بل ترجع عليه بعكس ما كان يصبو إليه، فكرسيه يتزعزع، وسلطته تضعف، وسوف لا يصل إلى الهدف الذي

(١) الكيد، إرادة مضرّة الغير خفيّة، والحيلة السيئة، والخدعة والمكر. ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ١٣٣؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٥، ص ٢٣١.

(٢) السعي، هو الكسب، وكل عمل من خير أو من شرّ. أبو الحسن علي بن عبد الله القيسي، ايضاح شواهد الايضاح: ج ١، ص ٥٢١.

(٣) ناصب، نصب الشيء أقامه، ونصب بمعنى تعب. الرازي، مختار الصحاح: ص ٣٣٨.

(٤) الجهد، الوصال، الطاقة، وجهد جهداً جدّ، يُقال: طلب حتى وصل إلى الغاية. ابن سيده، المخصّص: ج ٣، ص ١١٨؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ١٣٣.

(٥) الأمد، الغاية والنهاية. الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٤٤٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ٧٤.

(٦) ترحض، تغسل. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٣١؛ الجوهري، الصحاح: ج ٣، ص ١٠٧٧.

(٧) الشنار، العيب الذي فيه العار، وقيل: إنّ الشنار هو أقبح العيب والعار. الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٧٠٤؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٤٣٠.

حلم به هو ومن كان قبله، من استئصال شجرة النبوة من جذورها وفروعها وأغصانها وأوراقها، وعدم إبقاء صغير أو كبير من آل بيت النبوة، وهذا لا يتم له، لأنه ومع بذله جهوداً كبيرة لا يصل إلى ما يريد تحقيقه، إذ إنّ آل البيت قد أحيطوا بعناية ربانية لا تحرق، وإنّ جريمته التي ارتكبها لا يمكن أن يغسلها غسلها، فهي أقبح عيب وعار، بل تظلّ تلاحقه وأعوانه ومن سيأتي من بعده على المنهج ذاته.

وفي قولها: «فهل رأيك إلّا فند^(١)! وأيامك إلّا عدد^(٢)! وشملك إلّا بدد^(٣)! يوم ينادي المنادي: ألّا لعنة^(٤) الله على الظالمين^(٥)»، أشارت السيّدة زينب (عليها السلام)، إلى أن يزيد خاطئ في محاولاته وتخطيطه للتخلص من آثار جريمته، وأنّ أيامه في حكمه أو في حياته قليلة ومعدودة، وأنه قريب إلى الموت والهلاك، وسيلقي جزاء أعماله. وفعلاً تحقّق ما وعدت به السيّدة زينب (عليها السلام)، حيث إنّّه لم يلبث في الحكم بعد جريمته هذه إلّا ثلاث سنوات وتسعة أشهر وأياماً قليلة^(٦)، فلا فائدة من وقوف

(١) فند، الخطأ في القول والرأي، وقيل: الفند هو الكذب. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٤٩؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٤٧٥.

(٢) العدد، هو كمية من الوحدات، ويختصّ في المتعدّد ذاته، والعدد للتقليل أي معدود، وهو نقيض الكثرة. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٧٩؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٢، ص ٥٠٥.

(٣) بدد، يُقال: بدّه بدّاً، أي فرّقه، وبدّ الشيء فرّقه. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٤، ص ٣٤٣.

(٤) لعنة، إبعاد عن رحمة الله تعالى ومغفرته. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ١٤١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ١٩١.

(٥) أخذ هذا النصّ من الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: آية ١٨).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٢٥؛ الكتبي، فوات الوفيات: ج ٢، ص ٦٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٥٩.

حاشيته له، حيث تفرقت عنه وذهب ما كان يتهنأ به معهم، ويوم ينادي المنادي يوم الحساب بطرد وإبعاد الظالمين من رحمة الله تعالى وعطفه ومغفرته وعفوه.

وفي قولها: «الحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب»^(١)، ويوجب لهم المزيد وحسن المآب^(٢)، ويختم بنا الشرافة^(٣)، إنه رحيم ودود، (وحسبنا الله ونعم الوكيل)^(٤)، (نعم المولى ونعم النصير)^(٥)»، أشارت السيِّدة زينب (عليها السلام) في آخر خطبتها إلى الشاء على الله تعالى، الذي كتب لجدها النبي بسعادة الآخرة، ولأخيها الحسين بن علي بالشهادة، وسألت الله سبحانه وهو مرجعهم أن يجزي خيراً أولئك الذين قدّموا أرواحهم في سبيله، وأن يكون لهم علو المكان في جنّات النعيم، وهي ترى في الله ذلك الرحيم، الودود، الوكيل، الولي والنصير.

بعد أن انتهت السيِّدة زينب (عليها السلام) من خطبتها بدأ الحاضرون يترقبون ردود فعل يزيد على تلك الخطبة، وخاصةً أنه كان يريد من لقائه بسبايا آل البيت إظهار قوّته وانتصاره وشماتته بهم أمام حضور مجلسه، إلا أن هذا اللقاء تحوّل إلى هزيمة له، فانعقد لسانه عن الردّ على خطاب السيِّدة زينب بنت علي (عليها السلام)؛ إذ إنه رأى أن

(١) الثواب، هو الجزاء على العمل خيراً أو شراً، وأثابه، أي جازاه وكافأه. الجوهري، الصحاح:

ج ٢، ص ٥٧٦؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ١٠.

(٢) المآب، المرجع. الفراهيدي، العين: ج ٨، ص ٤١٧.

(٣) الشرافة، من الشرف، وهو العلو، والمكان العالي. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٥٨؛ الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٣٧٩.

(٤) أُخِذَ هذا النصّ من الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: آية ١٧٣).

(٥) أُخِذَ هذا النصّ من الآية الكريمة، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال: آية ٤٠).

الإجابة والتعليق على الخطاب يسبّب له المزيد من الهزائم والإنكسار أمام شيوخ القبائل، وأمراء جيشه، وسفراء الدول، وبعض رجال الديانات الأخرى الحاضرين في مجلسه، لذا فإنّه لم يخلق حواراً بينه وبين السيّدة زينب عليها السلام، التي أبدعت في إظهار قدرة خطاب كلّ سبق واستدلال منطقي وعقلي، وتمكّنت من اقناع الحاضرين بأنّهم آل بيت النبوة، وما جرى عليهم ظلم كبير بموجب الحقائق التي تلتها، ولا يمكن انكارها، وجعلت يزيد يشعر بالهزيمة رغم تكبره وتجبره، ولم يسجل له ردّاً سوى ردّ عاجز في قوله:

«يا صيحة محمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح»^(١).

إنّ المتأمل في قول يزيد هذا لا يجد مناسبة له في مقام هذا اللقاء، لأن السيّدة زينب عليها السلام لم تكن من النساء اللواتي يحترفن النياحة حتى ينطبق عليها هذا القول. ولعلّ يزيد لم يتوقع من امرأة سبية مكسورة أن تغمره في بحار الخزي والعار، ولم يتمكّن يزيد أن يغسل عن نفسه تلك الوصمات التي وصمته بها في خطبتها، سوى ردّه على السيّدة زينب عليها السلام بشعر غير مناسب ولا ينطبق على السيّدة زينب عليها السلام.

وخلاصة القول، إنّ خطبة السيّدة زينب بنت علي عليه السلام في مجلس يزيد، تعدّ من المواقف البطولية الرائعة لتحديّها جبروت الظلم والطغيان، وتحطيمها كبرياء وغرور يزيد بن معاوية، إذ جعلته حائراً في إيجاد ردّ مناسب عليها، إلّا أنّه لم يزد على تمثله ببيت الشعر الآنف الذكر. وبهذا حققت السيّدة زينب عليها السلام هدفاً رسالياً من خلال توضيح حركة الحسين وأهدافها، وهذا نصر ساحق على يزيد وهو في

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٢٠؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٧؛ ابن النجاشي، مثير الأحزان: ص ٨١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٨؛ الكشي، فوات الوفيات: ج ٢، ص ٦٤٥.

ذروة سلطته، وقد أفحمته مرّة بعد أخرى، ممّا سبّب له حرجاً كبيراً بين حضّار مجلسه، إذ بيّنت جهله وضعفه في تدبير وإدارة شؤون الدولة وعدم أهليّته لذلك، فضلاً عن جهله في الشرع الإسلامي، والذي يجب أن يكون فيه على قدر كبير من المعرفة؛ كونه خليفة المسلمين كما يدّعي، ولو كان ذلك عنده لما صحّ سبي نساء المسلمين في الحروب المخالف للشرع إبان حكمه، بل تجاوز إلى أبعد من ذلك بسبيّه عقائل بيت النبوة^(١).

(١) محمد أمين الأميني، مع الركب الحسيني: ج ٦، ص ١٧٢.

المبحث الثالث

خطبة الإمام علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام^(١) في مجلس يزيد

لقد ظهر يزيد بن معاوية ضعيفاً أمام حضّار مجلسه؛ إذ لم يتمكّن من الردّ على السيّد زينب عليها السلام وهي تدلي بخطابها الذي بيّنت فيه زيف ادّعاءاته، وأقنعت مَنْ سمع خطابها بأنّهم آل بيت النبوة، وليسوا سبيّاً من الخوارج، وقد تعرّضوا إلى ظلم كبير بقتل رجالهم وسبي نساءهم، وعند ذلك أراد يزيد أن يموّه على الحضور، فدعا أحد الخطباء، وأمر بإحضار منبر له، وأوصاه عند جلوسه على المنبر أن يتحدّث عن مساوئ الحسين وأبيه علي بن أبي طالب وأفعالهما.

وعند صعود الخطيب المنبر، بدأ خطبته بحمد الله تعالى والثناء عليه، ثمّ أطال كلامه دائماً ومعيباً في علي وولديه الحسن والحسين، وزاد في مدح معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد، ونسب إليهما كلّ جميل، وشدّد في ذلك. فلمّا سمعه علي بن

(١) لقد تباين المؤرّخون في ذكر خطبة علي بن الحسين، في مجلس يزيد الذي عقد في قصره، فمنهم من ذكرها مفصلة. يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٤٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٨-٧٦. ومنهم من ذكر معظمها، يُنظر: ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٤، ص ١٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٦١. ومنهم من ذكر بعض الفقرات منها. يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص ١٢١؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ١٠٢؛ ابن طاووس، اللهور في قتلى الطفوف: ص ١٩.

الحسين (عليه السلام)، صاح به: «ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوا مقعدك من النار»^(١).

ويدو أن يزيد بن معاوية كان يريد إعادة جوّ مجلسه إلى ما قبل خطبة السيّد زينب (عليها السلام) حيث ظهر مزهواً مسروراً بانتصاره المزعوم؛ إذ إنّ خطبة السيّد زينب (عليها السلام) أدّت إلى انكساره وانكسار أعوانه، لذا طلب يزيد من الخطيب وأمره بصعود المنبر أمام الحاضرين من أجل رفع شأن آبائه وأجداده، والنيل والخطّ من المكانة الرفيعة والسامية التي يتمتّع بها سبط النبي الحسين بن علي وأهل بيته، وإزاء فعل يزيد هذا لم يتردّد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ولم يخش منه بل ولم يحسب له حساباً، فصاح بالخطيب - وهو من وعّاظ السلاطين - موبّخاً له على شرائه رضاء يزيد دون قول الحقّ، ودون اكترائه وخوفه من الله تعالى وسخطه عليه.

ويتبيّن لنا من خلال هذه الأجواء أنّ مجلس يزيد بن معاوية - الذي عقده وضمّ شيوخ الشام، وأمراء جيشه، والآخرين من ذوي الشأن، ثمّ دخول سبايا آل البيت (عليهم السلام) عليه - كان في قصره، ولذلك أمر بإحضار منبر للخطيب الذي كلّفه بمهمّة الخطبة التي بيّن فيها المناقب المزعومة لآبائه، وتسويق الكذب لصنع مثالب في الحسين وآل بيته، فلو كان مجلس يزيد قد عُقد في المسجد الجامع لما أمر يزيد بإحضار منبر للخطيب، ولأمره بصعود المنبر مباشرة.

وهنا لم يتخذ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) جانب السكوت إزاء ما يجري أمامه، بل طلب من يزيد أن يسمح له بصعود المنبر - والذي وصفه بالأعواد - ليتحدّث

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧٦؛ ابن نما الحلّي، مثير الأحرار: ص ٨١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٧.

بحديث يكون لله تعالى رضاءً، ولخضار المجلس أجراً وثواباً^(١).

ونلاحظ أن علي بن الحسين عليهما السلام قد خاطب يزيد بن معاوية باسمه الصريح، كما فعلت عمته السيدة زينب عليها السلام، فلم يخاطبه بكلمة أيها الخليفة، أو يا أمير المؤمنين، أو أي كلمة تدل على الإحترام، وهذا دليل على عدم اعترافه بمنصبه الذي يتولاه، ثم إن علياً بن الحسين عليه السلام عبّر عن المنبر بالأعواد، ولم يعدّه منبراً؛ لأن المنبر محل شرف لا يجلس عليه إلا أولياء الله تعالى وعباده الصالحون، وليس أمثال معاوية وابنه يزيد ومرزقتهما.

وقد ألح الحاضرون على يزيد بأن يسمح لعلي بن الحسين بالصعود على المنبر ليتكلّم بما يريد، لعلمهم يسمعون منه شيئاً، إلا أن يزيد ردّ عليهم بأنّه إذا صعد المنبر لن ينزل إلا بفضيحتة وفضيحة آل أبي سفيان^(٢). ولعلّ سبب رفض يزيد صعود الإمام المنبر معرفته بآل البيت، وما لديهم من قدرة في إقناع الآخرين بأسلوب خطابي ملئ بالاستدلال العقلي والمنطقي. إلا أن الحضور قالوا ليزيد: «وما قدر ما يحسن هذا؟!»،^(٣) ويبدو من هذا أن الحاضرين في مجلس يزيد استهانوا بعلي بن الحسين؛ لأنهم يرونه هزياً ضعيفاً من شدّة المرض، ولأنهم يجهلون قدر آل البيت لذا استخفوا بقدرته، فظنّوا أنّه غير قادر على قول شيء. فقال لهم يزيد: «إنّه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً»^(٤)، ولم يزل الخضار يلحّون على يزيد حتى أذن لعلي بن الحسين بصعود المنبر، فلمّا صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبة أبكى

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٧. يُنظر: ملحق رقم (٣): ص ٤٧٠.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٦.
(٣) المصدران السابقان.

(٤) زق الطير، أي وُضع الطعام في فمه. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ١٣؛ الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٤٩١.

فيها العيون، وأوجل فيها القلوب، وقد بين فيها للحاضرين حقيقة هؤلاء الذين ادّعى يزيد بأنهم من الخوارج الذين خرجوا على إمام زمانهم^(١).

تعدّ خطبة علي بن الحسين (عليه السلام) وثيقة تاريخية، كخطبة عمته زينب بنت علي (عليه السلام)، حيث جمعت كثيراً من الحقائق والوقائع وقُدّمت إلى أهل الشام، تلك الحقائق التي كانت غائبة عنهم؛ بسبب التضليل الإعلامي الأموي. وسرعان ما أثّرت تلك الخطبة في نفوس سامعيها، فغيّرت تلك الحقائق الأموية الجاثمة على عقولهم إلى حقائق مضبوطة، أهمّها أنّ هؤلاء السبايا ليسوا من الخوارج كما يزعم الأمويون، بل إنهم آل بيت النبوة، الذين اعتدى عليهم يزيد بن معاوية وواليه في الكوفة عبيد الله بن زياد، فقتل الأعم الأغلب من الرجال والأطفال، ثم سبي ما تبقى من النساء والأطفال.

وقد وجّه علي بن الحسين كلامه إلى الناس الحاضرين في مجلس يزيد، معرّفاً بنفسه وبأهل بيته، بيت النبوة، وما يحمل من صفات أخلاقية، وما قدّم للإسلام من تضحّيات، وما خصّهم الله تعالى من الفضل والعطايا التي ميّزتهم عن غيرهم من البشر.

فخاطب الناس بأنّ الله تعالى أعطاهم سنّاً، منها العلم^(٢)؛ أي العلم الرباني الذي لا يملكه أحد، وهو علم الكتاب، قال الرسول: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧٦.

(٢) العلم، أي العلم الرباني، الذي لا يوجد عند أحد، وهو علم الكتاب. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢٤٦؛ بن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج ١، ص ٤٣٤.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٢٦؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ١١، ص ٥٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ١١٠٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ٥،

أَبَوَيْهَا^(١)، فمن أراد العلم فعليه بالباب^(٢). وفي رواية أخرى قال الرسول: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم، فليقتبسه من علي»^(٣). وجاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام عندما كان في الكوفة، أنه قال: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، يُفتح من كلّ باب ألف باب، خصّه به رسول الله من مكنون علمه ما خصّه الله به، فصار إلينا وتوارثناه من دون قومنا»^(٤)، وعندما سُئل أبو جعفر الباقر (ت ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) عن قول علي بن أبي طالب: «سلوني عما شئتم، ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به»، قال: «إنّه ليس أحد عنده علم إلا خرج من عند أمير المؤمنين، فليذهب الناس حيث شاؤوا فوالله ليس الأمر إلا من ههنا، وأشار بيده إلى بيته»^(٥). فالعلم الصحيح بعد الرسول صلّى الله عليه وآله الأكرم هو عند آل محمد، فهم أهل بيته، ومن كان من أهل البيت فهو أعلم بما في البيت، إذ قال الإمام محمد الباقر: «ليذهبوا حيث شاؤوا أما والله لا تجدون العلم إلا ههنا... عند آل محمد»^(٦). وعن جعفر الصادق قال: «... لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم، ولأنبأتها بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر أعطيا علم ما كان، ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن

ص ١١٠ و ج ٧، ص ١٨٢ و ج ١١، ص ٥٠؛ الحسكاني، شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٣٤؛ الطبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٣١٧؛ الطوسي، الثاقب في المناقب: ص ١٣٠؛ ابن الجوزي، الموضوعات: ج ١، ص ٣٥٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٧، ص ٢١٩؛ الحلي، كشف اليقين: ص ٥١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ج ٤، ص ٣٦٦.
(١) البقرة: آية ١٨٩.

(٢) سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة: ص ٢٠٥.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ١، ص ٣٣.

(٤) ابن رستم الطبري، دلائل الإمامة: ص ٢٣٦؛ نوادر المعجزات: ص ١٢٧؛ ابن حاتم العاملي، الدر النظيم: ص ٦٠٤.

(٥) الكليني، الكافي: ج ١ ص ٣٩٩.

(٦) المصدر السابق؛ الصفار، بصائر الدرجات: ص ٣٣.

حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله وراثته»^(١). سأل هشام بن الحكم^(٢) الإمام الصادق وهما في موسم الحج، «قال هشام: إن علياً كان يدعي علم الغيب، والله لم يطلع على غيبه أحداً، فمن أين ادّعى ذلك؟ فقال الصادق: قال أبي - يعني الباقر-: إن الله جلّ ذكره أنزل على نبيه كتاباً، بين فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣)». وهذا هو العلم الذي منحه الله تعالى لآل البيت، الذي توارثوه عن الرسول، والذي كان يقصده علي بن الحسين (السجاد) (عليه السلام) في خطبته.

وأعطي أهل البيت الحلم، وهي صفة تلازم العقلاء، وكذلك بمعنى الصبر، ولا يستفزّهم أحد من الناس، ولا يغضبون على أحد إلا الله تعالى. كما أعطي آل البيت السماحة: وهي اللين في التعامل مع سائر البشر، والفصاحة: وهي البيان في حديثهم. قيل يا رسول الله، ما رأينا أفصح منك، قال: «وما يمنعني وأنا أفصح العرب، وأنزل الله القرآن بلغتي، وهي أفضل اللغات»^(٤)، فما كان أحد

(١) الكليني، الكافي: ج ١، ص ٢٦٠.

(٢) هشام بن الحكم، وهو أبو محمد مولى كندة، نزل في بني شيبان بالكوفة، وانتقل إلى بغداد سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م، وهو من خواص أصحاب الصادق والكاظم، وروى عنهما، كان مشهوراً بعلم الكلام، وله كتاب بالإمامة، وعدة مصنفات أخرى، فمولده بالكوفة، ومنشؤه في واسط، وتجارته في بغداد، سئل يوماً عن معاوية بن أبي سفيان، أشهد بداراً؟ قال: نعم من ذلك الجانب، توفي في بغداد، وترحم عليه الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام). يُنظر: النجاشي، رجال النجاشي: ص ١٣٦-٤٣٣؛ الطوسي، رجال الطوسي: ص ١٥٣-٣٢٩؛ الفهرست: ص ٢٥٨؛ ابن داود، رجال ابن داود: ص ٢٠٠؛ الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٢٨٨. وكذلك يُنظر: مغلد ذياب فيصل، هشام بن الحكم الكوفي ودوره في الحياة الفكرية خلال العصر العباسي الأول: ص ٨-١٣١.

(٣) النمل: آية ٧٥.

(٤) ابن رستم الطبري، دلائل الإمامة: ص ٢٣٦؛ نوادر المعجزات: ص ١٢٧.

(٥) الشيخ المفيد، الاختصاص: ص ١٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ١٧، ص ١٥٨.

يجاريه في البلاغة، وهو القائل: «انا افصح من نطق بالضاد، بيد أنني من قريش، واسترضعت في بني سعد»^(١)، نطق بهذه الكلمة الجامعة، وعلى الرغم من أن أعداءه كانوا يتربصون به لنقض قوله، فلم يجدوا عليه نقصاً في كلمة شاذة لهج بها، أو لحن أو جملة ركيكة.

وأعطوا الشجاعة، وكل العرب يشهد بشجاعة بني هاشم، ويكفي مثلاً على ذلك صولات وجولات علي بن أبي طالب عليه السلام في كل معارك الإسلام، سواء أكان ذلك في عهد الرسول صلّى الله عليه وآله أم بعده، فضلاً عن شجاعة الحسين بن علي يوم الطف، وأخوته وبني عمومته، فلم يستكينوا للذل والهوان، بل فضّلوا الشهادة على ذلك في سبيل الله تعالى.

وأعطوا المحبة في قلوب الناس، أي ميل النفوس إليهم، وإن المحبة لا تأتي إلا من عند الله، فهو الذي يزرع هذه المحبة الخاصة، وهي محبة المؤمنين لآل البيت. وفضّل الله تعالى آل البيت عليهم السلام - وفقاً لقول علي بن الحسين عليهما السلام - بسبع، منها: أنّ منهم النبي المختار محمد، الذي كان رحمة للعالمين، ومنقذاً لهم من الشرك والوثنية، ومن الطبيعي أن هذا أمر لا ينكره أحد من المسلمين؛ لأنّ الرسول صلّى الله عليه وآله الأكرم من البيت الهاشمي من قريش، وهذا ما كان يتباهى به العرب، وكانوا يحاولون إدخال بعضهم مع قريش؛ لأنهم أشرف العرب، وآل محمد أشرف بيت في قريش.

وكذا منهم الصديق، وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لقوله: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته»^(٢)، وقال أيضاً: «أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقوها

(١) محمد طاهر بن علي الفتني، تذكرة الموضوعات: ص ٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٦٣؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١، ص ٣٧١.

(٢) الهلالي، سليم بن قيس: ص ٢٥٦؛ زيد بن علي، مسند زيد بن علي: ص ٤٠٦؛ أبو بكر بن أبي عاصم، الأحاد والمثاني: ج ١، ص ١٥١.

بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين»^(١).

ومنهم الطيَّار، وهو جعفر بن أبي طالب، الذي قُطعت يده واستشهد في معركة مؤتة سنة ٨هـ / ٦٢٩م^(٢)، فقال رسول الله ﷺ في حقّه: «لقد أبدله الله بهما جناحين، يطير بهما في الجنة»^(٣).

ومنهم أسد الله وأسد الرسول ﷺ، وهو حمزة بن عبد المطلب، فقد روى ابن عباس قال: قال رسول الله: «ما في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقال له عمّه العباس: ومن هم يا رسول الله؟..... قال: وعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيّد الشهداء، على ناقتي العضباء»^(٤).

ومنهم سيّدة نساء العالمين، فاطمة البتول (عليها السلام)، وهي بنت الرسول محمد ﷺ، وزوجة الوصي علي بن أبي طالب، وأمّ السبطين الحسن والحسين، وكانت منقطعة إلى الله تعالى.

ومنهم سبطا هذه الأمة، وسيّد شباب أهل الجنة، فقد قال الرسول ﷺ: «الحسن والحسين سبطا هذه الأمة»^(٥).

(١) الصدوق، الخصال: ص ٤٠٢.

(٢) هي الغزوة التي وقعت بين العرب والروم في سنة ٨هـ / ٦٢٩م، في قرية يُقال لها مؤتة، ومؤتة أدنى البلقاء، والبلقاء دون دمشق. يُنظر: الواقدي، المغازي: ج ٢، ص ٧٥٥؛ ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٣٧٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٣١٨؛ عبد الملك النيسابوري، شرف المصطفى: ج ٣، ص ٦٨.

(٣) الهلالي، سليم بن قيس: ص ٤٨١؛ الطبراني، المعجم الكبير: ج ٢، ص ١٠٧؛ الصدوق، الأمالي: ص ١٤٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ١، ص ٢٤٢؛ السرخسي، أصول السرخسي: ج ١، ص ٣٢٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢٧٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال: ج ١١، ص ٦٦٣.

(٤) ابن جبر، نهج الإيمان: ص ١٥٩؛ الطوسي، الأمالي: ص ٢٥٨؛ بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٣٢٦.

(٥) الهلالي، سليم بن قيس: ص ٣٥٨؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ١، ص ١٢٣؛ محمد بن ←

ومّا تقدّم وضح الإمام علي بن الحسين عليهما السلام للجالسين في مجلس يزيد أنّ الذين أمامهم من السبباي هم عائلة الحسين بن علي، ابن الرسالة المحمدية، ويمتلك أهله كلّ العطايا الحميدة، وكلّ الفضل الذي خصّهم به الله تعالى دون غيرهم، وبالتالي فهل يحقّ ليزيد أن يقتل رجالهم، ويسبي نساءهم وأطفالهم؟!!

ثمّ انتقل علي بن الحسين عليهما السلام إلى التعريف بنسبه الشريف، حيث قال: «مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني أنبأته بحسبي^(١) ونسبي^(٢)، أنا ابن مكّة^(٣) ومنى^(٤)، أنا ابن زمزم^(٥) والصفاء^(٦)، أنا ابن مَنْ حمل الركن بأطراف الرداء^(٧)، أنا ابن خير مَنْ

سليمان الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين: ج ٢ ص ٢١٣؛ ابن رستم الطبري، المسترشد: ص ٥٨٠.

(١) الحسب، الشرف الثابت من الآباء، وقيل هو الشرف في الفعل. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٣١٠.

(٢) النسب، أي أتسب إلى أبيه، والنسب، القرابة. الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٢٢٤؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٥٥.

(٣) بيت الله الحرام، وسُمّيت بمكّة؛ لأنّها تمك الجبارين، أي تُذهب نخوتهم، كما سُمّيت بمكّة؛ لازدحام النَّاس فيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ١٨١.

(٤) منى، بالكسر والتنوين، وتقع في درج الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم، وسُمّي بذلك لما يُمنى به الدماء، أي تُراق، وقيل: إنّ آدم تمّنّى فيها الجنة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ١٩٨.

(٥) زمزم، بفتح أوله وسكون ثانيه وتكرار الزاي والميم، هي البئر المباركة المشهورة، وقيل: سُمّي بزمزم؛ لكثرة مائها. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٤٧.

(٦) الصفاء، بالفتح والقصر، والصفاء والصفوان والصفو، تدلّ على العريض من الحجارة الملساء، ومنها الصفاء والروة، وهما جبلان بين بطحاء مكّة والمسجد الحرام. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٣، ص ٤١١.

(٧) لقد اختلفت قبائل مكّة عند إعادة بنائها الكعبة، حول من يضع الحجر الأسود في مكانه،

اتنزر وارتندي، أنا ابن خير مَن انتعل واحتفى، أنا ابن خير مَن طاف^(١) وسعى^(٢)، أنا ابن خير مَن حجّ ولبي^(٣)، أنا ابن مَن حُمِلَ على البراق^(٤) في الهواء، أنا ابن مَن أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(٥)، فسبحان مَن أسرى، أنا ابن مَن بلغ به جبرائيل إلى سدره المنتهى، أنا ابن مَن دَنَا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن مَن صلّى بملائكة السماء، أنا ابن مَن أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد

واتفقوا على أن الذي يحكم بينهم أول داخل من باب المسجد، فكان النبي أول داخل من باب المسجد - وهو في الخامسة والثلاثين من عمره يومذاك - فقبلوا به وقالوا: هذا الأمين رضينا به، هذا محمّد، ولما عرف النبي بخلافهم قال لهم: هلمّوا إلى ثوب، ولما أتوا به أخذ النبي الحجر ووضع به يده في وسط الثوب، ثمّ قال: لتأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب، ورفعوه جميعاً، ولما بلغوا موضعه وضعه النبي بيده، ثمّ بني عليه. يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج ١، ص ١٢٤-١٢٨؛ الكلاعي، الاكتفاء بما تضمّنه من معازي رسول الله: ج ١، ص ١٣٠-١٣٥؛ ابن سيد الناس، السيرة النبوية: ج ١، ص ٧٥-٧٩.

(١) يُراد به الطواف حول الكعبة. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٤٥٨.
(٢) المراد منه: السعي، وهو المشي والهرولة ما بين الصفا والمروة. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٠٢.
(٣) لبيّ: أي رفع الصوت بالتلبية، وهي قول: لبّيك اللهم لبّيك. الجوهرى، الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٧٨.

(٤) الدابة التي ركبها الرسول عندما أُسْرِيَ به إلى بيت المقدس، وكذلك عندما عُرِجَ به إلى السماء. ابن حنبل، مسند: ج ٤، ص ٢٠٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج ١، ص ٥٦.
(٥) هو انتقال النبي ليلاً على دابة البراق، من المسجد الحرام في مكّة إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) في فلسطين الحالية، ومنها عرج إلى السماء. يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٢، ص ٢٧٦؛ الطبري، جامع البيان: ج ١٥، ص ٨؛ ابن حزم، المحلّى: ج ٢، ص ٢٢٩؛ الغزالي، الإسرائء والمعراج: ص ٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٦؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج ١، ص ١٩٩؛ السيوطي، الدرّ المنثور: ج ٤، ص ١٤٩؛ محمّد عبد علي، معجزة الإسرائء والمعراج دراسة شرعية: ص ٤٤٢.

المصطفى^(١)، أنا ابن علي المرتضى^(٢) أنا ابن من ضرب خراطيم^(٣) الخلق حتى قالوا لا اله إلا الله.

لقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أنه ابن تلك الأماكن المقدسة عند المسلمين، مثل مكة ومنى، وزمزم والصفاء، وأنه ابن ذلك الرجل الذي حلّ مشكلة القبائل العربية في مكة، وذلك عند خلافها حول وضع الحجر الأسود في مكانه أثناء إعادتهم بناء الكعبة، وهذه إشارة إلى جدّه النبي محمد عندما وضع الحجر وسط الرداء، ثم أمر القبائل أن تشترك في رفعه، وبعدها أخذه بيده ووضعه في مكانه، ثم أتمّ البناء عليه^(٤)، واستمر في تعداد المناقب الحسنة لأهل بيته من أجداده، ولاسيما في أدائهم العبادات كالصلاة والحجّ ومناسكه، والسعي ماشياً ومهرولاً بين الصفا والمروة، وفي كلّ هذه الأحوال لا يوجد أفضل من الرسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته، صدقاً في الإيمان، وإخلاصاً في الأداء.

ومن باب التعريف بنفسه وصلته بالرسول؛ ذكر الإمام علي بن الحسين عليهما السلام لحضار مجلس يزيد حادثة الإسراء والمعراج، إذ أُسري بجدّه النبي محمد صلّى الله عليه وآله من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ولم تصل إلى هذه المرتبة بقيّة الأنبياء، حيث بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، وهي موجودة في السماء السابعة،

(١) المصطفى، يصطفيه أي يدخل صفوته، أياد أخياره. والصفى، خالص كلّ شيء ومختاره. ابن منظور، لسان العرب: ج ٦، ص ٣٢٦؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ٦٠٢.

(٢) المرتضى، الرضا خلاف السخط، ورضاؤه بالشيء، أي قبوله. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٤٠٢؛ الثعلبي، الكشف والبيان: ج ٤، ص ٣٩.

(٣) خراطيم، أنوف. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣٣٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ١٧٣.

(٤) ابن هشام، السيرة: ج ١، ص ١٢٤؛ الكلاعي، الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله: ج ١، ص ١٣٠؛ ابن سيد الناس، السيرة: ج ١، ص ٧٥.

ولا يتجاوزها ملك ولا نبي، وإن جدّه النبي قد دَنَا من ربّه ربّ السموات والأرض، وصَلَّى بملائكة السماء، وأوحى إليه الله تعالى ما أوحى. وبعد هذه المناقب والمفاخر ومكانته الرفيعة صرّح الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) علناً، أنّه ابن محمّد المصطفى، وبهذا حرّك قلوب الحضور تجاهه.

ثمّ انتقل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إلى التعريف، بذكر جدّه المرتضى علي بن أبي طالب، الذي اتّبعَت السلطة الأموية سياسة سبّه وشتمه؛ لتحقيق أهدافها، ذلك الذي ضرب أنوف النّاس حتى قالوا لا اله إلّا الله، وهذه إشارة واضحة إلى دور علي بن أبي طالب في نشر الإسلام.

وقال علي بن الحسين (عليه السلام): «أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين»، وهذه إشارة إلى قول علي بن أبي طالب (عليه السلام): «أنا الضارب بالسيفين»^(١)، وهناك عدّة تفسيرات لهذا النصّ، منها: أنّه حارب بسيف التنزيل في حياة الرسول (صلّى الله عليه وآله) وبسيف التأويل بعده^(٢). وقيل: إنّ الإمام عليّاً قاتل بسيفين في بعض المعارك، حيث إنّ النبي قد أعطاه السيف المسمّى بذي الفقار ذا الشعبتين^(٣)، بعد أن انكسر سيفه الذي بيده^(٤). «وهاجر الهجرتين»^(٥)، وهذه إشارة إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة، إلّا أنّه لم

(١) الصدوق، الأمالي: ص ٧٧؛ ابن رستم الطبري، نوادر المعجزات: ص ٦١؛ عماد الدين الطبري، بشارة المصطفى: ص ٢٤٧.

(٢) الكليني، الكافي: ج ٥، ص ١٢؛ الصدوق، الخصال: ص ٢٦٧.

(٣) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ج ٤، ص ١١٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٥) يُقصد بالهجرتين، هجرة المسلمين إلى الحبشة، وإلى يثرب، والمعلوم أنّ الإمام علي (عليه السلام) قد هاجر إلى يثرب، ولم يثبت أنّه هاجر إلى الحبشة، ولعلّه ووفقاً إلى ما أشار إليه عبد الله بن عباس أنّ النبي قد هاجر هجرتين، إحداهما إلى يثرب، وثانيهما إلى الطائف، وبقي بها أياماً معدودة، وكان علي (عليه السلام) مصاحباً للنبي في هجرته للطائف. يُنظر: البرقي، المحاسن: ج ٢، ص ٣٣١؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٤؛ رحمن حسين علي، الهجرة إلى الحبشة: ص ٢٣-١٣١.

يثبت أن علياً قد هاجر إليها مع المسلمين^(١)، والهجرة إلى يثرب، وقد هاجر إليها علي، ولعلّ الهجرة الثانية لعلي مع النبي إلى الطائف مع أئمة أيام معدودة^(٢).

«وبائع البيعتين^(٣)، وصلى القبلتين^(٤)»، كانت أول بيعة هي بيعة المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله في بدر عام ٢هـ/٦٢٣م، على أن يقاتلوا معه ولا يتخلّون عنه^(٥). والبيعة الثانية هي بيعة الرضوان عام ٦هـ/٦٢٧م، والتي بايع فيها المسلمون الرسول صلى الله عليه وآله تحت الشجرة^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة: ج ١، ص ٢١٢؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج ١، ص ٢٩٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٢٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٣، ص ٧٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٢٢٩؛ هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٨٣٣.

(٢) البرقي، المحاسن: ج ٢، ص ٣٣١؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٩٢.

(٣) البيعتين، أولاهما، بيعة بدر عام ٢هـ/٦٢٣م، وهي بيعة المسلمين للنبي على القتال، وعدم التخلي عنه. ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٤٤٧؛ البيهقي، دلائل النبوة: ج ٣، ص ٣٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج ١، ص ٢٩٠؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٣، ص ١٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٢٢٩. وثانيهما، بيعة الرضوان عام ٦هـ/٦٢٧م، وهي البيعة التي بايع فيها المسلمون النبي تحت الشجرة، بعد أن بلغ النبي مقتل عثمان. ابن هشام، السيرة: ج ٣، ص ٧٠٨؛ النووي، شرح صحيح مسلم: ج ١٢، ص ١٣٥؛ الشوكاني، نيل الاوطار: ج ٢، ص ٣٢٩؛ ابن كثير، السيرة: ج ٣، ص ٣١٦؛ السيوطي، كفاية الطالب: ج ١، ص ٢٤٤؛ أحمد عبد الغفور عطار، غزوات الرسول: ص ٩٧.

(٤) أولاهما قبلة المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، الذي جدّد بناءه النبي سليمان بن داود، وسمي بالأقصى لبعده عن مسجد مكّة، أو لكونه لا مسجد وراءه وهي القبلة الاولى، وقد أمر المسلمون بالتوجه إليها في الإسراء والمعراج، وقبل الهجرة بعام. ابن هشام، السيرة: ج ١، ص ٣٩٦؛ ابن كثير، قصص الانبياء: ج ١، ص ٣٠٤، وثانيهما قبلة المسجد الحرام، الذي بناه النبي إبراهيم في مكّة، وقد حوّلت إليه القبلة، في العام الثاني للهجرة. مالك الموطأ: ج ١، ص ١٩٦؛ ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٢٧٦؛ الشافعي، المسند: ص ٢٣٤؛ ابن حنبل، المسند: ج ١، ص ٣٢٥؛ البخاري، صحيح: ج ١، ص ١٠٤؛ الطبري، جامع البيان: ج ١٥، ص ٨.

(٥) ابن هشام، السيرة: ج ٢، ص ٤٤٧؛ البيهقي، دلائل النبوة: ج ٣، ص ٣٤؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٣، ص ١٠٠.

(٦) ابن هشام، السيرة: ج ٣، ص ٧٠٨؛ النووي، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ١٧، ص ٢٢٧؛ أحمد عبد الغفور عطار، غزوات الرسول: ص ٩٧.

وأما بالنسبة إلى الصلاة إلى القبلتين، لقد فرضت الصلاة على المسلمين قبل الهجرة بعام، وكانت قبلتهم نحو المسجد الأقصى في بيت المقدس^(١)، ثم حُوِّلَت القبلة نحو المسجد الحرام في مكة، بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ زَيَّ تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وكان ذلك في العام الثاني للهجرة، وقد صلى علي بن أبي طالب لهاتين القبلتين^(٣).

«وقاتل بيدر وحنين»، لقد كان لعلي (عليه السلام) دور مهم في هاتين المعركتين، أما بالنسبة لمعركة بدر فقد حدثت عام ٢هـ / ٦٢٣م، وانتصر فيها المسلمون نصراً ساحقاً على مشركي قريش، إذ حطمت رؤوس الكفر. ومعركة حنين وقعت بين المسلمين والمشركين في عام ٨هـ / ٦٢٩م، وانتصر فيها المسلمون أيضاً^(٤)، وإن ذكر معركتي بدر وحنين من قِبَل الإمام السَّجَّاد (عليه السلام)، ودور جدّه علي بن أبي طالب فيهما؛ لخصوصيتهما، إذ إنّ معركة بدر هي أول المعارك التي خاضها المسلمون ضدّ المشركين، ومعركة حنين نظراً لما واجهه المسلمون فيها من صعوبات^(٥).

«ولم يكفر بالله طرفة عين»، قد جاء عن الرسول: «ثلاثة ما كفروا بالله قط، مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسيا امرأة فرعون»^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة: ج ١، ص ٣٩٦؛ ابن كثير، قصص الأنبياء: ج ١، ص ٣٠٤.

(٢) البقرة: آية ١٤٤.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب: ج ١، ص ٢٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ٢٢٩؛ هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٨٣٣.

(٤) الواقدي، المغازي: ج ٢، ص ٨٨٥؛ ابن هشام، السيرة: ج ٤، ص ٨٨٩.

(٥) المصدران السابقان؛ المقرئ، إمتاع الأسماع: ج ٨، ص ٣٨٧.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٣١٣؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ج ٤، ص ٤٦؛ سبط بن العمري، الكشف الحثيث: ص ٢٤٩؛ الحلبي، السيرة الحلبية: ج ١، ص ٤٣٥.

«أنا ابن صالح المؤمنين»، لقد ذكر عبد الله بن عباس حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله:
 «... معاشر الناس إنَّ علياً باب الهدى بعدي، الداعي إلى ربِّي، وهو صالح المؤمنين،
 ووارث النبيين»^(١)، وأشار الرسول صلى الله عليه وآله في قول آخر: «ولقد أعلمني ربِّي تبارك وتعالى
 أنَّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وأمير المؤمنين، ووارثي ووارث النبيين»^(٢)، وقامع^(٣)
 الملحدين^(٤)، ويعسوب^(٥) المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج^(٦) البكّائين،
 وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول ربّ العالمين». عدّد الإمام
 علي بن الحسين عليهما السلام عدّة صفات لجده علي عليه السلام، فهو الذي أذلّ الذين ألدّوا بدين
 الله تعالى، وكذبوا بما جاء به رسوله من العرب واليهود. ويعسوب المسلمين، أي
 رئيسهم؛ لأنّ اليعسوب هو أمير النحل، وقد استعمل هذا اللفظ هنا مجازاً. وهو
 نور وضياء للذين يجاهدون معه في ساحات الوغى، لنشر الإسلام، أو دحض
 أعدائه. وفي عبادته فهو أفضل المسلمين بعد الرسول، في قيامه وصيامه وجهاده،
 وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقضاء حوائج الناس، وهو مع كلّ هذا كان كثير
 البكاء من خشية الله تعالى، بل هو ملك البكّة وسيّدهم، وكان جبلاً أشمّ في تحمّله
 الصعاب، ومن ثمّ التغلّب عليها.

(١) الصدوق، الأمالي: ص ٨٣؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٠٠؛ ابن شهر آشوب،
 مناقب: ج ٢، ص ٢٧٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٦، ص ٢٨.

(٢) ابن طاووس، اليقين: ص ٤٢٧؛ حسن بن سليمان الحلّي، المحتضر: ص ٢٥٥.

(٣) أي ذلّته فذلّ واختبأ. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ١، ص ١٨٨؛ الجوهري، الصحاح: ج ٣،
 ص ١٢٧٢.

(٤) الملحدين: الكافرين، وهم من العرب واليهود ممّن لحدوا في دين الله تعالى ودين رسوله. ابن
 قتيبة، غريب الحديث: ج ١، ص ٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٣، ص ٣٨٨.

(٥) يعسوب: أمير النحل. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٣١٨.

(٦) هو الإكليل الذي يُوضع على الرأس، وتوجّه أي سوّده، فجعله سيّداً. يُنظر: الزبيدي، تاج
 العروس: ج ٣، ص ٣٠٥؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٨٢.

ويواصل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ذكر مناقب جدّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: «أنا ابن المؤيد بجبرائيل، والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حُرَم المسلمين، وقاتل الناكثين^(١) والقاسطين^(٢) والمارقين^(٣)، والمجاهد أعداءه الناصيين^(٤)»، وهنا نجد أنّ علياً (عليه السلام) يحظى بتأييد ملائكة السماء ونصرهم له، وهو صاحب غيرة على حُرَمات المسلمين، فهو حامٍ لها بكل ما يملك من غالٍ ونفيس، وهو عدوٌّ لدود لمن ينقض العهود، ومن مال عن جادة الحق والصواب، والمتلونين في مواقفهم التي لا تُوحى إلى الموقف الإسلامي الصحيح. وجاهد في قتاله كل من جعل العداوة نصب عينيه لآل البيت، وهذا ما حدث في معارك الجمل وصفين والنهروان.

«وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم^(٥) المعتدين، ومُبِير^(٦) المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين^(٧)»، ومن فضائل الإمام علي بن أبي طالب أنّه لا توجد شائبة في نسبه

(١) الناكثين، ومفرده الناكث، وهو من نقض العهد. ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ١٩٧؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) القاسطين، ومفرده قاسط، وهو من يميل عن الحق. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٧١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٧، ص ٣٧٨.

(٣) المارقين: الخارجين من الدين، والمروق، الطعن بالعجلة، وبلغ السهم من الرمية، أي خرج من الجانب الآخر، والمروق هو المغني. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ٣٤١؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٣٥.

(٤) الناصيين، ناصبت فلاناً، أي بالشرّ والحرب والعداوة ونحوهما، ونصبت بفلان إذا عاديته، ويعني به من يضمّر العداوة لآل البيت ويبغضهم، وينسبهم إلى ما يقدح في عدالتهم.

الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٢٢٥؛ نجم الدين الحلي، المعتمد: ج ٢، ص ٧٦٦.

(٥) قاصم، أي دق الشيء. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٧٠؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٨٥.

(٦) مبير، مهلك يسرف في إهلاك الناس، يبور بوراً فهو مبير، ودار البوار، دار الهلاك، والبوار، الكساد. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٨٦.

(٧) بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، تحقيق جعفر عباس الحائري: ص ٩٨.

الشريف، وقد وُلِدَ في الكعبة الشريفة دون الخلق كلّه، واتصاله بالرسول منذ ولادته إلى وفاته في حِلِّهِ وترحاله إلّا ما ندر، وزوج ابنته والتي هي قطعة من الرسول ﷺ ذاته، وهو أوّل من صدّق بدين الله تعالى الذي أنزل على النبي محمد ﷺ، وله السبق في ذلك^(١)، وهو للمعتدين والمشرّكين والمنافقين مشتّت ومفرّق لهم، وسهم من الله تعالى عليهم.

«ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله، ووليّ أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة^(٢) علم الله»، أي تجد عند علي من الحكمة التي سخرت لنصرة الدين، وأنّه مستودع لعلم الله تعالى، وبهذا فهو وليّ المسلمين.

«سَمِح^(٣) سخي^(٤)، بهلول^(٥)، زكي^(٦)، أبطحي^(٧)، رضي مرضي^(٨)،

(١) فرات الكوفي، تفسير: ص ٤٦٤؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٧٤؛ الطوسي، الأمالي: ص ٦٠٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١١٥.

(٢) عيبة، موضع السرّ عند الرجل، والذين يأتمنهم على أمره. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) سمح، أي كثير السّماح. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١٥٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ٤٨٩.

(٤) سخيّ، كثير الكرم والجود. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٢٨٩؛ الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٣٧٣.

(٥) بهلول، أي الضحّاك. ابن منظور، لسان العرب: ج ١١، ص ٧٣؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٣٩.

(٦) زكي، الطاهر من الأخلاق الذميمة. الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٣٩٤؛ الرازي، مختار الصحاح: ص ١٤٨.

(٧) أبطحي، نسبة إلى البطائح، ومفردها بطحاء، وهي بطائح مكّة، ويُقال لقريش الداخلة في البطاح، وهم الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكّة. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ١٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٤٤٤؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ٤١٣.

(٨) رضي مرضي، أي راضٍ بما قسم الله تعالى له، والله راضٍ عنه. الثعلبي، الكشف والبيان: ج ٤، ص ٣٩؛ المقرئ، المصباح المنير: ج ١، ص ٢٢٩.

مقدم^(١) همام^(٢)، صابر صوّام، مهذب قوّام، شجاع قمقام^(٣)، وهنا ذكر الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عددا من الخصال التي اتّصف بها جدّه الإمام علي (عليه السلام) الجامع لكلّ خير، ومنها أنّه كثير السماحة والكرم والجود مع النّاس، ضحّاك في الحروب لا يبالي بها، متقدّم صفوف الجيوش، ذو شجاعة وهمة عظيمة، سهل ليّن في مجلسه، طاهر من الصفات الذميمة، خليّ من العيوب، حابس نفسه عن إظهار الجزع، راضٍ بما قسم الله تعالى له، والله راضٍ عنه، كثير الصيام والقيام، واسع الفضل والإحسان.

«قاطع الأَصْلَاب»^(٤)، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جَنَاناً^(٥)، وأطلقهم عَنَاناً، وأجرأهم لساناً^(٦)، وأمضاهم عزيمة^(٧)، وأشدّهم شكيمة^(٨)»، بين الإمام السّجّاد (عليه السلام) أنّ عليّاً (عليه السلام) قاطع لأَصْلَاب الكافرين، أي ذريّتهم الكافرة، وذلك بانتصاره في الحروب على أعدائه. وقد فرّق الجيش الذي حاصر المدينة المنوّرة، وذلك في الغزوة

(١) مقدم، أي متقدّم على رأس الجيش. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١، ص ١٢٤.

(٢) همام، أي عظيم الهمة. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٦٢١؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٩٢.

(٣) قمقام، السيّد كثير الخير. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ١٧٢.

(٤) الأَصْلَاب، ومفرده صلب، وهو كلّ شيء من الظهر. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ١٢٧؛ الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ١٦٤.

(٥) أربطهم جَنَاناً، أكثرهم استقرار القلب من الفزع. الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٣، ص ٩٣.

(٦) أجرأهم لساناً، أي أنّه جريء جسور مقدم. الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢١٦٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٢٣.

(٧) أمضاهم عزيمة، أي الصبر والحزم، وما عقد القلب على فعله. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٣٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٠٠.

(٨) الشكيمة، الطبع. يُنظر: الحربي، غريب الحديث: ج ٢، ص ٥٣٨؛ الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ٩٦١.

التي سُمّيت بغزوة الأحزاب أو الخندق في عام ٥هـ/٦٢٦م، وقتل أشجع قاداتهم عمرو بن ودّ العامري^(١)، وبقتله تفرّقت الأحزاب المهاجمة للمدينة المنورة^(٢). وأنّه لا يفزع، بل كان مستقرّ القلب، مهاجماً جريئاً جسوراً، حازماً ما عقد قلبه على فعله، لا تأخذه لومة لائم في قول الحقّ، وذلك من خشيته من الله تعالى، وهذا هو طبعه في كلّ الأحوال.

«أسد باسل^(٣)، وغيث هاطل^(٤)، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت^(٥) الأسنة^(٦) وقربت الأعنة^(٧) طحن الرحي، ويذروهم ذرو الريح الهشيم^(٨)، ليث^(٩) الحجاز^(١٠)»،

(١) عمرو بن ودّ العامري، ويُلقَّب ذا الثدية، قُتل في غزوة الأحزاب وعمره ١٤٠ سنة. الواقدي، المغازي: ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) باسل، شجاع. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٢٦٣؛ ابن قتيبة، غريب الحديث: ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) هاطل، أي تتابع القطر من السحاب أو الدمع من العين. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٢١؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٦، ص ٥٦.

(٥) أزدلفت، أي اقتربت أو اجتمعت. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣٦٨؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٦٧.

(٦) الأسنة، ومفردها سنان، أي الرمح. الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ٢١٤٠؛ ابن سيده، المختص: ج ٤، ص ٢١.

(٧) الأعنة، ومفردها عنان، الفرس وجمعها خيول. الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢١٦٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٢٢.

(٨) الهشيم، هو النبات اليابس المتكسر، الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء، ورجل هشيم، أي ضعيف البدن. الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٥٩.

(٩) ليث، الأسد لقوّته وشدة أخذه. الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ٢٩٢؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٢٢٣.

(١٠) الحجاز، بالكسر وآخره زاي، وسُمّي حجازاً لأنّه يحتجز بالجلال، والحجاز ما حجز ما بين تهامة والعروض. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢١٨.

أي أسد عبوس في الشجاعة، وسيف قاطع على أعدائه إذا ما اجتمعت رماحهم واشتبت، فيكون تأثيره تأثير المطر الشديد، يطحن أعداءه طحن الدقيق وإن كان صلباً، وينثره كثر اليباس من أوراق الأشجار في الهواء.

«وصاحب الأعجاز^(١)، وكبش^(٢) العراق، الإمام بالنص والاستحقاق»، أي أن علياً (عليه السلام) في كلامه وأفعاله معجزات، لا يتمكن أحد أن يأتي بها، فهو سيد العراق، وقد تم تعيينه إماماً من قبل الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣)، وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ اللَّهَ مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه - قالها ثلاث مرات، وقيل أربع^(٤) - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٥).

وأما في استحقاقه فلديه من الإمكانيات والقدرات والخبرات التي تؤهله لإمامة أمة محمد (صلى الله عليه وآله)، وخليفة لدولتها، وإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. روى أبو سعيد الخدري: أنه كان مع النبي في مكة إذ ورد عليه أعرابي، فسأل النبي قائلاً: «ابن علي بن أبي طالب من قلبك؟ فأجاب النبي: يا أعرابي، والذي

(١) الإعجاز، أو العجز، ومفرده العجز، مؤخر الشيء، والمعجزة واحدة، ومعاجز الأنبياء، واعجاز الأمور أي أواخرها. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٢١٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٧٠.

(٢) كبش، وكبش القوم هو سيدهم. الجوهري، الصحاح: ج ٣، ص ١٠١٧.

(٣) المائدة: آية ٥٥.

(٤) ابن حنبل، مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٨١.

(٥) النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٦؛ محمد بن جمال الدين المكي الشهيد الأول، الروضة البهية: ج ٧، ص ١٤٨؛ عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير: ج ١، ص ١١.

فلق الحبة، وبرأ النسمة، وسطح الأرض على وجه الماء، لقد سألتني عن سيّد كلّ أبيض وأسود، وأول من صام وزكّى وتصدّق، وصلّى القبلتين، وباع البيعتين، وهاجر المهجرتين، وحمل الرايتين، وفتح بدرًا وحنين، ثمّ لم يعص الله طرفة عين، فغاب الأعرابي من بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو جبرائيل^(١).

«مكيّ مدنيّ، أبطحي تهامي^(٢)، خيفي^(٣) عقبي، بدري أحمدي، شجري مهاجري»، وهذه مواضع في الحجاز، نُسب علي بن أبي طالب إليها، لأنّه ابن الجزيرة العربية، ثمّ نُسب إلى معركتي بدر وأحد؛ لصولاته وجولاته فيهما، فضلاً عن بيعته، بيعة الرضوان، وهجرته.

«من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها^(٤)، وارث المشعرين^(٥)، وأبو السبطين الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب^(٦)، والشهاب^(٧) الثاقب^(٨)، والنور

(١) البرقي، المحاسن: ج ٢، ص ٣٣١.

(٢) تهامي، بالكسر، وادي باليامة. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٦٣.

(٣) خيفي، الخيف، موضع في مكّة. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٣١٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٤١٢.

(٤) من الوغى ليثها، أي في الحروب أسدها. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٤٥٧؛ الجوهري، الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٢٦.

(٥) المشعرين، أي شعائر الحجّ ومناسكه. ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٤١٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٧، ص ٣٣.

(٦) الكتائب، ومفردها الكتيبة، الجيش، أي مفرّق الجيوش. ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٧٠١؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٩٤.

(٧) الشهاب، شعلة من النار. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٤٠٣؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٢٢٠.

(٨) الثاقب، نجم ينفذ السماوات كلّها. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٣٨٢؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٨.

العاقب^(١)، أسد الله الغالب^(٢)، مطلوب كل طالب^(٣)، غالب كل غالب، ذاك جدّي علي بن أبي طالب»، إنّ علياً سيّد العرب؛ لصفاته التي يتميّز بها عن الآخرين، فهو في الحروب الأسد الضرغام، ومفرّق الجيوش على ضخامتها، ويتهاوى أمامه غالبو الرجال، وقد ورث مشاعر الحجّ ومناسكه في البيت الحرام، وهو أبو ولدي بنت النبي (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنّة، وهو شعلة تضيء كلّ مكان، وشعاع يهنّدي به يمثّل آخر الأوصياء، وهو يغلب أقرانه، ويشفع لمن يطلب شفاعته، هذا هو جدّ الإمام علي بن الحسين، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذه صفاته ومواقفه في الإسلام، ولا يوجد شخص أفضل منه في عصره أو العصور التي تلت عهده، باستثناء النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

وبعد أن عرّف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بجدّيّه النبي محمد بن عبد الله والوصي علي بن أبي طالب، انتقل إلى التعريف بنفسه قائلاً: «أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة نساء العالمين، أنا ابن الطّهر البتول، أنا ابن بضعة^(٤) الرسول»، ولم يزل يقول أنا أنا حتى ضجّ النّاس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد من الفتنة، فقطع خطبة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بالأذان.

ولم ينجح يزيد بأمره المؤذن بالأذان بمنع الإمام من مواصلة كلامه

(١) العاقب، أي آخر الأنبياء أو الرسل. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ١٦٤؛ الجوهري، الصحاح: ج ١، ص ١٨٤.

(٢) أسد الله الغالب، وهو الذي يغلب أقرانه فيما يهارس. الفراهيدي، العين: ج ٤، ص ٤٢٠؛ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية: ص ١٥٤.

(٣) مطلوب كلّ طالب، أي الشفيق. الفراهيدي، العين: ج ١، ص ٢٦١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١، ص ٥٦٠.

(٤) بضعة، أي القطعة منه، يُقال أعطيته قطعة من اللحم. ابن منظور، لسان العرب: ج ٨، ص ١٢.

واستدلالاته، بل فضحه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في كل مقطع من الأذان، إذ يسأله ولم يجب يزيد على سؤاله، مما سبب له إخراجاً أمام المجلس بعد أن كشفت حقائق الأحداث، وبطلان الزيف والتضليل الأمويين.

قالوا: ولا يزال علي بن الحسين (عليه السلام) وهو في خطبته يقول: «أنا، أنا، حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن أن يؤذّن فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: الله أكبر، قال علي بن الحسين (عليه السلام): كبرت كبيراً لا يُقاس ولا يُدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله. فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين (عليه السلام): شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ونحي وعظمي. فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله (ﷺ)، التفت (عليه السلام) من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: يا يزيد، محمد هذا جدّي أم جدك؟! فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت أنه جدّي فلم قتل عترته؟! قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر^(١). بينما يروي أبو مخنف، أن يزيد لم يصل بعد نهاية الأذان والإقامة، بل ترك المجلس ودخل بيته، ولم يردّ على علي بن الحسين (عليه السلام)^(٢).

لقد تمكّن الإمام السجّاد (عليه السلام) في خطبته أن يزيل كل التضليل والدعايات الإعلامية الأموية، التي روجتها السياسة الأموية، والتي ركّزت على أن هؤلاء الأسرى من الخوارج الذين خرجوا على الخليفة يزيد بن معاوية، فبدلت نشوة الانتصار عند يزيد وأتباعه إلى هزيمة وانكسار، وفرحهم إلى حزن وبكاء.

إنّ المتأمل في كلمات خطبة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لا بدّ أن يتبادر إلى ذهنه الحكمة أو السبب الذي جعل الإمام (عليه السلام) يلتزم - وفي جميع فقراتها - بذكر هويّته الشخصية فقط، فإنّ الأسلوب الذي اتّبعه الإمام (عليه السلام) في خطبته ينمّ عن حكمة

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧٦-٧٨.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٤.

وتدبير سياسي واع؛ إذ إنَّ الإعلان عن إسمه قضية شخصية، ومن أبسط الحقوق التي تُمنح للفرد وإن كان في حالة الأسر، بينما لو كان قد تطرَّق إلى شيء من مساوئ الأمويين وفضائحهم لَمُنِع من الكلام والنطق. لقد كان كلام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مليئاً بالتذكير والتعريف بشخصيته ونسبه الشريف، وعلاقته وصلته بالإسلام وبرسوله، لذلك ابتدأ كلامه بما منحه الله تعالى لهم من صفات اختصَّهم بها، لينتقل بعدها للتعريف برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكر أهمَّ الأحداث التي جرت منذ بدء الدعوة الإسلامية، ثمَّ بعد ذلك التعريف بجده علي بن أبي طالب، وأهمَّ المواقف والوقائع التي شارك فيها، لينتقل بعد ذلك للتعريف ببضعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانتها عند رسول الله وأهل بيته، وبعد هذه المقدِّمة بيِّن للحاضرين الكيفية التي قُتِل فيها الحسين.

كما نلاحظ أنَّه ركَّز في خطبته على ذكر المواقع الجغرافية في مكَّة والمدينة المنورة، والمواقف والأحداث الحاسمة التي جرت فيها، وربط نفسه بكلِّ ذلك بما فيه من قدسية، ومع هذا فهو يقف كأسير أمام أهل المجلس.

وقد فهم النَّاس ذلك بعمق، كما فهموا بأنَّ الحُكَّام الأمويين الذين حصلوا على مواقع السلطة والخلافة من خلال ربط أنفسهم بالإسلام، وإذا بهم عملوا ما عملوا بأبناء الرسالة وأهل بيت النبوة، لدرجة أن يُؤتَى بهم سبايا وأسرى بيد السلطة التي تحكم باسم الإسلام؛ لذلك ضجَّ النَّاس بالبكاء. كما فَهَمَ كُلُّ من في المجلس أنَّ جهل أهل الشام بأهل البيت - مضافاً إلى حقد الحُكَّام على أهل البيت عامَّة، وعلى الذين كانوا مع الحسين في كربلاء خاصَّة - كان له الأثر الكبير في وصول الأمر إلى هذه الحالة.

ولم يغب عن ذهن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أخذ الحيطة والحذر من أن يحسَّ يزيد بأنَّ هؤلاء الأسرى يشكِّلون خطراً عليه، فيعمل على التخلص منهم وإبادتهم؛ لذا فإنَّ ما قام به الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) من حصر خطبته بإطار شخصي منع من إثارة غضبه وحقده.

لقد تمكن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام من استغلال الفرصة التي أُتيحت له، فعمل على التنويه بشخصيته وبقضيته وبهمومه، ولو بالكناية التي كانت أبلغ من التصريح، فلذلك لم يذكر شيئا من فضائح الأمويين، ولم يتعرض لمساوئهم، على الرغم من توقّع يزيد لهذا الأمر، بقوله: «لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان»، وبذلك نجا من القتل ومن أن يُمنع من الكلام، واستمرّ في نشر الأهداف التي من أجلها قُتل الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه من الشهداء.

وبعد أن انتهى يزيد بن معاوية من مراسيم الاحتفال الذي أُقيم في قصره، خشي من ازدياد الرفض وانقلاب الناس عليه، فأمر بحبس سبباي آل البيت عليهم السلام من النساء والصبيان في بيت خرب واهي الجدران^(١)، لا يقيهم من برد أو حرّ^(٢)، فقال بعض السبباي: «إنما جعلنا في هذا البيت ليقع علينا، فقال الموكّلون بهم من الحرس بالقبطية^(٣): انظروا إلى هؤلاء يخافون أن يقع عليهم هذا البيت، وهو أصلح لهم من أن يُخْرَجوا غداً فتُضْرَب أعناقهم واحداً بعد واحد صبراً، فقال علي بن الحسين بالقبطية: لا يكونان جميعاً بإذن الله، وكان كما قال علي بن الحسين»^(٤).

لقد كان الموضع الذي أُودِعوا فيه سبباي آل البيت لا يقيهم من الحرّ، حتى تقسّرت وجوههم^(٥).

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٥٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٩؛ الصفار، بصائر الدرجات: ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١؛ ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٨١.

(٣) لربما الحديث كان بالنبطية وليس بالقبطية؛ لأنّ الاقباط هم بقايا المصريين القدماء (كتبوز).

(٤) الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٥٤؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٩؛ الصفار، بصائر الدرجات الكبرى: ج ٢، ص ١٤٥.

(٥) الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١؛ الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٥٤؛ ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٨١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٠٩؛ الصفار، بصائر الدرجات: ج ٢، ص ١٤٥.

ويلاحظ على هذه الرواية أنَّها أشارت إلى ارتفاع حرارة الشمس التي أدت إلى تقشّر وجوه سبايا آل البيت، ولكنّ جوّ بلاد الشام في شهر تشرين الثاني^(١) - وهو الوقت الذي وصلت فيه قافلة السبايا - يكون بارداً أو معتدلاً؛ وعليه ربما يكون معنى أنّ تقشّر الوجوه إنّما هو بسبب انخفاض درجة الحرارة لا ارتفاعها، ولم يكن هذا السبب الوحيد لتقشّر وجوه السبايا، بل التعب الثقيل الذي عانوا منه، لسيرهم في طريق طويل خلال سبيهم من الطفّ إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، وإزاء هذا لم تقشّر وجوههم فحسب بل تغيّرت ألوانهم.

خرج الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ذات يوم من الأيام التي احتجزوا فيها يتمسّى في أسواق دمشق، لأنّه ملّ من الجلوس وعدم الحركة، فتلقاه المنهال بن عمرو^(٢)، أو دخل عليه في سجنه، فسأله عن حاله قائلاً: كيف أصبحت أو أمسيت يا ابن رسول الله؟ فأجابه قائلاً: «كحال من أصبحوا وقد فقدوا السّتر والغطاء، وقد أعدموا الكفيل والحمى، فهل تراني إلّا أسيراً ذليلاً قد أعدم الناصر والكفيل، قد كُسيْتُ أنا وأهل بيتي ثياب الأسى^(٣)، وقد حرّم علينا جديد العرى^(٤)، فإن تسأل فيها أنا كما ترى، قد شمتت بنا الأعداء، ونترقب الموت صباحاً ومساءً، ثم قال: ... ونحن

(١) لتحويل التقويمين من وإلى الآخر. يُنظر: فريمان جرنفيل، التقويمان: ص ٢٣-٢٥.

(٢) المنهال بن عمرو، كنيته أبو محمّد، ولقبه الاسدي؛ لأنّه مولى لبنى عمرو بن أسد بن خزيمة الكوفي، ويُعدّ من أصحاب الإمام الحسين، والإمام علي بن الحسين، والإمام محمّد بن علي الباقر، والإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام)، وروى عنهم، وهو من الرواة الثقات. يُنظر: يحيى ابن معين، تاريخ بن معين: ج ١، ص ٢٩٩؛ الطوسي، رجال الطوسي: ص ١٠٥؛ ابن أيوب الباجي، التعديل والتجريح: ج ٢، ص ٨٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ٣٧١؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ٢٨، ص ٥٦٨.

(٣) الأسى، مقصور، الحزن على الشيء. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٣٣٢؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ١٥٧.

(٤) العرى، مقصور، ما ستر شيئاً من شيء. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٢٩٧.

أهل بيته أصبحنا مقتولين، قد حلت بنا الرزايا، نُساق سبايا، ونُجلب هدايا، كأن حسبنا من اسقاط الحسب، ومنتسبنا من أرذل النسب، كأن لم نكن على هام المجد رقينا، وعلى بساط الجليل سعيينا، وأصبح الملك ليزيد وجنوده، وأضحت بنو المصطفى من أدنى عبيده^(١)، ... ما كنت أرى شيخاً - أي المنهال - من أهل مصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، أما إذ لم تدرِ أو تعلم فسأخبرك، أصبحنا في قومنا بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبّحون أبناءهم، ويستحيون^(٢) نساءهم، وأصبح شيخنا وسيّدنا يُتَقَرَّب إلى عدونا بشتمة أو سبّه على المنابر، وأصبحت قريش تُعدّ أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً منها لا يُعدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العرب مقرّة لهم بذلك، وتُعدّ أنّ لها الفضل على العجم لأنّ محمّداً منها لا يُعدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العجم مقرّة لهم بذلك، فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب؛ لأنّ محمّداً منها، أي أنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش؛ لأنّ محمّداً منّا، فأصبحوا يأخذون بحقّنا ولا يعرفون لنا حقّاً، هكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا...^(٣)، ... وأمسينا بيت محمّد ونحن مغصوبون مظلومون مهجورون مقتلون مشهورون^(٤) مطرودون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال^(٥).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٤.

(٢) يستحيون، ييقون، يتركون. ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ٢١٣؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ١٩، ص ٣٥٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢٢٠؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيّل: ص ١٢٠؛ النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٤٨٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١، ص ٣٩٦؛ المزي، تهذيب الكمال: ج ٢٠، ص ٣٩٩؛ المحسن بن كرامة، تنبيه الغافلين: ص ١٠٤.

(٤) مشهورون، الثبور، الهلاك والخسران. الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٦٠٤؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٠١.

(٥) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧٩.

ومّا تقدّم يبدو أنّ السجن الذي أُودِعوا فيه سبايا آل البيت لم يتّصف بالصرامة والشدّة، بحيث لا يُسمح لهم بالخروج أو دخول الناس عليهم، مع إحاطته بالحرس الموكل على حراسته، وهم من غير المسلمين، بل من الأقباط النصارى.

واختلفت الروايات في لقاء الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مع المنهال بن عمرو، وهو من محبّي أهل البيت، هل كان خارج السجن أو داخله؟ صباحاً كان أو مساءً؟ وعلى أيّ حال، فإنّ جواب علي بن الحسين (عليه السلام)، على أسئلة المنهال كان صورة واضحةً بيّنت حال سبايا آل البيت، فبينما كانت العرب تتفاضل على العجم بأنّ محمّداً منها، وتقرّ العجم لهم بذلك، وتتفاضل قريش على العرب بأنّ محمّداً منها، وتقرّ العرب لهم بذلك، ويتفاضل أهل البيت على الجميع بأنّ محمّداً منهم، بل جدّهم، ويُقرّ لهم بذلك، لكنّهم لم يقرّوا لهم بحقّهم! فأصبح آل البيت بين المسلمين كبني إسرائيل في قوم فرعون، يقتلون الرجال ويتركون النساء. ولم يكتفوا بشتن وسبّ جدّهم علي على المنابر، بل تعدّوا إلى أبعد من ذلك، فقتلوا ذريته، ذريّة النبوّة وسبطها، ثمّ ساقوا ما تبقى منهم أسارى وسبايا من الكوفة إلى دمشق، إلى ابن الطلقاء يزيد بن معاوية، كأئمّهم لا حسب شريف ولا قرابة نبوية مقدسة لهم. ومن هوان الدنيا أن يكون الملك ليزيد وأعوانه، وبنو المصطفى كالعبيد يُقادون من موضع إلى آخر تحت شماتة أعدائهم، إذ فقدوا الكفلاء والحماة والناصرين، وغُصبت حقوقهم، وعاشوا تحت الظلم والقهر والقتل، وإزاء كلّ هذه المصائب نرى آل البيت أشدّاء أقوياء، رجالاً ونساءً، متمسّكين بالله تعالى وقوّته ورحمته، فهو الحكم وإليه تُرجع الأمور.

المبحث الرابع

أصداء الرفض لفعل يزيد بن معاوية

لقد أدّت الجرائم التي ارتكبتها يزيد بن معاوية بحق آل البيت عليهم السلام إلى سخط المسلمين وغيرهم، والذي أجج هذا السخط بشكل أشدّ عند الناس تلك الخطب التي ألقاه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وعمّته السيّدة زينب بنت علي عليها السلام في مجلس يزيد من جهة، والحالة المأساوية التي عاشها سببا آل البيت عليهم السلام - وقد شاهدها الناس عند استعراضهم في شوارع دمشق وأسواقها - من جهة أخرى. وقد سارت الأحداث على عكس ما كان يهدف إليه يزيد، حيث أراد أن يخلق جواً مضاداً لثورة الحسين عليه السلام، إلّا أنّ ما حدث هو ازدياد النقمة عليه وعلى ما قام به، حتى في الأوساط الأموية التي كانت حاضرة في مجلسه، ومما يؤكّد ذلك ما قام به عدد من الحاضرين في مجلس يزيد بن معاوية، منهم:

١ - الصحابي أبو برزة الأسلمي^(١):

عندما سمع أبو برزة الأسلمي يزيد يُردّد أبيات الحصين بن الحمام المرّي، وهو ينكت بمخصرته ثنايا أبي عبد الله الحسين؛ أثاره هذا الموقف، وانتفض بوجه يزيد المتهور دون التفكير بالنتائج المحتملة التي قد تصدر عنه، قائلاً له: «أتنتك بقضيبك ثنايا الحسين وثرغره؟! أشهد لقد رأيت رسول الله يرشف ثناياه وثنايا أخيه، ثم إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك، ويحيى هذا - وأشار إلى رأس الحسين - ومحمد شفيعه»^(٢)، فأغضبه قول أبي برزة وأمر بإخراجه من المجلس، فأخرجه سحياً^(٣). ويُعدّ موقف أبي برزة هذا - الذي كان مشابهاً لموقف زيد بن الأرقم في مجلس ابن زياد في الكوفة - بداية لردود الأفعال على يزيد.

-
- (١) أبو برزة الأسلمي، هو نضلة بن عبد الله، وقيل: عبيد الله الأسلمي، مشهور بكنيته أبو برزة، من الصحابة، روى عن النبي كثيراً، وشهد فتح خيبر، وفتح مكة سنة ٨هـ / ٦٢٩م، وفتح حنين سنة ٨هـ / ٦٢٩م، كان من ساكني المدينة، ثم سكن البصرة ومات فيها، وأقام مدة مع معاوية ابن أبي سفيان، وغزا خراسان، وقيل: إنّه شهد مع الإمام علي (عليه السلام) صفين والنهروان، وقيل: إنّ وفاته في سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م، أو سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٤، ٢٢٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٤، ٢٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٥، ص ١٤٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٧، ص ٣٣.
- (٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٢٥٤؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ١٢٩؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣٥.
- (٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ١٢٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٦٣-٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٢.

٢ - عبد الرحمن بن الحكم^(١) أو يحيى بن الحكم:

أشار أبو مخنف إلى أن الأمراء المصاحبين لقافلة سبأيا آل البيت لما قدموا برأس الحسين ودخلوا مسجد دمشق، سألهم مروان بن الحكم عما فعلوه بآل البيت، فأجابوه بأنه قدم عليهم بثمانية عشر رجلاً فقتلناهم جميعاً، وهذه رؤوس القتلى، وسبينا ما تبقى من عيال الحسين، ولم يرق هذا لمروان فانصرف عنهم وتركهم، وبعده سألهم أخوه يحيى بن الحكم، فأجابوه بما أجابوا أخاه مروان، فقال يحيى: «حُجبتُم عن محمد يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً»^(٢).

أمّا أبو الفرج الأصفهاني فقد أشار إلى أن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي هو الذي كان حاضراً عند يزيد بن معاوية، عندما بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن عليّ، فلما وُضع بين يدي يزيد في الطَّشْت بكى عبد الرحمن، ثم قال:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن كموتر قوسا وليس لها نبل
لها م بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح به يزيد: أسكت يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟^(٣).

(١) عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مطرف، ويُقال: أبو حرب، ويُقال: أبو الحارث، أخو مروان بن الحكم، سكن دمشق، وكان شاعراً محسناً. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٣، ص ١٧٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٤، ص ٣١١؛ الكتبي، فوات الوفيات: ج ١، ص ٦٢٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٨، ص ٨٢؛ الزركلي، أعلام: ج ٣، ص ٣٠٥.

(٢) مقتل الحسين: ص ٢١٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٢، ص ٨٤.

(٣) الأغاني: ج ١٣، ص ١٧٨؛ ويُنظر: الشجري، الأملالي الخميسية: ج ١، ص ٣١٢.

٣ - مؤذن الجامع الأموي:

عندما علت الأصوات من كل جانب في المجلس بعد خطبة علي بن الحسين (السجاد) (عليه السلام)، قال يزيد للذي أصدع علي بن الحسين المنبر: «ويحك أردت بصعوده زوال ملكي، فقال والله ما علمت أن هذا الغلام يتكلم بمثل هذا الكلام. فقال يزيد له: ما علمت أن هذا من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، فقال المؤذن له: إذا كان كذلك فلم قتل أباه، فأمر يزيد بضرب عنقه»^(١).

٤ - وائلة بن الأسقع:

من الذين أبدوا غضبهم واستياءهم على يزيد بن معاوية لما فعله بالحسين بن علي وأهل بيته وائلة بن الأسقع، الذي غضب عندما رأى رجلاً من أهل الشام مسروراً فرحاً بقتل الحسين وسبي عياله، فقال: «والله لا أزال أحبّ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً أبداً، بعد إذ سمعت رسول الله في منزل أم سلمة، وجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، وجاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله، ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلي فجاء فجلس بين يديه، ثم أردف عليهم كساء خبيراً، كأي أنظر إليه، ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٢)»^(٣).

٥ - رسول قيصر النصراني

إن رسالة الثورة الحسينية لم تنحصر بطائفة دون أخرى، ولا بقوم دون آخرين، ولا بزمان دون غيره، لذلك نرى بأن الإستنكار والتنديد بمرتكبي الفاجعة

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٥.

(٢) الشورى: آية ٣٣.

(٣) ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار: ص ٣٥؛ ابن جبر، نهج الإيمان: ص ٨٣.

العظمى ومسببها لم يخصّ المسلمين وحدهم، بل شمل كلّ أحرار العالم على مدى الزمان، ومنه استنكار رسول قيصر - وهو من أهل الكتاب - الذي كان جالساً في مجلس يزيد، فلما رأى رأس الحسين بين يدي يزيد تأثر من ذلك وسأل عنه، فقيل له: هذا الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فتعجّب وقال: «هذا ابن بنت نبيكم؟! فقال يزيد: نعم، ففرع ممثّل ملك الروم، وقال: تبّاً لكم ولدينكم، وحقّ المسيح إنكم على باطل، وإنّ عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر فرس ركبه المسيح، فنحن نحجّ إليه في كلّ عام مسيرة شهور وسنين، ونحمل إليه النذور والأموال، ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنّكم على باطل، ثمّ قام ولم يعد إليه»^(١).

ثمّ إنّ يزيد أمر بقتله؛ خشيةً من أن يفضحه عند قومه بعد رجوعه إليهم، «فلما أحسّ النصراني بالقتل قال: يا يزيد أتريد قتلي؟ قال: نعم، قال: فاعلم أنّي رأيتُ البارحة نبيكم في منامي وهو يقول لي: يا نصراني، أنت من أهل الجنة، فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله عبده ورسوله، ثمّ أخذ الرأس وضمّه إليه، وجعل يبكي حتى قُتل»^(٢).

ويبدو أنّ رسول قيصر هذا كان مقيماً في دمشق، ومما يؤكّد ذلك ما أورده أبو يعلى، من أنّ رسول قيصر كان له منزل يقيم فيه هناك في عهد يزيد بن معاوية^(٣).

٦ - رأس الجالوت^(٤):

مَنْ أظهر استنكاره وإدانتته رأس الجالوت، حيث دخل على يزيد بن معاوية،

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين ﷺ ج ٢، ص ٨٠.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين ﷺ ج ٢، ص ٨١.

(٣) مسند أبو يعلى ج ٣، ص ١٧٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١، ص ٥٧.

(٤) الجالوت: اسم رجل اعجمي لا ينصرف، وفي الديانة اليهودية هو منصب ديني يراد به رئيس علماء اليهود. الثعالبي، ثمار القلوب: ص ٣٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٢، ص ٢١؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٥ ص ٣٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٣، ص ٣٢.

فقال له: «ما هذا الرأس؟ فقال يزيد: رأس خارجي، قال: ومن هو؟ قال يزيد: الحسين، قال: ابن من؟ قال يزيد: ابن علي، قال: ومن أمه؟ قال يزيد: فاطمة، قال: ومن فاطمة؟ قال يزيد: بنت محمد، قال: نبيكم؟! قال يزيد: نعم، قال: لا جزاكم الله خيراً، بالأمس كان نبيكم واليوم قتلتم ابن بنته! ويحك إن بني داود النبي نيفا وسبعين أباً، فإذا رأيتني اليهود كفرت لي»^(١).

يتضح من هذه الرواية أنّ رأس الجالوت هو من أحفاد نبي الله داود، وهو أشبه ما يكون بزعيم الطائفة اليهودية، ويحظى عندهم بمنزلة ملؤها الوقار والإحترام.

٧ - خبر يهودي^(٢):

كان خبر يهودي حاضراً في مجلس يزيد بن معاوية، ويبدو أنّه قد جلب انتباهه علي بن الحسين، فسأل يزيد عنه، فأجابه بأنّ صاحب الرأس هو أبوه، ثمّ سأل الخبر يزيد ثانياً، من هو صاحب الرأس؟ فأجابه هو الحسين بن علي بن أبي طالب، ثمّ سأل الخبر عن أمه، فأجابه بأنّها فاطمة بنت محمد، فقال الخبر: «يا سبحان الله! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئس ما خلقتموه في ذريته، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنّا نعبده من دون الله، وأنتم إنّما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه، سواء لكم من أمة»^(٣).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٣٦؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٩٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٣؛ الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٨١.

(٢) الخبر: العالم من علماء الدين، وجمعه أحبار. الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٢١٨؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٢، ص ٦١٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ١٥٨.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٢.

فأمر يزيد بكرّ في حلقه، فقام الحبر وهو يقول: «إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرّروني فإنّي أجد في التوراة أنّه من قتل ذرّيّة نبي لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي، فإذا مات يصلّيه الله نار جهنّم»^(١).

ومّا تقدّم يمكن القول أنّ الرفض لفعل يزيد بن معاوية بقتله الحسين بن علي لم يقتصر على المسلمين، بل شمل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين كانوا يسألون يزيد كثيراً عن اسم الحسين (عليه السلام)، ومنّ هما أبواه، ومنّ جدّه، ولم تكن هذه الأسئلة عادية وعابرة، بل ليتأكّد أصحابها ممّا سمعوه في الخارج. وهذا يعني أنّ قتل الحسين (عليه السلام) وسبي عياله صار أمراً معروفاً وشائعاً في الوسط الشعبي والرسمي في دمشق، وأنّ التضليل الأموي بات مكشوفاً، وأنّ ما روجّ إليه يزيد وأعوانه من كون هؤلاء من الخوارج قد بُدّد، وصار في خبر كان.

ومن المسلمين الذين اعترضوا على يزيد هو الصحابي أبو برزة الأسلمي على نكت يزيد بعصاه شفّتيّ الحسين، تلك التي كان النبي يقبّلها. وكذلك الصحابي وائلة بن الأسقع، الذي ردّ على أولئك الذين كانوا فرحين بقتل الحسين (عليه السلام)، بأنّه ما يزال يحبّ النبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته، وهذا تحدّد لأعداء آل البيت. بل امتدّ الرفض والإدانة إلى الدّ أعداء آل البيت، أمثال مروان بن الحكم، الذي سمع من الأمراء المصاحيين لقافلة سبايا آل البيت بقتل الحسين (عليه السلام) وسبي عياله، فلم يقع هذا الأمر في نفسه موقع الرضا، بل عبّر عن رفضه بانسحابه عنهم. وكان موقف أخيه مروان رافضاً لتلك الجريمة أيضاً، فقد أكّد يحيى بن الحكم لقتلة الحسين بأنّهم سيُحجبون عن محمّد وشفاعته يوم القيامة، وسوف لا يكون معهم في أيّ أمر ما مستقبلاً. وعندما وضع رأس الحسين (عليه السلام) في طشت أمام يزيد بكى عبد الرحمن بن الحكم، وأنشد

(١) المصدر السابق؛ مرتضى العسكري، معالم المدرستين: ج ٣، ص ١٥٩.

شعراً ذم فيه حسب ونسب ابن زياد، فأسكته يزيد؛ لأنه لا يريد ذم من نفذ أوامره بقتل الحسين. وصبَّ يزيد جام غضبه على مؤذن الجامع الأموي، الذي ساعد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على صعود المنبر ليخطب، وبخطبته فُضح يزيد أمام حضور مجلسه، وعدَّ يزيد ذلك بأنَّ المؤذن يريد زوال حكمه، إلَّا أنَّ يزيد أقرَّ لمؤذنه أنَّه من بيت النبوة ومعدن الرسالة، ممَّا وضع نفسه في زاوية حرجة، فتشجَّع المؤذن ولامه على قتل الحسين، ولم يجد يزيد جواباً لذلك إلَّا الأمر بقتله؛ لإسكات الأصوات الرافضة لأفعال بني أمية.

كما استمر رفض أهل الكتاب من النصارى واليهود لفعل يزيد، إذ أثارت مشاعرهم تلك الجريمة النكراء، فقد رفض رسول قيصر النصراني عندما علم أنَّ هذا رأس الحسين بن علي (عليه السلام) حفيد النبي، فوصف يزيد وأصحابه بالباطل، وخرج من المجلس، إلَّا أنَّ يزيداً لم يتركه وحاله، بل أمر بقتله خشيةً من أن يفضحه في الوسط النصراني، وقبل قتله أسلم ذلك النصراني، وحضن رأس الحسين وبكى بكاءً شديداً. وأما اليهود فقد كان إثنان منهم جالسين في المجلس، فرفضاً قتل الحسين (عليه السلام) وأدانا من فعل ذلك، فكان أولهما هو رأس الجالوت، الذي رأى رأس الحسين، فسأل عن أبيه وأمه وجدّه، وعندما أُجيب على سؤاله أغضبه ذلك، ولم يدع لهم بالخير. وثانيهما الخبر الذي جلب انتباهه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وسأل عنه، فأجابه يزيد بأنّه ابن صاحب هذا الرأس، وعندما عرف الخبر أنَّ المقتول هو سبط النبي (صلى الله عليه وآله) إنتابه الغضب ووصف يزيد وأُمَّته أنّها أسوأ الأمم، فعاقبه يزيد بوضع كرٍّ في حلقه، وعند ذلك أخبرهم الخبر أنَّ في التوراة إشارة إلى أنَّ من يقتل ذرية نبي سيظلّ مغلوباً في الدنيا، وفي الآخرة له نار جهنم.

لقد إنتبه أهل الشام من غفلتهم حين عرفوا حقيقة الأمر، فرفضوا ذلك وأقاموا العزاء، وعطّلوا أسواقهم، وواسوا سبائا آل البيت. و وصلت هذه الأخبار إلى يزيد،

من أن أهل الشام بدأوا يتحدثون عن قتل الحسين (عليه السلام)، ويقولون: «والله ما علمنا أنه رأس الحسين، وإنما قيل رأس خارجي خرج بأرض العراق»^(١)، وأن الغضب عليه أخذ يزداد عند الناس، لدرجة أنهم أرادوا الهجوم على قصره وقتله. وعند ذلك جاء مروان ابن الحكم - ناصحاً - فقال ليزيد: «لا أرى بقاء أولاد الحسين وعياله وأهل بيته عندك إلاّ مضراً بمصلحة ملكك، فاعمل على ترحيلهم من الشام إلى المدينة، الله الله في ملكك لئلا يندثر بسبب هؤلاء العيال»^(٢).

كما فشل يزيد في محاولة إبتدعها، وذلك بإشغال الناس - عن جريمته التي إرتكبها بحق الحسين بن علي (عليه السلام) وأهل بيته - بوضع أجزاء من القرآن الكريم في المسجد؛ لينشغل المسلمون عن ذكر الحسين (عليه السلام) بقراءتها بعد الإنتهاء من صلاتهم، إلاّ أن هذا لم يتم، بل ظلّ المسلمون يذكرون الحسين (عليه السلام)، وينددون بقاتله^(٣).

وهنا نرى أن يزيد اتّخذ من القرآن الكريم وسيلة لإبعاد المسلمين عن الحديث بجريمته، ولم يتّخذة دستوراً في منهج إدارته للدولة.

وهكذا لم تمض مدة طويلة على بقاء آل البيت في الشام، إذ تبدّلت نبرة يزيد ومعاملته مع سبايا آل البيت؛ لأنّ التغيّرات الفكرية لدى أهل الشام، وانكشاف الحقائق لهم؛ جعلت يزيد يسارع في استشارة المقربين له في كيفية التصرف مع قضية آل البيت، حيث سأهم: «يا أهل الشام ماذا ترون في هؤلاء؟ فقال له رجل: لا تتخذن من كلب سوء جرواً»^(٤)، فقال له النعمان بن بشير: اصنع ما كان رسول الله يصنع بهم لو

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٦.

(٢) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٧٠.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٦.

(٤) ويُقصد بهذا المثل، ليس بغلام أعياني أبوه، بمعنى إذا لم يصلح الوالد لم يصلح الولد. أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال: ج ٢، ص ٣٨٠.

رأهم بهذه الخربة»^(١)، وعند ذلك رُقّ عليهم يزيد، وبعث بهم إلى الحمام، وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والأطعمة، وأنزلهم في داره^(٢).
إنّ فعل يزيد هذا ليس حبّاً لآل البيت، وإنّما لإبعادهم عن النّاس الذين بدأوا يميلون إليهم.

وقيل: إنّّه جاء رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال ليزيد: «قد أمكنك الله من عدوّ الله وابن عدوّ أبيك، فاقتل هذا الغلام - يعني علي بن الحسين - ينقطع هذا النسل؛ فإنّك لا ترى ما تحبّ وهم أحياء من ينزع فيه، يعني علي بن الحسين، لقد رأيت ما لقي أبوك من أبيه، وما لقيت أنت منه، وقد رأيت ما صنع مسلم بن عقيل، فاقطع أصل هذا البيت؛ فإنّك إن قتلت هذا الغلام انقطع نسل الحسين خاصّة، وإلّا فالقوم ما بقي منهم أحد طالبك بهم وهم قوم ذووا مكر، والنّاس إليهم مائلون، وخاصة غوغاء أهل العراق، يقولون: ابن رسول الله ابن علي وفاطمة، اقتله فليس هو بأكرم من صاحب هذا الرأس، فقال يزيد: لا قمت ولا قعدت، فإنّك ضعيف مهين، بل أدعهم، كلّما طلع منهم طالع أخذته سيوف آل أبي سفيان»^(٣).

إنّ هذه الرواية تبيّن لنا أنّ يزيد بن معاوية ومن ورائه بنو أميّة، مبدأهم مع كلّ من ينازعهم سلطتهم يكون مصيره القتل أيّاً كان، ومع أنّ الحسين بن علي (عليه السلام) لم يكن منازعاً لبني أميّة على السلطنة؛ لأنّه لا يرى قيادة الأمّة سلطة يتولّاها المرء ليتحكّم بقراب النّاس، بل الحكم بالعدل بينهم، ووفقاً لتعاليم الشرع الإسلامي.

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٧٤؛ ابن نما الحلّي، مثير الأحزان: ص ٧٨؛ ابن طاووس، اللّهُوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٨؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ص ٧؛ المسعودي، أثبات الوصية: ص ١٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٦٠.

لقد دعا يزيد الذين حضروا قتل الحسين (عليه السلام)، فحضرُوا بين يديه، فسأَلهم قائلاً: «ويحكم مَنْ قتل الحسين؟ فجعل بعضهم يحيل على بعض، فقال يزيد: ويحكم أراكم يحيل بعضكم على بعض، قالوا يا يزيد: قتله قيس بن الربيع^(١)، فقال له: أنت قتلت الحسين؟ فقال: كلا ما أنا قتلته، قال يزيد: فمَنْ قتله؟ قال قيس: أقول لك مَنْ قتله ولي الأمان؟ قال يزيد: قل ولك الأمان، قال قيس: والله ما قتل الحسين وأهل بيته إلا مَنْ عقد الرايات، وصبَّ المال على الأنطاع^(٢) وسيّر الجيوش، فقال يزيد: ومَنْ ذلك؟ قال قيس: أنت والله يا يزيد، فغضب يزيد ونهض ودخل داره ووضع الرأس في طشت، وغطَّاه بمنديل ديبقي^(٣)، وقيل وضعه في حجره، وجعل يلطم على خدِّه ويقول: ما لي وقتل الحسين^(٤)».

إنَّ أبا مخنف في روايته هذه لم تكن بالشكل الذي تُصدَّق من قِبَل المطلِّع عليها، فهي تُثير عدداً من الأسئلة، مضافاً إلى أنَّنا نشمُّ منها رائحة أموية تهدف إلى تبرئة يزيد بن معاوية من قتله الحسين (عليه السلام) ورجال بيته وأنصاره، وإظهار شديد أسفه على ما حلَّ بهم.

(١) قيس بن الربيع، ويكنى أبا محمَّد، الأسدي الكوفي، ويُقال له: الحوال؛ لكثرة سماعه وعلمه، وأفسد كتبه ولده، والنَّاس يضعفونه، وبعضهم يعدُّونه من الثقات، توفي عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤ م. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٦، ص ٣٥٥؛ خليفة بن خياط، طبقات: ص ٢٨٧؛ البخاري، الضعفاء: ص ١١٥؛ العجلي، الثقات: ج ٢، ص ٢٢٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ٢٤، ص ٢١٩.

(٢) الانطاع، وهو بكسر النون وفتح الطاء، ومعناه الجلود ودبغها وصبغها، والنطع ما يُتخذ من الأدم، ويجمع على أنطاع، والتنطع في الكلام تعمق واشتقاق. الفراهيدي، العين: ج ٢، ص ١٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٤٠؛ القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ج ٣، ص ٣٢٠.

(٣) الديبق، وهو نوع من الأقمشة الفاخرة، ويصنع منها المناديل والثياب والعمام. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١٠، ص ١٩٥.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٦-١٤٧؛ محمَّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ٥٩٠-٥٩١؛ ليبب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٥١٨.

وهنا نقول: هل أن يزيداً يجمع عدداً من أمرائه، ليسألهم عن من قتل الحسين؟ وهل فعلاً أنه لا يعرف ذلك! فمن هو الذي أصدر أوامره بقتل الحسين؟! ثم إن قيس بن الربيع (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م) شخصية زجت في الموضوع زجاً، وهنا يبدأ الضعف والإرباك في الرواية، فإن قيس توفي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، أي بعد حادثة قتل الحسين بفترة تجاوزت قرناً من الزمن، ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها اسم قيس بن الربيع وأنه قتل الحسين، أو جاء ذكره مع القادة الذين شاركوا بقتله أو سبي عياله. ثم لو سلّمنا بأن قيساً كان موجوداً، وهو الذي قام بقتل الحسين، فكيف يجرأ على خطاب يزيد باسمه الصريح دون مخاطبته بلفظ أمير المؤمنين؟! وهنا لا يمكن الاعتماداً على الأمان الذي أعطاه إياه يزيد، الذي قام بقتل أي رافض لقتل الحسين، كالشيخ الشامي، ومؤذن مسجده، وآخرين من أهل الذمة، فكيف نصدّق أن يزيد تقبّل ذلك، ودون أي ردّة فعل، وأنه ما إن سمع قول قيس تغيّرت أحواله ودخل داره غاضباً، وبدأ يلوم نفسه باكياً لاطماً خدّه ورأس الحسين في حجره، وفي الوقت ذاته أشارت الرواية إلى أن الرأس في طشت مغطى بمنديل؛ وعليه فإن هذه الرواية واهية، ولا يمكن الإعتماد عليها، بل هي في محلّ نظر وتأمّل.

وفي هذا الوقت تغيّرت معاملة يزيد لسبايا آل البيت، فإهّ دعا الحُرْم واعتذر إليهنّ، وقال لهنّ: «أيما أحبّ إليكنّ المقام عندي، أو المسير إلى المدينة»^(١)، وفي رواية أخرى أن يزيد وجّه كلامه هذا إلى علي بن الحسين (عليه السلام)، قائلاً له: «إن شئت أقمت عندنا فبرناك، وإن شئت رددناك إلى المدينة؟ فقال علي: لا أريد إلاّ المدينة»، فردّه يزيد إليها مع أهله^(٢).

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٤٧؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١٢؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٥.

وفي وقت الحوار هذا أنزل يزيد الإمام السجّاد ونسوة آل البيت في داره، حيث أقاموا فيها أياماً^(١)، وأمر يزيد بإدخال نسائه على نساء آل البيت، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام، فما بقيت امرأة من نساء آل أبي سفيان إلا تلقتهنّ تبكي وتنتحب^(٢)، وألقين ما عليهن من الحلي والحلل^(٣).

وفي رواية أخرى أنّ زينب هي التي أرسلت إلى يزيد ليأذن لهنّ بإقامة العزاء على الحسين بن علي، فأذن لهنّ يزيد، وأمر بإدخالهنّ إلى دار الحجارّة^(٤)، فأقمن العزاء، وكثُر بكاءهن، واجتمعت النساء عليهنّ كلّ يوم، واجتزنّ حدود الحصر^(٥) والإحصاء^(٦)، وأصبح يزيد يستميل علي بن الحسين، فلا يتغدى ولا يتعشى إلاّ وعلي بن الحسين معه^(٧)، وصار يستدعي علياً ويجلسه إلى جانبه، ويتفدّاه ويتذلّل له، ويظهر الحزن على أبيه، ويلعن ابن زياد، ويدّعي أنّه لو كان صاحب الحسين لما وصل الأمر إلى هذا الحدّ^(٨).

-
- (١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢؛ الطبرسي، اعلام الوري: ج ١، ص ٤٧٥.
 (٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٥؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠٤.
 (٣) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨١.
 (٤) وهي إحدى دور بني أميّة، تقع عند باب الدرج، شرقي المسجد، واصبحت فيما بعد داراً لخالد ابن يزيد بن معاوية (ت ٩٠هـ / ٧٠٨م). ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦، ص ٣٠٤.
 (٥) هو الجمع والحبس والمنع والتضييق. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٧٨؛ الجوهري، الصحاح: ج ٢، ص ٦٣٠.
 (٦) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٧٠. والإحصاء، عدّ الشيء. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٢٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ١٨٣.
 (٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٦٢؛ ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢٤٩؛ محمّد مهدي الحائري، معالي السبطين: ص ١٦٤.
 (٨) عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٧٠.

وبعد سماح يزيد بإقامة مأتم العزاء سأل علي بن الحسين (عليه السلام)، بأن يذكر حاجاته الثلاث التي طلبها ليقضيها له. فكانت الحاجة الأولى: هي رؤيته وجه أبيه الحسين؛ ليتزوّد منه وينظر إليه ويودّعه. والثانية: ردّ ما أخذ من أهل البيت. والثالثة: فيما إذا عزم يزيد على قتله - أي على قتل علي بن الحسين - أن يُوجّه مع هذه النسوة من يردهنّ إلى حرم جدهنّ، أي إلى المدينة. وكان جواب يزيد لا سبيل لرؤية الرأس أبداً، ولا قتل لعلي بن الحسين، بل هو الذي يتولّى ردّ نساء أهل بيته إلى المدينة^(١)، وردّ ما أخذ من سبايا آل البيت لهم أضعافاً^(٢).

ويبدو ممّا تقدّم أن في أحد اللقاءات تعهّد فيه يزيد بقضاء ثلاث حاجات طلبها علي بن الحسين، ووفاء يزيد بتعهّده في قضائها مع تعاليه وتكبّره، باستثناء رؤية علي لرأس أبيه الحسين.

وممّا يؤخذ على هذه الرواية أنّه كيف يطلب الإمام السجّاد رؤية رأس أبيه ولا يطلب أخذ رأس أبيه الحسين وبقية رؤوس القتلى؛ لتأخذ طريقها إلى الدفن وفق الشرع الإسلامي؟! كما أنّ مطالب أهل البيت لم تكن مادّية، بل إرجاع ما سلب منهم يوم الطفّ؛ لأنّه من الموارث الخاصة لفاطمة بنت النبي، وهذا ما جاء في قول علي بن الحسين ليزيد: «أما مالك فلا نريده، فهو موفّر عليك، وإنما طلبت منك ما أخذ منا، لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمد، ومقنعتها وقلادتها وقميصها»^(٣)، وأمّا طلب علي بن الحسين (عليه السلام) في جعل أحد يوصل نساء آل البيت وأطفالهنّ إلى المدينة المنورة، فلاّنه كان يخشى القتل من قبل يزيد، وإن أظهر التودّد والتذلّل لعلي بن

(١) ابن نما الحليّ، مثير الأحران: ص ٨٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٣؛ عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٤٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢١٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٣.

(٣) ابن نما الحليّ، مثير الأحران: ص ٨٥؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٤٤.

الحسين، وهذا ما أشار إليه علي بن الحسين عليهما السلام في حديثه مع المنهال بن عمرو، إذ إنهم يترقبون الموت في أي لحظة.

ومما جاء عن يزيد أنه دعا علي بن الحسين عليهما السلام وعمرو بن الحسن، وهو غلام صغير، وقال لعمرو بن الحسن: «أتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالداً^(١) ابنه، فقال عمرو: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم قاتله فأخذه - يزيد - وضمّه إليه، ثم قال يزيد: شنشنة^(٢) أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا الحية؟»^(٣).

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية، ويكنى أبا هاشم الأموي، وأمه أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف، وهو من رجال بني أمية، وروى من وعن كثيرين، وكان خطيباً وشاعراً محباً للعلم، فاشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، وألف فيها رسائل، وأحضر بعض فلاسفة اليونان من مصر، وأمرهم بنقل العلوم اليونانية والقبطية إلى العربية، توفي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م. يُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ١٧، ص ٣٠٩-٣١٩؛ ابن النديم، الفهرست: ص ٤١٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦، ص ٣٠٩-٣٠٩؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٦، ص ٢٣٦؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٧، ص ٣١٨٤؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ج ١، ص ٢٦٥؛ الزركلي، الأعلام: ج ٢، ص ٣٠١.

(٢) شنشنة الرجل غريزته وخلقه وطبيعته، شنشنة أعرفها من أخزم، يضرب مثلاً للرجل الذي يشبه أباه، وابو أخزم هو جد حاتم الطائي، أو جد جده، وبعد موت أخزم، وثب يوماً بنوه على جدهم وأدموه، فقال:

إن بني رملوني بدم شنشنة أعرفها من أخزم

والمثل لجد حاتم بن عبد الله بن الحشر بن أخزم، وكان أخزم من أجود الناس، ولما نشأ حاتم، وفعل من أفعاله الكرم، قال: هي شنشنة أعرفها من أخزم. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ٢٢٠؛ ابن سلام، غريب الحديث: ج ٣، ص ٢٤١؛ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال: ج ١، ص ٥٤١.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٥؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٣٠؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٢؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣٨.

وفي رواية أخرى، عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي، لما قتل الحسين، وحمل رأسه إلى يزيد، وحملنا معه فأقعدني يزيد في حجره، وأقعد ابناً له في حجره، فقال لي: «أتصرعه؟ فقلت: أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ودعني وإياه، فقال يزيد: ما تدعون عداوتنا صغاراً وكباراً»^(١)، وأشارت رواية أخرى أيضاً أن يزيد طلب من علي بن الحسين (عليه السلام)، مصارعة ابنه^(٢).

ويلاحظ على هذه الروايات أنها تطلب من أناس يعيشون الحزن والألم - نظراً لقتل رجالهم وسبي نسائهم - الدخول في مصارعة، فبأي حال هؤلاء ليجيوا طلب يزيد، وهم في مصيبة كبرى! ثم من الذي طُلب منه القتال أو المصارعة، هل هو عمرو بن الحسن، أم ابنه محمد، أم علي بن الحسين، إن عمرو كان صبيّاً صغيراً، ولا يمكن أن يكون له ولد، وأما علي بن الحسين فلا يُعقل أن يستجيب لذلك؛ لأن عمره وشخصه لا يتناسبان وطلبات يزيد المتهور. ثم الكلّ يعلم شجاعة بني هاشم عامةً، وآل البيت خاصةً؛ فكيف يمكن ليزيد أن يطلب طلباً يؤدي إلى قتل ولده.

بعد أن استقر رأي السبايا على العودة إلى المدينة، لأنها مهاجرة جدّهم محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله)، أخبروا يزيد بذلك، فأمر النعمان بن بشير الأنصاري أن يهيئ وسائل السفر لترحيل أهل البيت من دمشق إلى المدينة^(٣).

وعندما خرج الركب الحسيني أوصى يزيد الحرس المرافق لهم، بأن يرفقوا بهم،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٤٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨٢؛ ابن نهار، الحلي، مثير الأحرار: ص ٨٤.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨٢.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ٢١٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٤؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٣٢.

ويعاملوهم بكل إحسان^(١)، وأصحابهم النعمان بن بشير رسولاً، وأوصاه بأن يسير بهم في الليل، ويكونوا أمامه وتحت نظره لا يغيبون عن عينه^(٢). كما أمر يزيد الحرس الذين صحبوا السبايا أن ينزلوا بهم حيث شاءوا، ومتى شاءوا^(٣)، فإذا نزلوا تنحى عنهم، وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، بحيث إن أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً وقضاء حاجة لم يحتشم. وسار معهم في جملة النعمان، ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم ويرعاهم، كما أوصاه يزيد بذلك، حتى دخلوا المدينة^(٤).

أما المدّة التي قضاها سبباي آل البيت في مدينة دمشق فلم تذكرها المصادر التي بين أيدينا بشكل دقيق، بحيث يكون منسجماً مع ما يُعقّل من مجرى الأحداث، ولكن يمكن حسابها تقريباً واحتمالاً من إشارات بعض الروايات، فتتخذها أساساً

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩٢؛ الطبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٤٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٨؛ عماد الدين الطبري، كامل البهائي: ج ٢، ص ٣٧١.

(٣) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير: ص ٨٤؛ محمد باقر المحمودي، ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق: ص ٣٢٥.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٥؛ ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٢١٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٦١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨٢؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٨؛ الطبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٤٧٦؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٦٣٢؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٥؛ ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة: ج ٢، ص ٨٣٩.

لحساب مدة بقاء آل البيت في دمشق، وذلك بعد أن نستبعد الروايات التي تبالغ في ذكرها بعض الأحداث، ومنها رواية القاضي النعمان المغربي، والتي تُشير إلى أن مدة بقاء سبائا آل البيت في دمشق - والتي بضمنها مدة السجن - كانت شهرا ونصفا^(١). وكذلك رواية ابن طاووس التي حدّدت مدة بقاء سبائا آل البيت بشهر في السجن^(٢).

لقد أشار البيروني إلى أن رأس الحسين قد قُدّم أمام يزيد في الأول من صفر^(٣)، وأنّ قافلة السبائا عند وصولها إلى الشام انتظرت على باب من أبواب سور دمشق ثلاثة أيام؛ لإكمال إجراءات الإحتفال الذي أمر به يزيد بن معاوية، ثم أُجري استعراض سبائا آل البيت في اليوم الرابع، واستمرّ من الصباح الباكر إلى ما بعد الظهر، ثم أُدخلوا إلى مجلس يزيد العام، وبعد انتهاء المجلس أمر يزيد بإيداع آل البيت السجن، ولم نعرف المدة التي قضوها فيه، ولكن خلال مدة السجن يبدو أنّ العامّة من النّاس تعاطفوا مع آل البيت بعد أن عرفوا ما حلّ بهم، وبدأوا يدخلون عليهم في السجن، أو يلتقون بهم في شوارع دمشق، كما حصل ما بين علي بن الحسين والمنهال بن عمرو، ممّا زادت خشية يزيد من هذه التطوّرات، وبالتالي انقلاب الأمر عليه؛ فأخرجهم من السجن، وأنزلهم في دار إلى جانب قصره، لمنع تواصل اللقاءات بين النّاس وسبائا آل البيت. ومع ذلك أُقيم في هذه الدار مأتم عزاء على الحسين (عليه السلام)، شاركت فيه نساء بني أميّة لمدة ثلاثة أيام^(٤)، وبهذا فإنّ سبائا

(١) شرح الأخبار: ج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠١.

(٣) الآثار الباقية: ص ٣٣١.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام): ص ١٢٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٥؛ الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٨١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ٢٧٧؛ ابن الأثير،

آل البيت قضوا ثلاثة أيام إلى جوار سور دمشق، ويوم الاستعراض، وثلاثة أيام مدة العزاء في دار قرب قصر يزيد، فيكون مجموع هذه الأيام يكون سبعة أيام. وتبقى مدة السجن مجهولة، ولكنها في الأعم الأغلب لا تتجاوز ثلاثة أيام، إذا ما قورنت بتأزم الوضع في دمشق، وميل الناس وتعاطفهم مع سبايا آل البيت، وبضمنهم نساء بيت يزيد، وخشية بني أمية من ذلك؛ مما جعلهم ينصحون يزيد بإخراج السبايا من دمشق، وإرجاعهم إلى المدينة المنورة. وبهذا يمكن القول إن سبايا آل البيت قضوا مدة عشرة أيام، أو أكثر قليلاً في دمشق، أي أنهم خرجوا منها متوجهين إلى المدينة في العاشر من صفر، أو بعده بيوم أو يومين. ولا بد من الإشارة هنا - ونحن نأتي على نهاية هذا الفصل - إلى أننا لم نجد أي مطالبة من قبل سبايا آل البيت، ولا سيما من علي بن الحسين وعمته السيدة زينب بنت علي (عليه السلام)، برأس الإمام الحسين (عليه السلام) وبقية رؤوس القتلى، سوى طلب علي بن الحسين من يزيد رؤيته لرأس أبيه الحسين (عليه السلام)، وهذا الطلب لم يوافق عليه يزيد بن معاوية. وسوف نقوم بدراسة هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل القادم.

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام ومدفنه

المبحث الأول : قطع الرؤوس وأبعادها السياسية والاجتماعية

المبحث الثاني : مدفن رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام

المبحث الأول

قطع الرؤوس وأبعادها السياسية والاجتماعية

إنَّ المتتبع لأحداث التاريخ الإسلامي يجد أن قطع رؤوس القتلى وإرسالها من مدينة إلى أخرى، والطواف بها في شوارع تلك المدن، ثقافة أموية أُشيع استعمالها منذ عهد حكم معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٧٩ م)، وصار جزءاً من ممارساتهم الأخلاقية، ويبغون من ورائه إسكات كلِّ الأصوات المعارضة لمفاسدهم، والتي لم تسر في خطِّهم ولم تؤيِّدهم في سياساتهم وتوليَّهم الحكم. وهذه الثقافة الغربية عن مبادئ الإسلام لم تكن معروفة عند المسلمين؛ لأنَّ الإسلام يعدُّ قطع رأس الإنسان بعد موته من المثلة^(١)، وإنَّ الرسول ﷺ نهى عن أن يمثل بالدوابِّ، أي تنصب ثم ترمى، أو تُقطع أطرافها وهي حية^(٢).

(١) المثلة، بفتح الميم وضم الثاء، أي العقوبة، وجمعها المثلات، والعرب تقول للعقوبة: مثَّله ومثَّلة، فمن قال: مثَّله جمعها على مثَّلات، ومن قال: مثَّلة جمعها على مثَّلات ومثَّلات ومثَّلات بإسكان الثاء، يُقال: مثَّلت بالحيوان أمثَّل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوَّهت به، ومثَّلت بالقتيل إذا جدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه، والاسم المثلة. فأما مثَّلت بالتشديد فهو للمبالغة، ومن الثابت النهي عن المثلة حتى بالنسبة إلى الكافر. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب ج ١١، ص ٦١٥. تفاصيل واسعة عن المثلة يُنظر: الأسدي، حيدر شمخي، تاريخ المثلة في الدولة الإسلامية حتى عام ١٣٢ هـ: ص ١٠-٢٥٥.

(٢) مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٤، ص ٢٩٤.

كما نهى الرسول ﷺ عن المثلة فقال: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(١)، فكيف بالإنسان؟! وثبت عن الرسول ﷺ النهي عن ذلك، ولم يحدث في عهده بالرغم من كثرة الحروب التي خاضها المسلمون ضدّ المشركين، ولم يرد أنّه سمع بذلك ورضي بشيء منه^(٢).

أمّا في عصر الخلفاء الأربعة فلم تحدث في عهدهم، على الرغم من كثرة الحروب التي خاضها المسلمون لنشر الإسلام، ولاسيما ضدّ الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، إلّا حالة واحدة مع العرب المسلمين، حدثت في عهد أبي بكر (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م)، عندما هاجم خالد بن الوليد وجيشه الصحابي مالك ابن نويرة^(٣) وقومه في أماكن سكنهم، إذ عدّهم من المرتدّين، فعمل على قطع رؤوس من قُتل منهم، إلّا أنّ هذه الحادثة أثارت حفيظة المسلمين، رفضاً

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص: ص ١٥٠؛ علي بن زيد البيهقي، معارج نهج البلاغة: ص ٣٨٥؛ الراوندي، منهاج البراعة: ج ٣، ص ١٥٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٧، ص ٦؛ المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج ٣، ص ٢٣٨.

(٢) الشافعي، الأم: ج ٤، ص ٢٥٩؛ النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٤١١؛ ابن حزم، المحلّ: ج ١٠، ص ٣٧٤؛ الطوسي، الخلاف: ج ٦، ص ٢٤١؛ ابن ادريس الحلّي، السرائر: ج ٣، ص ٣٢٦.

(٣) مالك بن نويرة بن جمره بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة، فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية، يُقال له: فارس ذي الخمار وذو الخمار فرسه، وفي أمثالهم "فتى ولا كمالك"، له لمة كبيرة، أدرك الإسلام وأسلم، وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني يربوع، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م)، لم يدفع مالك أموال الصدقات إليه وفرّقها، فتوجّه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار بن الأزور الأسدي بقتله. تفاصيل أوسع عنه يُنظر: ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ١٦٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ١٣٦٢؛ ابن الأثير، أُسدُ الغابة: ج ٣، ص ٣٩؛ شريف الدين الموسوي، النصّ والاجتهاد: ص ٥٧-٦٠؛ فلاح شنشل عبد الواحد، الصحابي الجليل مالك بن نويرة: ص ٢٠-١٤٠.

واستنكاراً، حتى أنّ عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٣م) لم يكن راضياً عما فعله خالد بن الوليد وأنكر عليه فعلته تلك^(١).

إنّ الأمويين هم الذين أشاعوا ثقافة قطع رؤوس القتلى والطواف بها، فانتهكوا بأفعالهم هذه الحكم الشرعي الإسلامي الواضح المانع لتلك الأفعال، ولا نعرف من أين أخذ الأمويون هذا الفعل، ولعلّه من آثار العقلية الجاهلية التي لم يتخلّصوا منها بعد، ولم يغادروها إلى فكر إسلامي متنوّر، ملؤه السماحة والمحبة، أو ربما أخذوها من الأمم المجاورة لهم، كالروم الذين عمل الأمويون على تقليدهم في كثير من نواحي حياتهم وطرق معيشتهم^(٢).

عندما اتّبع معاوية بن أبي سفيان والي الشام المعزول سياسة التوسّع في نفوذه، وعدم اعترافه بخلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الشرعية، أرسل جيشاً إلى مصر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م، وجرت حرب بينه وبين والي مصر محمد بن أبي بكر^(٣) (٣٧-٣٨هـ/ ٦٥٧-٦٥٨م)، إبان خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وتمكّن جيش معاوية من الإمساك بوالي مصر محمد بن أبي بكر وقتله وقطع رأسه، وحمله من مصر إلى دمشق وقُدّم إلى معاوية، وأمّا جثته فأدخلت في جيفة حمار وأُحرقت^(٤).

(١) ابن الأثير، أُسْدُ الغاية: ج ٤، ص ٢٩٥؛ المقرئ، إمتاع الأسماع: ج ١٤، ص ٢٣٨؛ حسين الشاكري، الأعلام من الصحابة: ج ٩، ص ٥٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٣٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية: ص ٦١٥-٦١٨؛ حيدر لفته سعيد مال الله، أساليب الدولة الأموية في تثبيت السلطة: ص ١٦٩-١٧١.

(٣) هو محمد بن أبي بكر، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية، من السابقات إلى الإسلام، وصاحبة المهجرتين، وكنية محمد أبو القاسم، شارك مع الإمام علي عليه السلام في الجمل وصفين. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج ٣، ص ٣٦٦؛ الكندي، ولاة مصر: ج ١، ص ٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٣، ص ٦٠١؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج ٤، ص ١٤٤.

(٤) أبو هلال العسكري، الأوائل: ج ١، ص ٩٠.

كما قام الأمويون بقطع رأس الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي سنة ٥١هـ / ٦٧١م، الذي كان متوارياً في الموصل بسبب مطاردة الأمويين له مدة طويلة، وفقاً لسياستهم التي اتبعوها ضد أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبعد أن وجده والي الموصل الأموي عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي^(١) ميتاً في غار من نهشة أفعى قطع رأسه من جثته، وحمل إلى معاوية في دمشق، ثم طيف به في المدينة^(٢).

إن فعل الأمويين هذا، بقطع الرؤوس من الأجساد الميتة، ثم حرق بعض تلك الأجساد؛ يدل على وحشية بربرية، وانسلاخ عن قيم الأرض والسماء على حد سواء، ولا تقره الأديان المختلفة، بما فيها الإسلام والمسلمون الحقيقيون، وإن قتل وقطع رأس محمد بن أبي بكر سبق قتل وقطع رأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) بأكثر من اثنتين وعشرين سنة، وقطع رأس عمرو بن الحمق الخزاعي سبق قطع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بحوالي عشر سنوات. ويبدو أن أخبارهما لم تنتشر بين المسلمين بشكل واسع، وإن طيف برأسيهما كما أشار بعض المؤرخين إلى أولوية ذلك^(٣)، إلا أن

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، يُكنى أبا سليمان، وأمه أم الحكم بنت أبي سفيان، وخاله معاوية وذريته تسكن دمشق، وحمل جده عثمان لواء المشركين يوم حنين، وقتله الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتولى عبد الرحمن من قبل معاوية الكوفة ومصر، ولكنه أساء السيرة في الكوفة فطرده أهلها، مما جعل والي مصر يمنعه من دخول مصر فالتحق بمعاوية، وكانت وفاته بعد معاوية. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ٥١٩؛ خليفة بن خياط، طبقات: ص ٥٦١؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٥، ص ٤٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٣، ص ٢٨٧؛ ابن خلدون، تاريخ: ج ٣، ص ١٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٤، ص ٣٠٤؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ص ٤٦؛ ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٢٧٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ج ٤، ص ١٠١؛ ابن العديم، بغية الطلب: ج ٨، ص ٣٦٧٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٧؛ ابن الأثير، تاريخ: ج ٤، ص ٨٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٦.

الطواف برأسيهما كان على نطاق ضيق لا يتعدى مساحة المدينة الواحدة، قياساً إلى الطواف برأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام بين مدن متعدّدة ومتوالية ومتجاورة، تقع على الطريق الطويل بين الكوفة ودمشق، واستمرّ فيه المسير أياماً ولياليّاً، وهذا يعني أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام - وهو سبط نبي لا يوجد غيره في شرق الأرض ولا غربها - أوّل رأس حُمل ونُقِل وطُيف به بين المدن العربية الإسلامية.

وعندما بدأت ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام تلوح في الأفق، وتجري الإستعدادات لها في الكوفة، ضيّق عبيد الله بن زياد الوالي الأموي في الكوفة بشدّة على المؤيدين لثورة الحسين، بإلقاء القبض عليهم، والأمر بقتلهم وقطع رؤوسهم. وهذا ما حصل لأكبر شخصيتين هما: مسلم بن عقيل عليه السلام وهانئ بن عروة، ثمّ بعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية في دمشق^(١). بينما نجده عند قتله مجموعة أخرى من المؤيدين لثورة الحسين في البصرة والكوفة لم يرسل برؤوسهم إلى دمشق، بل قام بصلب بعضهم عدّة أيام وتقطيع أجسادهم؛ لأنّهم من الأفراد العاديين بنظره، ومن الموالي الذين لا يشكّلون رقماً يُعتدّ به من قبل بني أميّة وأعوانهم، فقد قتل سليمان ابن رزين^(٢) مولى الإمام الحسين بن علي عليه السلام ورسوله إلى أهل البصرة لإيصال كتابه إليهم، في الليلة التي غادر في صباحها إلى الكوفة عبيد الله بن زياد؛ ليتولّى ولايتها تنفيذاً لأمر يزيد بن معاوية^(٣). وفي الكوفة قبض على رسول الحسين إلى أهلها،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٥٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٥؛ ابن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ٦٢؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص ٦٥.

(٢) هو مولى للإمام الحسين بن علي عليه السلام، وأرسله بكتاب إلى أخماس أهل البصرة حين كان الحسين في مكّة. يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٤؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ البخاري، التاريخ الكبير: ج ٤، ص ١٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٤، ص ١١٦؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٥.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص ٢٣١؛ الطبري، تاريخ

قيس بن مسهر الصيدائي^(١)، وتم قتله^(٢)، وقبض على عبد الله بن يقطر^(٣)، رسول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مسلم بن عقيل الذي كان موجوداً في الكوفة وقتله^(٤)، وعلى قول قبض على رشيد الهجري وقتله^(٥)، وكذلك قتل الصحابي ميثم بن يحيى التمار الأسدي، الذي صلبه^(٦) ابن زياد عاشر عشرة في الكوفة، وكان ذلك قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الطف بعشرة أيام^(٧).

إنَّ عدم إرسال ابن زياد لرؤوس مَنْ قتلهم من الرجال العشرة في الكوفة إلى

الأمم والملوك: ج٦، ص١٨٦؛ ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٨؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٨.

(١) يصل نسبه إلى أسد بن خزيمه، وصيدا بطن من أسد، وهو من أشرف بني صيدا، نشأ مخلصاً في محبته لأهل البيت، وحمل كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة، وقُبِض عليه وهو يحمل رسالة من الحسين إلى أهل الكوفة، وعندها أمر ابن زياد بقتله، وكان ذلك في أواخر سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٦٨؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٤، ص٣٠٦؛ الطوسي، الرجال: ص١٠٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج٣، ص٢٤٥؛ ابن داود، رجال: ص١٥٥؛ التفرشي، نقد الرجال: ج٤، ص٦٢؛ محمد السماوي، إبصار العين في أنصار الحسين: ص١١٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢١٠؛ الشيخ المفيد، الإرشاد: ص٣٢٠-٣٢١.

(٣) أخو الحسين بن علي من الرضاعة، أرسله الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة أيام المراسلات بينه وبين أهل الكوفة، فقبِض عليه، وقُدِّم إلى ابن زياد فأمر برمييه من أعلى القصر، فتكسرت عظامه فمات، وأمر بذبحه. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٦٧؛ الطوسي، رجال: ص١٠٣؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج٥، ص٣٤٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج٣، ص٢٣٢؛ الحلبي، خلاصة الأقوال: ص١٩٢؛ ابن داود، رجال: ص١٢٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢١١-٢١٢.

(٥) ابن الأثير، أسد الغابة: ج٢، ص١٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج١، ص٥١٦.

(٦) أي قتله، ضربه صلباً، وجعله مصلوباً، والصلب هذه القتلة المعروفة، والأصل من الصليب، وهو الودك، أي تعليق الجثة على عمود. يُنظر: الزبيدي، تاج العروس: ج٢، ص١٤٩.

(٧) الشيخ المفيد، الإرشاد: ص٢٤٦-٢٤٨.

دمشق؛ لأنهم لم يكونوا من حيث قوّة التأثير السياسي كمسلم بن عقيل، فهو من بني هاشم، وابن عمّ الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وثقته من أهل بيته، ورسوله إلى أهل الكوفة، وهو الذي جمع أعداداً من المقاتلين؛ ليقفوا مع الإمام الحسين عليه السلام القادم إلى الكوفة للثورة على بني أميّة، وجمع الأموال لدعم زخم الثورة المتصاعد من حيث التسليح والتدريب. ولا مثل هانئ بن عروة رئيس قبيلة مذحج الكبيرة في الكوفة.

بهذا يريد ابن زياد أن يُوحى لخصوم بني أميّة بأنّه لا يقف أمامهم أيّ تيّار سياسي معادٍ لهم، مهما بلغت مكانته وتأثيره، ولا أيّ قوّة قبلية تمتاز بحجمها الكبير في الكوفة أو غيرها، بل إنّ مصيرهم القتل وسبي العيال، كما حصل للإمام الحسين ابن علي عليه السلام وآل بيته وأنصاره.

كما قُطعت رؤوس قتلى معركة الطفّ بأمر من عمر بن سعد قائد الجيش الأموي^(١)، وإنّ ابن سعد لم يقيم بهذا الفعل من تلقاء نفسه، وإنّما بناءً على أوامر تلقّاها من ابن زياد^(٢)، ليؤكّد ولاءه وإخلاصه لبني أميّة، ويُعزز مكانته عندهم، ويظهر لهم بأنّه أنجز المهمّة التي أوكلت إليه، فقد أمر بقطع رأس الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي ﷺ في يوم المعركة، وأرسله إلى ابن زياد في الكوفة عصر ذلك اليوم^(٣)،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٣٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٨.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠١؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٨٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٥؛ النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٣١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٩٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٣.

وَقُطِعَتْ رُؤُوسُ بَقِيَّةِ الْقَتْلَى بَعْدَ ظَهْرِيةِ الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمَحَرَّمِ عِنْدَمَا تَحَرَّكَ ابْنُ سَعْدٍ بِرُكْبِ السَّبَايَا إِلَى الْكُوفَةِ، مَصْطَحِبًا مَعَهُ رُؤُوسَ الْقَتْلَى^(١)، وَبَعْدَ مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ أَمْضَتْهَا الرُّؤُوسُ فِي الْكُوفَةِ لِإِتْمَامِ الْاسْتِعْرَاضِ أَرْسَلَهَا ابْنُ زِيَادٍ إِلَى الشَّامِ^(٢)؛ لِإِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ لِأكْبَرِ عِدَدٍ مُمْكِنٍ مِنَ النَّاسِ لِرُؤْيَا رُؤُوسِ الْقَتْلَى وَالسَّبَايَا، الَّذِينَ تَمَّ اسْتِعْرَاضُهُمْ بَيْنَ الْمَدَنِ الَّتِي مَرَّوا بِهَا فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الشَّامِ، بِذَاتِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي جَرَتْ فِي الْكُوفَةِ أَوْ دِمَشْقَ.

وَمِنَ الْجَدِيرِ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ رُؤُوسَ قَتْلَى الطُّفِّ الَّتِي قُطِعَتْ مِنَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ يَوْمٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ تَجَاوَزَ عِدْدُهَا السَّبْعِينَ رَأْسًا^(٣)، بَيْنَمَا أَكَّدَتْ دَرَأَسَاتُ مَعَاصِرَةٍ بِأَنَّ عِدَدَ قَتْلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبِضْمَنِهِمُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) كَانَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا^(٤)، وَعِدَدُ قَتْلَى أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْهَاشِمِيِّينَ كَانَ خَمْسَةَ وَتِسْعِينَ رَجُلًا، وَلَمْ تُقَطَّعْ رُؤُوسُهُمْ جَمِيعًا^(٥)، وَأُخِذَتْ هَذِهِ الرُّؤُوسُ مَعَ رُكْبِ السَّبَايَا الَّتِي يَقُودُهُ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْكُوفَةِ، حَيْثُ اسْتُعْرِضَ بِالْجَمِيعِ - الرُّؤُوسُ وَالسَّبَايَا - فِي شَوَارِعِ الْكُوفَةِ وَمَحَلَّاتِهَا^(٦).

وَيَبْدُو أَنَّ عِدَدَ رُؤُوسِ الْقَتْلَى الَّتِي اسْتُعْرِضَ بِهِ فِي الْكُوفَةِ لَمْ يَكُنْ هُوَ ذَاتِ الْعِدَدِ الَّتِي اسْتُعْرِضَ بِهِ فِي شَوَارِعِ دِمَشْقَ وَأَسْوَاقِهَا، بَلْ أَقْلٌ، حَيْثُ اقْتَصَرَ عَلَى رُؤُوسِ

(١) أَبُو مَخْنَفٍ، مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): ص ٢٠٣؛ الْخَوَارِزْمِيُّ، مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٤؛ ابْنُ طَاوُوسٍ، اللَّهَوفُ فِي قَتْلِ الطُّفُوفِ: ص ١٧٤؛ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمُقَرَّمُ، مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): ص ٣٦٥؛ إِبْرَاهِيمُ الزَّنْجَانِيُّ، وَسِيلَةُ الدَّارَيْنِ: ص ٣٥٤؛ لَيْبِ بِيضُون، مَوْسُوعَةُ كَرْبَلَاءَ: ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢) الْمَسْعُودِيُّ، مَرْوَجُ الذَّهَبِ: ج ٣، ص ٦١.

(٣) عَنْ أَعْدَادِ الرُّؤُوسِ يُنْظَرُ: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: ص ١٥٥-١٥٧.

(٤) إِيْمَانُ أَحْمَدُ جَابِرُ اللَّامِي، خُطْبُ وَاقِوَالِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي وَاقِعَةِ الطُّفِّ: ص ١٤٢.

(٥) حُسَيْنُ أَبُو هَالَالَهُ، أَنْصَارُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْهَاشِمِيِّينَ: ص ١٠١.

(٦) يُنْظَرُ: الْفَصْلُ الثَّالِثُ: ص ٣١٣.

قتلى أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام، والتي لا تتجاوز تسعة عشر رأساً^(١). وهنا يمكن أن نحتمل سبب تناقص عدد رؤوس القتلى في دمشق عن عددها في الكوفة، هو أن القبائل العربية - التي قاتل بعض رجالها مع الإمام الحسين في الطفّ - طالبت برؤوس قتلى رجالها، واستجاب ابن زياد لذلك؛ لتهدئة الأوضاع في الكوفة، ولا سيما أن قافلة السبايا ستوجه إلى الشام.

إنّ أفعال بني أمية وأعوانهم قبل وبعد وفي أثناء معركة الطفّ، ما هي إلا جرائم بشعة يندى لها جبين الإنسانية، والتي صارت عنواناً لثقافتهم الانتقامية؛ لتحقيق غايات سياسية من خلال قطعهم رؤوس خصومهم بعد قتلهم والطواف بها، وإنّ قطع رؤوس القتلى خضع لعملية انتقاء للشخصيات القيادية البارزة، فهم ومن وجهة نظرهم بعملهم هذا أرادوا إخماد الهالة القدسية التي تُحيط بالإمام الحسين عليه السلام سبط النبي وأهل بيته، كما أنّ قطع رؤوس أصحاب الحسين من غير الهاشميين لم يكن اعتباطاً، بل كان إجراءً سياسياً؛ غايته إسكات كلّ الأصوات الحرّة، لأنهم يشكلون في غالبيتهم شخصيات قيادية ويتبوّأون مراكز هامّة عند قبائلهم، ولهم أتباع يسمعون كلامهم ويتأثرون بمواقفهم القبلية والسياسية.

ومن هنا جدّت السلطة الأموية في القضاء على أيّ توجه قبلي أو جماهيري هدفه تقويض أو تأييد إسقاط النظام الأموي، ومن هنا فإنّ قتل الثوّار وقطع رؤوسهم والطواف بها سيكون عبّرة إلى كلّ من يريد الخروج على بني أمية، من الذين لم تتح لهم الفرصة في المشاركة في معركة الطفّ، على اعتبار أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد تمّ القضاء عليها، والدليل المادّي على ذلك هو قطع رؤوس القتلى، وفي مقدمتها رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام، والطواف بتلك الرؤوس ليتفرّج عليها أهل المدن

(١) يُنظر: الفصل الثالث: ص ٢٤٧.

٤٢٨ سبي آل البيت ﷺ من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

والقرى، ومن ثمّ يخبر الحاضر الغائب بأنّ ثورة الحسين فشلت - بحسب اعتقادهم
البائس - وقُتل جميع ثوارها.

ومع كلّ ذلك يبقى ثمة تساؤل هامّ وهو أين مكان مدفن رأس الإمام
الحسين ﷺ؟ هذا ما سنتناوله في الصفحات القادمة.

المبحث الثاني

مدفن رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام

لم يسلم رأس الإمام الحسين عليه السلام أسوةً بجسده من أفعال بني أمية، ذلك الجسد الذي تُرك على الأرض ثلاثة أيام من غير دفن، بعد أن رضّته الخيول بحوافرها ظهراً على صدر، فبعد أن قُطع الرأس الشريف حُمِلَ ذلك الرأس على رمح طويل، من بلد إلى بلد، أمام ركب قافلة سبائا آل البيت من النساء الثواكل والأطفال اليتامى، ويتفرّج عليه أناس تلك المدن ما بين شامت فرح مسرور بالنصر المزعوم، وبين بالك متفجّع بتلك المصيبة بفقدان سبط النبي.

لم يتعظ حكام بني أمية وأعوانهم من كرامة هذا الرأس الشريف وقديسيته، وهو يقرأ آيات متعدّدة من القرآن الكريم، بل تماردوا في غيهم وبغيهم، فصلبوا الرأس على أبواب الكوفة ودمشق أياماً، ثم راحوا في مجالسهم يشربون الخمر وينشدون الشعر حوله، ويحرّكون بالقضبان التي كانت في أيديهم تلك الشفاه التي كانت موضع تقبيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعاقبة كلّ رافض لأفعالهم هذه، إلى أن انتهى المطاف به إلى مستقرّه الأخير، أي مكان دفنه الذي تعدّدت حوله الروايات.

ما نراه اليوم من هذه المقامات المشيّدّة الكثيرة هي ليست قبراً للرأس الشريف، وإنّما أماكن وُضِعَ فيها الرأس عند نقله من الطفّ إلى الكوفة، ومن ثمّ إلى دمشق في الشام، وبهذا فإنّ مدفن الرأس الشريف واحد، ومقاماته متعدّدة، ولذا سنقوم بدراسة عدد من الروايات التي أشارت إلى موضع دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام، وهي:

- ١ - الشام: دمشق - الرقة - عسقلان.
 - ٢ - مصر: القاهرة.
 - ٣ - المدينة المنورة: البقيع^(١).
 - ٤ - خراسان^(٢): مرو^(٣).
 - ٥ - العراق: الغري^(٤) (النجف) - الكوفة - الطف (كربلاء).
- وسنبداً الكلام عن هذه المواضع واحتمالات دفن الرأس الشريف فيها من الشام ومصر والمدينة المنورة ومرو، وأخيراً العراق.
- ونودّ الإشارة هنا إلى أنّه في الوقت الذي اختلفت فيه الروايات التاريخية في موضع دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، إلّا أنّها التزمت الصمت المطبق حيال دفن باقي رؤوس قتلى الطفّ، من رجال بني طالب وأنصار الحسين من غير الهاشميين.

(١) هو موضع يقع شرقي المدينة المنورة، وفيه قبّة العباس بن عبد المطلب عمّ النبي. يُنظر: الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات: ص ٨٠؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) بلاد واسعة، حدودها من الغرب ما يلي العراق ازديوار، وهي قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها ممّا يلي الهند طخرستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، وإنّما هو أطراف حدودها من تلك الجهات، وهي تضمّ أمّهات المدن، وفُتحت أكثر مواضعها عنوة والآخر صلحاً سنة ٣١هـ / ٦٥١م. يُنظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٧؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان: ص ٦٠١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) بفتح أوله وسكون ثانيه وبعده واو، مدينة في بلاد فارس، وهما مدينتان مرو الروذ ومرو الشاهجان، وهي أجل كور خراسان، وفُتحت سنة ٣١هـ / ٦٥١م، ومرو بالفارسية هو المرج. يُنظر: اليعقوبي، البلدان: ص ٩٨؛ أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٤، ص ١٢١٦؛ طارق فتحي، وفاء أحمد، مدينة مرو في المصادر الجغرافية العربية: ص ٢٤-٣٥.

(٤) موضع في الكوفة، وفيه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والغري في يومنا هذا يقع في محافظة النجف في العراق. يُنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ٣، ص ٩٩٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج ٢، ص ٩٩١.

أولاً: بلاد الشام

لقد أشارت الروايات التاريخية إلى دفن رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام في دمشق حاضرة بني أمية، ومدن الرقة وعسقلان، وتفصيل الكلام كما يلي:

١- دفن الرأس في دمشق

لقد نُقلت رؤوس قتلى الطفّ وفي مقدّمها رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية، وذلك بصحبة قافلة سبایا آل البيت، كما ذكرنا آنفاً، وانقسمت الروايات التاريخية حول وقت مدفن الرأس إلى مجموعتين:

أولهما: ذهب هذه الطائفة من الروايات إلى أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام دُفن في عهد يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٧٩-٦٨٣م) واختلفت في موضع الدفن. أشار البلاذري إلى أنّ يزيد بعث برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى المدينة المنورة، فنصب على خشبة ثم رُدّ إلى دمشق، فدُفن في حائط^(١) بها. وقيل: دُفن في دار الإمارة. وقيل: دُفن بمقبرة دمشق^(٢). بينما أشارت روايات أخرى إلى أنّ يزيد دفن الرأس في قبر أبيه معاوية، وقال: «أحصّنه بعد المات»^(٣).

ثانيهما: ذهب طائفة أخرى من الروايات إلى أنّ الرأس دُفن بعد وفاة يزيد بن

(١) هو بستان النخيل الذي يحيط به جدار. يُنظر: محمد بن بشار بن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس: ص ٤٦٠.

(٢) أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٩.

(٣) ابن حبان، الثقات: ج ٣، ص ٦٩؛ مشاهير علماء الأنصار: ص ٢٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ج ١، ص ٢٩٦. ويُنظر: أمير جواد كاظم علي بيچ، الحائر الحسيني دراسة تاريخية ٦١-٦٥هـ / ٦٨٠-١٢٥٨م: ص ٣٣.

معاوية، واختلّفت في موضع دفنه أيضاً. أشار بعضها بأنه دُفِنَ في باب الفراديس^(١)، وحدّد ابن حبان الاختلاف في موضع دفن الرأس، فمنهم مَنْ زعم أنّه في البرج الثالث من السور على باب الفراديس بدمشق، ومنهم مَنْ زعم أنّ موضع الرأس تحت عمود في مسجد جامع دمشق عن يمين القبة الخضراء^(٢). وفي رواية النويري أنّ قبر الحسين بكر بلاء، ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس اسطوانة^(٣).

وقيل أيضاً: إنّ الرأس كان ما يزال في خزانة^(٤) يزيد بن معاوية، وأخذ بعد وفاته من الخزانة، فكفّن ودُفِنَ داخل باب الفراديس بمدينة دمشق^(٥). وأشار ياقوت إلى هذا الأمر بشكل مقتضب، حيث ذكر أنّ في باب الفراديس مشهداً للحسين^(٦). بينما أشارت رواية أخرى إلى أنّ رأس الحسين مكث في خزانة السلاح الأموي إلى عهد سليمان بن عبد الملك^(٧) (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م)، حيث طلبه وأحضر له،

(١) ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ص ٨٥.

(٢) الثقات: ج ٣، ص ٦٩.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧.

(٤) خزن، أصل يدلّ على صيانة الشيء، وهي مكان الخزن، أي الموضع الذي يُخزن فيه الشيء، والجمع خزائن، وتُخصّص هذه الخزائن للسلاح وغيره. الجوهرى، الصحاح: ج ٥، ص ٢١٠٨؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ١٧٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٤؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢؛ محمد بن أحمد الدمشقي، جواهر المطالب: ج ٢، ص ٢٩٩؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ج ٣، ص ٩٥.

(٦) معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٦٩.

(٧) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكنيته أبو أيوب، أمّه ولادة، تُوفّي في دابق وله من العمر خمس وأربعون سنة. يُنظر: البخاري، التاريخ الكبير: ج ٤، ص ٢٥؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٤، ص ١٣٠؛ ابن منده العبدى، فتح الباب في الكنى والألقاب: ص ٦٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٢٠.

ووجد أنه صار عظماً أبيضاً قحلاً^(١)، فجعل عليه ثوباً وأدخله في سبط، وصلى عليه ودفنه في إحدى مقابر المسلمين بدمشق^(٢).

وتعيد روايات أخرى حديثها عن الخزانة ووجود رأس الحسين فيها إبان أحداث الصراع على السلطة الأموية^(٣)، بين الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)^(٤)، وابن عمه يزيد بن الوليد (ت ١٢٦هـ/٧٤٤م)^(٥)، الذي انتصر على الأول وتولى الحكم مدة قصيرة لم تتجاوز خمسة أشهر.

(١) قحل، القاف والحاء واللام أصل صحيح، يدلّ على يبس الشيء وجفافه. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٣، ص ٤٦؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٩٩.
(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٩، ص ١٧٨-١٧٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٥٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٣، ص ٩٣٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٨، ص ٢٩٣.

(٤) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وكنيته أبو العباس، وأمّه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، عهد إليه أبوه بالحكم بعد عمه هشام بن عبد الملك، فتولّى الحكم في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، ووُصف بسوء سيرته، وانتهاكه محارم الله تعالى، وله شعر، وعلم بالموسيقى والغناء، قُتل في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٩، ص ١٢٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٥٢٠؛ المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ٢١٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ج ٧، ص ٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٣، ص ٣١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٥، ص ٢٨٩؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٢٠٥.

(٥) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وكنيته أبو خالد، وأمّه فارسية، وكان أسمر نحيفاً حسن الوجه، ذو صلاح وورع، ولقب بالناقص لأنه نقص الناس أعطياتهم، وكانت مدة حكمه خمسة أشهر، مات بالطاعون، ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد لسوء سيرته، وتمّ قتله. يُنظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٩٣؛ ابن حبيب البغدادي، المحبر: ص ٤٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٨٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ←

وفي تلك الأحداث دخل القائد العسكري الأموي منصور بن جمهور^(١) خزانة يزيد بدمشق، وعندما فتحها وجد فيها جونة^(٢) حمراء، في داخلها رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، مخضّب بالسواد، فلفّه بثوب ودفنه عند باب الفراديس في البرج الثالث ممّا يلي المشرق^(٣).

ولقد ضعّف ابن كثير تلك الروايات التي أشارت إلى أنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وُجد في خزانة يزيد بن معاوية، ومن ثمّ دفنه عند باب الفراديس^(٤).

٢- دفن الرأس في مدينة الرقة

روى سبط بن الجوزي، عن عبد الله بن عمرو الوراق^(٥) المتوفى سنة ٢٧٤هـ/

ج ٥، ص ٥٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٨، ص ٣١١؛ الكتبي، فوات الوفيات: ج ٢، ص ٦٤٦.

(١) منصور بن جمهور، ويرجع نسبه إلى بني كلب، من أهل قرية المزة، خرج إلى جانب يزيد بن الوليد ضدّ الوليد بن يزيد، وسعى في قتله، ثمّ ولّاه يزيد العراق بجمع الكوفة والبصرة له، وكان يتبنّى فكر القدريّة، ثمّ صار خارجياً بعد عزله من ولايته، وتوفّي سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٩، ص ١٩٣؛ وكيع، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ٣١١.

(٢) وهي سلّة مستديرة مغطاة أدمة، تكون مع العطارين. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٦، ص ١٨٥؛ الجوهري، الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٦.

(٣) ابن نما الحليّ، مثير الأحزان: ص ٨٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧.

(٤) البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢.

(٥) هو عبد الله بن أبي سعد عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري، وكنيته أبو محمّد، الوراق البلخي الاخباري، بلخي الأصل، سكن بغداد، وكان ثقة، صاحب أدب وملح وطرف، ولد سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م، وقيل سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م، وتوفّي في واسط، ودُفِن في جانبها الشرقي، وعمره سبع وسبعون سنة. يُنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٢٧؛ السمعي، الأنساب: ج ١، ص ٩٤-٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ١٢، ص ٢٦٣.

٨٨٧م، ومصنّفه مقتل الحسين الذي يُعدّ من المصنّفات الضائعة، أنّه لما حضر رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدي يزيد بن معاوية قال: «لأبعثنه إلى آل أبي معيط»^(١) عن رأس عثمان» وكانوا بالرقّة، فبعثه إليهم، فدفنوه في بعض دورهم، ثمّ أُدخِلت تلك الدار في المسجد الجامع وهو إلى جانب سدرّة هناك، وعليه شبيه النيل^(٢) لا يذهب لونه شتاءً ولا صيفاً^(٣).

وإنّ فعل يزيد هذا - إن صحّ إرساله الرأس للرقّة - يبيّن استمرار النهج الأموي بتحميل الإمام الحسين عليه السلام جريمة قتل عثمان، كما حمّل أبوه معاوية ذلك الإمام علياً عليه السلام، وهذا يعكس تجذّر الروح الجاهلية التي لم يتخلّص منها بنو أميّة.

٣. دفن الرأس في مدينة عسقلان

لقد أشارت الروايات إلى أنّه عندما أُحضر رأس الإمام الحسين عليه السلام عند يزيد، كان في مجلسه جماعة من أهالي عسقلان، فطلبوا منه أن يُدفن الرأس عندهم، فوافق على ذلك وسلّمه إليهم فدفنوه بمدينتهم، وبنوا عليه مشهداً يُزار، يُعرف بمشهد الرأس^(٤). وأكّد الهروي على أنّه يوجد مشهد للإمام الحسين عليه السلام في عسقلان^(٥)، وأشار سبط بن الجوزي إلى أنّ الخلفاء الفاطميّين هم الذين نقلوا الرأس من باب

(١) أبو معيط بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي واسم أبي معيط أبان، وأمّه أميّة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. يُنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٣، ص ٢٢١؛ ابن الأثير، أُسدُ الغابة: ج ٥، ص ٦١٤.

(٢) هو نبات يخضب بورقه، ويُقال هو العظم، والوسمة ورق النيل أو نبات يختضب بورقه. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٦٢؛ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٤.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣٣٧.

(٤) ابن العمري، الأبناء في تاريخ الخلفاء: ص ٥٤.

(٥) الإشارات إلى معرفة الزيارات: ص ٣٦.

الفرايس إلى عسقلان^(١)، بينما أشار الشبلنجي إلى أنه عندما أمر يزيد بن معاوية بالطواف برأس الحسين بين المدن، ووصل الرأس إلى مدينة عسقلان أخذه والي المدينة ودفنه في مدينته^(٢).

ثانياً: دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام في مصر

إنّ جميع الروايات التي أشارت إلى نقل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى القاهرة في عهد الدولة الفاطمية، تعتمد بشكل كبير على ثبوت احتمال وجود الرأس في عسقلان، وإنّ الأخبار التي أشارت إلى نقله إلى القاهرة اتّسع نطاق الجدل فيها بين النفي والإثبات من قبل المؤرّخين والباحثين قديماً وحديثاً، فقد أشار عدد من المؤرّخين إلى وجود الرأس في عسقلان، ثمّ نقل فيما بعد إلى القاهرة بمصر ومنهم القلقشندي^(٣)، والمقرّيزي^(٤)، والشعراني^(٥) والشبلنجي^(٦). وأشار سبط بن الجوزي إلى أنّ الخلفاء الفاطميّين هم الذين نقلوا رأس الإمام الحسين عليه السلام من باب الفرايس بدمشق إلى عسقلان ثمّ إلى القاهرة، وصار مشهداً عظيماً يزار^(٧).
ويؤكّد ابن نما الحلي أنّ من أهل مصر من حدّثه بأنّ مشهد الرأس يسمّونه «مشهد الكريم»، وأنّ عليه شيئاً من الذهب الكثير، يقصدونه في المواسم ويزورونه^(٨).

(١) تذكرة الخواص: ص ٣٣٧.

(٢) نور الابصار: ص ٢٦٩.

(٣) صبح الاعشى بصناعة الإنشاء: ج ٣، ص ٤١٢.

(٤) اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء: ج ٣، ص ٢٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ص ٢٧.

(٦) نور الابصار: ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٧) تذكرة الخواص: ص ٣٣٧.

(٨) مثير الأحران: ص ٨٥.

وأكد الرحالة ابن جبير - الذي تُوفي سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م - على وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة عند زيارته لها، التي وصلها عصر الأربعاء في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، وزار المشاهد مبتدئاً بمشهد رأس الحسين عليه السلام الذي وصف زوّاره بقوله: «وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه، وتمسّحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم حوله مزدحمين باكين، متوسّلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجهاد، والأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول، نفعا الله ببركة ذلك المشهد الكريم»^(١).

أمّا الرحالة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) لم يذكر مشهد رأس الإمام الحسين عليه السلام الموجود في القاهرة، بل أشار إلى أنّ رأس الحسين عليه السلام كان موجوداً في عسقلان قبل نقله إلى مصر. ويلاحظ على ابن بطوطة أنّه لا يذكر أية تواريخ عن زيارته لمدن الشام^(٢).

وجاء في سبب نقل رأس الحسين عليه السلام إلى مصر، أنّ الصليبيين عندما قاموا بشنّ هجماتهم على بلاد الشام^(٣) تمكّنوا في الحملة الصليبية الثانية التي بدأت سنة

(١) رحلة ابن جبير: ص ١٨-١٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥٢.

(٣) هي الحروب التي شنتها الفرنجة، على بلاد الشام، واستمرّت قرنين من الزمان (٤٨٨-٦٩٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٩١م)، وقد اتخذت من الصليب الأحمر شعاراً لها، وأطلق المؤرّخون المسلمون على هؤلاء الصليبيين اسم الفرنجة، وأعدّ الصليبي عندهم نوعاً من الحاجّ عالي المكانة، الذي نال شرف حمل السلاح، وبهذا حصلت عملية التحويل من حاجّ مسلح إلى جندي للعقيدة في الجيش الصليبي نفسه. تفاصيل أوسع عن الحملات الصليبية. يُنظر: انثوني وليست، الحروب الصليبية: ص ٧٧-٩٣؛ علي سعود، تاريخ الحروب الصليبية: ص ١٠-٣٣٦؛ سعيد عبد الفتّاح، الحركات الصليبية: ج ٢، ص ٥٩٥-٦٣٥؛ سمير صالح، عباس عاجل، الحروب الصليبية تطوّر المصطلح والمفهوم: ص ١٠٩-١٣٣.

٥٤٣هـ / ١١٤٨م من الإستيلاء على عسقلان^(١) سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، فافتدى الفاطميون رأس الحسين (عليه السلام) بهال جزيل، ونقلوه إلى القاهرة في العام ذاته ودفنوه في الموضع المعروف فيه الآن^(٢).

ثالثاً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة المنورة

كان عمرو بن سعيد الأشدق (٦٠-٦١هـ / ٦٧٩-٦٨٠م)^(٣) والياً على المدينة من قبل يزيد بن معاوية، وبُعث إليه برأس الحسين (عليه السلام) بعد قتله، فكفنه ودفنه في البقيع إلى جنب قبر أمه فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤)، ويُذكر أنه «لما أُوتي برأس الحسين له أعرض بوجهه عنه واستعظم أمره، فقال مروان لحامل الرأس: هاته، فدفعه إليه، فأخذه بيديه وتناول أرنبة أنفه وقال:

(١) علي الحريري، الأخبار السنوية في الحروب الصليبية: ص ١٠٤-١٠٥؛ وليم، تاريخ الحروب الصليبية: ج ٢، ص ٨٠٩-٨٢٠؛ انتهاء خالد حميد، أثر الخلافة الفاطمية في الحروب الصليبية: ص ١٥٩-١٦٢.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٥، ص ١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار: ج ١، ص ٢٨٩؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٢٣٩.

(٣) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمّه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، المعروف بالأشدق، ولّاه معاوية ويزيد المدينة. يُنظر: ابن سعد، الطبقات: ج ٥، ص ١٨٣؛ أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، رجال صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٦، ص ٢٩؛ أبو الفضل، مختصر تاريخ دمشق: ج ١٩، ص ٢١٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٢٣٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٤؛ ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٧٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٢٠؛ الياضي، مرآة الجنان: ج ١، ص ١١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٣؛ السهودي، وفاء الوفاء: ج ٣، ص ٩٥.

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين^(١).
بينما أشار سبط بن الجوزي إلى أنّ الذي أخذ بأرنبه أنف الحسين عليه السلام بعد أن وُضع الرأس بين يديه هو والي المدينة عمرو بن سعيد^(٢).

وأتفق ابن تيمية مع مَنْ ذهب إلى أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام دُفِن في المدينة المنورة، واختلف معهم في مكان الدفن، حيث أشار هو إلى دفن الرأس عند أخيه لا عند أمّه، معتمداً في ذلك على مَنْ يثق بهم من العلماء والمؤرخين حسب قوله^(٣).

وذكر النويري قولاً آخر في إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى المدينة، ولم يشير إلى قائله، بل رده إلى (القيّل)، فقيّل: أن الرأس أرسل إلى بني هاشم في المدينة، فأخذوه وغسلوه وكفّنوه، وصلّوا عليه، ودفنوه عند قبر أمّه^(٤).

ويعتقد بعضهم بأنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام دُفِن في البقيع تحت قبة العباس ابن عبد المطلب^(٥)، إلى جانب الذين دُفِنوا في هذا المكان، وهم كل من الحسن ابن علي بن أبي طالب، وابن أخيه علي بن الحسين، وابنه محمد الباقر^(٦)، وابنه جعفر الصادق عليه السلام^(٧)، وقيل: إنّ قبر السيّدة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله موجود

(١) النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٦١؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٦.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٣٣٦.

(٣) رأس الحسين: ص ١٩٧.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٦.

(٥) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٦) هو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المدني، كنيته أبو جعفر، ولقبه الباقر، كانت ولادته في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م، أو ٥٧هـ/٦٧٦م، أو ٥٨هـ/٦٧٧م، أو ٥٩هـ/٦٧٨م، تُوفّي في سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، ودُفِن في البقيع. تفاصيل أوسع عن سيرته وحياته الفكرية يُنظر: محمد عبيد حميد الطائي، الإمام الباقر ومروياته التاريخية (٥٦-١١٤هـ): ص ١٦٧-١٩٢.

(٧) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

تحت قبة العباس أيضاً^(١).

رابعاً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مرو خراسان

أشارت بعض الروايات إلى أنه في رباط^(٢) خارج مدينة مرو، وعلى بعد فرسخين^(٣) منها، يوجد قبر صغير قيل: إن فيه رأس الحسين بن علي (عليه السلام)^(٤)، وأكد السمعاني دفن رأس الحسين (عليه السلام) في مدينة مرو، وفي قصر من قصور المجوس فيها^(٥)، على يمين الداخل تحت الجدار، وقد كُتب عليه حديث^(٦).

كما أشارت روايات أخرى إلى أن بني العباس عند نجاح ثورتهم وقيام دولتهم

القرشي، وله عدة ألقاب، منها: الصابر والفاضل والطاهر، وأشهرها الصادق، وأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وبلغت المدرسة العلمية التي أسسها أبوه الإمام الباقر أوج ازدهارها في عهده، واستمرت إمامته لمدة (٣٤) سنة، تُوفي سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م، وله ستة وستون عامًا. يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٣٨١؛ الطبرسي، تاج المواليد: ص ٤٢-٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج ٢، ص ٨؛ عبد الملك بن حسين العصامي المكي، سمط النجوم العوالي: ج ٤، ص ١٣٥.

(١) شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة بتاريخ المدينة الشريفة: ج ١، ص ٤١.

(٢) الرباط، وجمعه ربط، وهو المكان الذي يُلازم فيه المقاتلون ثغر العدو. الفراهيدي، العين: ج ٧، ص ٤٢٣؛ الجوهرى، الصحاح: ج ٣، ص ١١٢٧.

(٣) الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، أي: ٦ كم. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٣٦؛ هنتس، المكايل والاوزان: ص ٩٤.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ٣٣٣.

(٥) المجوس، نسبة إلى المجوسية، وهي إحدى الديانات الفارسية القديمة، كان لهم نبي فقتلوه، وجاءهم بكتاب فاحرقوه، ثم اخذوا يعتقدون بأن الله تعالى هو النور الأعلى وهو يزدان، وأن الشيطان من جنس الظلمة وهو اهرمن. الكليني، الكافي: ج ٣، ص ٥٦٨؛ الطوسي، تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١١٣؛ الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ج ٢، ص ٢٨٤؛ الشهيد الثاني، مسالك الأفهام: ج ١٢، ص ٦٥؛ الفاضل الهندي، كشف اللثام: ج ٧، ص ٨٧.

(٦) الأنساب: ج ٣، ص ٣٧٠-٣٧١.

وتقدّم جيشهم لفتح المدن، وعند وصوله إلى مدينة دمشق؛ سألوا عن موضع رأس الحسين عليه السلام، فنبشوه وأخذوه معهم^(١). وقيل: إنهم وجدوا الرأس في خزان سلاح بني أمية، وإن أبا مسلم الخراساني^(٢) نقله إلى خراسان^(٣).

وتبالغ الروايات وتُشير إلى أن البرمكي^(٤) يقول: بأنّه قال له منصور بن طلحة ابن طاهر بن الحسين^(٥) في سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وهما في دار الإمارة بمرّو: هل تريد رؤية رأس الحسين عليه السلام، وعندما كان ردّه بالإيجاب، أمر منصور الغلمان بحفر موضع الرأس، حتى وصلوا إلى وهدة^(٦)، ثم أخذ الآلة وواصل الحفر بنفسه، إلى أن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن مسلم، القائم بالدعوة العباسية، قيل: كان قصيراً أسمر فصيحاً حلو المنطق، عالماً بالأمور، ومن أدباء اصبهان، وُلِدَ بكرخ اصبهان، قتله أبو جعفر المنصور العباسي في شعبان سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م. يُنظر: أبو الشيخ الأصبهاني، طبقات المحدثين بأصبهان: ج ١، ص ١٣٣؛ ابن حبان، الثقات: ج ٢، ص ٤٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٥، ص ٤٠٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ٤٨؛ عباس القمّي، الكُنَى والألقاب: ج ١، ص ١٥٧.

(٣) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، حوادث سنة ٥٠، مخطوطة.

(٤) لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٥) منصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين، هو الأمير أبو العباس الطاهري، من أحفاد طاهر بن الحسين، مؤسس الإمارة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/ ٨٢٠-٨٧٢م)، ولي أمرة مرو، أمل، دمر وخوارزم، وكان عالماً شاعراً أديباً بارعاً، مدح بعض الخلفاء العباسيين، ويُعدّ حكيماً الأسرة الطاهرية، وله مؤلفات في الفلسفة، منها كتاب المؤنس في الموسيقى، وكتاب الابانة عن أفعال الفلك، وكتاب الوجود، ورسائله في العدد والمعدود، وغيرها، تُوفي سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، وقيل: سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. يُنظر: ابن النديم، الفهرست: ص ١٣٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: ج ٦، ص ٢١٦؛ اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين: ج ٢، ص ٤٧٢؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين: ج ١٣، ص ١٥.

(٦) وهدة، الأرض المنخفضة، أي الهوة في الأرض، أي الحفرة. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٤٧؛ الزبيدي، تاج العروس: ج ٥، ص ٣٢٩.

وجد طاقاً^(١) داخله سبط ففتح، ووجد فيه رأساً محشواً بالمسك، وقطعة ملصقة على الرأس مكتوب عليها: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وعندها غلب عليها البكاء، وصلياً عليه، ثم ردّ الرأس إلى مكانه^(٢).

خامساً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في العراق

لقد أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) دُفِن في العراق دون أن تحدّد موضعاً بعينه، بل ذكرت في ذلك ثلاثة مواضع هي: الغري، والكوفة، وهذان الموضعان يقعان اليوم في محافظة النجف، ثمّ الموضع الثالث في الطفّ (كربلاء)، ويمكن تقسيم هذه الروايات إلى مجموعتين هما:

١- المجموعة الأولى الروايات القائلة بدفنه في النجف

لقد أشارت بعض الروايات إلى دفنه في الغري، ومنها:

عن يزيد بن عمر بن طلحة^(٣)، قال: «قال لي أبو عبد الله (يعني جعفر الصادق) (عليه السلام) وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت بلى - يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - ... فركب وركب ابنه إسماعيل وأنا، حتى إذا جاز الثوية^(٤)، وكان

(١) الطاق، وهو ما عطف من الأبنية، أي عقد البناء ذو السقف المقوّس، والجمع، الطاقات، الطيقان، الأطاق. الجوهري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥١٩؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٣٣.

(٢) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، مخطوطة، حوادث سنة ٨٩٥٠هـ، ورقة ١٠٢.

(٣) لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) الثوية، بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء أخت الواو، موضع وراء الحيرة، قريب من الكوفة، وكانت سجنًا للنعمان بن المنذر، كان يحبس بها من أراد قتله، فكان يُقال لِمَن حُبِسَ بها: ثوى، أي: أقام، فسُمِّيت الثوية. يُنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم: ج ١، ص ٣٥٠؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه: ص ٨٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج ٢، ص ٨٧.

بين الحيرة والتجف عند ذكوات^(١) بيض، نزل ونزل إسماعيل ونزلت، فصلّى وصلى إسماعيل وصلّيت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدّك الحسين عليه السلام، فقلت: جعلت فداك أليس الحسين بكر بلاء؟ فقال: نعم، ولكن لما أُحِلَّ رأسه إلى الشام سرّقه مولى لنا، فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

وقد ذكر يونس بن ظبيان^(٣) أنه كان في الحيرة مع جعفر الصادق عليه السلام أيام قدومه على أبي جعفر المنصور العباسي، وأنّه خرج معه من الحيرة، وقال له: «تقدّم يا يونس، قال يونس: فأقبل يقول الصادق: تيامن تياسر، فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر قال الصادق: هو المكان، نعم، فتيامن، ثمّ قصد إلى موضع فيه ماء وعين فتوضأ الصادق، ثمّ دنا من أكمة^(٤) فصلّى عندها، ثمّ مال عليها وبكى، ثمّ مال إلى أكمة دونها ففعل مثل ذلك، ثمّ قال الصادق: يا يونس افعل مثل ما فعلت، ففعلت ذلك، فلما فرغت قال لي: يا يونس تعرف هذا المكان؟ فقلت: لا، فقال: الموضع الذي صلّيت عنده أولاً هو قبر أمير المؤمنين - علي - عليه السلام، والأكمة الأخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. إنّ الملعون عبيد الله بن زياد - لعنه الله - لما بعث برأس الحسين عليه السلام إلى

(١) الذكوات: جمع ذكاة، وهي الجمرة الملتهبة من الحصى. يُنظر: فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٩.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات: ج ٢، ص ٨٥٢؛ الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٥٧١؛ الفيض الكاشاني، الوافي: ج ١٤، ص ١٤١٣.

(٣) يونس بن ظبيان مولى، يُعدّ من الضعفاء، لا يُلتفت إلى ما رواه، كلّ كتبه تخليط. يُنظر: رجال النجاشي: ص ٤٤٨؛ محمد الجواهري، المفيد من رجال الحديث: ص ٧٧٨.

(٤) أكم، الهزمة والكاف والميم أصل واحد، وهي تجمع الشيء وارتفاعه قليلاً، والأكم: تلّ من قفّ، وجمعه: الأكم والأكم والآكام. يُنظر: الفراهيدي، العين: ج ٥، ص ٤٢٠؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٢٥.

الشام رُدَّ إلى الكوفة، فقال ابن زياد: أخرجوه عنها لا يُفتن به أهلها. فصيرَه الله عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ^(١).

وفي رواية أخرى: «إنَّك إذا أتيت الغري رأيت قبرين، قبراً كبيراً، وقبراً صغيراً، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأما الصغير فرأس الحسين (عليه السلام)» ^(٢).

٢. المجموعة الثانية الروايات الدالة على دفنه في الطف (كربلاء)

تذكر الروايات أنَّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) دُفِن في الطف (كربلاء)، إذ أُعيد إليها يوم العشرين من صفر مع علي بن الحسين (السَّجاد)، عند رجوعه من الشام ^(٣)، ودُفِن مع جسد الحسين بعد أن طُيف به في البلاد ^(٤). وفي رواية سبط بن الجوزي: ردّه يزيد بن معاوية إلى المدينة مع السبايا، ثم رُدَّ إلى الجسد بكربلاء فدُفِن معه ^(٥).

وأشارت رواية أخرى إلى أنَّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) أُعيد إلى الجسد في كربلاء، بعد أن مكث في خزائن السلاح الأموي إلى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٤-٧١٧ م) الذي طلبه من الخزانة، وكفَّنه ودفنه في إحدى مقابر المسلمين بدمشق، كما أشرنا آنفاً، ولما تولى الحكم عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٧-٧١٩ م) ^(٦)، بعث إلى خازن السلاح يطلب منه رأس الإمام الحسين (عليه السلام)،

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ٨٦؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٢٤٣.

(٢) الجواهري، جواهر الكلام: ج ٢٠، ص ٩٣.

(٣) الصدوق، الأمالي: ص ٢٣٣؛ البيروني، الآثار الباقية: ص ٣٣١؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٤؛ القزويني، عجائب المخلوقات: ص ٤٥؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧؛ الشبراوي، الإتحاف بحبِّ الأشراف: ص ١٢٧.

(٤) ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٨٥.

(٥) ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٣٦.

(٦) عن عمر بن عبد العزيز يُنظر: أحمد عبید عيسى، الجانب الاجتماعي لخلافة عمر بن عبد العزيز من خلال كتاب ابن الجوزي: ص ٧٨-٦٦.

فأخبره بما فعله سليمان بن عبد الملك في الرأس، فأمر بنبشه وأخذه، والله أعلم بما صنع به. والظاهر أنّ عمر بن عبد العزيز بعثه إلى الطفّ (كربلاء)، فدفن مع الجسد^(١).

وأشار الباحث الإسلامي باقر شريف القرشي إلى أنّ رجوع الرأس إلى كربلاء ذكره العديد من علماء السنّة، بقوله: «كما اشتهر ذلك عند فريق كبير من علماء السنّة، منهم الشبراوي وابن الجوزي والبيروني والقزويني، وغيرهم»^(٢).

وعند الرجوع إلى مصنّفات هؤلاء وجدنا أنّ الشبراوي أشار إلى أنّ رأس الحسين أُعيد إلى الجسد في الطفّ، بعد أربعين يوماً من قتله^(٣). ولم يشر ابن الجوزي إلى مثل ما نقله عنه القرشي، بل أشار إلى أنّ رأس الحسين وُجد في خزانة يزيد، فأخرجوه وكفّنوه ودفنوه عند باب الفرايس في دمشق^(٤). وأشار البيروني إلى أنّ في العشرين من شهر صفر رُدّ رأس الحسين إلى جسده، ودفن معه^(٥)، وتابعه القزويني في ذلك^(٦)، وكان الصدوق قد أكّد قبل هؤلاء المؤرّخين - أنفي الذكر - على أنّ رأس الحسين أُعيد إلى الجسد ودفن معه^(٧).

مما تقدّم يتبيّن لنا وجود عدد كبير من الروايات المتشعّبة والمتداخلة، والتي تصل إلى حدّ التناقض أحياناً، دون حسم حادثة دفن رأس الحسين وتحديد موضعه،

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٨٤؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٧٧.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٣، ص ٤٣١.

(٣) الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٢٧.

(٤) المنتظم: ج ٥، ص ٣٤٤.

(٥) الآثار الباقية: ص ٣٣١.

(٦) عجائب المخلوقات: ص ٤٥.

(٧) الصدوق، الأمالي: ص ٢٣١.

فضلاً عن العدد غير القليل الذي يراه الناس من المشاهد والمزارات والمساجد التي تحمل اسم رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، أو مشهد الإمام الحسين (عليه السلام)، أو مقام الرأس الشريف، أو موضعه.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مواقف السلطة الأموية - وعلى رأسها يزيد بن معاوية وتعامله مع السبايا والأسرى من آل البيت، وما يمكن أن يتّخذ من قرار بشأن رؤوس قتلى الطفّ التي بين يديه، أو لها رأس الإمام الحسين (عليه السلام) - لها الأثر الكبير في تحديد موضع دفنها، ولذلك نقل المؤرّخون كثيراً من التحوّلات - التي تصل إلى حدّ التناقض - في مواقف يزيد ازاء أهل البيت، وإن كان كثير منها يُصنّف من قبيل النفاق السياسي والاجتماعي، وتلوّن الحُكّام بحسب المستجدّات.

ومع ذلك فقد تكوّنت لدينا ملاحظات لكل موضع من المواضع التي أشارت إليها الروايات بأنّه محل دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، والملاحظات هي:

١ - إنّ الروايات التي أشارت إلى أنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) دُفِن في دمشق في عهد يزيد أو بعد مماته، قد يكون ذلك بعد أن بلغ يزيد مآربه بقتل الحسين وأنصاره، ونفّس عن عقيدته في التشفّي منه في مجلسه، غير مكترث بما سمعه من ردود أفعال رافضة من بعض الصحابة الحضور في مجلسه، ومن أفراد من ذوي الديانة اليهودية والنصرانية، وحتى من بعض أفراد أهل بيته وبني عمومته، فضلاً عن الخطب المؤثّرة للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وعمّته السيّدة زينب بنت علي (عليها السلام)، وما أحدثته من أثر في الرأي العام وتحوّلاته الفكرية.

ولكنّ الروايات الواردة لما فيها من ضعف وتناقض واختلاف وتباين وطريقة عرضها للموضوع ؛ يضعّف هذا الاحتمال، وتجعلنا نشكّك في دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مكان ما في دمشق، فهي مرة تدفنه في بستان بدمشق، وتارة في دار إمارتها، وحيناً في أسطوانة في المسجد الجامع، وأخرى في مقبرة، ورابعةً في باب الفراديس، ومرة يحتفظ به يزيد في خزانة السلاح، ثمّ الطامة الكبرى يدفن الرأس

الشریف فی قبر أبیه معاویة لیحصّنه بعد الممات، حسب قول یزید نفسه، والتي تُظهر یزید مظهر العارف بمكانة الإمام الحسين بن علي عليه السلام وقدسیتہ.

وبعض الروایات لا تُثبت سوى وجود مشهد أو مسجد أو مقام، والمشهد أو المسجد قد يُقام على محلّ وُضع فيه الرأس الشریف، كما شَیّد العديد منها في طریق السبي تبرکاً به.

٢- إنّ احتمال بقاء رأس الحسين في خزانة السلاح في دمشق إلى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م)، الذي أخرج الرأس الشریف من خزانة السلاح وكفّنه وصلّى عليه ودفنه؛ ليس بالأمر المستحيل، لدأب الحکّام الأمويين على الاحتفاظ برؤوس قتلى خصومهم^(١)، إلّا أنّ الروایات الواردة في ذلك لا تأخذ احتمالاً إلى درجة الاعتبار؛ لعدم شهرتها، ونعتقد أنّها رواية أموية، وُضعت لرفع مكانة سليمان بن عبد الملك، الذي زعم أنّه جاءه النبي في المنام ملاطفاً ومبشراً له، وفي الصباح سأل سليمان بن عبد الملك الحسن البصري^(٢) عن ذلك، فكان جواب الأخير: لعلّك فعلتَ معروفاً لآل بيت النبي، فقَصَّ عليه سليمان ما فعله برأس الحسين ودفنه، وعندها ردّ الحسن على سليمان بأنّ رضى النبي عنك هو بسبب ما فعلته برأس الحسين؛ ولهذا أمر سليمان للحسن بجائزة سنية^(٣).

(١) طاهر آل عكلة، رأس الحسين: ص ١٩٦.

(٢) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، تابعي، إمام أهل البصرة، وهو من العلماء الفقهاء الفصحاء النّسّاك، وُلِدَ في المدينة سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، وشبّ في كنف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، سكن البصرة، وكانت أمّه تخدم أمّ سلمة زوج النبي، تُوفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. يُنظر: البخاري، التاريخ الصغير: ج ١، ص ٢٩٨٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات: ج ١٢، ص ١٩٠؛ عمر حميد مراد، عصام خليل إبراهيم، مواقف العلماء من رواية الحسن البصري عن الإمام علي: ص ١٨٢.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٣، ص ٢٢٠؛ محمّد بن يوسف الزرندي، نظم درر السمطين: ص ٢٢٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٦. والجائزة السنية: العطاء. يُنظر: الجوهري، الصحاح: ج ٣، ص ٨٧١؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٢٨.

وبعد هذا يقوم عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) بالسؤال عن رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وعند إخباره بما فعله ابن عمّه سليمان بن عبد الملك من دفنه للرأس؛ أمر بنبشه وإرساله إلى الطفّ (كربلاء) لدفنه مع الجسد. فهل فعل نبش القبور عمل يقرّه الإسلام؟! وترجع الروايات مرّة أخرى إلى أنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) استخرجه القائد الأموي منصور بن جمهور من خزانة السلاح ودفنه، وكان ذلك إيّان أحداث الصراع على السلطة بين أولاد العم، الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م، فإن صحّت هذه الروايات فإنّها تشير إلى رفض فعل بني أميّة من بني أميّة أنفسهم وبعض أعوانهم.

٣ - أمّا الروايات التي أشارت إلى دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في الرقّة، فمن غير المستبعد أن يبعث يزيد بن معاوية رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أقربائه من بني أميّة؛ ليشاركوه أفراحه واحتفالاته، باعتباره أخذ بثأرهم من أعدائهم - كما يعتقدون - ومن باب إرهاب الناس أيضا.

مع ذلك لا يمكن قبول دفن الرأس في الرقّة بسهولة؛ لأنّ هذه الرواية مرسلة، وليس فيها أيّ سند حتى يمكن الوثوق بها واعتمادها؛ إذ إنّ سبط بن الجوزي قد رواها من كتاب مقتل الحسين، لمصنّفه عبد الله بن عمرو الوراق (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م)، الذي يُعدّ من المصنّفات الضائعة، وإنّ هذه الرواية لم تذكر في أيّ من المصادر المتقدّمة؛ لذا لا يمكن الأخذ بها.

٤ - أمّا الروايات التي أشارت إلى أنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) دُفِن في عسقلان فالأمر فيه غاية الإشكال؛ فمن جهة لا يوجد نصّ صريح في المصادر المتقدّمة يدلّ على أنّ رأس الحسين دُفِن في عسقلان أو نقل إليها من الشام، وما ذكر في بعض المصنّفات المتأخّرة يعتمد على وجود مشهد للإمام الحسين (عليه السلام) في عسقلان، ولكنّ عمارة وتشديد هذا المشهد متأخّرة جداً عن وقت قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وجزم ابن

تيمية بأنّ المشهد في عسقلان ليس لرأس الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما هو قبر لأحد النصاري أو لأحد الحواريين^(١)، وكذلك نفى النويري دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام في عسقلان أو مصر^(٢).

ثم إنّ المتتبّع لسير الأحداث في دمشق منذ وصول السبائيا إليها وحتى رجوعهم إلى المدينة المنورة، لا يجد ما يؤكّد حصول مثل هذا الأمر، خصوصاً وأنّ فترة بقاء أهل البيت في دمشق كانت قصيرة، لأنّ يزيد عجل بإخراجهم؛ حفاظاً على ملكه، وخشية من تطوّر الأحداث.

٥- أمّا الروايات التي أشارت إلى نقل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى مصر ودفنه في القاهرة، فإنّ أول مَنْ نفى هذا الأمر هو ابن تيمية، فقد أكّد على عدم وجود الرأس في القاهرة، ووصف ذلك بقوله: «ما هو إلّا كذب واختلاق وافك وبهتان»^(٣)، وتابعه تلميذه ابن كثير في نفيه وجود الرأس في القاهرة، وأتهم الفاطميين بأنّهم افترّوا ذلك؛ لأنّهم «أرادوا أن يروّجوا بذلك بطلان ما أدّعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خوّونة»^(٤). ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ وجود الرأس من عدمه في القاهرة لا علاقة له بنسب الفاطميين^(٥) بأيّ حال من الأحوال، وحتى لو كان يمنحهم بعض الشرعية، إذ كان الأولى أن يقوموا بنقل الرأس في أيّام

(١) رأس الحسين: ص ١٩٠-١٩٥. والحواريون، هم أصحاب النبي عيسى بن مريم، وسُمّوا بذلك؛ لأنّهم كانوا يقصرون الثياب والوسخ بالغسل، وأنّهم مخلصون في أنفسهم ولغيرهم من أوساخ الذنوب. يُنظر: ابن سلام، غريب الحديث: ج ٢، ص ١٥؛ ابن منظور، لسان العرب: ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٨١.

(٣) ابن تيمية، رأس الحسين: ص ٢١٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢.

(٥) عن النسب الفاطمي، يُنظر: مرتضى حسن النقيب، دراسات في التاريخ والآثار: ص ١٦-١.

المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م)^(١) عقب اكتشافهم المرقد مباشرة، وليس في أواخر عهد دولتهم وفي أضعف أيامها وأكثرها خوفاً من وقوعها في يد الصليبيين، ولو كان ثمة شرعية تتحقق للفاطميّين بوجود رأس الإمام الحسين عليه السلام بالقاهرة - كما يردّد ابن كثير - لعمل الفاطميّين على نقل أجساد أئمة أهل البيت الموجودين في العراق، عندما أصبح العراق كلّهُ تحت الحكم الفاطمي لمدة عام كامل^(٢)، ويبدو أنّ ابن كثير في نفيه هذا يتّفق مع شيخه ابن تيمية^(٣).

كما يُلاحظ التناقض بين روايتي القلقشندي والمقريزي، ففي الوقت الذي أشار فيه القلقشندي بأنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام تمّ نقله خوفاً من أن تقع عسقلان بأيدي الفرنجة سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م^(٤)، نجد المقريزي يشير إلى أنّ الفاطميّين افتدوا رأس الإمام الحسين عليه السلام بهال كثير عند سقوط عسقلان بأيدي الفرنجة سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م^(٥).

ومن الجدير بالذكر أنّ الباحث المعاصر الدكتور هادي عبد النبي التميمي -

(١) المستنصر بالله اسمه معد، وكنيته أبو تميم، ولقبه المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم، بن العزيز، بن المعزّ لدين الله. ولي الحكم بعد أبيه وله من العمر سبع سنين سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، وامتدّت أيامه حوالي ستّين سنة. تفاصيل أوسع عن سيرة وأحداث عصر المستنصر بالله الفاطمي يُنظر: يلدز داود سلمان، المستنصر بالله الفاطمي دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م: ص ٢-٢٣.

(٢) أحمد صبري، رأس الحسين تناقض العوامل ومنهج الحراك التاريخي: ص ٣٤-٣٥. وعن الحكم الفاطمي في العراق يُنظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج ١، ص ٣٥٦.

(٣) ابن تيمية، رأس الحسين: ص ٢١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٢.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ج ٣، ص ٤١٢.

(٥) اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميّين الخلفاء: ج ٣، ص ٢٢.

وهو يعدّ دراسته لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة الكوفة - ذكر أنّه زار القاهرة، وعلم أنّ هناك دراسة تقدّم بها أحد الباحثين إلى الأزهر الشريف أراد فيها إثبات عدم دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة، لكنها رُفِضت، وعُتِفَ هذا الباحث لتوجّهه هذا؛ لأنّه يضرّ بمصالح البلاد الاقتصادية، لأنّ مشهد الرأس يدرّ على البلاد موارد مالية لا يُستهان بها كموقع أثري وسياحي، وإنّ الباحث التميمي وجد الدكتور المصري محمود إسماعيل عبد الرزّاق في لقاء معه في داره التي تقع بالمنصورة بتاريخ ١٣/ مايس/ ٢٠٠٥م، وهو يتبنّى الرأي الذي يذهب إلى عدم وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة؛ لتأثّره بتلك الدراسة التي لم يفصح عن عنوانها ولا عن اسم الباحث الذي أعدّها^(١)، ومع ذلك فإنّ هناك عدداً من الباحثين المصريين يؤكّدون على وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام مدفوناً في القاهرة^(٢).

٦ - أمّا الروايات التي أشارت إلى دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام في بقية المدينة المنورة، فإنّ أغلبها ذهب إلى أنّه دُفِنَ عند قبر أمّه فاطمة عليها السلام بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل أنّ قبر فاطمة عليها السلام كان معلوماً لدى الخاصّة والعامة من النّاس حتى يُدفن رأس ولدها الإمام الحسين عليه السلام إلى جانب قبرها؟ فالمعروف أنّ السيّد فاطمة عليها السلام أوصت قبل مماتها بعدم تعريف أحد بمكان قبرها بعد الممات، فلمّا تُوفّيَت جهّزها ودفنها سرّاً زوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه ولدها الحسن والحسين عليهما السلام، وقيل: معه نفر من بني هاشم وعدد من

(١) ثورة الإمام الحسين في المصنّفات المصرية في القرن العشرين الميلادي: ص ٣٣٠-٣٣١.
(٢) يُنظر في ذلك كلّ من: أحمد صبري، رأس الحسين، تناقض العوامل ومنهج الحراك التاريخي؛ أحمد أبو كف، آل بيت النبي في مصر: ص ٣٧-٣٨؛ جاسم عثمان مرغي، الشيعة في مصر: ص ١٤٧-١٥٦.

الصحابه. وسوّى حواليتها عدداً من قبور مزوّرة حتى لا يُعرف قبرها^(١). وقيل: إنّها دُفنت ليلاً في دارها التي أدخلها عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧١٩م) في المسجد النبوي، وبالتالي فكثير من الناس لم يعلم مكان دفنها^(٢).

وهنا لا بدّ من التساؤل: إذا كان العدد الذي ذُكر حضر موعد دفنها فكيف لم يعرف مكان قبرها؟! ألم يصرّح أحدهم بمكانه ولو بعد حين؟! ما يبدو أنّ الدفن أنجز بمنتهى السريّة، وحافظ كلّ من حضره وعلى قلّتهم على سرّيته؛ إلزاماً بوصيّتها، لذا نعتقد بعدم صحّة رواية دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى جنب قبر أمّه. وما يؤكّد هذا أنّ الرحالة ابن جبير زار المدينة المنوّرة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، وذكر المراقدة الموجودة في البقيع، ولم يشر إلى وجود رأس الإمام الحسين (عليه السلام) هناك رغم ذكره لكلّ مرقاد آل البيت (عليه السلام)^(٣)، كذلك أنّ الرأس لم يشتهر وجوده في بقيع المدينة المنوّرة، سواء أكان بالقرب من قبر أمّه أم من قبر أخيه.

٧ - أمّا احتمال دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مرو في خراسان فلا يمكن الأخذ به؛ لعدم شهرته، وبُعد وقوعه، ولو أنّ بني العباس نقلوا الرأس لكانت حادثة مشهورة، ولتناولتها المصادر المتقدّمة. ثمّ إنّ الأولى ببني العباس إذا عنوا بنقل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) من دمشق، لنقلوه إلى الطفّ (كربلاء)، ودفنوه مع جسده.

كما أنّ الملاحظ على رواية الجغرافي المقدسي - التي أشار فيها إلى دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مدينة مرو - قد أخذها من النّاس الذين قالوا له بذلك عندما

(١) البخاري، صحيح: ج ٥، ص ٨٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ج ١، ص ٤٠٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١١٥؛ أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى: ج ٤، ص ٣١؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٥٢؛ العيني، عمدة القارئ: ج ١٧، ص ٢٥٨.

(٢) المقرئزي، إمتاع الأسماع: ج ٥، ص ٣٥٣.

(٣) ابن جبير، الرحلة: ص ١٥٥.

رأى رباطاً خارج المدينة. بينما أشار السمعاني إلى دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام معتمداً على ما وجدته من كتابة على جدار بناية القبر تشير إلى ذلك، ولا يوجد سند تاريخي يؤكد دفن الرأس في مرو.

أما الروايات التي ذكرت بأنّ أبا مسلم الخراساني هو الذي نقل الرأس إلى خراسان، فهذا بعيد جداً؛ وذلك لأنّ أبا مسلم لما فُتحت الشام كان بخراسان، والذي فتح دمشق عبد الله بن علي^(١) بن عبد الله بن العباس^(٢)، فكيف يُتصور أن يتمكّن من نقله إلى خراسان؟! ولو ظفر بالرأس في خزائن بني أمية، أو في أيّ مكان آخر، لأظهره للناس؛ ليزدادوا لبني أمية بغضاً وكرهية^(٣). ثم إنّ الروايات التي أشرنا إليها سابقاً، ذكرت أنّ رأس الحسين أُخرج من خزانة السلاح الأموي، مرةً في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م)، الذي كَفَنه ودفنه، ومرةً أخرجه منصور بن جمهور سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م، ودفنه في إحدى المقابر بدمشق.

أما الرواية التي أشارت إلى رؤية الرأس في دار الإمارة بمرو، فهي تتعارض مع تلك الرواية التي تذهب إلى أنّ الرأس مدفون في رباط يبعد فرسخين عن مدينة

(١) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، عمّ أبي جعفر المنصور (٩٥-١٤٧هـ / ٧١٣-٧٦٤م)، ولّاه أبو العباس السفّاح - أول الحكّام العباسيين - حرب مروان ابن محمّد آخر الحكّام الأمويين، فسار إليه حتى قتله واستولى على بلاد الشام، ولم يزل عليها مدّة خلافة السفّاح (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٥م)، فلمّا ولي أبو جعفر المنصور العباسي اختلف معه ودعا إلى نفسه، فوجّه إليه المنصور أبا مسلم فحاربه بنصيبين، فانهزم عبد الله بن عليّ واختفى، وصار إلى البصرة فأشخصه سليمان بن علي والي البصرة إلى بغداد، فحبسه أبو جعفر المنصور، ولم يزل في حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذي حُبس فيه فقتله. عن سيرة عبد الله بن علي ودوره السياسي والعسكري يُنظر: سفّان رعد خليل إبراهيم الحياي، عبد الله بن علي ٩٥-١٤٧هـ / ٧١٣-٧٦٤م سيرته ودوره السياسي والعسكري: ص ٨٠-١٤٤.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٨٨-٩١.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٠، ص ٤٨١.

مرو، فكيف وُجد الرأس مدفوناً في دار الأمانة؟! وبهذا يمكن القول بعدم الأخذ بجميع الروايات التي تشير إلى دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مرو خراسان.

٨ - أمّا الروايات الدالة على دفن الرأس في الغري (النجف)، فيلاحظ عليها

ما يلي:

١ - إنّ الروايات التي جاءت عن الإمام الصادق (عليه السلام)، والتي أشارت إلى دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في الغري عند قبر أبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ هي إمّا أن يكون رواها مجهولين، أو غير ثقات. فرواية يزيد بن عمر بن طلحة لا يمكن الأخذ بها لأنّ رواها من المجاهيل^(١)، ولم يُنقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) سوى هذه الرواية التي أشارت إلى أنّ الذي جاء برأس الإمام الحسين (عليه السلام) أحد موالي أهل البيت بعد سرقته، وذلك عندما أرسل الرأس إلى الشام، وقام بدفنه إلى جنب قبر الإمام علي (عليه السلام)، وهذا لا يمكن أن يحدث لعدة أسباب:

السبب الأول: إنّ رأس الإمام الحسين (عليه السلام) عند إرساله إلى الشام أُحيط بحراسة مشدّدة كُلف بها أربعون جندياً - وفقاً لرواية ابن نما الحلي^(٢) - فكيف يمكن سرقة الرأس وقد أُحيط بهذا العدد من الجند لحراسته؟!

السبب الثاني: إنّ العديد من الروايات ذكرت بأنّ الرأس الشريف وصل إلى يزيد بن معاوية في دمشق، وفعل به ما فعل من ضربٍ وطوافٍ وصلب في الشام، ولو أنّه كان قد سُرِقَ لذكر هذا الأمر في المصادر التاريخية المتقدّمة.

السبب الثالث: إنّ قبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ظلّ مخفياً إلى أن اكتُشف من قبل هارون العباسي (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م)، وذلك في العام الأوّل من

(١) أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢١، ص ١٢٦؛ محمّد الجواهري، المفيد من معجم رجال الحديث: ص ٦٧١؛ غلام رضا عرفانيان، مشايخ الثقات: ص ١٤٧.

(٢) مثير الأحران: ص ٧٦.

توليّه الحكم، حيث أمر ببناء ضريح للقبر تعلوه قبة، ومن ثمّ توالى البناء في السنوات المتعاقبة، وأخذ النَّاسُ بزيارته ودفن موتاهم حوله^(١)، فكيف عُرف قبر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام قبل هذه الفترة المبكرة عن تاريخ كشف القبر حتى يُقال بدفن رأس ولده الإمام الحسين عليه السلام إلى جانبه؟! ومن هو هذا الرجل الموالي لآل البيت الذي يحتفظ بمعرفته مكان القبر؟ وهل انفرد هذا الرجل بذلك دون غيره من المواليين لآل البيت وهم كثر؟! غيرهم من المواليين لآل البيت وهم كثر؟!!

أمّا رواية يونس بن ظبيان فلا يمكن الوثوق بها؛ لأنّ علماء الجرح والتعديل ضَعَّفُوا رواياته، وأشاروا إلى أنّ كلّ كتبه تخليط^(٢)، وأنّه كذاب بحيث ادّعى أنّ الله تعالى كلّمه، حيث قال: «كنتُ في بعض الليالي وأنا في الطواف، فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس إنّّي أنا الله، لا اله إلا أنا، فاعبدي وأقم الصلاة لذكري»، وعندما أُخبر علي بن موسى الرضا عليه السلام بهذا الحديث غضب على يونس بن ظبيان ولعنه^(٣). وقال عنه أبو القاسم الخوئي في تعليقه على هذه الرواية: «هذه الرواية

(١) إبراهيم بن محمّد الثقفي، الغارات: ج ٢، ص ٨٦٢-٨٦٣؛ عبد الكريم بن طاووس، فرحة الغري: ص ١٧؛ الحسن بن محمّد، ارشاد القلوب: ج ٢، ص ٤٣٦؛ ابن عنبه، عمدة الطالب: ص ٦٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٣٦.

(٢) النجاشي، رجال: ص ٤٤٨.

(٣) ثامن أئمة أهل البيت، علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، ولقبه الرضا من سادات أهل البيت، مات في طوس من شربة دُسّ فيها السمّ، سقاه إيّاها المأمون، فمات من ساعته في يوم السبت آخر يوم سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. يُنظر: الخصيبي، الهداية الكبرى: ص ٢٧٩؛ ابن رستم الطبري، دلائل الإمامة: ص ٣٥٨-٣٥٩؛ ابن حبان، الثقات: ج ٨، ص ٤٥٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب: ج ٣، ص ٤٧٥؛ إيان سالم، علي بن موسى الرضا وولاية العهد: ص ٢١٧-٢٤١؛ حسين عبد العال اللهيبي، دور الإمام علي بن موسى الرضا في الحراك الفكري والسياسي: ص ٤٦-٣٥.

(٤) الطوسي، رجال الكشي: ج ٢، ص ٦٥٩؛ النوري الطبرسي، خاتمة المستدرک: ج ٩، ص ٢٣٣؛ أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢١، ص ٢٠٤-٢٠٥.

صحيحة السند، ودالة على حُبث يونس بن ظبيان وضلاله^(١). ومن هذا يتبين بأنّه لا يمكن الأخذ بروايته.

أمّا ما ذكره يونس بن ظبيان من أن ابن زياد دفن الرأس خارج الكوفة عندما رده إليه يزيد، فقد علّق عليها بعض الباحثين بقولهم: «يصعب القبول بهذه الرواية؛ لأنّ المعروف أنّ مرقد الإمام علي بن أبي طالب في النجف لم يُكتشف إلّا بعد سقوط الدولة الأموية، وبالتالي فإنّ دوافع الدفن بالنجف تبدو معدومة لعبيد الله بن زياد، حيث إنّّه لا يعلم بوجود قبر في هذا المكان»^(٢)، وأكّدت على عدم صحّة هذه الرواية الباحثة المصرية سعاد ماهر بقولها: «من أنّ هذا قول مرسل، لا يقوم على سند ولا دليل»^(٣).

وأما الروايات التي ذكرها الكليني^(٤)، وابن قولويه^(٥)، والطوسي^(٦)، والمشهدى^(٧)، والعاملي الشهيد الأول^(٨)؛ فإنّها أشارت إلى أنّ مكان رأس الإمام الحسين (عليه السلام) الموجود في النجف هو موضع للرأس، وليس مكان دفنه.

إنّ الذي جعل البعض يعتقدون بدفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في النجف، هو ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) من روايات، تحتاج إلى وقفة نظر وتأمل؛ بسبب

(١) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢١، ص ٢٠٥.

(٢) عباس الربيعي، أطلس الحسين: ص ٣٥٥؛ هادي عبد النبي التميمي، ثورة الإمام الحسين في المصنّفات المصرية: ص ٣٢٣.

(٣) مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتّحف: ص ١٥٣.

(٤) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٥٧١.

(٥) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ٨٤.

(٦) الطوسي، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٥؛ الطوسي، الأمالي: ص ٦٨٢.

(٧) المشهدى، المزار: ص ٥١٧.

(٨) المصدر السابق: ص ٣٣، ٦٧.

ضعفها، أو أنّ روايتها مجهولون، أو غير ثقة، وإنّ الموضع الذي يقع في الكوفة دُفن فيه ما تبقى من رأس الإمام الحسين عليه السلام بعد التقوير، حيث «قام عمرو بن حريث المخزومي فقال: يا ابن زياد قد بلغت حاجتك من هذا الرأس، فهب لي ما ألقيت منه، فقال: ما تصنع به؟ فقال عمرو: أواريه، فقال: خذه، فجمعه في مطرف خَزَّ كان عليه، وحمله إلى داره، فغسله وطيبه وكفّنه ودفنه عنده في داره، وهي بالكوفة، تُعرف بدار الخَزَّ، دار عمرو بن حريث المخزومي»^(١). ولعلّ هذا الأمر هو الذي جعل البعض يختلط عليهم الأمر ويعتقد بأنّه مكان دفن الرأس. ومن هنا يتبيّن أنّ أيّاً من الموضعين سواء في الغري أم في الكوفة، ليسا مكاناً لدفن رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وخلاصة القول: إنّ عملية قطع رؤوس القتلى بعد موتهم هي ثقافة أموية، صارت ظاهرة سياسية انتهجها بنو أمية دون خشية أحد أو حياء منه، دلّت على بربريتهم، وعدم تخلّصهم من الرواسب الجاهلية منذ وقت مبكر من تولّيهم السلطة، واستعملت هذه الظاهرة مع الأفراد والجماعات التي لها تأثير سياسي أو قبلي، فقد تمّ قطع رأس محمّد بن أبي بكر والي مصر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، وقطع رأس الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي سنة ٥١هـ/٦٧١م، وإرسال رأسيهما إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق حاضرة الحكم الأموي، وكذلك قُطعت رؤوس المؤيدين لثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الكوفة من قبيل ابن زياد الوالي الأموي، الذي اختار من أمثال مسلم بن عقيل ابن عمّ الإمام الحسين عليه السلام ورسوله إلى أهل الكوفة، وهانئ بن عروة رئيس قبيلة مذحج، حيث قام ابن زياد بقطع رأسيهما بعد قتلها وإرسالهما إلى يزيد بن معاوية بدمشق أيضاً، بينما لم يرسل رؤوس قتلى آخرين؛ لعدم تأثيرهم السياسي والقبلي،

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص ٣٢٩.

فضلاً عن الأوامر التي صدرت من ابن زياد إلى قائد الجيش الأموي المحارب للإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره في الطفّ بقطع رؤوس القتلى، وبلغت أكثر من سبعين رأساً، وأُرسلت إلى الكوفة، ثم أرسلها ابن زياد إلى دمشق، بعد أن استبعدت رؤوس قتلى أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) من غير الهاشميين؛ لتدخل قبائلهم لدى ابن زياد وطلبها منه بردّ الرؤوس إليهم، ويبدو أنّ ابن زياد لم يتوانَ عن ذلك، وكان يبغى الهدوء واستتاب الأمن في الكوفة. وتمّ استعراض رؤوس القتلى في الكوفة وفي مدن وقرى الطريق إلى الشام، وأخيراً في شوارع دمشق وأسواقها، وإدخالها على يزيد بن معاوية في مجلسه العام بصحبة سببايا آل البيت.

إنّ من بين المواضيع التي اختلف فيها المؤرّخون هي تحديد موضع دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، وإنّ كثرة الأماكن التي ظهرت هنا وهناك، والتي ادّعي بأنها الموضع الذي دفن فيه الرأس الشريف؛ لما له من مكانة كبيرة، وقديسة في قلوب المسلمين بصورة عامّة، وكذلك بسبب التضحية العظيمة التي قدّمها الحسين (عليه السلام).

ونعتقد بوجود حكمة إلهية في كثرة المواضع التي ادّعي أنّها ضمّت رأس الإمام الحسين (عليه السلام)؛ ليضيع موضع الرأس بين هذا العدد الكبير من الأماكن وأماكن أخرى وضع عليها الرأس، أو أنّ قطرة من دمه سقطت فيها، فبُنيت عليها المساجد، أو المقامات، أو المشاهد، لتظلّ صوتاً مدوّياً في كلّ العصور، رافضاً للظلم وأعوانه، والفساد وأصحابه. وكلّ ذلك من أجل أن يبقى أثر الجريمة الكبرى بحق أهل البيت (عليه السلام)، التي ارتكبتها يزيد بن معاوية وأعوانه، ولمنع كلّ الأقلام المأجورة التي تحاول نفي هذه الجريمة عنه، أو تبرّؤه منها، وإن كانت الروايات أشارت إلى عدّة مواضع دُفن فيها رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، سواء بدمشق أم بالرقّة، أو بعسقلان، أو بمصر، أو دفن في بقيع المدينة المنورة، أو في مرو خراسان، أو في الطفّ (كربلاء)، وهذا ما نميل إليه، وعبرّت عنه أكثر من رواية، فضلاً عن حفظ ذاكرة الموروث

الشعبي الذي تناقلته الأجيال من جيل إلى آخر، فستظلّ ذكره لتضحيتّه وأهل بيته وأنصاره أنيناً يبيّن عظم الرزية التي تُخيم على القلوب المتعلّقة بحبّ الإمام الحسين عليه السلام، وشعاعاً يُنير ظلمات الدروب، وفكراً وهّاجاً يرسم عيش الحياة بحرية، وعزّة ملؤها الأمل الكريم، وبسمة لروح طفولةٍ في وسط دموع حزنٍ غاضب، فإنّ ثورته سيغرف منها كلّ أحرار العالم التّواقون إلى الحرية والسلام والأمان.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المضنية في البحث والدراسة، متنقلين بين الروايات التاريخية في مصادرها الأولية والثانوية تمحيصاً ووصفاً وإحصاءاً وتحليلاً واستنتاجاً، في موضوع دراستنا الموسوم بـ«سبي آل البيت عليه السلام من الطفّ إلى بلاد الشام دراسة تاريخية»؛ خلّصنا إلى عدد من النتائج، يمكن إدراجها بما يلي:

١- لم تعطِ بعض المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها رأياً واضحاً عن عدد آل البيت من الرجال والنساء والأطفال، الذين وقعوا في الأسر والسبي بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ورجال بيته وأنصاره، ولكن يمكن أن نخمّن عدد ذلك من خلال ما عرفناه من الروايات، التي أشارت إلى عدد من خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة أثناء توجّجه إلى العراق، وهم جلّ أهل بيته من الرجال والنساء، من أولاده وبناته وأخواته وزوجاته وإخوته، وبعض أبنائهم وبناتهم ونسائهم، وبني عمومته من أولاد عقيل وجعفر وأبنائهم وبناتهم ونسائهم، فضلاً عن الأطفال والجواري.

وبعد قتل من قُتل في معركة الطفّ من بني طالب وقع الأسر على اثني عشر غلاماً من غلمان بني طالب، وعلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وعلى سبع وخمسين امرأة من نساء بني طالب، ومن كان معهم من الجواري. ولم تسجّل الروايات قتل امرأة طالبية من بني طالب.

٢- إنّ الهدف الذي كان يبغيه بنو أمّية وأعدائهم من سبي آل البيت عليه السلام، واستعراضهم في شوارع المدن وأسواقها كما جرى في الكوفة ودمشق، ثمّ في طريق

أطالوا مسافته عمداً عند نقلهم من الكوفة إلى دمشق تتفرّج عليهم حشود الناس من شتّى الأهواء والنحل؛ هو التشهير بآل البيت، وذلك من خلال الاعترافات التي كان يتوخّاها يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد، من برجة الماكنة الإعلامية الأموية بأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) خارجي خرج عن طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، وأنّه أراد شقّ صفّ المسلمين ووحدتهم، وردّاً على ذلك لا بدّ من إعطاء درس وعبرة، وإدخال الخوف والرعب في نفوس كلّ من يريد الخروج من الثائرين على السلطة الأموية، فيكون حاله كحال الإمام الحسين (عليه السلام) من القتل وعائلته من السبي مع أنّه سبط النبي، فاردوا من خلال ذلك بيان عدم قدسيّتهم لأي شخصيّة تريد مواجهة ظلمهم، وأنّهم عازمون على سحق كلّ ثورة تهدف لإسقاطهم واسقاط ظلمهم وفسادهم.

٣. لقد كانت خطب آل البيت (عليه السلام) - مع ما اتّصفت به تلك الخطب من بلاغة وفصاحة وبيان - تُحاكي العقول والنفوس؛ لأنّها عبّرت عن شجاعتهم وجهادهم. كما تُعدّ هذه الخطب وثائق سياسية وتاريخية وفكرية بيّنت أحداث تلك المرحلة، وساهمت في استمرار الثورة الحسينية؛ لما ترتّب عليها من أثر واضح وكبير في تغيير الرأي العام، سواء في الكوفة أم دمشق، بعد أن فضحت أفعال بني أميّة الشنيعة، ودحضت دعايتهم الإعلامية الكاذبة القائلة بأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) خارجي خرج على السلطة الشرعية، فعرفّ الناس حقائق الأمور، وأنّ الإمام (عليه السلام) ليس خارجياً، بل إماماً ثائراً ضد ظلم بني أميّة ومفسادهم.

وقد ركّزت الخطب في الكوفة على تحميل أهلها المسؤولية الكاملة عن فاجعة قتل الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لإعانتهم ابن زياد على ذلك، وتنصّلهم من العهود التي أعطوها للحسين بعد مطالبته بالقدوم عليهم وقيادته الثورة ضد بني أميّة.

فوصفتهم تلك الخطب بكلمات الذلّ والتوبيخ والتقريع، وبذلك أدّت إلى تصحيح الانحرافات الفكرية، وحوّلت الفرد الكوفي المتفرّج والمكتفي بالبكاء إلى أن يراجع مواقفه ويلمّمها، ممّا مهّد إلى قيام حركة التوايين، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي على التوالي ضدّ الأمويين.

واتّبع الخطب في دمشق اسلوباً واعياً دمّرت جبروت الطاغية، وألحقت به الهزيمة والعار، وبيّنت له أنّ دعاة الحقّ وعلى قلّتهم لا تنحني رؤوسهم أمام طغاة الباطل على كثرتهم، وفصّلت في كثير من الحقائق التاريخية التي كانت غائبة عن أذهان أهل الشام؛ بسبب تضليل الماكنة الإعلامية الأموية التي أسّسها معاوية بن أبي سفيان منذ تولّيه ولاية الشام.

وكانت ردود علي بن الحسين عليه السلام وعمّته السيّدة زينب بنت علي عليه السلام على عبيد الله بن زياد بمجلسه في الكوفة، ويزيد بن معاوية بمجلسه في دمشق، قد وضعتهما (ابن زياد ويزيد) في زاوية حرجة؛ لخبيثتهما بفضحهما أمام الناس، ممّا جعل ابن زياد يعجّل في إخراج سبايا آل البيت عليهم السلام من الكوفة، وكذلك جعل يزيد يعجّل بخروجهم من الشام.

٤- لقد أُقيم المآتم على الحسين بن علي عليه السلام منذ اليوم الثاني على قتله، فقد رثته أخته السيّدة زينب عليها السلام عند مرور السبايا على أجساد القتلى المتناثرة على أرض الطفّ، حيث رفعت صوتها حزيناً شجياً، تنادي جدّها وأباها وبقية أهلها، تعرّفهم بها جرى على الإمام الحسين عليه السلام. واستمرّت مثل هذه المراثيات بشكل متكرّر في مدن طريق السبي بين الكوفة والشام، تارة على لسان علي بن الحسين عليه السلام، وتارة أخرى على لسان السيّدة زينب وأمّ كلثوم بنات علي بن أبي طالب عليه السلام. كما أُقيمت المآتم على الإمام الحسين عليه السلام في بيوت قتلته؛ إذ عُقد مآتم في سجن الكوفة الذي

أودعهم فيه ابن زياد، من أول الليل حتى الفجر، وحضرته نساء الكوفة، وأقيم المأتم أيضا في بيت يزيد بن معاوية بدمشق لمدة ثلاثة أيام، حضرته نساء بني أمية، أمثال عاتكة بنت يزيد وهند زوجته.

إن إقامة هذه المأتم - ومن أقرب المقربين لأصحاب القرار الأموي - يُعدّ رفضاً لما جرى على آل البيت (عليه السلام). ثم إن ما يُقال من مرثي يُعدّ وسيلة وجدانية، تعرّف العامة من الناس بما جرى على آل البيت أيضا.

٥- لقد عانى سبايا آل البيت (عليه السلام) كثيراً من مدة السبي، التي استغرقت حوالي شهر. ويمكن أن نقسمها ما بين بقائهم في الكوفة ثلاثة أيام، ومسيرهم في طريق السبي من الكوفة إلى بلاد الشام خمسة عشر أو ستة عشر يوماً، وبقائهم في دمشق عشرة أيام أقل أو أكثر قليلاً، ومروورهم على كربلاء، ومن ثم رجوعهم إلى المدينة المنورة.

الملاحق

ملحق رقم (١)

خطبة السيِّدة زينب بنت علي عليها السلام في أهل الكوفة

«الحمد لله والصلاة على أبي محمّد، وآله الطيّبين الأخيار، أمّا بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر أتبكون وتنتحبون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هداأت الرنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيّمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النّطف، والصدر الشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون؟! أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولم ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرّة سنّتكم، ألا ساء ما تزرّون، وبعداً وسحقاً فلقد خاب السعي وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقهاء خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض، أو كملء السماء، فأعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنصرون، فلا يستخفّنكم المهل،

فإنه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثأر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِأَلْمِرْصَادِ﴾^(١).
وفي رواية الخوارزمي ختمت السيدة زينب (عليها السلام) خطبتها بعد قولها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ
لِبِأَلْمِرْصَادِ﴾، بقولها: «فترقبوا أول النحل وآخر الصاد»^(٢).

(١) ابن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٢١-١٢٢؛ الطبرسي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ص ٢٦١؛ ابن نما الحلي، مثير الأحرار: ص ٦٦؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ٢، ص ٤٥-٤٧.

ملحق رقم (٢)

خطبة السيدة زينب بنت علي عليها السلام في الشام

«الحمد لله رب العالمين، والسلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، وأصبحنا نساق كما
نساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطر كعنده؟!
فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جدلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مُستوسقة
والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ﴾^(٢). أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول
الله سبايا؟! قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، يُجدى بهنّ من بلد إلى بلد،
ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدينيّ
والشريف، ليس معهنّ من جاهلنّ وليّ، ولا من حماهنّ حمي. وكيف تُرجى المراقبة ممّن
لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف يُستبطن في بغضنا أهل
البيت ممّن نظر إلينا بالشنف والشتان والإحن والاضغان؟! ثم يقول غير متأثم ولا
مستعظم:

فأهلّوا وأستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت

(١) الروم: آية ١٠.

(٢) آل عمران: آية ١٧٨.

القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية آل محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب! أتهتف بأشياخك؟! زعمت تناديهم، فلتردن وشيكاً مورداهم، ولتودن أنك شلت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل همتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهاك حرمة في لحمته وعترته، وليخاصمناك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعنتهم، ويأخذ لهم بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، فحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين أن ﴿يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢)، وأيكم ﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾^(٣). ولئن جررت عليّ الدواهي مخاطبتك، فإني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعتك، واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي تنطف من دماننا، وتلك الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتابها العوائل، وتعفوها الذئاب، وتؤمّها الفراعل. فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرمًا، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤)، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، والله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحيناً، ولا تُدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها، فهل رأيك

(١) آل عمران: آية ١٦٩.

(٢) الكهف: آية ٥٠.

(٣) مريم: آية ٧٥.

(٤) الحج: آية ١٠.

إِلَّا فَنَدًا وَأَيَّامَكَ إِلَّا عَدَدًا! وشملك إِلَّا بَدَدًا! يوم ينادي المنادي: ﴿لَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١). فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد وحسن المآب، ويختم بنا الشرافة، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢)، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣)^(٤).

(١) هود: آية ١٨.

(٢) آل عمران: آية ١٧٣.

(٣) الأنفال: آية ٤٠.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧١-٧٤.

ملحق رقم (٣)

خطبة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في الشام

«أيها الناس، أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منّا النبي المختار محمّداً، ومنّا الصديق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأئمة وسيّدا شباب أهل الجنّة. فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتّزر وارتنى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن من نُحْمِل على البراق في الهوا، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى. أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلاّ الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدر وحُنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول ربّ العالمين، أنا ابن المؤيّد بجبرائيل، والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حُرْم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم

من مرامي الله على المنافقين، ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي، رضي مرضي، مقدم همام، صابر صوّام، مهذب قوّام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جنّاناً، وأطبّقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب إذا أزدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن الرحي، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكّي مدنيّ، أبطحيّ تهاميّ، خيفيّ عقبيّ، بدريّ أحمديّ، شجريّ مهاجريّ، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كلّ طالب، غالب كلّ غالب، ذاك جدّي علي بن أبي طالب. أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول. قال: ولم يزل يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب»^(١).

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٦-٧٨.

٤٧٢ سبي آل البيت عليه السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م (دراسة تاريخية)

ملحق رقم (٤)

طريق البادية بين الكوفة ودمشق



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث

٤٧٤ سبي آل البيت عليه السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م (دراسة تاريخية)

ملحق رقم (٦)

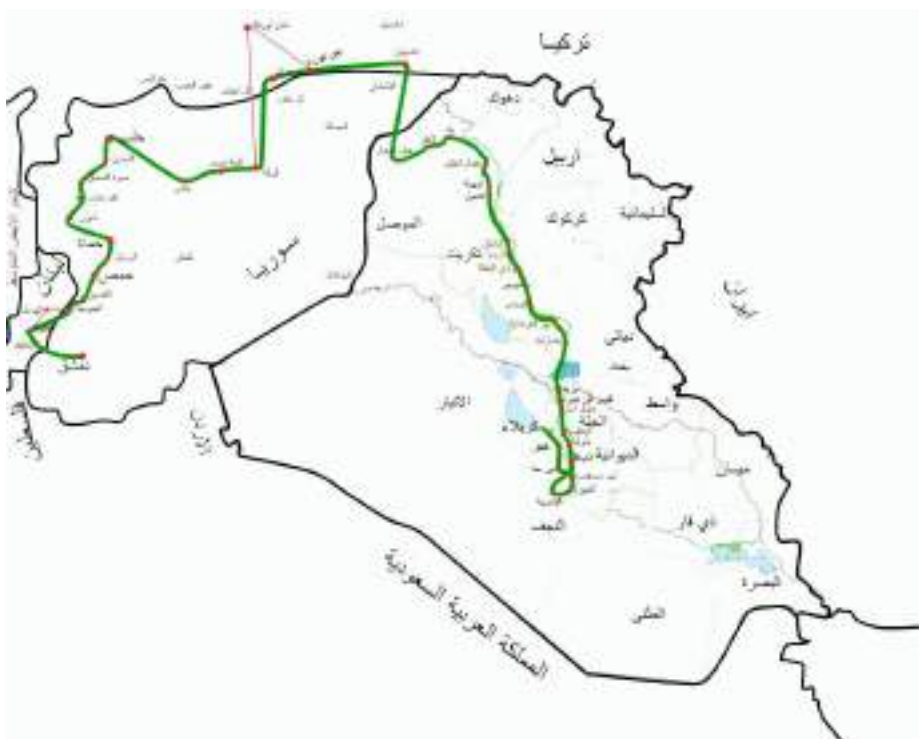
طريق دجلة بين الكوفة ودمشق



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث

ملحق رقم (۷)

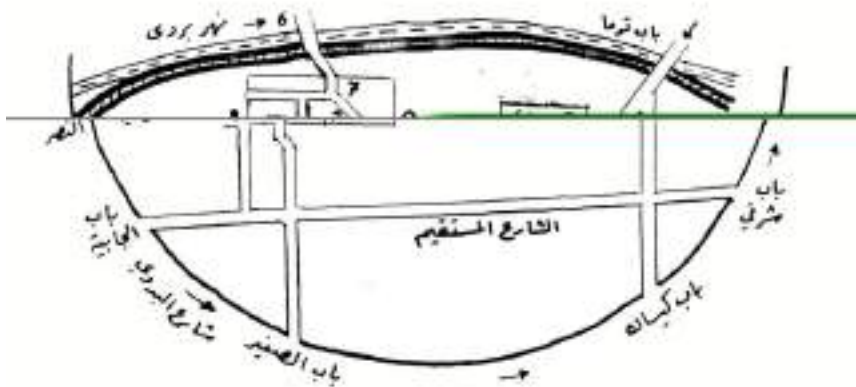
الطريق الذي سلكته قافلة سبأيا آل البيت ﷺ



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث

ملحق رقم (۸)

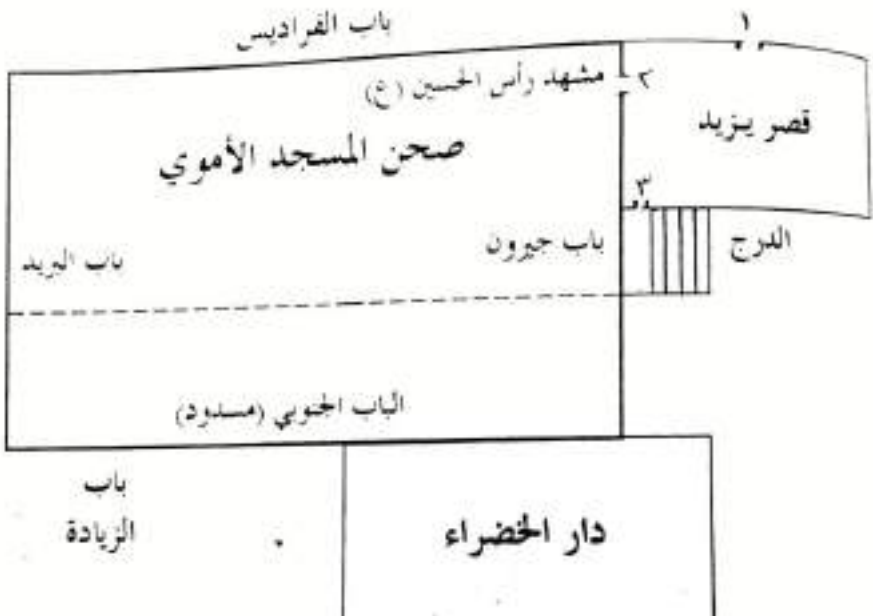
مخطط دمشق القديمة



- 1 - المسجد الجامع
- 2 - قصر يزيد
- 3 - قصر الخلافة (دار الخضر)
- 4 - باب الريادة
- 5 - باب حيرون الداعلي
- 6 - باب القرائيس الروماني (العمارة)
- 7 - باب القرائيس العموري (باب الساعات)
- 8 - باب البريد

ملحق رقم (٩)

مخطط دار الخضراء وقصر يزيد الملاصق للمسجد على يمين الداخل من باب جيرون



المصدر: لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٤٤٩.

ملحق رقم (١٠)

خارطة توضّح أسماء المواضع التي مرّت بها قافلة السبّايا (في محافظة بابل حالياً)



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث

ملحق رقم (١١)

خارطة توضّح أسماء المواضع التي مرّت بها قافلة السبايا (في محافظة بغداد حالياً)



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث

٤٨٠ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

ملحق رقم (١٢)

جدول يوضح اسماء المدن التي مرت بها السبائ والمساكنات بينها داخل العراق

ت	من	الى	خط مستقيم إزاحة (GPS)	طريق السيارة
١	كربلاء	النخيلة	٥٣ كم	٥٧ كم
٢	النخيلة	الحنانة	٢٦ كم	٣٢ كم
٣	الحنانة	الكوفة	٧ كم	٨ كم
٤	الكوفة	الحيرة	١٨ كم	٣٠ كم
٥	الحيرة	القادسية	١٩ كم	
٦	القادسية	شوشي	٥٤ كم	
٧	شوشي	اليقوبية		
٨	اليقوبية	سوق أسد		
٩	سوق أسد	قصر ابن هبيرة		
١٠	قصر ابن هبيرة	بزيقيا		
١١	بزيقيا	نهر كوئي		
١٢	نهر كوئي	نهر الملك		
١٣	نهر الملك	نهر صرصر		
١٤	نهر صرصر	تل كوش		
١٥	تل كوش	نهر الحسيني		
١٦	نهر الحسيني	الحمارات		

ت	من	الى	خط مستقيم إزاحة (GPS)	طريق السيارة
١٧	الحمارات	الفرحاتية		
١٨	الفرحاتية	المحادر		
١٩	المحادر	مهيجر		
٢٠	مهيجر	تكرت		
٢١	تكرت	وادي نخلة		
٢٢	وادي نخلة	بارما		
٢٣	بارما	البلايق		
٢٤	البلايق	الكحيل		
٢٥	الكحيل	جهينة		
٢٦	جهينة	حمام العليل		
٢٧	حمام العليل	الموصل	٢٨ كم	
٢٨	الموصل	بلد		
٢٩	بلد	تلعفر		
٣٠	تلعفر	سنجار		
٣١	سنجار	جبل سنجار		
٣٢	الكوفة	تكرت	٢٩٤ كم	٣٣٠ كم
٣٣	الكوفة	حمام العليل	٤٧٢ كم	٥٢٦ كم
٣٤	الكوفة	الموصل	٤٩٣ كم	٥٦١ كم

ت	من	إلى	خط مستقيم إزاحة (GPS)	طريق السيارة
٣٥	الكوفة	تلعفر	٥١٥ كم	٦١٧ كم
٣٦	الكوفة	سنجار	٥٣١ كم	٦٧١ كم
٣٧	الكوفة	جبل سنجار	٥٤٥ كم	٧٠٤ كم
٣٨	الكوفة	الحدود	٥٧٩ كم	٧٢٤ كم
٣٩	الكوفة	نصيبين عبر مدينة القامشلي	٦٣٣ كم	
٤٠	الموصل	سنجار	١١٤ كم	١٢٣ كم

المصدر: محمد عبد الغني، من كربلاء إلى دمشق: ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

ملحق رقم (١٢)

جدول يوضح أسماء المدن التي مرّت بها السبائيا والمسافات بينها داخل الجمهورية اللبنانية

ت	من	الى	خط مستقيم إزاحة (GPS)	طريق السيارة
١	بداية الحدود	اللبوة	٣١ كم	٣٥ كم
٢	بداية الحدود	الهرمل	١٥ كم	٢٢ كم
٣	الهرمل	اللبوة	٣٣ كم	٢٩ كم
٤	اللبوة	بعلبك	٢٦ كم	٣٠ كم
٥	بعلبك	معربون	١٧ كم	٣٣ كم
٦	معربون	الحدود مع سوريا	١ كم	لا يوجد
	المجموع		١١٣ كم	١٤٩ كم

المصدر: محمد عبد الغني، من كربلاء إلى دمشق: ص ٥٦٥.

ملحق رقم (١٤)

جدول يوضّح أسماء المدن التي مرت بها السبائيا والمسافات التي بينها داخل الجمهورية العربية السورية

ت	من	إلى	خط مستقيم إزاحة (GPS)	طريق السيارة
١	رأس العين	الرقّة	١٣٦ كم	٢٠٠ كم
٢	الرقّة	قلعة دوسر	٤٩ كم	٥٨ كم
٣	قلعة دوسر	بالس - مسكنة	٤١ كم	٧٠ كم
٤	بالس - مسكنة	حلب	٨٤ كم	١١٠ كم
٥	حلب	قنسرين - العيس	٢٦ كم	٣٧ كم
٦	قنسرين - العيس	معرة النعمان	٤٩ كم	٧٧ كم
٧	معرة النعمان	كفر طاب	٢٣ كم	٢٨ كم
٨	كفر طاب	شيزر	٤٤ كم	٣٤ كم
٩	شيزر	حماة	٢٣ كم	٣٦ كم
١٠	حماة	الرستن	٢٤ كم	٢٨ كم
١١	الرستن	حمص	٢٢ كم	٢٧ كم
١٢	حمص	القصور	٢٩ كم	٣٣ كم
١٣	القصور	الجوسية	٧ كم	١١ كم
١٤	الجوسية	الحدود	٤ كم	٧ كم
	المجموع		٥٦١ كم	٧٥٦ كم

ملحق رقم (١٥)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها داخل العراق (من بغداد إلى الموصل)

من	الى	المسافة بالفرسخ	المسافة (كم)
بغداد	البردان	٤	١٩
البردان	عكبرا	٥	٢٤
عكبرا	باحمشا	٣	١٤
باحمشا	القادسيّة	٧	٣٣
القادسيّة	سر من رأى	٣	١٤
سر من رأى	الكرخ	٢	٩
الكرخ	جبلنا	٧	٣٣
جبلنا	السودقانية	٥	٢٤
السودقانية	بارمّا	٥	٢٤
بارمّا	السِنّ	٥	٢٤
السِنّ	الحديثة	١٢	٥٧
الحديثة	بني طميان	٧	٣٣
بني طميان	الموصل	٧	٣٣

المصدر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ٩٣.

٤٨٦ سبي آل البيت عليه السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

ملحق رقم (١٦)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها داخل العراق (من الموصل إلى نصيبين)

من	الى	المسافة بالفرسخ أو الميل	المسافة (كم)
الموصل	بلد	٧	٣٣
بلد	باعيناتا	٦	٢٨
باعيناتا	برقعيد	٦	٢٨
برقعيد	أذرمة	٦	٢٨
أذرمة	تل فراشة	٥	٢٧
تل فراشة	نصيبين	٤	٢٦

المصدر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٩٥.

ملحق رقم (١٧)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها داخل العراق (من الرقة إلى دمشق)

من	الى	المسافة بالميل	المسافة (كم)
الرقة	الرصافة	٢٤	٣٨
الرصافة	الزراعة	٤٠	٦٤
الزرعة	القسطل	٣٦	٥٧
القسطل	سليمة	٣٠	٤٨
سليمة	حمص	٢٤	٣٨
حمص	شمسين	١٨	٢٨
شمسين	قارا	٢٢	٣٥
قارا	النبك	١٠	١٦
النبك	القطيفة	٢٠	٣٢
القطيفة	دمشق	٢٤	٣٨

المصدر: ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ٩٨.

ملحق رقم (١٨)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها داخل العراق (من بغداد إلى القادسيّة)

من	إلى	المسافة بالفرسخ أو الميل	المسافة (كم)
مدينة السلام	جسر كوثي	سبعة فراسخ	٣٣
جسر كوثي	قصر ابن هبيرة	خمسة فراسخ	٢٤
قصر ابن هبيرة	سوق أسد	سبعة فراسخ	٣٣
سوق أسد	ساهي	خمسة فراسخ	٢٤
ساهي	الكوفة	خمسة فراسخ	٢٤
الكوفة	القادسيّة	خمسة عشر ميلاً	٢٤

المصدر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٨٥.

ملحق رقم (١٩)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها (من الكوفة إلى المدينة)

من	إلى	المسافة بالميل	المسافة (كم)
الكوفة	القادسيّة	خمسة عشر ميلاً	٢٤
القادسيّة	العُذيب	ستة أميال	٩
العُذيب	المغيثة	أربعة عشر ميلاً	٢٣
المغيثة	القرعاء	اثنان وثلاثون ميلاً	٥١
القرعاء	واقصة	أربعة وعشرون ميلاً	٣٨
العقبة	القاع	أربعة وعشرون ميلاً	٣٨
القاع	زُبالة	أربعة وعشرون ميلاً	٣٨
زُبالة	الشقوق	ثمانية عشر ميلاً	٢٨
الشقوق	قبر العبادي	تسعة وعشرون ميلاً	٤٦
قبر العبادي	الثعلبية	تسعة وعشرون ميلاً	٤٦
الثعلبية	الخُزيمية	ثلاثة وثلاثون ميلاً	٥٣
الخُزيمية	الأجفر	أربعة وعشرون ميلاً	٣٨
الأجفر	فيد	ستة وثلاثون ميلاً	٥٧
فيد	توز	ثلاثة وثلاثون ميلاً	٥٣
توز	سَميراء	ستة عشر ميلاً	٢٥
سميراء	الحاجر	ثلاثة وعشرون ميلاً	٣٧
الحاجر	النقرة	سبعة وعشرون ميلاً	٤٣

من	الى	المسافة بالميل	المسافة (كم)
النقرة	مغيثة الماوان	سبعة وعشرون ميلاً	٤٣
مغيثة	الربذة	أربعة وعشرون ميلاً	٣٨
الربذة	معدن بني سليم	تسعة عشر ميلاً	٣٠
معدن بني سليم	العمق	ستة وعشرون ميلاً	٤١
العمق	أفاعية	اثنان وثلاثون ميلاً	٥١
أفاعية	المسلح	أربعة وثلاثون ميلاً	٥٤
المسلح	الغمرة	ثمانية عشر ميلاً	٢٨
ومن الغمرة	ذات عرق	ستة وعشرون ميلاً	٤١
النقرة	العُسيّلة	ستة وأربعون ميلاً	٧٤
العُسيّلة	بطن النخل	ستة وثلاثون ميلاً	٥٧
بطن النخل	الطَّرَف	اثنان وعشرون ميلاً	٣٥
الطرف	المدينة	خمسة وثلاثون ميلاً	٥٦

المصدر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص ١٨٤ - ١٨٥.

ملحق رقم (٢٠)

جدول يوضح أسماء المدن والمسافات بينها داخل العراق (من بغداد إلى الكوفة)

من	الى	المسافة (الميل)	المسافة (كم)
بغداد	جسر النهر	١٠	١٦
جسر النهر	صرصر	١٠	١٦
صرصر	نهر الملك	٦	٩
نهر الملك	نهر كوثنى	٤	٦
نهر كوثنى	بزيقياء	٣	٤
بزيقياء	قصر بن هبيرة	٩	١٤
قصر بن هبيرة	جسر سوران	٢	٣
جسر سوران	ذمار	٩	١٤
ذمار	سوق أسد	٧	١١
سوق أسد	اليعقوبية	١٠	١٦
اليعقوبية	القناطر	٧	١١
القناطر	شاهي	١٠	١٦
شاهي	كوفة	١٨	٢٨

المصدر: ابن رسته، الأعلام النفيسة: ص ١٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: المخطوطات

* سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

١. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان حوادث سنة (٥٠ - ٨٩هـ)، مخطوط مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، النجف الأشرف، برقم (١٧ / ١ / ٢).

ثانياً: المصادر الأولية

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).

٣. الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٤. اللباب في تهذيب الأنساب، (تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت).

* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد، ط ٤، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤ش).

* ابن البراج، عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م).

٦. المذهب، (إشراف: جعفر السبحاني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

* ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م).

٧. خصائص الوحي المين، (تحقيق: مالك المحمودي، ط ١، قم، مطبعة نكين، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٨. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

٩. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، (ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

١٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين، (تحقيق: علي حسين البواب، ط ١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

١١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

١٢. الموضوعات، (تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

* ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٩م).

١٣. ترتيب إصلاح المنطق، (تحقيق: محمد حسن بكائي، ط ١، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

* ابن الصبّاغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).

١٤. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، (تحقيق: سامي الغريزي، ط ١، د.م، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

- * ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جراحة (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م).
١٥. بغية الطلب في تاريخ حلب، (تحقيق: سهيل زكار، بيروت، مؤسسة البلاغ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- * ابن العربي، أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م).
١٦. أحكام القرآن، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الفكر العربي، د.ت.).
- * ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م).
١٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت، دار حياء التراث العربي، د.ت.).
- * ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م).
١٨. الأنباء في تاريخ الخلفاء، (تحقيق: قاسم السامرائي، ط ١، القاهرة، دار الآفاق، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
- * ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م).
١٩. كتاب البلدان، (تحقيق: يوسف الهادي، ط ١، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- * ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م).
٢٠. جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب، د.ت.).
٢١. نسب معد واليمن الكبير، (تحقيق: ناجي حسن، ط ١، بغداد، مكتبة النهضة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

* ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي
(ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م).

٢٢. مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (ط ١، د.م، مطبعة سبحان،
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م).
٢٣. الفهرست، (تحقيق: رضا تجدد، مصر، د.ط، د.ت).

* ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن الوردي
المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٣م).

٢٤. تاريخ ابن الوردي، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/
١٩٩٦م).

٢٥. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (تحقيق: أنور محمود زناتي، ط ١،
القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).

* ابن إدريس، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي
(ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م).

٢٦. أجوبة مسائل ورسائل في مختلف فنون المعرفة، (تحقيق: محمد مهدي
الموسوي الخرساني، ط ١، النجف، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٢٩هـ/
٢٠٠٨م).

٢٧. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، (تحقيق: لجنة من المحققين، ط ٢، د.م،
مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت).

* ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م).

٢٨. السير والمغازي، (تحقيق: محمد حميد الله، د.م. معهد الدراسات والأبحاث
للتعريف، د.ت).

* ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمّد المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٢٩. شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمّد أبو الفضل ابراهيم، ط ١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

* ابن أبي حاتم، أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م).

٣٠. الجرح والتعديل، (ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

* ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م).

٣١. الأحاد والمثاني، (تحقيق: ياسم فيصل، ط ١، الرياض، دار الراية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

* ابن أعثم، أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م).

٣٢. الفتوح، (تحقيق: علي شيري، ط ١، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

* ابن أنس، مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م).

٣٣. الموطأ، (تعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

* ابن بطوطة، محمّد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

٣٤. تحفة النظار في غرائب الأمصار (الرحلة)، (تحقيق: طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي

(ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

٣٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، دار الكتب، د.ت).

* ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

(ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م).

٣٦. رأس الحسين، (تحقيق: السيد الجميلي، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي،

١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

* ابن جبر، زين الدين علي بن يوسف (تق ٧هـ / ق ١٣م).

٣٧. نهج الإيمان، (تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط ١، قم، مطبعة الستاره،

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

* ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي الشاطبي

البلنسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).

٣٨. تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (الرحلة)، (بيروت، دار ومكتبة

الهلل، د.ت).

* ابن جعفر، قدامة (ت ٣٣٧هـ / ٩٣٣م).

٣٩. الخراج وصناعة الكتابة، (تحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد،

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

* ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ /

٩٦٥م).

٤٠. الثقات، (مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط ١، بيروت، مؤسسة الكتب

الثقافية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

٤١. مشاهير علماء الأمصار، أعلام فقهاء الأقطار، (تحقيق: مرزوق علي

إبراهيم، ط ١، المنصورة، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

* ابن حبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م).

٤٢. المحبر، (د.م، مطبعة الدائرة، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).

* ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م).

٤٣. الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٤٤. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).

٤٥. تقريب التهذيب، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، بيروت، دار الكتب العالمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٤٦. تهذيب التهذيب، (ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٤٧. فتح الباري، (ط ٢، بيروت، دار المعرفة، د.ت).

٤٨. لسان الميزان، (ط ٢، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

* ابن حجر الهيتمي، أحمد بن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م).

٤٩. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، (تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

٥٠. جهرة أنساب العرب، (تحقيق: لجنة من العلماء، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٥١. المحلّي (د.م، دار الفكر، د.ت).

* ابن حمدان، أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).

٥٢. الهداية الكبرى، (ط ٤)، بيروت، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع،

١٤١١هـ / ١٩٩١م).

* ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م).

٥٣. التذكرة الحمدونية، (تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط ١، بيروت، دار

صادر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).

٥٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت، دار صادر، د.ت).

* ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).

٥٥. صورة الأرض، (ط ١، قم، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).

* ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م).

٥٦. المسالك والممالك، (بيروت، دار صادر، ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م).

* ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري

(ت ٣١١هـ / ٩٢٣م).

٥٧. صحيح ابن خزيمة، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط ٢، د.م، المكتب

الإسلامي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

٥٨. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم

من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

* ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان

(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٥٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د.ت).

* ابن داود الحلبي، الحسن بن علي بن داود (ت ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م).

٦٠. رجال ابن داود، (تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

* ابن رسته، أحمد بن عمر (كان حيّاً في عام ٢٩٠هـ / ٩٠٣م).

٦١. الأعلام النفيسة، (تحقيق: ديوح باديس، لندن، مطبعة بريل، ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م).

* ابن زمنين المالكي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد الالبيري (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م).

٦٢. تفسير القرآن العزيز، (تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ط ١، القاهرة، الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢هـ / ١٤٢٣م).

* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م).

٦٣. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من كتاب الطبقات، (ط ١، د.م، الهدف للإعلام والنشر، د.ت).

٦٤. الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، د.ت).

٦٥. غزوات الرسول ﷺ وسراياه، (تقديم: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

* ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٩م).

٦٦. غريب الحديث، (تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

* ابن سيّد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م).

٥٠٢ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٦٧. السيرة النبوية (عيون الأثر)، (بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م).

٦٨. المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٦٩. المخصّص، (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت).

* ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م).

٧٠. الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، (تحقيق: دومينيك سورويل، دمشق، د.ط، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).

* ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).

٧١. معالم العلماء، (د.ط، د.م، د.ت).

٧٢. مناقب آل أبي طالب، (قم، مؤسسة انتشارات، د.ت).

* ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م).

٧٣. إقبال الأعمال، (تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٧٤. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، (ط ١، قم، مطبعة الخيام، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م).

٧٥. اللهوف في قتلى الطفوف، (ط ١، قم، مطبعة مهر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٧٦. اليقين، (تحقيق: الأنصاري، ط ١، الجزائر، مؤسسة دار الكتاب الجزائري، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

* ابن طاووس، عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٣م).

٧٧. فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، (تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، ط ١، بيروت، مكتب الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

* ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).

٧٨. قيد الشريد من أخبار يزيد، (تحقيق: فاطمة مصطفى عامر، القاهرة، دار العلوم، د.ت).

* ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م).

٧٩. بلاغات النساء، (قم، مكتبة بصيرتي، د.ت).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م).

٨٠. الاستذكار، (تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٨١. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٨٢. التمهيد، (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة هموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٤م).

* ابن عبد الحق، صفى الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).

٨٣. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، د.ط، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

- * ابن عبد الوهاب، حسين (تق ٥هـ / ق ١١م).
٨٤. عيون المعجزات، (تحقيق: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م).
- * ابن عبد ربّه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م).
٨٥. العقد الفريد، (ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- * ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).
٨٦. تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، د.ت.).
- * ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م).
٨٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).
- * ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).
٨٨. معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ / ١٩٩٨م).
- * ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
٨٩. الإمامة والسياسة (المنسوب)، (تحقيق: طه محمد الزيني، مصر، مؤسسة الحلبي وشركاه، د.ت.).
٩٠. الشعر والشعراء، (تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
٩١. غريب الحديث، (تحقيق: عبد الله الجبوري، ط ١، قم، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

٩٢. المعارف (تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م).

* ابن قدامه، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م).

٩٣. المغني، (بيروت، دار الكتاب العربي للنشر، د.ت).

* ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ / ٩٧٩م).

٩٤. كامل الزيارات، (تحقيق: جواد القيومي، ط١، بيروت، مؤسسة الإسلامية، ١٤١٧هـ / ١٩٨٦م).

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م).

٩٥. البداية والنهاية في التاريخ، (تحقيق: علي شيري، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

٩٦. السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧١م).

٩٧. قصص الأنبياء، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، مصر، دار التأليف، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

* ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).

٩٨. سنن ابن ماجه، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.م، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت).

* ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله العجلي (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م).

٩٩. الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنسب، (القاهرة، دار إحياء التراث، د.ت).

* ابن مردويه، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م).

١٠٠. مناقب عليّ بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليّ، (تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط ٢، قم، دار الحديث ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

* ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).

١٠١. تجارب الأمم وتعاقب المهمم، (تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط ١، طهران، دار سروش، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).

* ابن معين، يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني البغدادي (٢٣٣هـ / ٨٤٧م).
١٠٢. تاريخ ابن معين، (تحقيق: عبد الله أحمد حسن، بيروت، دار القلم، د.ت).

* ابن منجويه، أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م).
١٠٣. رجال صحيح مسلم، (تحقيق: عبد الله الليثي، ط ١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

* ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م).

١٠٤. فتح الباب في الكنى والألقاب، (تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط ١، الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

١٠٥. معرفة الصحابة، (تحقيق: عامر حسن صبري، ط ١، الإمارات، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

* ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).

١٠٦. لسان العرب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- * ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م).
١٠٧. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
- * ابن نما الحلي، نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما (ت ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م).
١٠٨. ذوب النضار في شرح الثار، (تحقيق: فارس حسون كريم، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
١٠٩. مثير الأحزان، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).
- * ابن هشام، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م).
١١٠. السيرة النبوية، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).
- * الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦هـ/ ١١٦٤م).
١١١. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).
- * الإريلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).
١١٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

* الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م).

١١٣. تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

* الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٣٤٠هـ / ١٠٣٨م).

١١٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت).

* الأصبهاني، عبد الله بن حبان (ت ٣٦٩هـ / ٩٨٠م).

١١٥. طبقات المحدثين بأصبهان، (تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

* الأصبهاني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٧٥م).

١١٦. مسالك الممالك، (بيروت، دار صادر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م).

١١٧. الزاهر في معاني كلمات الناس، (تعليق: يحيى مراد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* الباجي المالكي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م).

١١٨. التعديل والتجريح، (تحقيق: أحمد البزاز، مراکش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت).

* الباعوني، شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م).

١١٩. جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، قم، مطبعة دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

- * البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م).
١٢٠. شرح نهج البلاغة، (تحقيق: عدّة من الأفاضل، ط ١، إيران، چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، د.ت).
* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م).
١٢١. التاريخ الصغير، (تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط ١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
١٢٢. التاريخ الكبير، (تركيا، المكتبة الإسلامية، د.ت).
١٢٣. صحيح البخاري، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
١٢٤. الضعفاء، (تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط ١، حلب، دار الوعي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
* البخاري، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن الكلابذي (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م).
١٢٥. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، (تحقيق: عبدالله الليثي، ط ١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
* البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م).
١٢٦. الرجال، (طهران، المطبعة چاخانه دانشگاه، د.ت).
١٢٧. المحاسن، (تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م).
* البري، محمد بن أبي بكر الأنصاري (تق ٧هـ / ق ١٣م).
١٢٨. الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، (تحقيق: محمد التونجي، ط ١، دمشق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٢هـ).

* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م).
١٢٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير لغوي)، (تحقيق: خالد عبد الرحمن
العك، بيروت، دار المعرفة، د.ت).

* البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).
١٣٠. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (تحقيق: مصطفى السقا،
ط ٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
١٣١. أنساب الأشراف، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، بيروت، دار
التعارف، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

١٣٢. فتوح البلدان، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت).

* البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ / ١٤٠٨م).

١٣٣. الآثار الباقية عن القرون الخالية، (بغداد، د.ط، د.ت).

* البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م).

١٣٤. المحاسن والمساوي، (د.م، د.ط، د.ت).

* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م).

١٣٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (تحقيق: عبد المعطي

قلعجي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١٣٦. السنن الكبرى، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

١٣٧. شعب الإيمان، (تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، ط ١، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

١٣٨. معرفة السنن والآثار، (تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب

العلمية، د.ت).

* البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد، المعروف بابن فندق (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م).

١٣٩. لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، (تحقيق: مهدي الرجائي، د.م، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

١٤٠. معارج نهج البلاغة، (تحقيق: محمد تقي دانش پژوه، ط ١، قم، مطبعة بهمن، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

* التبريزي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م).

١٤١. الإكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: أبو أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، د.م، مؤسسة أهل البيت، د.ت).

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
١٤٢. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، (تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* التفتازي، سعد الدين (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م).
١٤٣. مختصر المعاني، (ط ١، قم، دار الفكر، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
* الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م).

١٤٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (تحقيق عبد الفتاح أبو سنة وآخرون، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

* الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).
١٤٥. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).

١٤٦. فقه اللغة وسر اللغة، (تحقيق: فائز محمد، مراجعة: إميل يعقوب، ط ٢،

بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري
(ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م).

١٤٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، (تحقيق: أبو محمد بن
عاشور ونظير الساعدي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي،
١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

* الثقفى، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى الكوفي (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م).

١٤٨. الغارات، (تحقيق: جلال الدين الحسيني، بهمن، د.ت).

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م).

١٤٩. البرصان والعرجان والعميان والحولان، (تحقيق: عبد السلام محمد
هارون، ط١، بيروت، دار الجليل، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

١٥٠. رسائل الجاحظ (رسالة في النابتة)، (تحقيق: محمد طه الحاجري، بيروت،
دار النهضة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م).

١٥١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،
ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

* الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٥م).

١٥٢. السقيفة وفدك، (تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي
الأميني، ط٢، بيروت، شركة الكتبي للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ /
١٩٩٣م).

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع (ت ٤٠٥هـ /

١٠١٤م).

١٥٣. المستدرك على الصحيحين، (تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، د.ت).

* الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م).

١٥٤. غريب الحديث، (تحقيق: سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير، ط ١، جدة، دار المدينة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

* الحسكاني، عبيد الله بن أحمد (تق ٥هـ/ ق ١١م).

١٥٥. شواهد التنزيل لقواعد التفصيل، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ١، د.م، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

* الحسن بن محمد، أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي (تق ٨).

١٥٦. إرشاد القلوب، (ط ٢، قم، أمير، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

* الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).

١٥٧. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، (تحقيق: جواد القيومي، ط ١، د.م، مؤسسة نشر الفقه، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٥٨. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، (تحقيق: حسين الدركاهي، أبو محمد حسن حسين آبادي، ط ١، طهران، د.ط، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١٥٩. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ١، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٦٠. نهج الحق وكشف الصدق، (تحقيق: عين الله الحسيني الأرموي، قم، مطبعة ستارة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

* الحلّي، عزّ الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد (ت أوائل ق ٩هـ/ ١٥م).

١٦١. مختصر بصائر الدرجات، (ط)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م).

* الحلّي، يحيى بن سعيد (ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م).

١٦٢. نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر، (تحقيق: أحمد الحسيني، نور الدين الواعظي، النجف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

* الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م).

١٦٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، (تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

* الحميري، نشوان سعيد اليميني (٥٧٣هـ / ١١٧٧م).

١٦٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (تحقيق: الدكتور حسين بن عبد الله العمري والدكتور يوسف محمد عبد الله، ط ١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

* الحنفي، شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م).

١٦٥. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول (ﷺ)، (تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، د.م، د.ط، د.ت).

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م).

١٦٦. تاريخ بغداد (مدينة السلام)، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

* الخطيب، أحمد بن حسن (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م).

١٦٧. الوفيات، (تحقيق: عادل نويهض، ط ١، بيروت، دار الإقامة الجديدة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

* الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م).

١٦٨. مقتل الحسين، (تحقيق: محمد السهاوي، ط ٥، كربلاء، أنوار الهدى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

* الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).

١٦٩. المؤلف والمختلف، (تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط، د.م، دار الغرب الإسلامية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).

١٧٠. سنن الدارمي، (تحقيق: محمد أحمد دهمان، دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

* الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

١٧١. حياة الحيوان الكبرى، (ط ٢، بيروت، دار الكتب العالمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

* الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

١٧٢. الذرية الطاهرة النبوية، (تحقيق: سعد المبارك الحسن، ط ١، الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م).

١٧٣. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (ط ١، د.م، مطبعة عثمان عبد الرزاق، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م).

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

١٧٤. الأخبار الطوال، (تحقيق: عبد المنعم عامر، ط ١، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي
(ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

١٧٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (تحقيق: عمر عبد السلام
تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

١٧٦. تذكرة الحفاظ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

١٧٧. سير أعلام النبلاء، (تحقيق: حسين الأسد وشعيب الأرنؤوط، ط ٩،
بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

١٧٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١،
بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م).

* الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م).

١٧٩. مختار الصحاح، (تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، بيروت، دار إحياء
الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م).

١٨٠. المفردات في غريب الحديث، (ط ٢، د.م، دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤هـ /
١٩٨٤م).

* الراوندي، قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ / ١١٦٧م).

١٨١. الخرائج والجرائح، (تحقيق: محمد باقر الموحّد الأبطحي، ط ١، قم، المطبعة
العلمية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

١٨٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، (تحقيق: عبد اللطيف الكوكهمري،
قم، مطبعة الخيام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* الزبير بن بكار، أبو عبد الله بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت
بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

١٨٣. الأخبار الموفقيات، (تحقيق: سامي مكّي العاني، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

* الزيري، مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م).

١٨٤. نسب قریش، (تحقيق: ليفي برفنسال، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م).

* الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م).

١٨٥. نظم درر السمطين، (ط١، د.م، مكتبة الإمام أمير المؤمنين، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

* الزخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

١٨٦. أساس البلاغة، (القاهرة، دار ومطابع الشعب، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

١٨٧. الجبال والأمكنة والمياه، (تحقيق: أحمد عبد التّوّاب عوض، القاهرة، دار الفضيلة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

١٨٨. الفائق في غريب الحديث، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

١٨٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

* الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م).

١٩٠. نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، (تحقيق: أيمن صالح شعبان، ط١، القاهرة، مطابع الوفاء، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

- * السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).
١٩١. السنن، (تحقيق: محمد الصباغ، بيروت، دار العربية، د.ت).
- * السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م).
١٩٢. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (ط ١، بيروت، نشر الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- * السرخسي، مجد بن الحسن الشيباني (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م).
١٩٣. أصول السرخسي، (تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
١٩٤. شرح السير الكبير، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، مصر، مطبعة مصر، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).
١٩٥. المبسوط، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- * السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م).
١٩٦. الأنساب، (تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط ١، بيروت، دار الجنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).
- * السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م).
١٩٧. تفسير السمعاني، (تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
- * السهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
١٩٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (تحقيق: خالد عبد الغني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

- * السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م).
١٩٩. رحلة السيرافي، (د.م، نشر المجمع الثقافي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
- * السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
٢٠٠. إسعاف المبطل برجال الموطن، (تحقيق: موفق فوزي جبر، ط ١، بيروت، دار الهجرة للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
٢٠١. تاريخ الخلفاء، (تحقيق: لجنة من الأدباء، بيروت، مطابع معتوق أخوان، د.ت).
٢٠٢. تفسير الجلالين، (تقديم: مروان سوار، بيروت، دار المعرفة، د.ت).
٢٠٣. الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
٢٠٤. كفاية الطالب، (الهند، مطبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م).
- * الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م).
٢٠٥. الديارات (تحقيق: كوركيس عواد، ط ٣، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- * الشافعي، أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م).
٢٠٦. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ، (تحقيق: ماجد أحمد العطية، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
- * الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م).
٢٠٧. الأئم، (ط ٢، د.م، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٢٠٨. المسند، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- * الشجري، أبو السعادات هبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م).

٥٢٠ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٢٠٩. الأمالي الخميسية، (بيروت، عالم الكتب، د.ت).

* الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م).

٢١٠. الأنوار ومحاسن الأشعار، (د.م، د.ط، د.ت).

* الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).

٢١١. الملل والنحل، (تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

* الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م).

٢١٢. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ١، قم، مطبعة ستاره، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

٢١٣. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، (تحقيق: محمد كلانتر، ط ٢، قم، مطبعة أمير، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

٢١٤. المزار، (تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، ط ١، قم، مطبعة أمير، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

* الصالحى الشامي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م).

٢١٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م).

٢١٦. الأمالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، طهران، مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٢١٧. الخصال، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٣٦٣م).

٢١٨. كمال الدين وإتمام النعمة، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٣٦٣م).

* الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م).

٢١٩. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليه السلام، (تحقيق: كوجه باغي، طهران، منشورات الأعلمي، د.ت).

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

٢٢٠. الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م).
٢٢١. الأحاديث الطوال، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٢٢٢. الأوائل، (تحقيق: محمد شكور، ط ١، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

٢٢٣. المعجم الأوسط، (تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، المدينة المنورة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢٢٤. المعجم الصغير، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

٢٢٥. المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٢٢٦. مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، (تحقيق: محمد شجاع ضيف الله، الكويت، دار الأوراد، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- * الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من أعلام ق٦).
٢٢٧. الاحتجاج، (تحقيق: محمد باقر الخرسان، النجف، دار النعمان،
١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).
٢٢٨. تاج الموالي، (قم، مطبعة الصدر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- * الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/١١٣٥م)
٢٢٩. إعلام الوري بأعلام الهدى، (تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء
التراث، ط ١، قم، د. ط، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٢٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، (تحقيق: لجنة من العلماء، ط ١، بيروت،
مؤسسة الأعلمي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م).
٢٣١. تاريخ الأمم والملوك، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، د. ت.).
٢٣٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق: الشيخ خليل الميس وجميل
صدفي العطار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٢٣٣. المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، (بيروت،
مؤسسة الأعلمي، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (من أعلام ق٥هـ/ق١١م).
٢٣٤. دلائل الإمامة، (ط ١، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٢٣٥. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (تحقيق: أحمد
المحمودي، قم، مؤسسة الواصف، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٢٣٦. نوار المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، (تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي،
ط ١، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- * الطبري، عماد الدين الحسن بن علي بن محمد (ت ٧٠٠هـ/١٣٠٠م).

٢٣٧. كامل البهائي، (ط ١، د.م، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- * الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (ت ٥٥٣هـ/ ١١٠٨م).
٢٣٨. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، (تحقيق: جواد القيومي، ط ٢، قم، د.ط، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
- * الطوسي، ابن حمزة (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).
٢٣٩. الثاقب في المناقب، (تحقيق: نبيل رضا علوان، ط ٢، قم، الصدر، مؤسسة أنصاريان للطباعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)،
- * الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
٢٤٠. الأمل، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، قم، دار الثقافة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
٢٤١. تهذيب الأحكام، (تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، طهران، مطبعة خورشيد، د.ت).
٢٤٢. الخلاف، (تحقيق: جماعة من المحققين، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
٢٤٣. رجال الطوسي، (تحقيق: جواد القيومي، ط ١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
٢٤٤. الفهرست، (تحقيق: جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
٢٤٥. مصباح المتهجد، (ط ١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- * العامل المشغري، يوسف بن حاتم الشامي (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م).
٢٤٦. الدر النظيم، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت).

٥٢٤ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

* العبيدلي، أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السجاد (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م).

٢٤٧. أخبار الزينبيات، (تحقيق: محمد الجواد الحسيني المرعشي النجفي، إيران، د.ط، د.ت).

* العجلي، أحمد بن عبد الله (ت ٢٦١هـ / ٨٧٥).

٢٤٨. معرفة الثقات، (ط ١، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

٢٤٩. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ط ١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

* العمري، نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م).

٢٥٠. المجدي في أنساب الطالبين، (تحقيق: أحمد المهدي الدامغاني، ط ١، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، د.ت).

* العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفي (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).

٢٥١. عمدة القاري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

* الفتال النيسابوري، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٥٠٨هـ / ١١١٤م).

٢٥٢. روضة الواعظين، (تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، قم، منشورات الشريف الرضي، د.ت).

* الفراهيدي، أبو عبد الرحمن أحمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م).

٢٥٣. العين، (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط ٢، قم، مؤسسة

دار الهجرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

- * الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي البصري (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م).
- ٢٥٤. الديوان، (تحقيق: علي فاعول، ط ١، بيروت، د.ط، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- * الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
- ٢٥٥. القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة، (بيروت، دار العلم للملايين، د.ت).
- * الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م).
- ٢٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت، دار الفكر العربي، د.ت).
- * القرشي، عماد الدين بن إدريس (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م).
- ٢٥٧. عيون الأخبار وفنون الآثار، (تحقيق: غالب مصطفى، بيروت، دار التراث الفاطمي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م).
- * القرشي، كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد (ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٢م).
- ٢٥٨. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، (تحقيق: ماجد بن محمد العطية، النجف، دار الكتب التجارية، د.ت).
- * القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٠م).
- ٢٥٩. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، (تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط ١، د.م، دار المنهاج، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
- ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- * القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).

٢٦١. آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، د.ت).
٢٦٢. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (ط٣، مصر، شركة ومطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م).
- * القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م).
٢٦٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة، (تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٢م).
- * القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
٢٦٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
٢٦٥. مآثر الأنافة في معالم الخلافة، (تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٩٦٤م).
٢٦٦. نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- * القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م).
٢٦٧. تفسير القمّي، (تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، ط٣، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- * القمّي، محمد بن حسن (ت ٧هـ / ١١ق م).
٢٦٨. العقد النضيد والدّرّ الفريد في فضائل أمير المؤمنين وأهل بيت النبي (عليه السلام) (تحقيق: علي أوسط الناطقي، لطيف فرادي، ط١، قم، دار الحديث، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- * القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦٢م).

٢٦٩. زهر الآداب وثمر الألباب، (بيروت، دارالجيل، د.ت).
- * القيسي، أبو علي الحسن بن عبدالله (ت ق ٦ م).
٢٧٠. إيضاح شواهد الايضاح، (تحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).
- * الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م).
٢٧١. فوات الوفيات، (تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- * الكشي، أبو عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م).
٢٧٢. رجال الكشي، (تعليق أحمد الحسيني، كربلاء، مؤسسة الأعلمي، د.ت).
- * الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح (ت ٤٠٥هـ / ١٤٩٩م).
٢٧٣. جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية (مصباح الكفعمي)، (بيروت، مؤسسة النعمان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- * الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م).
٢٧٤. الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- * الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م).
٢٧٥. الكافي، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، د.ت).
- * الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م).

٢٧٦. الولاة وكتاب القضاة (تصحيح: رفن كست، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٨م).

* الكوفي، محمد بن سليمان القاضي (حي ٣٠٠هـ).

٢٧٧. مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، قم، مطبعة النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

* المالكي، أبو محمد بن أبي طالب (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م).

٢٧٨. الهداية إلى بلوغ النهاية، (تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط ١، الشارقة، جامعة الشارقة، د.ت).

* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).

٢٧٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٢٨٠. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (عليه السلام)، (قدّم له: مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيد هاشم الرّسولي، ط ٢، مطبعة مروي، نشر دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

* المحسن بن كرامة (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م).

٢٨١. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، (تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، د.م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

* المحقق الحلي، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م).

٢٨٢. المعبر (تحقيق: ناصر مكارم شيرازي، قم، مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، د.ت).

* المحلي، حميد بن أحمد بن محمد اليماني (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م).

٢٨٣. الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، (تحقيق: المرتضى بن زيد

- المحطوري الحسني، ط ١، صنعاء، مكتبة بدر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- * المرتضى، علي بن حسين بن موسى (ت ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤ م).
٢٨٤. رسائل الشريف المرتضى، (تحقيق: أحمد الحسيني، إعداد: مهدي الرجائي، قم، مطبعة سيّد الشهداء، دار القرآن الكريم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
- * المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).
٢٨٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: بشار معروف، ط ١، بيروت، دار الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
٢٨٦. إثبات الوصية، (بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
٢٨٧. التنبيه والإشراف، (تصحیح: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي، د.ت).
٢٨٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- * المشهدي، محمد (ت ق ٦هـ/ ق ١٢م).
٢٨٩. المزار، (تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، قم، نشر القيوم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
- * المطهر الحلي، رضي الدين علي بن يوسف (من أعلام ق ٨هـ/ ق ١٤م).
٢٩٠. العدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، (تحقيق: مهدي الرجائي، ط ١، قم، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- * المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).
٢٩١. الاختصاص، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، د.ط. د.ت).

٥٣٠ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٢٩٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، (تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)،

ط ١، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

٢٩٣. الإفصاح، (تحقيق: مؤسسة البعثة، بيروت، دار المفيد للطباعة،

١٤١٤هـ / ١٩٩٣).

٢٩٤. تصحيح اعتقادات الإمامية، (تحقيق: حسين درگاهي، ط ٢، بيروت، دار

المفيد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٢٩٥. الجمل، (قم، مكتبة الداوري، د.ت).

٢٩٦. حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث، (ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

* المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م).

٢٩٧. البدء والتاريخ، (نشر مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت).

* المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م).

٢٩٨. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط ٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩١م).

* المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

٢٩٩. أتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، (تحقيق: جمال الدين

الشيال، ط ١، القاهرة، كلية دار العلوم، د.ت).

٣٠٠. إمتاع الأسعاع، (تحقيق: محمد عبد الحميد، ط ١، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

٣٠١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (ط ١، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

* المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م).

٣٠٢. فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، (تحقيق:

- أحمد عبد السلام، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- * المنجم، إسحاق بن الحسين (من أعلام ق ٤هـ).
٣٠٣. آكام المرجان في ذكرى المدائن، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- * المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م).
٣٠٤. وقعة صفين، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، د.م، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).
- * المهلب، الحسن بن أحمد العزيمي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
٣٠٥. المسالك والممالك، (تحقيق: تيسير خلف، د.م، د.ط، د.ت).
- * الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م).
٣٠٦. مجمع الأمثال، (قم، المعاونة الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، د.ت).
- * النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).
٣٠٧. فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، (تحقيق: موسى الشيرازي الزنجاني، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
- * النحاس، أبو جعفر (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م).
٣٠٨. معاني القرآن، (تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).
- * النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).
٣٠٩. السنن الكبرى، (تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

* النعمان المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي القاضي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م).

٣١٠. دعائم الإسلام، (تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، مصر، دار المعارف، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).

٣١١. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، (تحقيق: محمد الحسيني الجلالى، ط ٢، قم، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٠م).

* النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامى النووى الشافعى (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م).

٣١٢. شرح صحيح مسلم، (بيروت، دار الكتاب العربى، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م).

٣١٣. المجموع، (د. ط، د. م، د. ت).

* النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م).

٣١٤. نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، د. ت).

* الهروى، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م).

٣١٥. الإشارات إلى معرفة الزيارات، (ط ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

* الهلالى، سليم بن قيس العامري (ت حوالى ٩٠هـ / ٧٠٨م).

٣١٦. كتاب سليم بن قيس، (تحقيق: محمد باقر الأنصارى، ط ٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

* الهمذانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).

٣١٧. صفة جزيرة العرب، (تحقيق: محمد بن علي الأكرع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠م).

* الهيثمى، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م).

٣١٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٣١٩. موارد الظمان، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط ١، د.م، دار الثقافة العربية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

* الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م).

٣٢٠. فتوح الشام، (بيروت، دار الجيل، د.ت).

٣٢١. المغازي، (تحقيق: مارسدن جونز، د.م، دانش إسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

* اليافعي، أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

٣٢٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (تحقيق: خليل المنصور، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م).

٣٢٣. البلدان، (تحقيق: محمد أمين فناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٣٢٤. تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، د.ت).

* أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م).

٣٢٥. كتاب المحن، (تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، د.م، دار الغرب الإسلامي، د.ت).

* أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

٣٢٦. تقويم البلدان، (باريس، د.ط، ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م).

٣٢٧. المختصر في أخبار البشر، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- * أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م).
٣٢٨. الأغاني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
٣٢٩. مقاتل الطالبين، (تحقيق: كاظم المظفر، ط ٢، النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).
- * أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
٣٣٠. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (تحقيق: روحية النحاس وآخرون، ط ١، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٤م).
- * أبو شيبه، عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م).
٣٣١. المصنّف، (تحقيق: سعيد الحليم، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).
- * أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م).
٣٣٢. أيام العرب قبل الإسلام، (تحقيق: عادل جاسم البياضي، ط ١، مصر، عالم الكتب، د.ت).
- * أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي (ت ١٥٧هـ / ٧٧٣م).
٣٣٣. مقتل الحسين، (تحقيق: حسين الغفاري، قم، المطبعة العلمية، د.ت).
٣٣٤. مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء (مقتل أبي مخنف)، (د.م، دار الزهراء، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
- * أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م).
٣٣٥. الأوائل، (ط ١، طنطا، دار البشير، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
٣٣٦. جهرة الأمثال، (تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش،

- ط٢، بيروت، دار الجليل، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
٣٣٧. معجم الفروق اللغوية، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
- * أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م).
٣٣٨. مسند أبي يعلى، (تحقيق: حسين سليم أسد، د.م، دار المأمون للتراث، د.ت).
- * خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).
٣٣٩. تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
٣٤٠. الطبقات، (تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- * درهم، الفضيل بن زبير بن عمر الرسان (كان حيا سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م).
٣٤١. تسمية مَنْ قُتِلَ مع الحسين عليه السلام من ولده وإخوته وأهل بيته وشيعته، (تحقيق: محمد رضا الحسيني، قم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
- * زيد الشهيد، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ/ ٧٣٩م).
٣٤٢. مسند زيد، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت).
- * سبط ابن العجمي، برهان الدين الحلبي (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م).
٣٤٣. الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث، (تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- * سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن فرغلي البغدادى (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٥٣٦ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٣٤٤. تذكرة الخواص من الأئمة بذكر خصائص الأئمة، (قم، الشريف الرضي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

* عبد الملك النيسابوري، بن محمد بن إبراهيم الخركوشي، أبو سعد (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٧م).

٣٤٥. شرف المصطفى، (ط ١، مكة، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم (من أعلام ق ٤هـ / ق ١١م).
٣٤٦. تفسير فرات الكوفي، (تحقيق: محمد كاظم المحمودي، ط ١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* مجهول، (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م).

٣٤٧. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، (تحقيق: يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

* محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م).

٣٤٨. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، (القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م).

٣٤٩. الرياض النضرة في مناقب العشرة، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

* مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

٣٥٠. صحيح مسلم، (بيروت، د.ط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

* وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ / ٩١٩م).

٣٥١. أخبار القضاة، (بيروت، عالم الكتب، د.ت).

* ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي

البغدادى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).

٣٥٢. الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، (تحقيق: يحيى زكريا عبارة، محمد أديب جهران، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
٣٥٣. معجم الأدباء، (ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).
٣٥٤. معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ثالثاً: المراجع

- * ابن إدريس، عبد الله بن عبد العزيز.
٣٥٥. مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، (الرياض، نشر جامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- * أبو حبيب، سعدي.
٣٥٦. القاموس الفقهي، (ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- * أبو سعيدة، حسين.
٣٥٧. هكذا أنت يا بطل كربلاء فكر جهادي انقذ من مدرسة عاشوراء، (ط٣، مؤسسة المكتبة الوثائقية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
- * أبو كف، أحمد.
٣٥٨. آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في مصر، (القاهرة، دار المعارف، ١١١٩هـ/ ١٧٠٨م).
- * آل درويش، عبد الله بن الحاج حسن.
٣٥٩. المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، (ط١، قم، مطبعة ستاره، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- * آل شبيب، تحسين.
٣٦٠. مرقد الإمام الحسين عليه السلام، (ط١، قم، شريعت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

* آل عكله، طاهر حسين.

٣٦١. رأس الحسين من احتزّه من طاف به اين دُفن، (ط١، بيروت، دار الإسلام، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

* آل ياسين، راضي.

٣٦٢. صلح الحسن، (د.م، د.ط، د.ت).

* الأحدي، علي الميانجي.

٣٦٣. السجود على الأرض، (ط٤، بيروت، مركز جواد للصف والطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٣٦٤. مواقف الشيعة، (ط١، د.م، مؤسسة النشر الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

* الأردبيلي، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ / ١٦٨٩م).

٣٦٥. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد، (د.ط، مكتبة المحمدي، د.ت).

* الألوسي، محمود شكري.

٣٦٦. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، (شرح: محمد بهجت الأثري، ط١، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م).

٣٦٧. تفسير الألوسي، (د.م، د.ط، د.م).

* الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي الحسيني العاملي.

٣٦٨. أعيان الشيعة، (تحقيق: حسن الأمين، ط٥، بيروت، دار التعارف، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٣٦٩. لواعج الأشجان في مقتل الحسين، (صيدا، مطبعة العرفان، منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م).

- * الأميني، عبد الحسين بن أحمد النجفي (ت ١٣٩٢هـ / ١٩٧١م).
٣٧٠. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (ط٤)، بيروت، دار الكتاب
العربي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).
- * البحراني، عبد العظيم المهدي.
٣٧١. من أخلاق الإمام الحسين، (ط١)، بيروت، انتشارات الشريف
الرضي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- * البحراني، عبد الله بن نور الأصفهاني (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٧م).
٣٧٢. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال،
الإمام الحسين عليه السلام، (ط١)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، قم، مطبعة
أمير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
- * البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل (ت ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).
٣٧٣. البرهان في تفسير القرآن، (تحقيق: الدراسات الإسلامية، قم، د.ط،
د.ت).
٣٧٤. مدينة المعاجز، (تحقيق: عزّة الله المولائي الهمداني، قم، مطبعة بهمن،
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
- * البحراني، يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م).
٣٧٥. الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، (تحقيق: شركة دار
المصطفى عليه السلام لإحياء التراث، ط١، بيروت، نشر، شركة دار
المصطفى عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- * البراقي، حسن بن أحمد النجفي (ت ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م).
٣٧٦. تاريخ الكوفة، (تحقيق: ماجد أحمد العطيّة، ط١، النجف، المكتبة
الحيدرية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

* البروجردى، حسين الطباطبائي.

٣٧٧. جامع أحاديث الشيعة، (قم، المطبعة العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م).

* البروجردى، علي أصغر بن محمد شفيع الجابلقى (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م).

٣٧٨. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، (تحقيق: مهدي الرجائي،

ط ١، قم، مكتبة المرعشى النجفى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* البغدادى، إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م).

٣٧٩. هدية العارفين وآثار المصنفين، (بيروت، دار إحياء التراث العربى،

د.ت.).

* البغدادى، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م).

٣٨٠. خزانة الأدب، (تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب، ط ٤،

القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

* البياتى، جعفر.

٣٨١. الأخلاق الحسينية، (ط ١، مطبعة مهر، أنوار الهدى، ١٤١٨هـ /

١٩٩٧م).

* البيومى، محمد.

٣٨٢. الإمامة وأهل البيت (عليه السلام)، (ط ٢، مطبعة نهضت، ١٤١٥هـ /

١٩٩٥م).

٣٨٣. السيّد فاطمة الزهراء (عليها السلام)، (ط ٢، مطبعة سفير أصفهان، ١٤١٨هـ /

١٩٩٧م).

* الترماني، عبد السلام.

٣٨٤. الرقّ ماضيه وحاضره، (د.م، عالم المعرفة، ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م).

* التستري، محمد تقي.

٣٨٥. قاموس الرجال، (ط١، قم، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

* التفريشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ق ١١).

٣٨٦. نقد الرجال، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط١،

قم، ستارة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

* التميمي، محمد علي جعفر.

٣٨٧. مدينة النجف، (ط١، مطبعة دار النشر والتأليف في النجف،

١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م).

* التوني، محمد شوكت.

٣٨٨. محمد محرر العبيد، (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت).

* الجابري، محمد عابد.

٣٨٩. العقل السياسي العربي محدّاته وتجليّاته، (ط١، بيروت، مركز

دراسات الوحدة العربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

* الجلاي، محمد حسين الحسيني.

٣٩٠. فهرست التراث، (ط١، منشورات دليل، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

* الجواهري، محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م).

٣٩١. جواهر الكلام، (تحقيق: عباس القوچاني، ط٢، طهران، خورشيد،

دار الكتب العلمية، د.ت).

* الجواهري، محمد.

٣٩٢. المفيد من معجم رجال الحديث، (ط٢، قم، المطبعة العلمية،

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

* الحاج، محمد حسين.

٥٤٢ سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٣٩٣. حقوق آل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة باتفاق الأمة، (ط١، قم،

مطبعة مهر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

* الحائري، جعفر عباس.

٣٩٤. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، (تحقيق: جعفر عباس الحائري،

ط١، دار الحديث، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

* الحرّ العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م).

٣٩٥. وسائل الشيعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢،

قم، مطبعة مهر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* الحسن، عبد الله.

٣٩٦. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، (ط١، قم، مطبعة بهمن،

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

* الحسيني، نبيل.

٣٩٧. سبايا آل محمد عليهم السلام دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام

الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء، (ط١، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة،

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

* الحسون، محمد.

٣٩٨. أعلام النساء المؤمنات، (ط٢، إيران، دار الأسوة، ١٣٢١هـ /

١٩٠٣م).

* الحصونة، رائد حمود.

٣٩٩. حياة السيّدة أسماء بنت عميس الخثعمية دراسة تاريخية، (ط١،

دمشق، مطبعة تمّوز، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).

* الحكيم، حسن عيسى.

٤٠٠. خطط كربلاء في فكر الإمام الصادق عليه السلام (٨٣ - ١٤٨ هـ)، (د.ط، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م).

* الحكيم، زهير بن علي.

٤٠١. مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام من موروث أهل الخلاف، (ط١، مطبعة ظهور، نشر أهل الذكر، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م).

* الحلبي، برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٥ م).

٤٠٢. السيرة الحلبية، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م).

* الحلبي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م).

٤٠٣. نهر الذهب في تاريخ حلب، (ط٢، حلب، دار القلم، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م).

* الحلو، محمد علي بن يحيى.

٤٠٤. عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليه السلام الملقبة بسكينة، (مراجعة: الشيخ عباس الساويز الكاشاني، قم، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م).

* الحيني، محمد جابر.

٤٠٥. دراسات إسلامية في القرآن الكريم، (ط١، القاهرة، دار المعرفة، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م).

* الخراساني، محمد تقى النقوي القايني.

٤٠٦. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، (طهران، مكتبة المصطفوي، د.ت).

* الخضري، محمد.

٤٠٧. الدولة الأموية، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٥هـ/

١٩٩٥م).

* الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي (ت ١٤١٣هـ/

١٩٩٢م).

٤٠٨. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، (ط ٥، ١٤١٣هـ/

١٩٩٢م).

* الدربندي، آغا بن عابد الشيرواني الحائري (ت ١٢٥٨هـ / ١٨٦٨م)،

٤٠٩. إكسير العبادات في أسرار الشهادات، (تحقيق: محمد جمعة هادي

وعباس ملا الجمري، ط ١، بيروت، دار الصفوة، ١٤٢٩هـ/

٢٠٠٩م).

* الربيعي، عباس.

٤١٠. أطلس الحسين، (ط ١، بغداد، هيئة تراث الشهيد الصدر،

١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م).

* الريشهري، محمد.

٤١١. أهل البيت (عليه السلام) في الكتاب والسنة، (قم، دار الحديث، ١٣٧٥هـ/

١٩٥٥م).

* الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي

(ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م).

٤١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: علي شيري، بيروت،

دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

* الزركلي، خير الدين.

٤١٣. الأعلام، (ط٢، القاهرة، د. ط، ١٩٧٨م).

* الزنجاني، إبراهيم.

٤١٤. وسيلة الدارين في أنصار الحسين، (ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي،

١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

* السبحاني، جعفر.

٤١٥. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم، (ط١، قم،

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

* السعيد، محمد عبد الغني ادريس.

٤١٦. من كربلاء إلى دمشق رحلة سبايا آل بيت المصطفى ﷺ ٦١هـ/

٦٨٠م شواهد تاريخية، (ط١، بغداد، دار الأضواء، ١٤٣٥هـ/

٢٠١٤م).

* السماوي، محمد بن طاهر.

٤١٧. إِبصار العين في أنصار الحسين، (تحقيق: محمد جعفر الطوسي، قم،

مركز الدراسات الإسلامية، د.ت).

* السويدي، عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي، أبو البركات

(ت ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م).

٤١٨. النفحة المسكية في الرحلة المكيّة، (أبو ظبي، المجمع الثقافي،

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

* الشابي، قتيبة (ت ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٤١٩. معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها

وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرّخين، (دمشق، منشورات وزارة

الثقافة د.ت).

* الشاكري، حسين.

٤٢٠. الأعلام من الصحابة والتابعين، (ط٢، ستارة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

٤٢١. العقيلة والفواطم، (قم، مطبعة ستارة، د.ت).

* الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

٤٢٢. مستدرك سفينة البحار، (تحقيق: حسن بن علي النمازي، قم، مؤسسة

النشر الإسلامي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

٤٢٣. مستدركات علم رجال الحديث، (ط١، طهران، مطبعة الشفق،

١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

* الشاوي، علي.

٤٢٤. مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، الإمام الحسين في المدينة،

(إيران، مركز الدراسات الإسلامية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م).

* الشبراوي، عبد الله بن محمد بن عامر.

٤٢٥. الإتحاف بحب الأشراف، (تحقيق: سامي الغريزي، ط١، مؤسسة

الكتاب الإسلامي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

* الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن (ت ق ١٣).

٤٢٦. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وسلم،

(د.م، مركز العلوم الإسلامي، د.ت).

* الشريف، أحمد إبراهيم.

٤٢٧. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، (دار الفكر، د.ت).

* الشهرستاني، هبة الدين (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م).

٤٢٨. نهضة الحسين ﷺ، (قدّم له: علي الخاقاني، ط٥، كربلاء، رابطة النشر

الإسلامي، مطبعة دار التضامن، ١٣٨٨هـ / ١٩٥٨م).

- * الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م).
٤٢٩. مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام (تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١، قم، بهمن، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
* الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م).
٤٣٠. نيل الأوطار، (بيروت، دار الجليل، ١٠٧٣م).
* الشيرازي، علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ / ١٧٠٩م).
٤٣١. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، (تقديم: محمد صادق بحر العلوم، قم، منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م).
٤٣٢. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، (تحقيق: محسن الحسيني الأميني، ط ٤، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
* الصابوني، محمد علي.
٤٣٣. صفوة التفاسير، (ط ١، القاهرة، نشر دار الصابوني، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
* الطباطبائي، علي (ت ١٢٣١هـ / ١٨١٦م).
٤٣٤. رياض المسائل، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
* الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
٤٣٥. الميزان في تفسير القرآن، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت).
* الطبرسي، حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م).
٤٣٦. خاتمة مستدرک الوسائل، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، قم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

* الطبسي، نجم الدين.

٤٣٧. الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية، (ط١، بيروت، دار الولاء، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

* الطريحي، فخر الدين النجفي (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٦م).

٤٣٨. مجمع البحرين ومطلع النيرين، (تحقيق: أحمد الحسيني، ط٢، قم، نشر مرتضوي، د.ت).

٤٣٩. المنتخب في جمع المراثي والخطب، (ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣م).

* العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م).

٤٤٠. توضيح المقاصد، (د.ط، قم، مطبعة الصدر، مكتب آية الله العظمى المرعشي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

* العاملي، جعفر مرتضى.

٤٤١. الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، (ط١، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

٤٤٢. عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني، (ط١، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

* العزاوي، خالد عبد الرزاق مهدي.

٤٤٣. البريد في التاريخ، (ط١، بغداد، المكتبة الوطنية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

* العسكري، مرتضى.

٤٤٤. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، (ط٥، مطبعة صدر، نشر التوحيد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

٤٤٥. معالم المدرستين (بيروت، مؤسسة النعمان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

* العقّاد، عبّاس محمود.

٤٤٦. أبو الشهداء الحسين بن علي، (تحقيق: محمّد جاسم الساعدي،

طهران، د.ط. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٤٤٧. معاوية بن أبي سفيان، (د.م، دار الصدى، د.ت).

* العلوي، محمّد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م).

٤٤٨. النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، (ط١، قم، دار الثقافة،

١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

* العلي، صالح أحمد.

٤٤٩. الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، (بيروت، شركة المطبوعات،

د.ت).

* العمري، ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب (ت ١٢٣٢هـ/

١٨١٦م).

٤٥٠. الروضة الفيحاء في أعلام النساء، (د.م، د.ط، د.ت).

* الفتني، محمّد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م).

٤٥١. تذكرة الموضوعات، (د.ط، د.م، د.ت).

* الفضلي، عبد الهادي.

٤٥٢. خلاصة المنطق، (قم، ط٣، مطبعة محمّد، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

* القبانجي، حسن.

٤٥٣. مسند الإمام علي عليه السلام، (تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، ط١، بيروت،

الأعلمي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

* القرشي، باقر شريف.

٤٥٤. حياة الإمام الحسن بن علي، (دار الكتب العلمية، ط ٣، قم، ١٩٧٣م).

٤٥٥. حياة الإمام الحسين، (ط ١، بيروت، دار البلاغة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).

٤٥٦. السيّد زينب (عليها السلام) بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م).

* القزويني، رضا بن نبي.

٤٥٧. تظلم الزهراء، (بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

* القزويني، محمّد كاظم.

٤٥٨. زينب الكبرى (عليها السلام) من المهد إلى اللحد، (ط ١، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* القطيفي، فرج آل عمران

٤٥٩. وفاة زينب الكبرى، (د. ط، النجف، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م).

* القمّي، عبّاس (ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م).

٤٦٠. الكُنى والألقاب، (تقديم: هادي الأميني، طهران، مكتبة الصدر، د. ت).

٤٦١. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، (بيروت، الدار الإسلامية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

٤٦٢. نفس المهموم، (دار المحجّة البيضاء، دار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، د. ت).

* القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م).

٤٦٣. ينابيع المودّة لذوي القربى، (تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، قم، دار الأسوة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* الكاشاني، محمد بن محسن (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م).

٤٦٤. الوافي، (تحقيق: ضياء الدين الحسيني، ط ١، أصفهان، مكتبة الإمام

أمير المؤمنين علي عليه السلام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

* الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ /

١٩٦٣م).

٤٦٥. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية

التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة،

(تحقيق: عبد الله الخالدي، ط ٢، بيروت، د.ت).

* الكعبي، عبد الزهرة.

٤٦٦. مقتل الحسين ومسير السبايا، (د.م، شبكة الفكر، ١٤١٨هـ /

١٩٩٧م).

* الكوراني، علي العاملي.

٤٦٧. الانتصار، (ط ١، بيروت، دار المسيرة، ١٤٢٢هـ).

٤٦٨. جواهر التاريخ، (ط ١، قم، مطبعة شريعت، ٢٠٠٤م).

٤٦٩. قبيلة بني أسد بن خزيمة، (شارك فيه: عبد الهادي الربيعي، ط ١،

١٤١٣هـ / ٢٠١٠م).

* المازندراني، أبو علي محمد بن إسماعيل الحائري (ت ١٢١٦هـ / ١٨٠١م).

٤٧٠. منتهى المقال، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١،

قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

* المازندراني، محمد مهدي الحائري.

٤٧١. معالي السبطين، (ط ١، بيروت، مؤسسة البلاغ، ٢٠١١م).

* المامقاني، عبد الله (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).

٤٧٢. الفوائد الرجالية في تنقيح المقال، (تحقيق: محمد رضا المامقاني، ط ١،

قم، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م).

* المتقي الهندي، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).

٤٧٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، (تحقيق: بكري حياتي،

تصحيح: صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م).

* المحلاتي، ذبيح الله.

٤٧٤. رياحين الشريعة في ترجمة علامات نساء الشيعة، (طهران، دار

الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م).

٤٧٥. فرسان الهيحاء في تراجم أصحاب سيّد الشهداء، (تحقيق: محمد

شعاع فاخر، ط ١، النجف، المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٨م).

* المحمودي، محمد باقر.

٤٧٦. ترجمة ریحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ مدينة

دمشق، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط ٢، قم، فروزين، ١٤١٤هـ /

١٩٩٣م).

* المرعشي، نور الله الحسيني التستري (ت ٩٠٦هـ / ١٦١٠م).

٤٧٧. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، (قم، مكتبة المرعشي النجفي، د.ت).

* المطهري، مرتضى.

٤٧٨. الملحمة الحسينية، (قم، مطبعة إسماعيليان، ١٩٩٢م).

* المظفر، عبد الواحد.

٤٧٩. البطل الأسدي حبيب بن مظاهر، (دم، مكتبة دار الانصار،

٢٠٠٢م).

* المقرّم، عبد الرزاق الموسوي (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م).

٤٨٠. السيّد سكيّنة بنت الحسين، (ط ٢، النجف، المطبعة الحيدرية،

١٩٤٩م).

٤٨١. علي الأكبر، (النجف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٤٨٢. مقتل الحسين عليه السلام، (ط ٤، النجف، مطبعة الآداب، د.ت).

* المهاجر، جعفر.

٤٨٣. موكب الأحران (سبايا آل البيت عليهم السلام)، (ط ١، بهاء الدين العاملي

للطباعة والنشر، د.ت).

* الموسوي، عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٤٨٤. الفصول المهمة، (تحقيق: حسين الراضي، ط ١، د.م، قسم الإعلام

الخارجي مؤسسة البعثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٤٨٥. النص والاجتهاد، (تحقيق: أبو مجتبى، ط ١، قم، سيّد الشهداء عليه السلام،

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

* النصر الله، جواد كاظم.

٤٨٦. فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره - الحلقة الأولى: الولادة في

الكعبة، (ط ١، النجف، مركز الأبحاث العقائدية، ٢٠٠٩م).

* النصراوي، حسين عبد الأمير.

٤٨٧. رأس الحسين عليه السلام من الشهادة إلى الدفن، (ط ١، بيروت، د.ط،

٢٠٠٠م).

* النفيس، أحمد راسم.

٤٨٨. على خطى الحسين عليه السلام، (ط ١، مطبعة فروردين، نشر مركز الغدير

للدراستات الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

* النقدي، جعفر.

٤٨٩. الأنوار العلوية، (ط ٢، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١هـ/

١٩٦٢م).

٤٩٠. زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليها السلام وفاطمة

٥٥٤ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

بنت الحسين (عليه السلام)، (ط١، بيروت، دار جواد الأئمة (عليه السلام)، ١٤٣٢هـ /
٢٠١١م).

* الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني (الفاضل الهندي) (ت ١١٣٧هـ /
١٧٢٤م).

٤٩١. كشف اللثام (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم،
١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

* أمانة مسجد النخيلة التاريخي.

٤٩٢. النخيلة المسجد والمزار، (ط١، النجف الأشرف، الضياء،
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

* أيوب، سعيد.

٤٩٣. معالم الفتن، (ط١، مطبعة سمهر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

* بارا، أنطوان.

٤٩٤. الحسين في الفكر المسيحي، (ط١، الكويت، دار العلوم،
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

* بحر العلوم، محمد (ت ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).

٤٩٥. في رحاب السيِّدة زينب، (ط١، بيروت، د.ط، ١٣٩٥هـ /
١٩٧٥م).

* بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد (ت ١٣٤٦هـ /
١٩٢٧م).

٤٩٦. مناداة الأطلال ومسامرة الخيال، (تحقيق: زهير الشاويش، ط٢،
بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن.

٤٩٧. تراجم سيّدات بيت النبوة، (د.م، دار الريان للتراث، د.ت).

* جعيط، هشام.

٤٩٨. الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، (ترجمة: خليل أحمد

خليل، بيروت، مكتبة طريق العلم، د.ت).

* حرز الدين، محمّد.

٤٩٩. مراقد المعارف، (ط١، مطبعة مهر، منشورات سعيد بن جبير،

١٣٧١هـ/١٩٩٢م).

* حريري، علي.

٥٠٠. الأخبار السنوية في الحروب الصليبية، (ط٢، مطبعة مصر،

١٣٢٩هـ/١٣٢٩م).

* حسن، علي إبراهيم.

٥٠١. نساء هنّ في التاريخ الإسلامي نصيب، (مصر، مكتبة النهضة

المصرية، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

* خليفة، حاجي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

٥٠٢. كشف الظنون، (بيروت، دار إحياء التراث، د.ت).

* درنيقة، محمّد أحمد.

٥٠٣. معجم أعلام شعراء المدح النبوي، (تحقيق: ياسين الأيوبي، ط١،

د.م، دار الهلال، ٢٠٠٣م).

* ديورانت، ول.

٥٠٤. قصّة الحضارة، (د.م، المنظمة العربية للتربية والثقافة، د.ت).

* رستوفتسف.

٥٠٥. تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، (ترجمة:

زكي علي ومحمد سليم، مصر، مكتبة النهضة المصرية).

* سالم، عبد العزيز.

٥٠٦. تاريخ الدولة العربية تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط

الدولة الأموية، (بيروت، دار النهضة العربية).

* ساليغان، ريتشارد

٥٠٧. ورثة الإمبراطورية الرومانية الغرب الجرمانى، العالم الإسلامى -

الدولة البيزنطية، (ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، ط١، مكتبة التاريخ

الوسيط، نشر، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

* سبهر، محمد تقى لسان الملك.

٥٠٨. ناسخ التواريخ حياة الإمام سيّد الشهداء، (تحقيق: علي جمال أشرف،

ط١، قم، نشر مدين، ١٣٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* سركيس، اليان (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).

٥٠٩. معجم المطبوعات العربية، (قم، مطبعة بهمن، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

* سعيد، محمد.

٥١٠. الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، (د. ط، بيروت،

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

* شفيق، أحمد.

٥١١. الرق في الإسلام، (ترجمة: أحمد زكي، ط١، القاهرة، المطبعة الأهلية،

١٩٨٢م).

* شلبي، أحمد.

٥١٢. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية الدولة الأموية، (مصر، دار
الإتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٨ م).

٥١٣. مقارنة الأديان (الإسلام)، (ط٤)، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية،
نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م).

* شمس الدين، إبراهيم.

٥١٤. مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، (بيروت، منشورات محمد
علي بيضون، دار الكتب العلمية).

* شمس الدين، محمد مهدي.

٥١٥. أنصار الحسين دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات،
(ط٢)، طهران، الدار الإسلامية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).

* صبري، أحمد.

٥١٦. رأس الحسين تناقض العوامل الذاتية ومنهج الحراك التاريخي،
(مصر، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م).

* صفّار، حسن.

٥١٧. المرأة العظيمة قراءة في حياة السيّدة زينب بنت علي عليها السلام، (ط١)،
مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

* صفوت، أحمد زكي.

٥١٨. جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، (ط٢)، القاهرة،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م).

* طعيمة، صابر.

٥١٩. الأباضية عقيدة ومذهباً، (د.م، دار الجيل، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).

* عابدين، محمد أبو اليسر.

٥٢٠. القول الوثيق في أمر الرقيق، (تقديم، محمد كريم راجح، ط١، دمشق، دار البشائر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* عاشور، سعيد عبد الفتاح.

٥٢١. الحركة الصليبية، (ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م).

* عبد الرسول، سليمة.

٥٢٢. الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني، (د.م، بغداد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

* عبد الرؤوف، عصام.

٥٢٣. بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، (دار الفكر العربي، د.ت).

* عبد المنعم، محمود عبد الرحمن.

٥٢٤. معجم المصطلحات والألفاظ، (القاهرة، دار الفضيحة، د.ت).

* عبد الناصر، عبد الله.

٥٢٥. محنة فاطمة بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، (ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

* عرفانيان، غلام رضا.

٥٢٦. مشايخ الثقات، (ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

* عرفة، محمد سليم.

٥٢٧. إفادات من ملفّات التاريخ، (ط١، قم، ستارة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

* عصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).

٥٢٨. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (تحقيق: عادل أحمد

عبد الموجود، علي محمد معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية،
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

* عطية، علي سعود.

٥٢٩. تاريخ الحروب الصليبية، (ط ١، القاهرة، الشركة العربية المتحدة
للتسويق والتوريدات، ٢٠١٠م).

* علي، جواد.

٥٣٠. تاريخ العرب في الإسلام، (بيروت، دار الحداثة، د.ت).
٥٣١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط ٢، الهيئة العامة لمكتبة
الإسكندرية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

* عمران، محمود سعيد.

٥٣٢. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (د.م)، دار المعرفة الجامعية،
٢٠٠٠م).

* عنان، محمد عبد الله.

٥٣٣. مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، (ط ٤، القاهرة، لجنة التأليف
والترجمة والنشر، ١٩٦٢م).

* فريمان، جرنفيل.

٥٣٤. التقويمان، (ترجمة: حسام محي الدين الألوسي، بغداد، مطبعة
الجمهورية، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م).

* فلوتن، فان.

٥٣٥. السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، (ترجمة:
د. حسين إبراهيم، محمد زكي إبراهيم، ط ١، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م).

* قاسم، حسن محمد.

٥٦٠ سبي آل البيت عليهم السلام من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

٥٣٦. تاريخ ومناقب ومآثر الست الطاهرة البتول السيّدة زينب وأخبار

الزينيّات للعبدلي، (ط٢، د.م، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م).

* كاشف الغطاء، هادي.

٥٣٧. الملحمة الكبرى لواقعة كربلاء، (تحقيق: جعفر باقر الحسيني، ط١،

قم، أنوار الهدى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

* كحالة، عمر رضا.

٥٣٨. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، (ط٢، دمشق، المطبعة

الهاشمية، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).

* لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام.

٥٣٩. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، (ط٣، دار المعروف، ١٤١٦هـ /

١٩٩٥م).

* ليسترنج، كي.

٥٤٠. بلدان الخلافة الشرقية، (ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد،

ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* متز، آدم.

٥٤١. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في

الإسلام، (ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).

* محمد، سعاد ماهر.

٥٤٢. مشهد الإمام علي في النجف وما به من الهدايا والتّحف، (مصر، دار

المعارف، د.ت).

* محمّد، كرد علي.

٥٤٣. خطط الشام، (ط٢، دمشق، مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- * محمد، هاشم.
٥٤٤. شهيد الولاء حجر بن عدي، (ط٢)، مطبعة بهمن، ١٤١٩هـ/
١٩٩٨م).
* مرغي، جاسم عثمان.
٥٤٥. الشيعة في مصر، (ط١)، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، ١٤٢٣هـ/
٢٠٠٣م).
* مركز المعجم الفقهي.
٥٤٦. المصطلحات، (د.م، د.ط، د.ت).
* مهدي، خالد عبد الرزاق.
٥٤٧. البريد في التاريخ، (ط١)، بغداد، د.ط، ٢٠٠٤م).
* مهدي، صالح.
٥٤٨. الحسين قائد الانتصار بالظلمية (ط٢)، د.م، د.ت).
* هنتس، فالتر.
٥٤٩. المكايل والأوزان الإسلامية، (ترجمة، د. كامل العلي، منشورات
الجامعة الأردنية، د.ت).
* وليست، انثوني.
٥٥٠. الحروب الصليبية، (ترجمة: شكري محمود نديم، بغداد، مكتبة كلية
الآداب، د.ت).
* وليم، الصوري.
٥٥١. تاريخ الحروب الصليبية، (ترجمة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر،
١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
* يعقوب، أحمد حسين.
٥٥٢. كربلاء الثورة والمأساة، (ط١)، بيروت، الغدير للدراسات
الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
* يوسف، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ/

٥٦٢ سبي آل البيت (عليه السلام) من الطف إلى بلاد الشام سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (دراسة تاريخية)

١٩٢٧م).

٥٥٣. شعراء النصرانية، (بيروت، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين،

١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م).

رابعاً: الموسوعات

* بيضون، ليب.

٥٥٤. موسوعة كربلاء، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٦هـ /

٢٠٠٦م).

* التهانوي، محمد علي بن علي.

٥٥٥. موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، (تحقيق: محمد وجيه، ط١،

بيروت، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٦م).

* الخرسان، محمد مهدي.

٥٥٦. موسوعة عبد الله بن عباس، (ط١، مطبعة ستارة، نشر مركز

الأبحاث العقائدية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

* الخليلي، جعفر.

٥٥٧. موسوعة العتبات المقدسة، (بيروت، منشورات الأعلمي،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

* الريشهري، محمد.

٥٥٨. موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، (ط١، بيروت،

مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).

٥٥٩. موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، (تحقيق: محمد

كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي، ط٢، قم، دار الحديث،

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

* الشنستاوي، أحمد، وآخرون.

٥٦٠. دائرة المعارف الإسلامية، (راجعها: محمد مهتد).

* كحالة، عمر رضا.

٥٦١. موسوعة مقتل الإمام الحسين، (بيروت، دار المرتضى للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

* محدثي، جواد.

٥٦٢. موسوعة عاشوراء، (ط١، بيروت، دار الرسول ﷺ الأكرم ودار

المحجة البيضاء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

* مركز الأبحاث العقائدية.

٥٦٣. موسوعة من حياة المستبصرين، (ط١، قم، مطبعة ستاره، مركز

الأبحاث العقائدية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية

* الأسدي، حيدر شمنخي جابر.

٥٦٤. تاريخ المثلثة في الدولة الإسلامية حتى عام ١٣٢ هـ، رسالة

ماجستير، (المستنصرية: التربية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م).

* أمير، خالد راسم.

٥٦٥. حركة التّوايين ٦١ - ٦٤هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٤م دراسة تاريخية، رسالة

ماجستير، (بابل، التربية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

* البوهلالة، حسين نعمة إبراهيم.

٥٦٦. أنصار الإمام الحسين ﷺ في وقعة كربلاء من غير الهاشميين دراسة

في أحوالهم العامّة، رسالة ماجستير، (البصرة، الآداب، ١٤٣٠هـ/

٢٠٠٩م).

* بيج، أمير جواد كاظم علي.

٥٦٧. الحائر الحسيني دراسة تاريخية ٦١ - ٦٥٦هـ / ٦٨٠ - ١٢٥٨م،

رسالة ماجستير، (الكوفة، الآداب، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

* التميمي، هادي عبد النبي.

٥٦٨. ثورة الإمام الحسين في المصنّفات المصرية في القرن العشرين

الميلادي، أطروحة دكتوراه، (الكوفة، الآداب، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* الجابري، علي رحيم أبو الهيل.

٥٦٩. السياسة الأموية المضادة للإمام علي (عليه السلام) دراسة في سياسة السبّ،

رسالة ماجستير، (البصرة، التربية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).

* الجميلي، علي إبراهيم عبيد.

٥٧٠. مسلم بن عقيل دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (المستنصرية،

التربية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

* الجيزاني، رحمن حسين علي.

٥٧١. الهجرة إلى الحبشة، رسالة ماجستير، (بغداد، التربية بن رشد،

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* الحلقي، صبيح نوري خلف.

٥٧٢. نساء البيت الأموي ودورهنّ في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى

نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه، (البصرة، الآداب،

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

* حمود، خنساء مهدي.

٥٧٣. خطب نساء أهل البيت (عليه السلام) بعد واقعة الطف مدّة السبي دراسة

أسلوبية، رسالة ماجستير، (البصرة، الآداب، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

* حمود، هادي حسن.

٥٧٤. القُرَّاء ودورهم في الحياة العامّة في صدر الإسلام والخلافة الأموية،
أطروحة دكتوراه، (بغداد، الآداب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

* حميد، إنتهاء خالد.

٥٧٥. أثر الخلافة الفاطمية في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير،
(المستنصرية، التربية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

* الحميدي، شياء فاضل عبد الله.

٥٧٦. البداوة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية، رسالة ماجستير،
(بغداد، التربية بن رشد، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* الحياي، سفانة رعد خليل ابراهيم.

٥٧٧. عبد الله بن علي ٩٥ - ١٤٧هـ / ٧١٣ - ٧٦٤م سيرته ودوره السياسي
والعسكري، (الموصل، التربية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* خضر، أمل محمد.

٥٧٨. دور نساء آل البيت السياسي والفكري في معركة الطفّ وما بعدها،
أطروحة دكتوراه، (المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية
والدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

* الدجيلي، محمّد رضا.

٥٧٩. الأزارقة، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م).

* الدخيلي، مهدي عريبي.

٥٨٠. بني أسد ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، أطروحة دكتوراه،
(البصرة، الآداب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

* الدليمي، خالد أحمد صالح.

٥٨١. أبو سفيان صخر بن حرب سيرته وأثره السياسي في مكة، (بغداد،

التربية ابن رشد، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

* دوفش، محمد يوسف أحمد.

٥٨٢. الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، (جامعة الأردن،

الشريعة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

* الراوي، قصي أسعد عبد الحميد.

٥٨٣. آل الزبير ودورهم في الدولة العربية الإسلامية منتصف القرن

الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه، (بغداد، التربية ابن رشد،

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

* الزيدي، سامي جودة بعيد.

٥٨٤. فذك حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، (بغداد، التربية ابن

رشد، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

* الزيدي، مروان عطية ماع.

٥٨٥. ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وأثرها على حركات المعارضة حتى عام

١٣٢هـ، (المستنصرية، التربية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* السامرائي، هند يوسف مجيد.

٥٨٦. دور المرأة في حركة الخوارج، رسالة ماجستير، (تكريت، التربية،

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).

* سلمان، يلدر داود.

٥٨٧. المستنصر بالله الفاطمي دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ٤٢٧-٤٨٧

٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م، رسالة ماجستير، (المستنصرية، التربية،

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

* سند، ياسمين سالم مطرود.

٥٨٨. تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري مصدراً لدراسة سيرة الإمام علي عليه السلام دراسة نقدية تحليلية، رسالة ماجستير، (البصرة، الآداب، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

* الشيخ عبد المحسن، يوسف.

٥٨٩. حركة الخوارج نشأتها وأسبابها، رسالة ماجستير، (جامعة الكويت، د.ط، ١٩٧٧م).

* صاحب، أحمد عليوي.

٥٩٠. مسيرة الإمام الحسين إلى كربلاء دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* صالح، خولة عيسى محمد.

٥٩١. نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٣٣٤هـ، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

* صالح، غصون عبد.

٥٩٢. سليمان بن مهران الأعمش ومروياته التاريخية، رسالة ماجستير، (ديالى، التربية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

* الطائي، رائد محمد حامد حسن.

٥٩٣. الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية، رسالة ماجستير، (الموصل، الآداب، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

* الطائي، محمد عبيد حميد.

٥٩٤. الإمام الباقر ومروياته التاريخية (٥٦ - ١١٤)، رسالة ماجستير، (بابل، التربية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

* عبد الخالق، حنان.

٥٩٥. مدينة نصيبين في العصر العباسي دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير، (الموصل، الآداب، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

* عبد الكاظم، حارس رميلي.

٥٩٦. كتاب واقعة صفين للمنقري دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، (البصرة، الآداب، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).

* عبد الواحد، فلاح شنشل.

٥٩٧. الصحابي الجليل مالك بن نويرة (عليه السلام) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (المستنصرية، التربية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).

* العبودي، هناء سعدون جبار.

٥٩٨. السيدة زينب (عليها السلام) ودورها في أحداث عصرها، رسالة ماجستير، (الكوفة، الآداب، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م).

* العزاوي، أسماء غني عبد الله.

٥٩٩. نشاط الخوارج في البصرة والأحواز خلال القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).

* العزاوي، إسماعيل ذياب خليل.

٦٠٠. خالد بن الوليد دراسة في شخصيته ودوره في الإسلام، رسالة ماجستير، (بغداد، التربية ابن رشد، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

* عطاوي، عمر فلاح عبد الجبار.

٦٠١. أهل الصفة في عصر الرسالة والراشدي، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

* علوان، ستار جبار.

٦٠٢. الأحوال السياسية والحضارية في إقليم كرمان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه، (بغداد، الآداب، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

* العوَّاد، إنتصار عدنان عبد الواحد.

٦٠٣. السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (البصرة، الآداب، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

* فيصل، مخلد ذياب.

٦٠٤. هشام بن الحكم الكوفي ودوره في الحياة الفكرية خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، (بابل، التربية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

* الفيصل، نادية محسن عزيز صالح.

٦٠٥. الدور الحضاري لمدينة الرقة في العصر العباسي ١٣٢ - ٣٨٠هـ/ ٧٤٩ - ٩٩٣م، رسالة ماجستير، (الموصل، الآداب، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

* قبلان، الحمد.

٦٠٦. عبد الله بن الزبير حركته وخلافته، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

* الكربولي، عبد محمّد إبراهيم.

٦٠٧. الجامع الأموي في دمشق وأثره في الحياة السياسية والإدارية والفكرية منذ التأسيس حتى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، رسالة ماجستير، (الأنبار، الآداب، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

* اللامي، إيمان أحمد جابر.

٦٠٨. خطب وأقوال أهل البيت في واقعة الطفّ دراسة تاريخية، رسالة

ماجستير، (المستنصرية، التربية، ١٤٢٨ / ٢٠٠٨م).

* مال الله، حيدر لفته.

٦٠٩. أساليب الدولة الأموية في تثبيت السلطة (دراسة تاريخية)، أطروحة

دكتوراه، (البصرة، الآداب، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

* المالك، فاطمة عبد سعيد شلال.

٦١٠. الطلقاء دراسة في المعنى وإشكالية القراءة التاريخية، رسالة ماجستير،

(البصرة، التربية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

* المالك، رغد عبد النبي جعفر.

٦١١. الرهبانية النصرانية في مصر من القرن الثالث الميلادي إلى القرن

الخامس الميلادي، أطروحة دكتوراه، (بغداد، التربية ابن رشد،

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).

* محمد، رغداء حسين.

٦١٢. حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي وأبعادها السياسية والفكرية،

رسالة ماجستير، (الكوفة، الآداب، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م).

* المحمداوي، علي صالح رسن.

٦١٣. أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من

الدعوة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، (البصرة، الآداب، ١٤٢٤هـ /

٢٠٠٤م).

* المدغش، ناظم ظاهر.

٦١٤. دور مسلمة الفتح من قریش في الإسلام حتى نهاية العصر

الراشدي، رسالة ماجستير، (بغداد، الآداب، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

* مدقن، هاجر.

٦١٥. الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب
المساكين للرافعي، رسالة ماجستير، (ورقة، الآداب، ١٤٢٣هـ/
٢٠٠٣م).

* مدلل، شادي إبراهيم عبد القادر.

٦١٦. السبي في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، (فلسطين، جامعة
النجاح، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

* مزهر، ختام راهي.

٦١٧. أهل الصفة في الإسلام دراسة في أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية والفكرية حتى العصر الراشدي، رسالة ماجستير، (الكوفة،
الآداب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

* الملاطه، حنان عبد الرحمن.

٦١٨. الديارات النصرانية في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى
نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، (تكريت، التربية، ١٤٢٥هـ/
٢٠٠٥م).

* المياحي، هادي عبد الكريم عبد الرضا.

٦١٩. معركة الجمل ٣٦هـ/ ٦٥٦م الأسباب والنتائج دراسة تاريخية،
رسالة ماجستير، (كلية الدراسات التاريخية في البصرة، ١٤٣٣هـ/
٢٠١٢م).

* نجمان، ياسين عباس.

٦٢٠. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، أطروحة دكتوراه،
(الموصل، الآداب، ١٩٩٠م).

سادساً: الدوريات

* الجنابي، قيس حاتم هاني.

٦٢١. نشأة وتطور البريد في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٨٦هـ،
(جامعة بابل، مجلة كلية التربية، ع ١٠، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ٨.

* الحجاج، محسن مشكل فهد.

٦٢٢. طريق الإمام الحسين (عليه السلام) من الحجاز إلى العراق، (جامعة البصرة،
مجلة الخليج العربي، ع ٢٣، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٤١).
٦٢٣. مسلم بن عقيل (عليه السلام) دراسة لدوره في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)،
(جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلة الخليج
العربي، مج ٤٢، ع ١ - ٢، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م).

* الحوري، أحمد عبید عيسى.

٦٢٤. الجانب الاجتماعي في خلافة عمر بن عبد العزيز من خلال كتاب
ابن الجوزي (سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز)، (ع ٣٨، مج ١٠،
٢٠١٤م، ص ٦٣ - ٨٥).

* الخفاجي، إيمان سالم حمودي.

٦٢٥. علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وولاية العهد، (جامعة القادسية، مجلة
القادسية للعلوم الإنسانية، ع ٤٤، مج ١٥، ٢٠١٢، ص ٢١٧ - ٢٤١).
* سعيد، حيدر لفته.

٦٢٦. واقعة الحرّة دراسة تاريخية، (مجلة دراسات الكوفة، ع ١٣، مج ١،
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

* الشهرستاني، هبة الدين.

٦٢٧. زينب في عاصمة أبيها، (النجف الأشرف، مجلة الغري، ع ٩ و ١٠،
١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص ٣).

* صالح، سمير وعبّاس عاجل.

٦٢٨. الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم، (جامعة بابل، مجلّة

جامعة بابل للعلوم الصرفة، مج ١٩، ع ٤، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

* الطائي، عبد الستار إسماعيل عبد الرحمن.

٦٢٩. الممارسات الشورية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، (جامعة

الموصل، مجلّة التربية والعلم، ع ٤، مج ١٧، ٢٠١٠م، ص ١-١٣).

* عبد العالي، مظفر.

٦٣٠. الفتح والاستشهاد في ذكرى الحسين، (النجم الأشرف، مجلّة

الأضواء، ع ٣، ٦، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، ص ٢١٩).

* عبد المجيد، عبد الملك.

٦٣١. سياسة الحسن بن علي عليه السلام في وحدة المسلمين، (جامعة تكريت،

مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإسلامية، ع ١٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م،

ص ٢٦٢-٢٩٠).

* عبد علي، محمّد.

٦٣٢. معجزة الإسراء والمعراج دراسة شرعية، (جامعة الهيئة العلمية

الاستشارية، مجلّة البحوث والدراسات الإسلامية، ع ٣٨، ٢٠١٤/

١٤٣٥م، الصفحات ٤٣٧-٤٩٢).

* علي، عبد صالح محمّد.

٦٣٣. البريد في العصور الإسلامية، (جامعة الأنبار، مجلّة العلوم الإنسانية،

مج ٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٧، وما بعدها).

* فتحي، طارق، وفاء أحمد.

٦٣٤. مدينة مرو في المصادر الجغرافية العربية، (جامعة الموصل، مجلّة

التربية والعلوم، مج ١٦، ع ٣٨، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

* كسار، علي.

٦٣٥. الجذور التاريخية لظاهرة الرقيق عند الشعوب القديمة وعرب الجزيرة قبل الإسلام، (جامعة كربلاء، مجلة كلية التربية، ع ٥، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

* الكعبي، هاشم ناصر حسين، علي عبد الستار فاضل حمود الصيوان.

٦٣٦. حبيب بن مظاهر الأسدي ودوره في معركة الطف، (مجلة جامعة كربلاء العلمية، ع ١، مج ١٢، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

* اللهبي، حسين عبد العال.

٦٣٧. دور الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في الحراك الفكري والسياسي، (جامعة القادسية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، ع ٤، مج ١٤، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤٦-٤٥).

* المحمّدي، عصام خليل إبراهيم وعمر حميد مراد.

٦٣٨. مواقف العلماء من رواية الحسن البصري عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، ع ٧٣، مج ١٨، ٢٠١٢م، ص ١٧٥-٢٠٦).

* ملحم، حسين طاهر.

٦٣٩. الفكر السياسي عن أهل البيت صلح الحسن أنموذجاً، (جامعة الكوفة، مجلة الآداب، ع ١٣، مج ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٣٧٩-٤٠٦).

* ناصر، شكري.

٦٤٠. معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع، (مجلة دراسات البصرة، ع ١٣، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٩١-١٢٠).

* نصر الله، جواد كاظم.

٦٤١. الإسرائء والمعراج دراسة في ردّ الشبهات هيئة كتاب التاريخ برئاسة

معاوية، (مجلة رسالة الراءفين، ع٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص ٨٩ -

١١٧).

سابعاً : مواقع الانترنت

1. www.wikipedia.org
2. www.alhassanain.com

ثامناً : المصادر الأجنبيةة

3. Guinness ،Guinness world records ،2015.
4. Seymour drescher ،A History of Slavery and Antislavery ،
Cambridge ،1430 ،2009.
5. T. Muhammed yolcu ،sözlük ،sözlük ،Dar bayrağı Beyrut ،
Lğbnan ،1413 ،1993.

المحتويات

الإهداء.....	٩
شكروعرفان.....	١١
مقدمة قسم الرسائل الجامعية.....	٢٧
المقدمة.....	٣١
صعوبات البحث.....	٣٥
نطاق البحث.....	٣٥
عرض المصادر.....	٤٠
أولاً: مصنفات المقاتل.....	٤٠
ثانياً: المصنفات التاريخية.....	٤١
ثالثاً: مصنفات الأنساب والتراجم والطبقات.....	٤٣
رابعاً: المصنفات الجغرافية والبلدانية والرحلات.....	٤٣
خامساً: مصنفات اللغة العربية والأدب.....	٤٤
سادساً: المراجع.....	٤٥
التمهيد.....	٤٩

الفصل الأول

سبي آل البيت ﷺ من الطف إلى الكوفة

- المبحث الأول: معنى السبي لغةً واصطلاحاً ١٠١
- أولاً: السبي لغةً ١٠٢
- ثانياً: السبي اصطلاحاً ١٠٣
- ثالثاً: الجذور التاريخية للسبي ١٠٤
- السبي عند العرب قبل الإسلام ١١٠
- الأسر والسبي في الإسلام ١١١
- المبحث الثاني: مفهوم آل البيت ﷺ لغةً واصطلاحاً ١١٩
- أولاً: تحديد مفهوم الآل والأهل لغةً ١١٩
- ثانياً: أهل البيت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ١٢١
- ثالثاً: أهل البيت اصطلاحاً ١٢٥
- المبحث الثالث: بدء السبي والوصول إلى الكوفة ١٢٩
- حمل رؤوس قتل الطف ١٥٠

الفصل الثاني

سبايا آل البيت عليهم السلام في الكوفة

المبحث الأول: الاستعراض في شوارع الكوفة	١٦١
المبحث الثاني: خطبة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام في أهل الكوفة	١٦٧
المبحث الثالث: خطبة السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة	١٨٩
المبحث الرابع: خطبة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليها السلام في أهل الكوفة	١٩٩
المبحث الخامس: خطبة الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام في أهل الكوفة	٢٠٣
المبحث السادس: سبايا آل البيت عليهم السلام في قصر الإمارة	٢١١
رواية اختطاف الإمام علي بن الحسين عليهما السلام	٢١٩
المبحث السابع: مجلس ابن زياد العام وأصدقاء المعارضة	٢٢٣
معارضة ابن زياد من قبل أسرته	٢٣١
مجلس عزاء في السجن	٢٣٢
معارضة المختار الثقفي لقتل الإمام الحسين عليه السلام	٢٣٢
تقوير رأس الإمام الحسين عليه السلام	٢٣٤
الطواف برأس الإمام الحسين عليه السلام في شوارع الكوفة	٢٣٥
مدة بقاء السبايا في الكوفة	٢٣٦

الفصل الثالث

سبي آل البيت (عليه السلام) من الكوفة إلى بلاد الشام

- المبحث الأول: الأمراء الذين رافقوا سبباي آل البيت (عليه السلام) إلى الشام ٢٤٧
- المبحث الثاني: الطرق بين الكوفة ودمشق ٢٥٥
- أولاً: طريق البادية (طريق البريد) ٢٥٥
- ثانياً: طريق الفرات ٢٥٧
- ثالثاً: طريق دجلة (الطريق الشمالي) ٢٥٩
- المبحث الثالث: مسير سبباي آل البيت (عليه السلام) من الكوفة إلى دمشق ٢٦٩
- ١- دير سرجس ويكس ٢٧٢
- ٢- القادسية ٢٧٤
- ٣- الحصاصة ٢٧٥
- ٤- تكريت ٢٧٧
- ٥- وادي النخلة ٢٧٨
- ٦- الكحيل ٢٨٠
- ٧- الموصل ٢٨١
- ٨- جبل سنجار ٢٨٣
- ٩- نصيبين ٢٨٣
- ١٠- دعوات ٢٨٥
- ١١- حلب ٢٨٧

١٢ - قنسرين	٢٨٧
١٣ - معرة النعمان	٢٨٩
١٤ - شيزر (سيور)	٢٨٩
١٥ - كفر طاب	٢٩٠
١٦ - حماة	٢٩١
١٧ - حمص	٢٩١
١٨ - بعلبك	٢٩٣
١٩ - صومعة الراهب	٢٩٤
٢٠ - عسقلان	٢٩٧
٢١ - دمشق	٢٩٩
المبحث الرابع: استعراض سبایا آل البيت عليه السلام في دمشق	٣٠٣

الفصل الثاني

سبایا آل البيت عليه السلام في مجلس يزيد بن معاوية

المبحث الأول: الأحاديث الأولى لسبایا آل البيت عليه السلام مع يزيد في مجلسه	٣٣٣
المبحث الثاني: خطبة السيّد زینب بنت علي عليه السلام في مجلس يزيد	٣٤٧
المبحث الثالث: خطبة الإمام علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام في مجلس يزيد	٣٦٩
المبحث الرابع: أصداء الرفض لفعل يزيد بن معاوية	٣٩٧

الفصل الخامس

رأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ومدفنه

- المبحث الأول: قطع الرؤوس وأبعادها السياسية والاجتماعية ٤١٩
- المبحث الثاني: مدفن رأس الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ٤٢٩
- أولاً: بلاد الشام ٤٣١
- ١- دفن الرأس في دمشق ٤٣١
- ٢- دفن الرأس في مدينة الرقة ٤٣٤
- ٣- دفن الرأس في مدينة عسقلان ٤٣٥
- ثانياً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مصر ٤٣٦
- ثالثاً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في المدينة المنورة ٤٣٨
- رابعاً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مرو خراسان ٤٤٠
- خامساً: دفن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في العراق ٤٤٢
- ١- المجموعة الاولى الروايات القائلة بدفنه في النجف ٤٤٢
- ٢- المجموعة الثانية الروايات الدالة على دفنه في الطف (كربلاء) ٤٤٤
- الخاتمة ٤٦١
- الملاحق ٤٦٥
- قائمة المصادر والمراجع ٤٩٣
- أولاً: المخطوطات ٤٩٣
- ثانياً: المصادر الأولية ٤٩٣

المحتويات	٥٨٣
ثالثاً: المراجع	٤٩٣
رابعاً: الموسوعات	٥٦٢
خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية	٥٦٣
سادساً: الدوريات	٥٧٢
سابعاً: مواقع الانترنت	٥٧٥
ثامناً: المصادر الاجنبية	٥٧٥
المحتويات	٥٧٧